شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

٣٦ آب (أغسطس) ١٩٧٤

شهرية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين.

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٣١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤١/٢ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** ، الدكتور انيس صايغ .

٥ **الحاج محمد امين الحسيني** ، عجاج نويهض .

١٢ **مقابلتان مع الحاج امين** ، د. خيرية قاسمية وعماد شقور .

١٩ **الصراع .. والصراع بالكلمات** ، شفيق الحوت .

٢٣ **تحترق من ناحية البحر وتنمو من ناحية الاطفال** ، محمود درويش .

٢٨ **محاذير الطريق المفتوح بين العرب واميركا** ، الدكتور سامي منصور .

٣٩ **التحولات الاستراتيجية في الشرق الاوسط** ، هشام عبدالله .

٤٧ **مخيمات الفلسطينيين « نظرة سوسيولوجية »** ، باسم سرحان.

٧٣ **الشخصيـــة الفلسطينية والاستيطان اليهـــودي (١٨٧٠ ــ ١٩١٤)** ، الدكتور عبد العزيز محمد عوض .

٨٨ **رحلة في عالم فدوى طوقان : شاعرة عربية على درب الواقعية الجديدة** ، ممدوح السكاف .

٩٦ **الجذور الطبقية للحركة الصهيونية** ، لطف‌الله حيدر .

١٠٥ **الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية** ، عبد القادر ياسين .

١٢٢ **مراجعات** : العرب الغاضبون ، وحقيقة الشرق الاوسط بين الحرب والسلم ، ونضالنا : الثورة الفلسطينية ١٩٦٨ — ١٩٧٠ ، رجا جورج . آذار الاخضر ، ايلول الاسود : قصة العرب الفلسطينيين ، طالب يونس وجورج جقمان . حب تحت المطر ، مصطفى كركوتي . البلد المفقودة ، هـ. د. الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، محمد علي العويني . التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠ — ١٩٧٠ ، بكر مصباح تنيرة .

١٣٦ **ثقافة** ، الياس خوري .

١٤٨ **ببليوغرافيا الفولكلور العربي الفلسطيني** ، نمر سرحان .

١٥٨ **الفلسطينيون كما يبدون في الذهنية الاسرائيلية** ، عبد الحفيظ محارب .

١٦٤ **تقارير** : حول مهرجان لايبزغ السنوي للافلام الوثائقية والقصيرة ، قاسم حول . مؤامرة الصمت ... مشكلة نشر الحقيقة حول فلسطين ، باميلا فيرغوسون . الصين الشعبية والقضية الفلسطينية ، الدكتور طارق يوسف اسماعيل .

١٨٣ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني . (٢) القضية الفلسطينية دوليا ، صادق جلال العظم . (٣) المناطق المحتلة ، عيسى الشعيبي . (٤) اسرائيليات ، هاني عبدالله . (٥) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي . مع ملحق « توقيع اتفاقية تحديد الاسلحة (سولت) » ، كمال السعدي . جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٦/١٦ — ١٩٧٤/٧/١٥ ، غازي خورشيد .

شؤون فلسطينية

في التاريخ العربي العام ، وفي تاريخ فلسطين بوجـــه خاص ، هو أكبر من « مفتي القدس » ، ومن « رئيس المجلس الاسلامي الاعلى » ، ومن « رئيس الهيئة العربية العليا » ، ومن زعيم « الحزب العربي الفلسطيني » ، ومن « رئيس مؤتمـــر العالم الاسلامي » ، على أهمية هذه المناصب فلسطينيا وعربيا واسلاميا ، وعالميا أيضا . فلمدة ربع قرن ، على الاقل ، توحدت سيرة الرجل مع سيرة فلسطين . حتى أضحى المرء لا يستطيع ان يتتبع تاريخ البلد والقضية ، ولا ان يفهم هـــذا التاريخ ولا أن يستوعبه ، الا من خلال تاريخ زعيم ذلك البلد وبطل تلك القضية . ولمدة ربع قرن أيضا والحركة الوطنية ، في مسيرتها نحو الاهداف القومية التي أعلنها شعب فلسطين والتزم بها ، ترتبط بأمين الحسيني ارتباطا عضويا يتعذر الفصل بينهما ولو لمجـــرد النقاش والافتراض . ثم تلا تلك الفترة الطويلة (من مطلع العشرينات حتى أواخر الاربعينات) ربع قرن آخر (يستمر حتى يوم وفاة الحاج أمين) والرجـــل محور أساسي في تاريخ القضية ، في الكتابة عنها وتوثيقها وفي تعليل الاحداث وتحليلها وفي استنطاق الماضي وتفسيره ، مع انه كان قد أصبح ، في معظم سني هذه الفترة ، بعيدا نسبيا عن دفة القيادة وغير مسؤول مباشرة عن تطور الامور . أي انه بقي ، بين ١٩٤٨ و١٩٧٤ ، عنصرا أساسيا في تاريخ فلسطين مع انه لم يكن العنصر الاساسي في تقرير هذا التاريخ وتوجيهه .

لا شك ان كتابات كثيرة ستصدر حول هذا الرجل الكبير . ولا شك أن أدبيات القضية الفلسطينية ستحفل بكلام كثير عنه ، مقالات وكتبا ودراسات ورسائل جامعة وذكريات ومذكرات وأوراقا . ولا شك أن الآراء في زعامته وأعماله ستتعدد وستتباعد ، تماما كما تعددت المواقف منه في حياته وتباعدت . لكن القليلين يستطيعون الخروج عن الاجماع على عظمة الرجل وأهميته ، بل وريادته للنضال الفلسطيني منذ أكثر من خمسين عاما .

واذ تحيي «شؤون فلسطينية» ذكرى شهيد فلسطين الكبير، تخصص صفحاتها الاولى في هذا العدد لبعض أفكاره ، وقد جمعها اثنان من محرريها الباحثين في مركز الابحاث ، الدكتورة خيرية قاسمية وعماد شقور ، خلال مقابلات أجرياها معه في الاشهر القليلة الماضية . وقد استخرجت الاوراق من ملفات وثائق مركز الابحاث . اذ ان احاديث المفتي كانت جزءا من خطة للمركز لجمـــع أفكاره وتعليلاته للاحداث لتوثيـــق التاريخ الفلسطيني في مرحلة الانتداب . وقد حرصنا على نشر المقابلتين كما كتبهما الزميلان في حينه ، بدون اجراء أي تعديل . كما طلبت شؤون فلسطينية من الكاتب العربي الكبير الاستاذ عجاج نويهض ان يقدم العدد بكلمة عن الفقيد .

انيس صايغ

الحاج محمد امين الحسيني

عجاج نويهض

السلام عليك ورحمة الله وبركاته

سيدي الفائز في الدارين ، أبا صلاح الدين !!

اني أناجيك ولست اليوم براثيك ، ولا اقوى على رثائك بعد وفاتك ، كما كنت عاجزا عن شكري لك في حياتك ، فقد ضممتني تحت جناحك عشر سنين ، اخذت منك علما وأدبا ، وهدى وارشادا ، وكنت لي ولغيري معلما نعم المعلم ، واسعدت وأنا في ظلال واحتك ، بأن أرى كيف ينزل الالهام عليك ، وتنهض بالاعباء في الشدائد ، وعزمك عزم الاولياء والصالحين ، كأنك مبعوث الى فلسطين في القرن الرابع عشر أو العشرين ، من الرجال الاولين ، وأعدك الله بالفطرة والارث والتربية ، لتكون آية العالم ، في مصارعة الصهيونيين ، وجعلك الله رسول الايقاظ الى العالمين : العربي والاسلامي ، أفتسمح لي اليوم غداة التحاقك بالرفيق الاعلى ، ان اناجيك مناجاة خافتة متواضعة ، ولكن قلبي لا لساني ، يتكلم .

« الحاج محمد أمين الحسيني » ، كلمات روحية انيسة ، اندمج بعضها ببعض ، حتى تحولت الى لفظة واحدة ، وجرت على الالسنة مجرى « السلام عليكم » بين الناس ، وامتطت ثلاثة ارباع القرن حتى عمت العالم العربي والاسلامي ، والاميركتين واوروبا ، وذكرها « عند العرب والمسلمين، كما عند الفرنج قاطبة»، يفيد معنى النضال والجهاد، في أقدس قضية رآها البشر، مع دول مستعمرة، وشرذمة من شذاذ الآفاق الصهيونيين .

سيدي أبا صلاح الدين !

اتسمح لي أن ابتدىء بمناجاتك من سنة ١٣٣٢ — ٣٣ او سنة ١٩١٤ ؟ في تلك السنة تخرجت من « دار الدعوة والارشاد » في مصر ، بعد الازهر الشريف ، واستاذك هو الموقظ الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » الاسلامي ، واستاذك السيد رضا هو تلميذ الاستاذ الامام ، الشيخ محمد عبده ، والاستاذ الامام تلميذ السيد جمال الدين ورفيقه . وفي تلك السنة حججت حجا مبرورا ، وحجت معك في هـذا الموسم السيدة الوالدة الرضية عليكما رحمة الله ورضوانه . وقد عدت من الموسم وقلبك عامر بالايمان الذي رحت انت تنظر على ضوئه ووهجه مستقبل العرب ، وكنت وقتها ، سيدي الغائب الغالي ، قد لاحظت الموقف العربي بين العرب والترك ، وكان قد مضى سنة على انعقاد المؤتمر العربي في باريز ، يرئسه السيد الشهيد عبد الحميد الزهراوي ونائبه اسكندر عمون . وفي تلك السنة ١٩١٤ وقعت الحرب العامة الاولى .

والكل يعلم انك خدمت في الجيش العثماني الى ١٩١٨ وفي تشرين الاول من تلك السنة ، دخل العرب دمشق فاتحين ، وتحولت دمشق من أول تشرين الاول الى تموز ١٩٢٠ مدة أكثر من عشرين شهرا ، الى بركان تارة يثور ويهيج ، وطورا يسكن ، اذ كنت انت على رأس هذا البركان ، فاجتمعت في دمشق رجالات العرب من الشام وفلسطين ولبنان والاردن والعراق والحجاز ، ابتغاء ان يرسى أساس الدولة العربية الجديدة ، المستأنفة بعد دولة بني العباس ، وكانت ثلاثة « ثعابين » حولكم تعمل على ابطال عملكم ، وردكم القهقرى ، وعرقلتكم : بريطانيا ، والصهيونية ، وفرنسا .

في سنة ١٩١٩ لما جاءت « لجنة كراين » الى سوريا وفلسطين ولبنان ، كنت البطل في تنبيه عرب فلسطين ، قومك وعشيرتك الاقربين ، الى ما ينبغي لهم أن يقولوه ويفعلوه وينادوا به ، من وجوب الاعتصام بدولة سورية العربية المتحدة ، « من طورس الى رفح » ، ضامة الشام اليها فلسطين ضم الام وليدها . « من طورس الى رفح » ، بقيت مدة العشرين شهرا الكلمة الهائجة الرائجة في هذه الاقطار كلها . في سنة العشرين ، سيدي الامين ، كان « النادي العربي » الذي أنشأته منذ السنة السابقة في باب الخليل في القدس ، لم يزل يؤدي رسالته ، وانت تنادي بأن فلسطين هي سوريا الجنوبية . وجعلت « النادي العربي » في القدس ، على غرار النادي العربي في دمشق المؤسس بعد فتح الشام ليكون ملقى العزائم ومعقد الروابط ، ويصغى اليه ، ويتبع ارشاده . كنت أنت أشد المهامين في خاصرة عرب دمشق في تلك الفترة ، تنبههم الى « الثعبان الصهيوني » يشهد لك بهذا الرفقاء الامناء ، وهذا عزة دروزه في دمشق اليوم من أول الشاهدين .

في سنة ١٩٢٠ ، وقد دخل غورو دمشق ، وتشتت العرب « الميسلونيون » ، وقبل تموز ، كنت أنت في موسم النبي موسى قد أعطيت أول درس للطامعين ، ليعلموا أن فلسطين لن تكون لليهود منازل وقصورا ، بل تكون لهم أجداثا وقبورا . وخرجت من فلسطين ووراءك حكم عسكري غليظ ، وعدت بعد نحو سنة فوجدت ذلك الحكم ممحوا .

تبارك الله !! ففي سنة ١٩٢٢ توليت الافتاء بعد أخيك ، وانتخب المسلمون في فلسطين « المجلس الاسلامي الاعلى » ، مؤلفا منك رئيسا دائما ومن اربعة أعضاء معك يمثلون فلسطين كلها . من تلك السنة الى سنة ١٩٧٤ الحاضرة ، وانت على شوط واحد ، اثنتين وخمسين سنة ، لم تسترح يوما ، ولا تخليت عن سلاحك ، فكنت في هذا الشوط البطل الثائر ، والمثل السائر ، والفلك الدائر ، فمن هذه المدة ١٥ سنة ، من ١٩٢٢ — ١٩٣٧ قضيتها في فلسطين رئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى ، وقائدا للحركة الوطنية ، وذائدا عن البلاد في وجه الصهيونية وحاميتها بالسلاح بريطانيا ، الممارسة لاشنع نوع من الاستعمار في بلاد العرب عامة وفلسطين خاصة منذ القرن الماضي .

وخرجت من القدس ، من منزلك قرب الحرم الشريف ، الى لبنان ، مضطرا الى هذه الهجرة ، فبقيت في لبنان حتى فتوق الحرب الثانية بعد سنتين ، ولم تطل مقامك في بيروت بعد ذلك طويلا ، اذ شعرت ، وانت الملهم ، بأن بريطانيا تبغي أن تطلب من فرنسا حليفتها ، تسليمها اياك ، فانتقلت الى العراق ، وارشدت القوم وهم يدراون عنهم بغي الانكليز ، ولما تغلبت بريطانيا على العراق ، انتقلت الى ايران ولما وصل الحلفاء الى هناك انتقلت الى ايطاليا والمانيا وبقيت في بلاد المحور سني الحرب كلها ، الى أن انهار الجيش الالماني ، وأمسكك الجيش الفرنسي أسيرا ، فبقيت في باريز مدة ، على الكرامة في المعاملة ، والحذر مما وراء الستار ، وجاءت بريطانيا تطلب من باريز ان تتسلمك ، كما مثل طلبها في بيروت قبل سبع سنين ، فيسر الله أمرك بالانتقال السري الى مصر ،

فاستقبلت في مصر من الحكومة والشعب استقبال الفاتحين ، وحططت رحالك ، وبعد سنة وبعض السنة ، كان « قرار التقسيم » الذي لا يقل غرابة عن وعد بلفور ، فأخذت في اعداد جيش الجهاد المقدس ، واخترت له البطل الشهيد عبد القادر الحسيني قائدا ورائدا ، وهو المجاهد الصنديد ، واقتربت سنة ١٩٤٨ وفلسطين كالمرجل على النار ، وهي تنظر اليك ، وكل آمالها معلقة عليك . وفي خلال دور ما سمي « بمعارك الطرق » بين المناضلين وعصائب الصهيونيين ، في المدة التي كانت بين قرار التقسيم وموعد جلاء بريطانيا في ٤٨/٥/١٥ وهي نحو سبعة اشهر ، أنزل رجالك بقوات العدو ما قصم ظهرهم ، معركة بعد اخرى ، فكانت تلك المعارك آية على ان « دول الجامعة العربية » لو سلحت أهل فلسطين وتركت اليهم أمر تمزيق قرار التقسيم ، لمزقوه وداسوه . ولكن الاقدار ، ولها أسرار ، قضت بما وقع سنة ١٩٤٨ وآبت الجيوش العربية الى بلادها بهزيمة منكرة لا ينضح العار عنها الا في حرب رمضان او تشرين الخريف الماضي ، والله القوي العزيز .

دعني يا سيدي أرجع اليك لاناجيك مناجاة سائرة معك منذ سنة ١٩٢٢ وأنت قد انتخبت المفتي الاكبر ، ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى لادارة الاوقاف والمحاكم الشرعية .

(١) جعلت أول عمل لك أن تتسلم ادارة المحاكم الشرعية ، وهي ١٧ محكمة في فلسطين ،وتتسلم ادارة الاوقاف الاسلامية ، وهي حجة وافرة في فلسطين لكثرة الاوقاف التي وقفها السلاطين والامراء والوزراء والصالحون تديرها سبع دوائر في البلاد . وكانت المحاكم الشرعية منذ انسحاب الاتراك سنتي ١٩١٧ و١٩١٨ الى سنة ١٩٢٢ تديرها الحكومة العسكرية ثم تسلمها « النائب العام » وهو يهودي صهيوني اسمه بنتويش، لما جاء هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني القح في تموز ١٩٢٠ ، فأعدت الى المسلمين محاكمهم الشرعية وأوقافهم وجعلتهم يشعرون بالكرامة والعزة .

(٢) الم تكن أول أياديك بعد ذلك ، أن رأيت ايتام المسلمين متفرقين في دور الايتام الاجنبية مثل معهد « شنلر » في القدس ، و« السالزيان » في بيت لحم ، فجمعت الايتام من هذين المعهدين ومن سائر أنحاء فلسطين ، وأويتهم في السراي الرحبة التي كانت « دار المتصرف » ، في العهد العثماني داخل سور المدينة ، وفي مدة قليلة صار عدد هؤلاء الايتام واليتيمات مئات ثم بعد سنين صاروا عدة آلاف ، فأنشأت لهم « دار الايتام الاسلامية الصناعية » وجعلت الدار دار تعليم للعلوم ودار صناعات، كالطباعة والنجارة والخياطة وصناعة الموبيليا ، وعلى طول السنين تخرج آلاف من هذه الدار وباتوا عنصرا اقتصاديا في البلاد ، وصار المتخرج في صناعة يخرج الى العالم فيؤسس عمله وينمو فيه، فمن أنقذ هؤلاء الايتام ، وعلمهم الكتاب ، والصناعات ، غيرك ايها الملهم المرسل ؟ الم تطبع دار الايتام المصحف الشريف في مطابعها صباعة تنافس أرقى طباعات القاهرة وسائر العواصم ؟ الم يكن هذا العمل الاول من نوعه في القدس منذ فتحت بيت المقدس على يد سيدنا عمر رضي الله عنه ؟

(٣) الم تر المسجد الاقصى المبارك ، غداة أصبحت رئيس المجلس الاسلامي الاعلى، انه على وهن ، فانشأت مشروع عمارته ، واستندت أكف العالم الاسلامي ، والملوك والامراء ، وانتدبت لهذا المشروع المهندس العبقري العالمي كمال الدين ، مفخرة تركيا والشرق في فنه ، وأرسلت الوفود الى الحجاز وامارات الخليج والمحمرة والعراق والهند ، ومصر وسوريا ، ولبنان ، لتلقي الاعانات ، وبقي المشروع في الانجاز خمس سنين حتى جاءتك الاعانات من الصين ، وتم المشروع فجاء بركة وتوفيقا ، وتلفت العالم

العربي والعالم الاسلامي اليك وانت مضطلع بعبء هذا المشروع الذي كان يقوم به الخلفاء والملوك على ممر العصور ، فجئت انت من هذا العصر ونهضت به وحدك ، فردا من المسلمين ، ولكنه فرد أوتي من صدق العزم والايمان ما جعله قرة عين هذا الزمان . ولما دعوت البلاد المجاورة والبلاد العربية الاخرى ، وفي مقدمتها مصر ، سنة ١٩٢٩ للاحتفاء بانجاز المشروع واتمام كل أجزائه ، بقيت فلسطين ، وخاصة بيت المقدس ، أسبوعا في أزهى مهرجان ، والحرم تتهادى فيه الوفود والجموع والخلائق تظهر أفراحها اذ ترى الاقصى الذي بارك الله حوله ، يتجلى هيبة ورونقا ، الى قداسة مـــا بعدها قداسة الا في الحرمين الشريفين .

(٤) ألم تنظر حواليك مادا ببصرك الى المستقبل ، فرأيت ان الجيـــل الصاعد ، المتصدي لخدمة الاسلام وشريعته ، يحتاج الى كلية اسلامية تخرج الشباب الصحيح تخريجا صحيحا ، فانشأت « الكلية الاسلامية » بجوار الحرم ، وانتدبت خيرة المربين لادارتها فبقيت الى يوم فراقك فلسطين ١٩٣٧ وهي تقوم برسالتها ؟

(٥) ألم تشفق من نظرتك هذه ، نظرة أخرى ، والغايتان في التالي تلتقيان ، فجعلت ترسل البعثات العلمية الى الازهر والمعاهد الاخرى كالقضاء الشرعي وغيره ، حتى اذا عاد شباب هذه البعثات بشهاداتهم تولوا المناصب الشرعية في فلسطين ، فيعلو مستوى القضاء وتزدهر ثقافته ويغزر معينه ؟

(٦) ألم تنظر فترى أن التعليم العصري غير الشرعي ، يحتـــاج الى معاهد نقية البرنامج ، سديدة الغاية ، فشددت ازر معهدين في فلسطـــين ، هما « كلية روضـــة المعارف » في القدس و « معهد مدرسة النجاح » في نابلس ، وعبأتهما بأكفأ المربين ، فكان المتخرجون من هذين المعهدين طلائع حماة الوطن ، على هداك يتأثرون خطاك ، وكان من هذه الطلائع شهداء في سبيل الوطن ، وعلماء راسخون يقومـــون برسالة التهذيب والتعليم .

(٧) فلما جاء بلفور الى فلسطين سنة ١٩٢٥ ليحضر افتتاح الجامعة العبرية التي على الطور المطل على الاقصى وبيت المقدس ، وطلب المندوب السامي هربرت صموئيل منك أن بلفور يريد أن يزور الحرم الشريف ، فلم تستجب الى هذا الطلب ، واقفلت أبواب الحرم وقلت للحراس لا تفتحوها لبلفور واذا استعملوا القوة فاستعملوا القوة ، فجاء بلفور والمندوب السامي فوجدا الابواب مقفلة فعادا من حيث أتيا ولا بخفي حنين . وبلفور هذا لما أقفلت الابواب في وجهه انتشر خبره في العالم العربي بسرعة البرق ، فلما عاد من هنا بطريق دمشق ونزل في « فندق خوام » هاجت دمشق وأحرقت الفندق ، وهي غاضبة منادية بسقوطه ، فخاف عليه الفرنسيون فأخرجوه من الباب الخلفي وأركبوه سيارة مخفورة الى بيروت .

(٨) ألم تكن للثورة السورية التي اقتدح نارها سلطان الاطرش سنة ١٩٢٥ سندا وعونا ، تؤازر بحكمتك صديقك رشيد طليع الذي جاء من مصر وأقام في القدس ليكون على مقربة من ميادين الثورة ، ألم تؤلف لجنة سميتها « اللجنة المركزية لاعانة منكوبي سوريا » ودعوت الجاليات العربية في المهاجر للتبرع ، وصارت الاعانات تأتي اليك والى طليع ، ثم ترسل الاعانات الى سلطان الاطرش عن طريق الاردن ، اذ لا طريق بين سوريا وجبل العرب الا الطريق العسكرية ، ولولا عملك هذا لوقعت الثورة في ضيق . ثم بقيت على سنتك هذه في شد ازر المجاهدين ، بعد أن انتقلوا نازحين الى « وادي السرحان » من أملاك الملك عبد العزيز آل سعود ، ثم صار لهم في الصحراء اطفال ـــ سموا « غزلان الصحراء » ـــ فرحت تعين هؤلاء الغزلان وتخصص لهم من جهودك القسم الكبير . فأي دلك على الثورة السورية أيها الرائد الثائر .

(٩) فلما ذهبت سنة ١٩٢٦ الى المؤتمر الاسلامي العالمي الذي دعا اليه الملك عبد العزيز يعقد في مكة المكرمة لبحث المصالح الاسلامية الدينية ، بعد استيلائه على الحجاز، وكان هذا المؤتمر يمثل الدول الاسلامية جمعاء، والشعوب الاسلامية عن طريق المنظمات والهيئات ، وكان الامير عبدالكريم الخطابي في آخر أدوار ثورته ، فلما انعقد المؤتمر قدمت اليه اقتراحا يصدر بالاجماع وهو أن يقرر المؤتمر ويذيع على العالم الاسلامي ولا سيما الافريقي ، ان لا يقاتل المسلم المسلم ، وقد أقر المؤتمر هذا بالاجماع وأصدرت اللجنة التنفيذية بعد ارفضاض المؤتمر منشورا يحمل قرار المؤتمر ووزعته على الجيش الفرنسي المجموع من افريقيا ، فكان له مفعول عميق ، اذ اخذ الجنود المسلمون السنغاليون يفرون بالعشرات وفريق منهم فر الى وادي السرحان ورأيتهم بعيني لما أرسلتني يا سيدي الغالي الى هناك سنة ١٩٢٧ أحمل امانات الى سلطان الاطرش والامير عادل أرسلان . عليك رضوان الله في جنات الخلد .

(١٠) الم ينعقد سنة ١٩٢٧ في القدس ، المؤتمر التبشيري العالمي برئاسة اكبر مخطط لغزو الديار الاسلامية حتى الحجاز والمدينة المنورة ، الدكتور موط ؟ الم تغضب البلاد لعقد هذا المؤتمر على جبل الطور ، وجعل جلساته مغلقة ، وكانت جريدة «الجامعة العربية » في القدس قد كشفت في سلسلة مقالات عن مقاصد هذا المؤتمر ، فقلق مسلمو فلسطين وحنقوا وصارت العرائض ترد عليك يا سيدي الغالي من انحاء البلاد طالبة ان تراجع الحكومة بشأنه . الم يكن وقتها موسم النبي موسى ، ووقت المؤتمر برنامجه الزمني على موسم النبي موسى قصدا . ألم تكن أنت يا سيدي في النبي موسى لما طلبك المندوب السامي بلومر الطاعن في السن ، أن تقابله في القدس لامر عاجل مهم ، وكانت الاضطرابات والاصطدامات بين الاهالي والشرطة اخذت تقع ولا سيما في غزة ونابلس ، فلما قابلته في الطور طلب منك أن تستعمل ما يسمى « بالمساعي الحميدة » لدى الشعب لتسكن البلاد اذ أصبحت على شفا جرف الثورة ، وبعد أن طال القول بينك وبينه واطلعته على مقررات مؤتمراتهم السابقة ومنها غزو المدينة المنورة وقلت له : أيعقد مثل هذا المؤتمر في جبل الطور وتريد أن يبقى المسلمون هادئين ؟ فكرر رجاءه منك ، فقلت له : ولماذا لا تعالج العلة من أساسها ؟ فقال لك وكيف يكون ذلك فقلت له باخراج هذا المؤتمر من البلاد فوافق وفي تلك الليلة كان « موط » وجماعته جميعا على ظهر الباخرة الراسية في يافا .

(١١) تلك ثورة البراق الشريف سنة ١٩٢٩ فقد هيأ وقودها اليهود بسبب مجيئهم الى « البراق الشريف » ووقع أولها في يوم جمعة ، وكنت يا سيدي الغالي ، في ديوانك في المجلس ، وبقيت هذه الثورة اسبوعا كاملا ، فنال يهود صفد ويهود الخليل منها الدمار والقتلى والجرحى مقادير كبيرة . ولم تكن عينك تغمض . وكانت الحكومة تتحيز للصهيونيين علنا فسقط عدد من العرب شهداء برصاص الشرطة البريطانية . خيوط الثورة خيوط تحدث عن نفسها .

(١٢) لما ظهر هتلر في المانيا ، صارت حكومة فلسطين تفتح ابواب فلسطين على المصراعين ، وهذا ما حمل الشهيد الشيخ عز الدين القسام على القيام بثورته عند « يعبد » قرب حيفا ، وسنة ١٩٣٦ كان الاضراب الكبير الذي استمر ستة اشهر واعتقلت فيه السلطة آلافا من العرب حشرتهم في المعتقلات العديدة وفي آخر تلك السنة جاءت اللجنة الملكية البريطانية المعروفة « بلجنة بيل » وفي قرارها الذي وضعته بذرة مشروع التقسيم وفي خريف ١٩٣٧ خرجت يا سيد الثوار والمجاهدين الى بيروت . ومن هنا تبتدىء سيرتك الوهاجة التي سبق تلخيصها .

حقائق في سيرة الرجل الملهم

(١) بلغني عن لسان أترابه في بيت المقدس انه كان اذا اجتمع معهم في الحي ، وهم دون العاشرة ، حبب اليهم العاب الفروسية ، وروحه روح زعامة على الجماعة . يضع لهم الخطط .

(٢) بعد دخول غورو الشام ١٩٢٠ ، وفشل العرب في دمشق ، استخرج « الحاج أمين » من ذلك عقيدة راسخة وهي ان « روح الثورة » يجب ان تبث في التربية ، وفي التعليم ، و« العربي » اذا لم يكن هذا طرازه فلا يمكن ان يرجى منه خير . ولذلك صار يبذل عنايته « بكلية روضة المعارف » في القدس ، ومعهد « مدرسة النجاح » في نابلس .

(٣) بقي في القدس ١٥ سنة رئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى ، وبقيت تحت جناحه من هذه المدة عشر سنين متواصلة ، والانسان ، أي انسان ، يتعرض في خلال مدة كهذه، الى أمور فيها استفزاز ، واغضاب ، واثارة نفس ، وقد عرض للحاج امين من هذا شيء كثير ، فما سمعته مرة في خلال السنوات العشر تلفظ بكلمة نابية . قد يعجب بعض القراء من هذا ، ولكن هذه هي الحقيقة . قد يشتد في جداله ونقاشه ، ولكن لا يخرج عن نطاق الادب العالي . لم ار في حياتي آدابا تامة الصفة كآدابه .

(٤) كانت رسالته المقدسة تتخذ عدة اتجاهات :

١ ــ اتجاه العمل المطرد ، لوقف خطر الصهيونية .

٢ ــ اتجاه السلبية فيما كانت حكومة فلسطين تحاول به اغراء العرب لينزلقوا ، كانشاء « مجلس استشاري » او « وكالة عربية » على غرار « الوكالة اليهودية » ، فكان يرفض كل هذه الشباك لانها مصيدة للعرب اذ تبقي اليد العليا لليهود .

٣ ــ اتجاه ربط فلسطين بالعالم الاسلامي بكل الوسائل . ومن هذا النوع اقتراحه ان يدفن مولانا محمد علي الهندي في القدس . فلما بدت له الفكرة ، أثر تلقيه برقية النعي من مولانا شوكت أخي محمد علي ، من لندن ، قررها في أقل من نصف ساعة ، وأبرق الى مولانا شوكت علي في تلك الساعة ، وثاني يوم تلقى برقية من مولانا شوكت علي بالموافقة . وفي خلال مدة الانتداب الى ١٩٤٨ رأت فلسطين أياما عظيمة هي :

١ ــ يوم دفن الملك الحسين بن علي في جوار المسجد الاقصى .

٢ ــ يوم دفن مولانا محمد علي .

٣ ــ يوم دفن موسى كاظم شيخ القضية ووالد الشهيد عبد القادر الحسيني .

٤ ــ يوم دفن الشهيد عبد القادر .

٥ ــ يوم النبي موسى سنة١٩٣٧ اذ كان في ايام عقد المؤتمر التبشيري الذي ذكرناه.

(٥) كان يرى ويعتقد ان أهل فلسطين وحدهم كانوا قادرين على ضرب الصهيونيين ضربة تقصم الظهر اذا سلحوا ، تسليحا حسنا .

(٦) بعد انتخابه لرياسة المجلس الاسلامي ، كان صيته وسمعته وذيوع بطولاته السياسية تنتقل به من افق الى أفق أعلى هكذا :

الافق الاول ، المتجمع له الى سنة ١٩٢٢ من ادوار نضاله السابق في فلسطين ودمشق ، فكان وقتئذ ينظر اليه كزعيم محلي ويدور نشاطه في نطاق فلسطين والشام .

الافق الثاني ، يبتدىء مباشرة بعد توليه الافتاء ورياسة المجلس الاسلامي الاعلى .

الافق الثالث ، انتشار اسمه عن طريق عماره المسجد الاقصى .

الافق الرابع ، وهذا بلغ به الدولية العربية والاسلامية ، بعد انبثاق الثورة السورية وعمله في شد ازرها .

الافق الخامس ، نجاحه في اقتلاع المؤتمر التبشيري سنة ١٩٢٧ .

الافق السادس ، بسبب ثورة البراق ١٩٢٩ .

الافق السابع ، ذهابه الى لندن سنة ١٩٣١ بعد ثورة البراق ولم يذهب في وفد فلسطيني الى لندن غير هذه المرة ، فخبر كيد الانكليز وخداعهم فوق كل خبرة سابقة .

الافق الثامن سنة ١٩٣٦ بسبب الاضراب الكبير الذي دام ستة أشهر مطبقا البلاد ريفا ومدينة ، ووقتها ألفت لاول مرة في تاريخها « اللجنة العربية العليا » تمثل الاحزاب العربية الستة وانتخب رئيسا لها .

الافق السابع ، شهادته امام اللجنة الملكية وادلائه بتفاصيل شاعت في اقطار الدنيا .

الافق العاشر ، انه لما ظهر تقرير اللجنة الملكية او « لجنة بيل » سنة ١٩٣٧ وفيه بذرة التقسيم رفض ذلك كله ودعا البلاد الى رفضه .

الافق الحادي عشر بلغه لما خرج من القدس الى بيروت في خريف ١٩٣٧ وقد بدأت حركات الهجوم على الانكليز بقتل الحكام الموالين لليهود .

هذه أحد عشر افقا في سيرته ، ومنها تتكون شخصيته الى ١٩٣٧ واما ما بعد ذلك فيتألف منه سجل جهاده في بلاد المحور الى ان وصل مصر سنة ١٩٤٦ الى الوقت الحاضر . ونعلم انه عليه رضوان الله نشر من مذكراته في مجلة « فلسطين » ٦٥ جزءا وآخر جزء صدر في العدد المؤرخ تموز هذا الاسبوع الذي كانت فيه وفاته رحمة الله . وكل قسم من هذه الاقسام يشتمل على ٤ — ٥ صفحات مليئة بالحوادث التي جرت له، والتواريخ . وهذا يعني نحو ٣٠٠ صفحة من صفحات المجلة واما من صفحات الكتب المعتادة فيبلغ ذلك كتابا ضخما ولا ندري ما الباقي من هذه المذكرات القيمة ، فعسى ان تطبع في كتاب على حدة ليطلع عليها العرب والمسلمون .

« آفاق الحاج امين » لا تستقصى . فيعتقد الكاتب الذي يريد تناوله ، انه يستطيع ان يلخصه بصفحات ، وبعد الكتابة يرى الكاتب نفسه انه لم يصنع شيئا .

عليه رضوان الله .

مقابلتان
مع الحاج امين الحسيني

عمـاد شـقور
و د. خيرية قاسمية

هاتان المقابلتان اللتان تنشرهما « شؤون فلسطينية » لاول مرة ، تمتا في فترتين مختلفتين من فترات الحياة السياسية للحاج امين الحسيني ، وهما توثقان تفكير الزعيم الفلسطيني الراحل ، وهذا هو القصد من نشرهما ، مع وعي كامل بان تفكير سماحته ينبغي ان يؤخذ ضمن سياقه التاريخي وضمن الافاق السياسية التي كونت هذا التفكير ومعطيات القضية الفلسطينية التي احاطت بنضاله .

المقابلة الاولى مع عماد شقور

س ١ — ماذا كانت الدوافع الاساسية التي ادت الى اتخاذ سماحتكم موقف الرفض المطلق من مشروع التقسيم سنة ١٩٤٧ ؟

ج ١ — الدوافع الاساسيـة التي ادت الى رفض مشروع التقسيم وامثالـه من المشروعات الظالمة والمجحفة ، لانه يمزق فلسطين ويذهب بالقسم الاكبر والاخصب من أراضيها لقمة سائغة لليهود المعتدين والطارئين على البلاد . ولم أكن انا وحدي الذي رفض التقسيم عندما قررته الامم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بل رفضته الدول العربية جميعا وأصدرت بيانا اجماعيا باستنكاره في ١٧ كانون الاول ١٩٤٧ وكان مما جاء فيه « ان التقسيم باطل من أساسه وان رؤساء الدول العربية وممثليها قرروا في اجتماعهم بالقاهرة ان التقسيم باطل من اساسه ، وانهم ، عملا بارادة شعوبهم، قرروا ان يتخذوا من التدابير الحاسمة ما يكفل بعون الله احباط مشروع التقسيم الظالم » .

والتقسيم هو تمزيق لجسم الوطن ولا تقبله امة حية من امم الارض فلماذا يفرض على شعب فلسطين قبوله ولماذا يلام هذا الشعب على رفضه له ؟ فهذه سورية لم تقبل بفصل لواء الاسكندرونة عنها وما تزال تحيي ذكرى هذا الحادث في كل عام . وهذه اليمن ما تزال تسعى الى ضم شطريها في وحدة تامة مع ان اهل الشطرين عرب اقحاح وليس فيهم عنصر اجنبي طارىء . وهذا العراق يرفض فصل القسم الشمالي الذي يسـكنه الاكراد والتركمان عن جسم العراق . وهذه ليبيا تسعى الى وحدة اندماجية مع مصر ، وكل سكان القطرين عرب خلص . بل أن وحدة مصر مع السودان كانت وما تزال مطمح كثيرين من اهل القطرين . وهذه ايرلنده الحرة لم تعترف ابدا بتقسيم بلادها وما زال الارلنديون يقضون مضاجع الانكليز بثورتهم الدامية لاستعادة القسم الشمالي مـن جزيرتهم الذي ضمه الانكليز الى دولتهم .

وقد كنت ارسلت برقية باسم اللجنة العربية العليا لفلسطين الى رؤساء وفود الدول المجتمعة في عصبة الامم بجنيف في أيلول عام ١٩٣٧ (وكان من جملتهم مستر ديفاليرا رئيس وزراء ايرلندة حينئذ) باستنكار قرار الحكومة البريطانية بتقسيم فلسطين وفقا لتقرير لجنة اللورد بيل ، فتلقيت منه برقية جوابية قال فيها: (ان التقسيم افظع الوسائل واشنع الاسلحة التي يمزق بها الاستعمار قلوب الشعوب المظلومة . .) .

وهذه فرنسا لم تقبل بفصل الالزاس واللورين عنها وقاتلت في سبيل استردادها حتى فازت بذلك . وهذه تشيكوسلوفاكيا لم تقبل بفصل منطقة السوديت عنها . بل هذه اسبانيا ما زالت تطالب باسترداد جبل طارق الذي احتلته بريطانيا عام ١٧٠٤ ومضى ٢٦٩ عاما على احتلالها له . وهذه كوريا فقد اثارت مشكلة تقسيمها الى شمالية وجنوبية حربا طاحنة . وهذه اندونيسيا المجاهدة لم تقبل باغتصاب الهولنديين ايريان الغربية . والامثلة على هذا كثيرة .

فرفض تقسيم فلسطين كان وما يزال مسألة حق وعدل ، ومنطق وكرامة ، وليس في اعتقادي من مبرر قط لقبول التقسيم ولا للسكوت عنه وتناسيه وتجاهله واختلاق المبررات له بأنه اصبح امرا واقعا وان الامم المتحدة اقرته وان الدول الكبرى امثال اميركا وروسيا وبريطانيا وافقت عليه ! ان هذه كلها اباطيل ومخادعات لتضليل الفلسطينيين وتضليل العرب والمسلمين الذين اعتبروا التقسيم طعنة نجلاء وجهت اليهم . فالوجود اليهودي في فلسطين وجود طارىء ومصطنع وباطل قانونا ومنطقا ، والوجود اليهودي الموقت الذي كان في اجزاء من فلسطين قديما قد زال وانقطع منذ عشرين قرنا . فلماذا يراد بنا ان نخضع لهذا الظلم ونقره ونعترف بالامر الواقع ؟ ولماذا نلام اذا رفضناه وتوجه الينا تهمة التصلب والتشدد؟ ان شعبا حيا ومجاهدا كالشعب الفلسطيني لا يجوز له ان يخضع ويقبل بالامر الواقع الذي فرضته القوة الغاشمة والمطامع الاجنبية . واعتقادي ان المظلوم الذي ينام على الظلم ولا يقاومه بكل قوة وتصميم، يكون أحق باللوم من الظالم نفسه لان الخضوع للظلم تأييد للظالمين وتشجيع لهم على الاستمرار في الظلم والتمادي فيه . والدليل على ذلك ان اليهود المعتدين الظالمين لم يكتفوا بالتقسيم ولم يناموا عليه ، بل استمروا في طغيانهم وعدوانهم واخذوا يقتطعون من القسم المخصص للعرب في التقسيم جزءا بعد جزء ، وقد شجعهم على ذلك صمت البلاد العربية المجاورة وسكوت بعض الفلسطينيين وقبولهم بالامر الواقع وانصراف العرب الى الخصام والاقتتال ومنح اليهود فرصة عشرين عاما يوطدون فيها اركان دولتهم ويزدادون عددا وعددا .

ان اول واجب على الفلسطينيين والعرب في نكبتهم هذه ان ينزعوا من انفسهم الوهن ويقضوا على الدعاية التي بثها الاعداء في نفوس الضعفاء والمتخاذلين بأن اليهود اصبحوا قوة لا تقهر وان لهم من دعم اميركا وغيرها من الدول الاجنبية ما يضمن لهم الفوز والتفوق على الدول العربية مجتمعة .

لقد كانت الجيوش العربية التي خاضت المعركة في عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ اكثر من قوات العدو عددا وعددا في كل أنواع السلاح ، وكان في استطاعة العرب ان يتغلبوا على العدو لولا اختلافهم سياسيا ، وتخاذلهم وانقيادهم لرغبات الدول الكبرى الضالعة مع اليهود ، وبذلك اضاع العرب الفرصة الفريدة التي اتيحت لهم وتركوا اسرائيل توطد اركانها وتغالي في مطامعها التي لا حد لها .

والذي مهد لاسرائيل سبيل الوجود هو تراخي العرب وترددهم ثم تفرقهم وتخاصمهم

ولو كانوا يدا واحدة لما استطاع عدوهم ان يتغلب عليهم على قلته وكثرتهم ، وضعفه وقوتهم ، وباطله وحقهم . ولو حزم العرب أمرهم ، واعدوا لقتال الاعداء عدتهم لاستردوا ما اغتصب من اوطانهم ، لان ما يؤخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة . والايمان والعزيمة هما اللذان يحققان الفوز والنصر .

ان اوجب الواجبات على زعماء الامة العربية وقادتها في هذا الموقف المصيري هو التسلح بالايمان والحزم ، وعدم التساهل في الحق ، والاستعداد الكامل للجهاد الطويل النفس ، والواسع المدى ، فنحن أكثر عددا واعظم ثروة من اعدائنا ، واقدر على البذل والفداء ، ولا نغلب الا من المطامع الشخصية ، والخصومات الحزبية ، والنعرات الاقليمية والطائفية .

ان الحل المنشود للقضية الفلسطينية لا يتحقق بالتنازلات والمناقصات والتفريط في الحقوق الوطنية تفريطا يقضي على كل امل للشعب الفلسطيني في الحياة الكريمة. وليس في مجال القضية الفلسطينية أي مكان لتعايش سلمي مع اعدائنا الذين نعلم حق العلم انهم لا يريدون تعايشا مع احد ولكنهم يريدون التوسع على حساب امننا وسلامتنا ومستقبل اجيالنا ، والمضي في سلب كل شيء معتقدين ان بلادنا كلها هي لهم ، بل أن العالم كله هو لهم ! وهذا الاعتقاد اليهودي ثابت وقد عرفه كل من درس تاريخ اليهود وكتبهم وعرف ماضيهم وحاضرهم . ان الاسرائيليين مصممون على ابادتنا واغتصاب كل ما نملك ولكنهم يخادعوننا لكسب الوقت الذي يستطيعون فيه تنفيذ مخططاتهم الرهيبة .

والحل الوحيد الذي لا يتحقق امن وسلم من دونه ؛ هو ما اشتمل عليه ميثاقنا الوطني واقرته المؤتمرات والجمعيات والهيئات الوطنية الفلسطينية في سائر مراحل جهادنا وكفاحنا ، وهو زوال الاحتلال الاجنبي عن فلسطين بكامل حدودها الطبيعية ، وقيام دولة وطنية فلسطينية من سكان فلسطين المسلمين والمسيحيين واليهود الذين كانوا قبل الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧ وذريتهم من بعدهم . وكل حل غير هذا لا يكون عادلا ولا يسترد وطنا ، ولا يحقن دماء ، ولا يصون كرامة .

س ٢ — ما هي في نظر سماحتكم اهم وابرز التطورات التي شهدتها القضية الفلسطينية منذ اتخاذ القرار المذكور حتى الان ؟

ج ٢ — ان اهم التطورات التي شهدتها القضية الفلسطينية ، هو الوضع الحاضر الذي أصبح فيه اليهود يقعدون للعرب كل مرصد ، فيعتدون مرة على لبنان ، واخرى على سورية ، ومرة على مصر . فهذا الموقف المهين والمخزي لم يكن يتوقعه اشد الناس تشاؤما ، ولا أعتقد ان له في التاريخ العربي ما يماثله من الذلة والهوان .

س ٣ — بعد تغير الاوضاع تغيرا جذريا ، وبعد تغير خريطة العالم السياسية تغيرا جذريا كذلك ، وبعد ما شهده النضال الفلسطيني ، والتضحيات الفلسطينية البطولية ، عبر العمل الفدائي ، هل يرى سماحة المفتي انه من المنطق ان يحدث تغيير في الموقف الفلسطيني من مشروع التقسيم ؟

ج ٣ — أن ما عرفناه من طباع اليهود واخلاقهم وتقاليدهم واعتقاداتهم لا يحملنا على الاعتقاد بامكان الوصول معهم الى اي تفاهم منطقي او حل سلمي قائم على الحق والعدل . والبون شاسع والفرق عظيم بين باطل اليهود الذي يتمسكون به ، وحق الفلسطينيين الذين يطالبون به ويسعون اليه . واعتقد انه ليس للقضية الفلسطينية من حل الا بالصبر والاستمرار على المقاومة مهما طال الامد . واساس ذلك التعاون بين الفلسطينيين أنفسهم على العمل بصدق واخلاص واخوة صادقة ، ثم بتعاون الدول

العربية وشعوبها مع بعضها واخذها بيد الشعب الفلسطيني في جهاده الدائب الصادق لتحرير وطنه ، وتوثيق الصلات مع العالم الاسلامي ومع كل نصير للحق والعدل في العالم .

ان المطامع الصهيونية ليست منحصرة بفلسطين وحدها ، ولم يعد سرا انها تتعدى فلسطين الى اقطار عربية أخرى عديدة . فهذه منطقة الجولان السورية ومنطقة سيناء المصرية قد احتلهما الاعداء وهم لا يريدون التنازل عنهما لانهم يعتبرونهما جزءا من اسرائيل الكبرى التي تمتد من النيل الى الفرات . وحدود اسرائيل الكبرى الشمالية تصل بزعمهم الى الرقة وجبال طوروس . وحدودها الجنوبية تصل الى الحجاز والمدينة المنورة . وبعض الغلاة من اليهود يعتبرون الجزيرة العربية كلها من اهدافهم . فهذه المطامع الخطيرة هي من الحقائق التي يجب أن يعيها العرب وتستيقنها انفسهم ويعملوا جاهدين لمقاومة الصهيونية على هذا الواقع وعلى ضوء اقوال زعماء اليهود وافعالهم .

لقد أعلن مناحم بيغن في الكنيست (المجلس النيابي الاسرائيلي) « انه لن يكون سلام لشعب اسرائيل ولا لارض اسرائيل ما لم نحرر وطننا بأجمعه ، حتى ولو وقعنا معاهدة صلح » . وقال بن غوريون في خطاب القاه في حزب الماباي : « لن يكتب لدولتنا البقاء ما لم نسارع بأقصى جهودنا الى حشد أكبر قسم من يهود العالم في اسرائيل » . وقال اريه التمان احد زعمائهم في خطاب له في القدس المحتلة : « ان اسرائيل الكبرى الممتدة من العراق الى السويس هي الدولة القوية التي تستطيع تأمين السلام والاستقرار في الشرق الاوسط . » أما سيناء فيعتبرها اليهود ارضا دينية مقدسة . وقد حدث حينما دخلت القوات العسكرية اليهودية سيناء في كانون الاول ١٩٤٨ ان وقفت سياراتهم على الحدود وهبط اليهود منها وقبلوا ترابها . وكان حاخامهم يضع على مقدم سيارته في الطليعة نسخة كبيرة من التوراة .

واني أرى أن كل قرار لا يتفق مع رفض التقسيم والعمل لاحباطه لا يكون الا تثبيتا للوجود الصهيوني القائم على العدوان والاغتصاب . وليس الفلسطينيون ملزمين بأن ينسجموا مع التغييرات والتقلبات التي حدثت في المنطقة بل يجب ان يكون تحرير وطنهم هدفهم وغايتهم . ونحن لا نتوقع ان يتم هذا التحرير بين عشية وضحاها بل لا بد لتحقيقه من استمرار البذل والفداء طال الزمن ام قصر لكن التحرير سيتم في يوم ما . ان الدولة اللاتينية في القدس استمرت ٩٢ عاما في عهد الحروب الصليبية لكنها زالت وانتهت لان وجودها لم يكن طبيعيا ولا منطقيا . وكذلك دولة اسرائيل لا بد لها من الزوال لان وجودها ليس طبيعيا ولا منطقيا . (والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون) .

المقابلة الثانية مع د. خيرية قاسمية

ما ينقص مكتبتنا العربية في دراسة القضية الفلسطينية هي الوثائق الوطنية المحلية التي تشكل جزءا هاما من تاريخنا القومي ، وسجلا لاحداث القضية ، بل ان هذه الوثائق (لو وجدت) مبعثرة في دوائر مختلفة ، وموزعة بين عدد كبير من الزعماء الفلسطينيين الذين ساهموا في الاحداث ولعبوا دورا قياديا فيها ، وهم يقيمون في اماكن متفرقة ، كما ان لدى الكثيرين منهم ذخيرة من المعلومات معظمها يعتمد على الذاكرة ويتأثر بالانطباعات الشخصية وهي في طريقها الى الزوال ، ونادرا ما سجل هؤلاء الاحداث في حينها او احتفظ باوراقه الشخصية كما يفعل اقرانهم في البلاد الاخرى ، ولذلك يخشى مع توالي السنين ان تبقى الوثائق والاوراق الاجنبية هي مصادرنا الوحيدة لدراسة القضية الفلسطينية .

وفي محاولة اولية لاجراء مسح كامل للوثائق المحلية ، وجمع المعلومات الاولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية من مصادرها الاساسية قمت باجراء عدة مقابلات شخصية مع الحاج امين الحسيني لاستكشاف بعض الامور

التي تخفى على باحثي القضية نظرا للدور القيادي الذي تولاه في الربع الثاني من هذا القرن ومساهمته الفعلية وتجاربه الطويلة في كثير من الاحداث .

رغم ابتعاده عن مسرح فلسطين الفعلي سنوات عدة تلت خروجه منها ١٩٣٧ وانتقال مركز نشاطه في اثناء الحرب العالمية الثانية الى ساحة دبلوماسية اوسع ، الا ان القضية ظلت تستحوذ اهتمامه في لقاءاته مع الشخصيات الفلسطينية والعربية التي انتقلت الى المعسكر الثاني في الحرب ، او في مساعيه الدبلوماسية مع أقطاب هذا المعسكر للحصول على ضمانات وتأكيدات بدعم القضية الفلسطينية . وكانت الاسئلة في ذهني كثيرة وكنت أتمنى ان استوضحها جميعا ، ومع ان النشرة التي تصدرها الهيئة العربية العليا لا تزال تواصل نشر مذكرات المفتي الا ان هناك بعض الامور التي تحتاج الى ايضاح ، وتراود الجميع تساؤلات عديدة حول أكثر مراحل القضية الفلسطينية احراجا ، قد يصل كثير منها الى حد الانتقاد وبعضها الى حد التهجم.

الاسئلة في محتواها شاملة غايتها أخذ رأي المفتي شخصيا في بعض الامور التي مرت بها القضية الفلسطينية خلال الانتداب : دار السؤال الاول حول رأي المفتي في الفكرة الاستسلامية الشائعة : اننا لو قبلنا بانصاف الحلول في الثلاثينات والاربعينات مثل مشروع التقسيم والكتاب الابيض لما حصل بالفلسطينيين ما حصل .

وكان جوابه :

لا شك ان الذين يطلقون مثل هذه الاقوال يجهلون او يتجاهلون حقيقة الصهيونية ومدى أطماعها في بلاد العرب . وقد أصبح امرا معلوما ان اليهود يطمعون في اقامة دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات بل ان المعلومات الموثوقة الجديدة تؤكد اطماعهم في مناطق الحجاز وساحل الخليج وجنوب الجزيرة العربية والبحر الاحمر وقد أثبتت الاحداث التي وقعت ان اطماعهم لا تقف عند حد وانهم لا يقبلون عن تحقيق كل ما يطمحون اليه بديلا ، ولعل تصريحات ديان الاخيرة التي حض فيها اليهود على رفض الحلول السلمية لتحقيق حلم اليهود باقامة دولة اسرائيل الكبرى واعتبار الفرصة مواتية لتحقيق احلام حكماء صهيون دليلا ساطعا على أن اليهود لا يريدون سلاما بل استسلاما وهنا لا بد ان اسأل أصحاب هذا الرأي هل قبول بعض الدول العربية في هذا الزمن بالحل السلمي والتنازلات التي قدمتها خفف من غلواء اليهود وتطرفهم وحدة عدوانهم ؟

هذا فضلا عن أن الشعب الفلسطيني حين رفض هذه المشاريع لم يرفضها حبا بالرفض ولا كراهية للسلام وانما رفضها لانها مشاريع ظالمة ومجحفة تهدف الى حرمانه من حقه في وطنه وتقرير مصيره وفي اعتقادي انه لو قدر للشعب الفلسطيني لا سمح الله ان يقبل بانصاف الحلول هذه فان ذلك لن يغير من نتائج العدوان اليهودي الا باضفاء الشرعية عليه وحرمان الشعب الفلسطيني حتى من حقه في الجهاد والكفاح .

وسأضرب مثلا على هذه الحلول مشروع المجلس التشريعي الذي عرضه الانكليز عام ١٩٢٢ وما زال البعض يعتقد انه لو قبل الفلسطينيون به لكان خيرا والحقيقة ان الاسباب التي حدت بالشعب الفلسطيني الى رفضه عديدة وقد بنيت على قواعد سياسية واسس وطنية صرفة كان هدفها الحفاظ على عروبة فلسطين ومستقبل شعبها . ومن هذه الاسباب :

١ — بني مشروع المجلس التشريعي ، كما بني الكتاب الابيض نفسه ، على أساس تصريح بلفور وصك الانتداب البريطاني على فلسطين ، والعرب لم يعترفوا بهما وكانوا يطالبون باستمرار بالغائهما .

٢ — نص نظام المجلس التشريعي على تشكيله من ٢٢ عضوا كما يلي : ١٠ اعضاء عرب (بالانتخاب ٨ مسلمين ومسيحيان) ، ٢ (عضوان) يهوديان (بالانتخاب) ، ١٠ أعضاء يعينهم المندوب السامي من كبار رجال الحكومة ورؤساء دوائرها من الانكليز : فيكون المجلس مؤلفا من ١٢ عضوا من غير العرب (العضوان اليهوديان المنتخبان

والاعضاء العشرة المعينون) ومن عشرة اعضاء من العرب . ومعنى هذا ان العرب الذين كانوا يشكلون عام ١٩٢٢ نحو ٩٢ بالمئة من مجموع سكان البلاد ، اعطوا (٤٥ بالمئة) من مقاعد المجلس بينما اعطيت ٥٥ بالمئة للانكليز واليهود ! وكان عدد السكان اليهود في فلسطين حينئذ لا يتجاوز ٧ بالمئة من مجموع السكان .

٣ ــ نص النظام على ان يكون المندوب السامي البريطاني رئيسا للمجلس التشريعي، له صلاحية (الفيتو) نقض قرارات المجلس ، وصوتان مرجحان في حالة تساوي الاصوات حول مشروع قرار .

٤ ــ حدد النظام صلاحيات واختصاصات المجلس التشريعي ، ونص على انه لا يجوز للمجلس البحث في مسألة الهجرة اليهودية وصك الانتداب ومناقشتهما .

لاجل ذلك رفض العرب المجلس التشريعي وقاطعوا انتخاباته (مرتين) حتى قضوا عليه . وهل كان يجوز لاي عربي لديه ذرة من الكرامة والوطنية ان يقبل بمثل هذا « المجلس التشريعي » الذي بني على اساس تصريح بلفور وصك الانتداب، واعطى نظامه للاكثرية العربية الساحقة من سكان البلاد عشرة مقاعد فقط مقابل اثني عشر مقعدا لليهود والانكليز ، وجعل المندوب السامي البريطاني (وكان يهوديا حينئذ) رئيسا للمجلس كما له صوتان وحق النقض ونص على انه ليس من حق المجلس او اختصاصاته البحث في موضوعي الهجرة اليهودية وصك الانتداب .

ولايضاح استفسار حول فعالية خطة تسليح الشعب الفلسطيني قبل ايار ١٩٤٨ والعقبات التي واجهت هذه الخطة . فقد ارجعني الى المقتطفات التي تنشر في نشرة فلسطين (عدد ١٤٤ ــ ١٤٥) من كتاب (النكبة) لعارف العارف على اعتبار انها تحتوي على جواب واضح لهذا السؤال مشفوع بالاحصاءات والارقام والوقائع ويكفي ايراد هذه الفقرة من الكتاب المذكور « ان مشكلة السلاح من اعوص المشاكل التي اعترت سبيل الجهاد العربي في فلسطين لا بل أعوصها طرا ، وأبعدها أثرا على مصير هذا الجهاد ، اذ كانت الحكومة البريطانية ، طوال احتلالها هذه البلاد (١٩١٧ ــ ١٩٤٧) قد جرت على الناس ليس حمل السلاح او استعماله فحسب ، بل واقتناءه في منازلهم ايضا . وسنت من أجل ذلك قوانين صارمة ، وصلت في بعض الاحيان حد الشنق والاعدام . ولهذا لم يكن في البلاد عندما جد الجد وتلبدت بها سحب القتال ، سوى عدد ضئيل من البنادق والمسدسات ... دع عنك المدافع والرشاشات وما الى ذلك من المعدات التي لا بد منها للقتال ...». وتتابع المقتطفات بعد ذلك سرد مشكلة السلاح التي واجهتها قوات الثورة الفلسطينية حتى ايار في جميع الجهات .

ولايضاح التساؤلات حول لجوئه الى المانيا ابان الحرب وتعاونه مع هتلر وما يوجهه البعض من انتقادات اجاب الحاج امين :

أولا : لقد كانت معظم البلاد العربية آنذاك ترزح تحت نير الاحتلال من قبل جيوش الحلفاء لفترة طويلة وكانت السياسة الاستعمارية الغاشمة التي حكم المستعمرون بها هذه البلاد قد الهبت في نفوس العرب الحقد والثورة عليهم .

ثانيا : لقد كان الحلفاء هم المسؤولون عن ايجاد المشكلة الفلسطينية عندما قدموا فلسطين هبة سخية لتكون وطنا قوميا لليهود وسمحوا تحت حماية حرابهم للهجرة اليهودية بأن تتدفق على فلسطين ليحل اليهود محل أهلها العرب اصحابها الشرعيين .

ثالثا : لم يكن لالمانيا اي وجود استعماري في أي بلد من بلاد العرب بمعنى انه لم يكن هناك عداء بين الامة العربية والمانيا .

لهذه الاسباب كان من الطبيعي أن تكون عواطف العرب شعوبا ومسؤولين مع المانيا. وقد بلغت حماسة الجماهير وتأييدها لالمانيا أوجها .

أما بالنسبة لي شخصيا فقد كنت واحدا من هؤلاء العرب الذين نظروا الى المانيا على ضوء القول المأثور : عدو عدوك صديقك ، وكنت أدرك مدى عمق واخلاص المانيا في عدائها للصهيونية والاستعمار . وهل الد خصومة لنا نحن العرب من هذين ؟.. لقد كان في العالم يومئذ معسكران : معسكر أعدائنا من صهاينة ومستعمرين من جهة ومعسكر المحور من جهة أخرى وكانت الحرب وكنت مطلوبا من الانكليز ثم من حلفائهم أيضا بعد اعلان الحرب وقد وقعت جميع البلاد العربية وبعض الدول الاسلامية تحت سيطرتهم فلم يكن لي مناص من اللجوء الى المانيا .

ولم تكن بلادنا بمنأى عن الصراع فأملت علينا الظروف ان نتعاون مع أحد الطرفين ومن الطبيعي ان يكون هذا الطرف هو المحور . وهنا لا بد لي من القول بأنني حين تعاونت مع المانيا لم أكن أمثل حكومة او دولة بل كنت أمثل شعبا ثائرا على الانكليز واليهود وهما أعدى اعداء المانيا يومئذ ، وليس ما يمنع شعبا ثائرا على المحتلين والطامعين ان يمد يده الى كل من يساعده في كفاحه باخلاص وبلا شروط . ولا يخفى ان جميع الثورات الشعبية في العالم تحاول الاستفادة من التناقضات الدولية .

وسألت عن قضية المذكرات التي تصدر تباعا في نشرة فلسطين وهل انها كاملة ام ان هناك اشياء لم تنشر بعد ، وكان جوابه مقتضبا ، اذ أن ما نشرته المجلة هو قسم من المذكرات وسيتابع فيما بعد نشر الاقسام المتبقية .

السؤال الاخير الذي اجاب عليه يدور حول رأيه بالقضية الفلسطينية في الوقت الحاضر بعد ربع قرن من عام ١٩٤٨ ، ورأيه بحركة المقاومة وتصوره للمستقبل أجاب :

القضية الفلسطينية تجتاز اليوم مرحلة خطيرة جدا بالنظر الى ما يتهدد الوجود العربي في فلسطين من مطامع صهيونية واستعمارية عظيمة الخطر،وبما ان الفلسطينيين قد أدركوا مبكرين حقيقة هذه المطامع والاخطار ، فينبغي ان لا يخفى عليهم ان لا حل لقضية فلسطين واستنقاذ الوطن من أيدي أعدائهم الا بالتصميم على القتال ، وهذا لا يتم الا بالاتحاد والتضامن وايثار صالح الوطن على كل المصالح الشخصية ، وهذا الاتجاه يجب أن يكون عاما للفدائيين جميعا ، وللدول العربية نفسها التي تدعم حركة الفداء الفلسطيني . وهذه هي السبيل الوحيدة التي يجب سلوكها ، والا ساءت العاقبة واستطاع الاعداء بلوغ أهدافهم لا في فلسطين وحدها بل في كثير من الاقطار العربية التي يتطلعون اليها لاخراج اسرائيل الكبرى الى عالم الوجود .

من هنا كان تصورنا للمستقبل على ان المعركة مع العدو آتية لا ريب فيها لانها مفروضة علينا فرضا وان لا منجاة للعرب الا بتوحيد الصف وحشد الطاقات والتصميم البعيد على القتال والاعداد له بكل الوسائل وان في الآية الشريفة التالية تصويرا صادقا لواقعنا فكأنما نزلت بنا : يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون.ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص.

كانت هناك اسئلة اخرى كنت اود طرحها : علاقات المفتي بالخصوم والمعارضين السياسيين ، جمعه بين الصفة الدينية والصفة السياسية في الزعامة الوطنية ، وعن خروجه من فلسطين عند الازمات ، وعن اسباب فشل المشاريع الوطنية في الثلاثينات والاربعينات مثل صندوق الامة ، والجامعة الاسلامية بالقدس ، وحول استعمال مناشير الهيئة وكتاباتها كلمة يهود بدل صهيونيين . وعن رأيه في الفصل بين الاثنين وعلى أن صراعنا هو سياسي مع الصهيونية وليس دينيا مع اليهود .. واسئلة اخرى كثيرة لم تسمح الظروف بالاجابة عنها وقد يتاح ذلك في المستقبل القريب .

الصراع ... والصراع بالكلمات

شفيق الحوت

من عمق التناقض بينهما ، وما فجره هذا التناقض من تصادم دموي عنيف ومستمر، وصل النقيضان العربي الفلسطيني واليهودي الاسرائيلي الى قناعة مشتركة ، تقول باستحالة تصفية الصراع الدائر بينهما وتأمين حياة طبيعية مستقرة فوق ارض هـذا الصراع ، الا بنصر عسكري استراتيجي يمكّن صاحبه من فرض «وجوده» على انقاض « وجود » الاخر ، وتأمين كل الشروط التي تستتبع ذلك ، مع ضمان استمرارها لفترة تتجاوز الحقبة العابرة ، او المرحلة الطارئة ، الى ما يمكن اعتباره مرحلة تاريخية لم تعد مقوماتها تقبل الجدل او النقاش .

وكل ما يقال ، عند النقيضين ، من كلام يبدو في ظاهره تافزا عن هذه القناعة او متجاهلا لها ، ليس في حقيقته الا لغوا سياسيا يستهدف المكاسب التكتيكية ، او تحايلا لكسب الوقت بانتظار المزيد من الشروط والعوامل التي لا بد مـن توفرها لتحقيق ذلك النصر .

وانطلاقا من هذه القناعة ، وسعيا لتحقيق مضمونها ، فمـن الطبيعي ان يراهن النقيضان على تناقضات الحركة السياسية العامة داخل ارض الصراع وخارجها على امتداد الساحة الدولية .

فبينما يراهن العدو الاسرائيلي على امكانية استمرار التجزئة والتخلف الاقتصادي والتبعية السياسية والعربية للمعسكر الغربي وخصوصا للولايات المتحـدة ، فان الفلسطيني يراهن على امكانية الوحدة وحتمية النهوض الاقتصادي عن طريق تحرير ثرواته الطبيعية وتطوير امكانياته الصناعية والارتقاء الى مستوى العصر من خلال التعاون الشريف مع الدول الاشتراكية والتقدمية وشعوب العالم الثالث المناضلـة لتحقيق نفس الغايات .

ولم تكن حرب تشرين ، كما كانت من قبلها حروب اخرى ثلاث ، الا احدى المحاولات على طريق هذه القناعة المشتركة التي اشرنا اليها . وهي كالحروب التي سبقتها لم تكن الحرب الحاسمة ، مع فارق هام أن العرب ، هذه المرة ولاول مرة ، استطاعوا ان ينتزعوا نصرا وأن لا ينتهوا بهزيمة على أرض القتال .

وان المغالاة في تصوير هذا النصر عندنا على انه النصر الحاسم المطلوب يوقعنا في اوهـام مغرورة بنفس المقدار ، الـذي وقـع فيـه الاسرائيليـون بعـد حـرب حزيران . فحرب تشرين عدلت الكثير من موازين القوى ، وحركت القضية الفلسطينية، وهزت العالم بمعسكريه لبذل المزيد من الجهود للبحث عن « حل » ، واعادت للعربي بعد ثلاث حروب هزم فيها ثقته بنفسه وبقدراته على متابعة الصراع .

حرب تشرين لم تعط اكثر من ذلك ، واذا كان بيننا من اصيب بخيبة ، فلانه بالغ في التوقعات وفوجيء حيث لا داعي للمفاجأة . واذا ظن البعض ان هذا « النصر » قد أقنع اسرائيل ، مجرد اقناع ، بالتنازل عن استراتيجيتها التاريخية ، وجرها للالتزام بأي قرار من قرارات الامم المتحدة ، بما في ذلك أهونها عليها واقساها علينا ، أي القرار ٢٤٢ القاضي بالجلاء عما احتلته من اراضينا العربية عام ١٩٦٧ و« تسوية مشكلة اللاجئين » او « حقوق فلسطين المشروعة » او .. أو أي صيغة من هذا القبيل .

ولكن اسرائيل تعلم ، كما نعلم نحن (او يجب أن نعلم) ، ان ذلك النصر الستراتيجي الحاسم الذي نسعى اليه ، كما نسعى نحن اليه (او كما نرجو ان نكون نسعى اليه) لم تحن ساعته ، وانه لا بد من المرور بعدد من المراحل تراوح فيها بانتظار الفرصة المؤاتية .

واسرائيل تتصرف سياسيا بعد حرب تشرين بهذه العقلية ومن وحي هذا التقدير .

ويخطىء العرب كثيرا ، الماضون منهم في التسوية والرافضون لها ، اذا بنى اي فريق منهم سياسته على اننا وصلنا نقطة النهاية ، وان الصراع مع اسرائيل قد الغي أو على طريق الالغاء .

والان ، كيف تلعب اسرائيل لعبتها السياسية ، وكيف نلعبها نحن ؟ وعلى ماذا يراهن كل فريق لتحقيق هدفه المؤقت الذي من أهم مقوماته انه مؤقت وانه يفسح المجال امام معركة الحسم المطلوبة ؟

من الممكن في محاولة الرد على هذا السؤال الاشارة الى المبادرات الجديدة التي طرأت على الحركة السياسية بعد حرب تشرين وان كان يصعب البت في التكهن عما يمكن ان تحققه هذه المبادرات .

وأهم هذه المبادرات هو هذا التحول الذي نشاهده في التوجه العربي لدى بعض عواصمنا الهامة صوب الولايات المتحدة، والمقترن بتحول سلبي عن الاتحاد السوفييتي. هذا على الصعيد الدولي ، وفي اطار وعينا لسياسة الوفاق الدولي التي باتت تتحكم في الستراتيجية الكونية وفق خطوط باتت شبه واضحة أهمها عدم المساس ببؤر التوتر التي لم يتم اتفاق كامل بصددها وتعليق مشاكلها بعد سحب كل شحنات العنف منها .

كذلك نلاحظ ان ثمة انقسام في الرأي العام العربي الرسمي بدأ منذ وقف اطلاق النار في حرب تشرين وتعمق اكثر وأكثر بعد المسيرة السياسية التي تلت ذلك . وان كان المواطن العربي قد اعتاد على مثل هذه الانقسامات في الساحة العربية بما في ذلك تبادل الادوار والمواقع حسب الظروف ، الا انه لا يستطيع ان يخفي قلقه مما قد يترتب عن هذا الانقسام من نتائج تعكس اثارها على مجمل النضال العربي في هذه المرحلة الدقيقة من حياتنا القومية .

أما على الصعيد الفلسطيني، فعلى الرغم من البرنامج السياسي الذي اقره المجلس الوطني في دورته الثانية عشرة ، الذي اشتهر ببرنامج النقاط العشر ، فمن التجاوز للموضوعية الاقرار بأن هذا البرنامج لم يستطع ضبط الوحدة الوطنية على المستوى المطلوب ولا تزال المخاوف تحيط من حولنا ، وقد تزداد ، مع كل تقدم من مواعيد الرزنامة السياسية الموضوعة للتسوية ، ومع كل اثارة لاحدى القضايا التكتيكية المعلقة كالمصالحة مع الاردن ، او المشاركة في مؤتمر جنيف الى غير ذلك .

وليست ردود الفعل الفورية التي ظهرت لدى بعض المنظمات اثر البالون الذي اطلقه باريف ونفذه بعد ٢٤ ساعة رئيسه اسحق رابين الا الدليل على التربص القائم بين الفصائل والحرص في تسجيل المواقف على بعضها البعض .

واسرائيل في صلب تحركاتها ، كما كانت في الماضي ، لا تزال اليوم تعتبر أن أهم اوراقها في العابها السياسية تكمن في الخلاف العربي والانقسام الفلسطيني ، وهي تسعى لذلك لتعميق هذه الخلافات وتكريس هذا الانقسام .

وقد لاحظنا جميعا السرعة التي استوعبت فيها اسرائيل عبرة حرب تشرين ، فبادرت على الفور لاستثمار تلك العبرة لصالحها ، اذ أصرت ولا تزال على التعامل مع العرب كوحدات مستقلة وليست كمجموعة واحدة، وبطريقة معاكسة تماما لبرامجها العسكرية والتعبوية التي تخطط على أساس ان العرب كل العرب ضدها في الحرب . فكان فك الارتباط مع مصر أولا ، ثم تلاه مع سوريا ، وتجري الان مساعيها للفك مع الاردن . وهي تطمح — ولا تخفي ذلك — الى الاستمرار في هذا المنهج وصولا الى تحقيق اتفاقات ثنائية يكون من شأنها تكريس التجزئة العربية وتصعيد التناقضات بين الاقطار العربية المعنية من جهة، وبين هذه الاقطار ومجموع الاقطار والقوى العربية السياسية الاخرى.

كذلك لقد لاحظنا ان اسرائيل تحاول استثمار الوضع عن طريق تأكيد اهمية وجودها في المنطقة للعملاقين على حد سواء . ورغم حقيقة الامور ووعينا لاحجامها وخفاياها فان اسرائيل تستطيع ان تباهي بالزعم بأن لها الفضل وحدها في فسخ العلاقات العربية السوفياتية أو على الاقل في تقليصها ، كما تستطيع ايضا أن تزعم بأنه لولاها لما أعاد العرب نظرتهم في الولايات المتحدة وعادوا الى التفكير في فتح الابواب لها .

اما في الدائرة الفلسطينية فلا تزال اسرائيل تلعب ورقة النظام الاردني في الدرجة الاولى ، يلي ذلك ورقة الفلسطينيين من خارج الحركة الثورية ثانيا ، وتصر ثالثا على عدم الاعتراف بشعب فلسطين وحقه في اقامة اي كيان مستقل له على جانبها معتبرة ذلك لغما موقوتا لا تسمح بزرعه .

من هذه اللمحة السريعة علينا ان نقرر ، دون ان نستبق الحوادث والمفاجآت ، ان الطرفين العربي والاسرائيلي يحاول كل منهما أن ينتهي بالمسيرة السياسية الراهنة للوصول الى « محطة » على طريق الصراع الذي لا حل له الا — كما أشرنا — بنصر استراتيجي يفرض شروطه ، آخذا بعين الاعتبار أهمية هذه « المحطة » على مستقبل الطريق .

وهنا فان الطرفين امام مأزق بالفعل ، وهوية « المحطة » المنشودة لا تزال لدى الطرفين موضع شبهات ومبعث قلق ، وقد يجدان في النهاية ان تعليق الوضع دون أي التزام قانوني أو سياسي بخريطة جديدة هو الاضمن والاسلم ، لكل منهما ، بالنسبة الى نواياه المستقبلية وقناعاته المشتركة .

ولكن المشكلة الصعبة ، والتي ستكون من مصادر الالم في مثل هذه الحالة، ستواجه المقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطيني بشكل خاص . فأسرائيل ، ودول المجابهة بحكم كونها دولا تستطيع الصمود مدى أوسع من حركة المقاومة وشعب فلسطين ، هي دول قائمة ولها مشاكل معلقة ، ككل دول العالم ، بينما حركة المقاومة لا تستطيع أن تحيا وتنمو في ظلال الجمود السياسي والعسكري .

ولذلك فانه من أهم ما على حركة المقاومة تأكيده في هذه المرحلة هو أن تواصل احداث الخلل في امكانية انهاء حالة الحرب مع العدو .

وهنا يحتار المفكر السياسي امام الخيارات المحدودة والممكنة امام المقاومة. خصوصا وان حركة الثورة الفلسطينية لا تعمل داخل ارضنا المحتلة وحسب ، وانما تتحرك كذلك من فوق اراض عربية لا تملك عليها حقوق السيادة ، وان كانت تملك حقوقـا قومية واخوية . ويزداد الامر صعوبة ، عند الاختيار ، عندما يلاحظ المراقب مع استحالة التناقض مع اقوى واهم حليفين للثورة: مصر وسوريا، بحكم خوضهما للحرب، وبحكم تماسهما الجغرافي مع أرض الصراع ، وبحكم ما يربط الثورة بهما من مصالح حيوية .

طبعا هذا لا يعني ضرورة الانسياق التام وراءهما في حالة قبولهما بأي موقف يمس قضية الثورة الفلسطينية ، ولكن هذا يؤكد حراجة الموقف الذي قد تصل اليه الثورة ان لم تتقن منذ الان ، وقبل التورط ، تنسيق علاقتها مع هذين القطرين الشقيقين ، مستفيدة من رصيدها لدى الجماهير العربية وقوى الرفض المختلفة .

على الثورة ان تخلق الموقف السياسي القادر على تحويل التناقضات العربية الى مواقف متكاملة ، وتستثمر كل وضع عربي سياسي بحيث يصبح أداة ضاغطة يـؤدي مع غيره الى الخروج بمحصلة سياسية تكون قادرة على اختيار « المحطة » المقبولة قوميا واستراتيجيا على مدى النضال الطويل .

وهذا في ظني ما تحاول حركة المقاومة فعله حتى الان ، وما زال امامها الكثير مما تستطيع فعله اذا أمنت شرطا واحدا هو استمرار وحدتها الوطنية وتوزيـع ادوار الفصائل لصالح التناقض الاساسي مع العدو الصهيوني .

تحترق من ناحية البحر وتنمو من ناحية الاطفال

محمود درويش

● بوذا في زهرة لوتس .

كم تغريني الصورة بتحويل هذا السطر الى عنوان كتابة عن تلك البلاد الناعمة : اليابان . اني اقمع رغبتي في كتابة ادب الرحلات .. واندم .

ليس بوسع الكاتب الفلسطيني ان يكون سائحا . لا تسمح له البلاد ، اية بلاد ، بذلك . فعليه اذن ان يوسع عبارة بلده البعيد لانه المنطقة الوحيدة التي يراه الناس فيها . ويبقى خارجها غائبا او خاطئا . وذلك عذاب جديد لا ننتبه اليه في زحمة الطحن .

ولكن بوذا يجلس في زهرة لوتس من البرونز . كبير كالمدى . يبسط راحة يده الضخمة الى العالم . وبوسع الاطفال ان يلعبوا على هذه اليد .

مطر وعيون . وتخرج من اقدم معبد لبوذا في اقدم عاصمة لليابان نارا .. صغيرة يتسع لها حضن بوذا . تلعب مع الغزلان الاليفة في حديقة المعبد . تطعمها البسكويت وتداعب جلدها الناعم فتتبعك الى الشارع . مطر ومظلات . وتأتي مجموعة من الشباب اليابانيين . تطرد الغزلان من حولك ، وتعطيك منشورات ، وتأخذك الى فلسطين .

تقول لهم : الغزال الفلسطيني شارد ، يطـــارده الرصاص ، فدعوني أمسك غزالا واحدا في هذا العالم !

ـــ انه ليس لك . انه لبوذا .

ـــ وبوذا للجميع .

ويصرون على المناقشة : هل ستذهبون الى جنيف ؟ وهل تناضلون من أجل اقامة سلطة وطنية ؟ وكيف ستخرجون من المأزق الذي وضعتكم فيه حالة فك الارتباط ؟

وفي المساء تذهب الى اجتماع تضامن مع الشعب الفلسطينـــي في طوكيو . العلم الفلسطيني يملأ القاعة تحيط به صور الشهداء ومخيمات اللاجئين . وترى حماسا وقدرة على الصبر والاستماع ، وطرح اسئلة تتعلق بتفاصيل قضية فلسطين .

فور نزولك من الطائرة ودخان سماء طوكيـــو ، تنسى انك في اليابان . تحاصرك فلسطين من كل الجهـــات والتفاصيل . اسئلة واسئلة ومناقشات وندوات . انتهت الندوة الادبية بين الادباء اليابانيين والعرب في ثلاثة ايام ، لتبدأ ندوات شعبية يومية في اغلبية مدن اليابان . قالت لنا اللجنة اليابانية للتضامن الآسيوي الافريقي وهي صاحبة الدعوة [لا الامبريالية اليابانية كما نشرت احدى المجلات اللبنانية !] ان زيارتنا مناسبة للاطلاع على مدى عالمية القضية الفلسطينية ، وعلى تعطش المهتمين لمعرفة المزيد عن هذه القضية .

كانت رحلة عمل مضنية شملت طوكيو وأوساكا ونارا وكيوتو وهيروشيما وكيوشو . في كل مدينة اجتماع جماهيري وندوات للتضامن مع نضال الشعوب العربية ، والشعب الفلسطيني خاصة . ان اهتمام اليابانيين بهذه المنطقة من العالم ، في هذه المرحلة ، مدهش الى حد بعيد . وثمة فارق في تجليات هذا الاهتمام بين المستوى الرسمي وبين المستوى الشعبي . النفط هو هاجس المسؤولين . وفلسطين هي هاجس اليساريين .

مطر وفلسطين . لم تتوقف الامطار دقيقة واحدة في كيوشو . قلت للمرافق : لن يأتي الناس في هذه الجزيرة في مثل هذا المساء للتعبير عن تضامنهم معنا . فاجاب : ولكن البرنامج المعد يقول ان اجتماع تضامن سيعقد هذا المساء ، وعلينا أن نذهب . كانت قاعة الاحتفالات في الجامعة مزدحمة بالطلبة وغيرهم . وفي نهاية الاجتماع قدمت لي فتاة كتابا يتضمن رسالة مؤثرة :

« جئت هنا في هذا المساء الممطر لاستمع الى صوتك . رأيتك قبل عدة أيام على شاشة التلفزيون ، وتأثرت بشعرك . لقد نسيت عنوان القصيدة، ولكنني لن انسى أبدا صور الاطفال الفلسطينيين التي عرضت خلال حديثك . اني أحب الاطفال . وان اشد الاشياء ايلاما في نفسي هو أن أطفال بلادك ليسوا سعداء . فلماذا هم تعساء الى هذا الحد ؟ ومن المسؤول . اسرائيل أم الولايات المتحدة الامريكية ؟ انني لست متأكدة تماما ، لاني لا أصدق السياسة . ولكن ما يهمني هو أن يكون الاطفال سعداء . وهذا الكتاب هدية من فتاة يابانية الى أطفال بلادك. اغفر لي أنني لم أجد الوقت الكافي لترجمة الكتاب الى اللغة الانجليزية . لو كنت أعرف عنوانك لقمت بهذه المهمة بسعادة من أجل أطفال بلادك . انني فتاة بسيطة وأحب الاطفال . وأفعل كل شيء من أجل أن يكون أطفال فلسطين سعداء » .

اني أتلقى رسائل كثيرة . ولكن لم تربكني وتهزني رسالة من قبل ، كما فعلت بي هذه الكلمات التي كتبتها مواطنة في جزيرة يابانية بعيدة في ذلك المساء الممطر . اننا لا نشطح في الخيال حين نؤكد أن الاقامة الفلسطينية قد ترسخت في جدارة الانسان باسمه . وان الدفاع عن فلسطين يعني ، في وعي الانسانية الطاهر ، دفاعا عن الطفولة . هذا هو الرأي العام : التفتح على عذاب الطفولة بشكل مجاني ، بلا مصلحة وبلا حافز غير حافز شهية الحياة . ان انسانية المسألة الفلسطينية تسكن فوق أي اعتبار . وهذا الجوهر الانساني العميق فيها هو الذي يجعلها خصوصية بشرية مطلقة .

لقد صفقوا لفلسطين طويلا في هذه الجزيرة . تساءل زميل لي منفعلا : ما الذي يعنيهم هنا في آخر الدنيا بشؤوننا الوطنية ؟ كان تساؤلا صعبا ، يحتاج الى وقفة طويلة . لم يمت الانسان في الانسان . هنالك منطقة ما في الانسان لا يبلغها التلوث . وان حاسة التضامن مع الآخرين هي ذاتها حاسة وحدة المصير البشري . وهي شكل ما من أشكال الدفاع الذاتي عن صفاتنا الانسانية . وحين يتضامن المرء فانه يجري عملية اختبار حر لمدى استحقاقه لما يتمتع به من ميزة كونه انسانا . ان التضامن امتحان نبيل للخصائص الانسانية وفاعليتها من جهة ، ودفاع عما يهدد نشاطها . ويدرك كثير من الناس في كل أنحاء العالم ان معاصرتهم لبؤس المصير الفلسطيني هي شهادة على جريمة ترتكب.وان اللامبالاة تجاه هذه الجريمة هي مساهمة في منحها صفة الشرعية والاقرار البشري ، مما يمهد السبيل امام عملية انقلاب للقيم الانسانية التي تم التوصل الى اقرارها عبر عذاب الحروب والقهر . هذا الانقلاب في التعامل البشري يؤدي الى انقلاب الانسان على ذاته.

وليست هذه الجزيرة اليابانية بعيدة عن مدينة هيروشيما . هل قال أحد ان هيروشيما

لا تعنيه ! ليست للذكرى . هي للمستقبل والحاضر . الشر الاميركي يعلن هويته في كل مكان . والسلام قتال .

ـــ ماذا رأيت في هيروشيما ؟

ـــ هيروشيما

هيروشيما ! أنت حبيبتي حقا . الكلام ارتباك . والظل جامد على الحجر . واللحم يتساقط عن الهيكل العظمي ببطء ببطء ببطء كأنه يستغرق دهرا .

ـــ متى يتوقف اللحم البشري عن التساقط ؟

ـــ حين تكف الامبريالية عن التنفس .

هيروشيما ! لاني احبك أخوض حربا . هيروشيما ! لاني أكره الحرب .. أحبك .. هيروشيما ! المطر يهطل . هيروشيما ! هل أقبل هذه الفتاة وأموت ؟ هيروشيما .. دقت ساعة الصفر مليون مرة ، ويريدون أن يزوجوك كلبـــا .. هيروشيما لا أعرفك .. هيروشيما عفوا . هيروشيما ! أنا مواطن فلسطيني . هيروشيما ! لقد بنوك من جديد ، وتغلبت الاشجار على الموت المتعدد في النار والريح والسموم . هيروشيما .. اذهبي الى الفراش لتنامي ، فقد جاء دوري . هيروشيما .. لقد القوا قنابلهم على اسم بلادي ولم يحترق . هيروشيما .. الذاكرة تحترق من جهة البحـــر .. القلب يحترق من كل الجهات .. والبحر يحترق ، وتعود الذاكرة . هيروشيما : لماذا تمطر .. هيروشيما .. لا شيء .. هيروشيما وداعا .. هيروشيما .

ـــ وماذا قلت يا سيدي عن الشعر ؟

ـــ ليس من الضروري أن يكون كل انسان شاعرا ، ولكن اشد الامور جاذبية في العالم هو أن تعرف كيف تتفاعل مع الشعر .

ـــ وماذا يقول الشعر عن هيروشيما ؟

ـــ اعيدوا الي أبي

أعيدوا أمي

أعيدوا الكبار

أعيدوا الابناء

أعيدوني

أعيدوا النوع البشري

ـــ ما رأيك ؟

ـــ سخيف

ـــ لماذا ؟

ـــ لانه قيل في هيروشيما عن هيروشيما

مطر وهيروشيما .. والحياة حقيقية الى درجة القسوة . ولا تستطيع الذاكرة ان تنمو بلا نهاية . انها تحترق من ناحية البحر ، وتنمو من ناحية الاطفال .

انظر .. هذا هو جبل نوجي المقدس . يصعدونه وهم حفاة ، وينحنون له كأنه اله . وتقول الاسطورة ان هذا الجبل أول ارض وطأتها قدم آدم عندما هبط من الجنة . وجبل

فوجي ذو شكل هرمي مقطوع الرأس ، شديد الارتفاع ، كأن السحاب لا ينزل اليه ، بل يصعد اليه من خاصرته . الحياة تواصل نفسها . والانسان يواصل تربية الطبيعة ، وكأن اليابانيين قد حققوا الانسجام بينهم وبين الطبيعة ، كأنهم صففوا الاشجار ونبات الشاي والازهار بأناقة . كل شيء في طبيعتهم أنيق ومرتب وشديد التهذيب . وتصفيف الازهار علم في اليابان . قابلت سيدة برتبة بروفيسور في تصفيف الازهار . لم أسألها شيئا لئلا افضح جهلي . ولكنها حدثتني عن مئات الطرق التي تدرسها في الجامعة لتصفيف الزهور .

مطر وأزهار . مطر وبوراكو . سنذهب الى شعب البوراكو . لقد أعدوا لنا برنامجا حافلا .

وراح المرافق يحدثنا عن « حركة تحرير البوراكو » . وفروعها في جميع مدن اليابان . والبوراكو طائفة يابانية شبه ملونة يقول قادة حركتها انها تعتبر فئة منبوذة في اليابان . يبلغ عددها ثلاثة ملايين مواطن يعانون من التمييز وعدم المساواة بينهم وبين سائر فئات الشعب الياباني .

على مدخل البناية ، البسونا يافطات حمراء ، وأدخلونا الى قاعة مزدحمة بالشيوخ والشباب والنساء والاطفال . اجتماع تضامن بين شعب البوراكو وبين الشعوب العربية . كان أحد الاجتماعات الاشد حرارة التي رأيتها في حياتي . يصفقون لاسم فلسطين بحماس عربي ، ويهتفون ضد الصهيونية والامبريالية .

تنحصر مطالب البوراكو في المطالبة بالمساواة في الوظائف والعمل والسكن والعلاقة الانسانية . فاليابانيون البيض ، اذا جاز التعبير ، لا يرتاحون من حالات الزواج القليلة التي تحدث بين أبنائهم وأبناء البوراكو . والبوراكو يعيشون حالة نفسية صعبة بسبب عدم ادراك أسباب مقنعة لكونهم غير مندمجين بحياة المجتمع الياباني .

نريد أن نوصل قضيتنا الى المستوى العالمي — هكذا يقول قادة حركة البوراكو . وفي احدى الندوات سألني أحدهم عن مدى التلاقي والتشابه بين قضية الشعب الفلسطيني وقضية البوراكو ؟ كان سؤالا محرجا ، تبدأ الاجابة عنه بالاعتذار عن جهل بالاحاطة بقضية البوراكو ، وبتسجيل المبدأ الانساني المطلق بالمساواة بين الشعوب والطوائف . ولكنني أعتقد أن البوراكو يطالبون بالعدالة الاجتماعية ضمن المجتمع الياباني ، بينما الفلسطينيون لا يرفعون مطلب المساواة بينهم وبين المستوطنين الاسرائيليين !. انهم يطلبون حقهم في وطن احتله غزاة أجانب .

وفي ندوة كبيرة في مدينة اوساكا، كرّست لمناقشة موضوع التمييز العنصري، تحدث ممثلو شعب البوراكو مطولا عن قضيتهم الاجتماعية . وتحدثنا عن المعركة العربية . بيننا هذا التشابه: ان التمييز العنصري هو أحد أشكال الظلم الذي يلحقه نظام الاستبداد بين الشعوب ، وهو مرتبط باستغلال الانسان للانسان الذي تمارسه الرأسمالية . ولذلك ، فان النضال ضد التمييز العنصري هو في الوقت ذاته نضال سياسي ضد الرأسمالية والامبريالية . وفي هذا الاطار تقع العلاقة بين الحرية والمساواة . ويمكن تلخيص الكفاح العربي الفلسطيني ضد المؤسسة الصهيونية العنصرية بأنه يجمع عدة اهداف في وقت واحد : تحرير الارض ، وتحرير الانسان ، والغاء التمييز العنصري الذي تمارسه الصهيونية ضد العرب الواقعين تحت الاحتلال وضد بعض الطوائف اليهودية . ومن هنا ، تشمل عملية التحرير التي يخوضها الفلسطيني تحرير اليهود أنفسهم من القناعة الصهيونية ومن الظلم الصهيوني ، وهو الطريق الوحيد لاندماجهم الايجابي مع شعوب المنطقة العربية .

وفي مدينة أوساكا ذاتها كان الاجتماع الجماهيري الكبير للتضامن مع الشعوب العربية حارا وصادقا الى درجة الفرح . كان مهرجانا سياسيا ــ شعريا ــ فنيا استغرق أربع ساعات صميمية . أيها الاصدقاء : لا يحدث كثيرا ان تتحول القاعات الى قلوب . ولكن ذلك يحدث هنا . أشعر أنني جالس في قلب مخاط بالصداقة لا بالجدران . وافكر : كم لغة يحتاج المرء الى التعلم لكي يذوق الحب كله . ولكن ما يعوض عنا هذه الحرقة ايماننا بأن محتوى لغاتنا مفهوم ، ودقات قلوبنا واضحة ، وان الحب لا يحتاج الى ترجمة . وان الدم العربي الفلسطيني الكثير الذي يسيل في ساحات الكفاح من أجل الحرية والتحرر والتقدم مفهوم بكل اللغات . ان أصواتنا هي أصوات هذا الدم . وهذا التضامن الذي نراه هنا يجعل وطن الحرية والانسان أوسع . وأشعر الآن ان وطننا المشترك ــ الوطن الانساني ــ أكبر ، ولا مكان فيه للظلم والعدوان والعنصرية . ونحن على ثقة من أننا سننتصر ضد الامبريالية والعنصرية ، وضد معوقات تلاقي الانسان وتقدم الانسان .

وما رأيك بالمعركة المسلحة التي وقعت بين بعض فصائل المقاومة .. لماذا تقاتلون أنفسكم ؟ سألني صحفي ياباني في عز فرحي بجو التضامن مع نضال شعبي .. شعرت بالخجل . ان العالم ينظر الى المقاومة الفلسطينية من الخارج نظرة التقديس ، ويحملها صفات ومسؤوليات كبيرة تكاد ان تكون أكبر منها . فلماذا يصر البعض منا على اعلان العيوب الداخلية ، فتهتز الصورة . من يبلغ الاخوة في المقاومة ان فلسطين القضية .. وفلسطين الارض ليست ملكا لوجهة نظر . انها أكبر وأوسع . وان جمال الوجه الفلسطيني واحد من أسلحة المعركة الفاعلة في الضمير .

مطر وفلسطين . وليس بوسع الكاتب الفلسطيني أن يكون سائحا ، وليس بوسعه أن يكون فردا . انه قضية تمشي . الناس لا تراه حين تنظر اليه ، ولا تسمعه حين تستمع اليه . انها ترى خارطة فلسطين ، وتستمع الى صوت فلسطين . هل رأيتم وطنا يستعبد أبناءه بمثل هذه القسوة . انه وطن يلغي ليكون . يحتل الاسم والملامح . انه وطن يجرف ليستقر . أناني وقديس . واذا كان هذا ما يفعله بأبنائه ، فكيف يهضم أعداءه ؟

« سيدي ! ليست لاسمائنا قيمة . ولكننا قرأنا حديثك في صحيفة « أساهي » عن القمر الفلسطيني الضائع .. القمر القابل للاستعادة كما تقول . اننا نشعر بأن فلسطين قريبة منا . كيف نعبر عن عواطفنا تجاهكم ؟ لا نعرف . اعتبر هذه الرسالة أحد أشكال تعاطفنا معكم . نتمنى لشعبك النصر . ونحن هنا سنفرح كثيرا حين تعثرون على قمركم الضائع . اننا ننتظر انتصاركم . وننتظر عودة القمر الفلسطيني » . الرسالة باللغة اليابانية والتوقيع : قارئات يابانيات .

ــ متى عدت من اليابان ؟

ــ لم أكن في اليابان

ــ أين كنت اذن ؟

ــ كنت مسافرا في الاسم الفلسطيني في آسيا البعيدة . بوذا يجلس في زهرة لوتس والمسيح الفلسطيني يتجول في الارض وفي الزمان .

محاذير الطريق المفتوح بين العرب واميركا

الدكتور سامي منصور

انتهت رحلة الرئيس الامريكي نيكسون للشرق العربي ، والتي بدأت في ١٢ يونيو واستمرت اسبوعا ، زار خلالها مصر والسعودية وسوريا والاردن . هذا بالاضافة الى زيارته لاسرائيل مسجلا اول زيارة لرئيس امريكي الى اسرائيل . وصدر خلال الزيارة بيانان احدهما مع مصر والثاني مع اسرائيل بينما اكتفت الدول الاخرى بتبادل وجهات النظر والكلمات .

والواقع ان رحلة نيكسون الى الوطن العربي تستحق دراسة هادئة ليست من موقع الرفض ولكن من موقع البحث عن المصلحة القومية العربية الواحدة . فليس هناك من يرفض ان تكون العلاقات الامريكية العربية علاقات طبيعية ومفتوحة ، وليس هناك من يرفض عروضا امريكية لمساعدة الدول العربية ، ولكن ، ليس معنى عدم الرفض الا تكون هناك مخاوف او مخاطر من فتح الابواب بلا رقابة او حساب مع الولايات المتحدة الامريكية . وبحكم تاريخ طويل للسياسة الامريكية في الوطن العربي كان لا بد من تسجيل عدد من المحاذير التي لا يجب ان تغيب عن الاذهان عند التعامل العربي مع امريكا .

ولعل اكثر ما يفرض التذكرة والاهتمام بتسجيل هذه المحاذير ، وضرورة ان تكون على مائدة كل مسئول عربي في هذه المرحلة وقوع عدد من الاحداث :

أولا ، ان زيارة الرئيس الامريكي نيكسون والتي تهدف — طبقا للبيانات الامريكية الرسمية — الى اقرار السلام في الوطن العربي ، قد انتهت بسلسلة من الاعتداءات العسكرية الاسرائيلية على مخيمات اللاجئين . والرابطة بين الحدثين وثيقة . فالاعتداءات بدأت بمجرد سفر نيكسون من اسرائيل ، ومعها تصريحات رسمية اسرائيلية باستمرار الاعتداءات على مخيمات اللاجئين في لبنان ، وكان البيان المشترك الصادر بعد زيارة نيكسون لاسرائيل قد تضمن فقرة تدعو الدول العربية الى وقف تشجيع « الارهاب » الفلسطيني ضد اسرائيل . وانه يجب على كل دولة الامتناع عن تنظيم وتشجيع انشاء قوات غير نظامية او « عصابات مسلحة » او « فرق مرتزقة » للاغارة على اراضي دولة اخرى .

ومعنى ذلك ان نيكسون قد اعطى لاسرائيل تفويضا بضرب الفلسطينيين باعتبارهم في نظر الرئيس الامريكي الذي استقبل بحفاوة في اكثر من عاصمة عربية مجرد «ارهابيين» و«عصابات» و« مرتزقة ». وبالتالي خرج اكثر من مسئول اسرائيلي في مقدمتهم رئيس الوزراء اسحاق رابين ليقول انه ما دام لبنان لا يقوم بمسئوليته من منع تسلل الفلسطينيين عبر حدوده فان اسرائيل تشعر بحرية ضرب قواعد الفدائيين وتجمعاتهم .

وواضح ان نيكسون مستمر في السياسة الامريكية التي تخلط عمدا بين الارهاب والنضال المسلح . وقد حاولت ان تفرض هذه المغالطة الخطيرة على الامم المتحدة في

الدورة ٢٧ للجمعية العامة الا انها فشلت امام صلابة الموقف الافريقي والعربي ، وهي تحاول الان ان تفرض ذلك من خلال العمل الدبلوماسي الثنائي المكثف وابرز امثلته هو البيان المشترك الامريكي الاسرائيلي في اعقاب زيارة نيكسون .

يمكن ان نسجل ونستعرض المواثيق الدولية والمعاهدات التي تسجل حق الشعوب في النضال المسلح ، وهو ما اعترفت به الامم المتحدة رغم كل ظروف العجز التي تفرضها الولايات المتحدة عليها ، الا ان مجرد قبول المناقشة من هذا المنطلق يجعل حق النضال الشعبي المسلح وليد قبول القانون الدولي له او انه نتيجة اقرار معاهدة دولية له ، مع ان الامر على عكس ذلك تماما . فالقانون الدولي ليس مصدر هذا الحق ولا يملك ان يكون مصدره ، ولكن ما يملكه القانون الدولي هو تسجيل واقع هذا الحق . فهو حق مكتسب مثل حق الحياة لا يخلقه قانون وضعي مهما كان مصدره ولكن القانون ينظم حمايته وقدسيته . وبالتالي فمناقشة المغالطة التي سجلها بيان نيكسون ـ رابين هي في الاساس ليست حول حق النضال المسلح ولكنها في توضيح الموقف الاستعماري الامريكي من قضايا التحرر الوطني .

وان كانت الولايات المتحدة تريد معركة المقصود بالارهاب فلن نقول لها انه الارهاب الامريكي في كل مكان من العالم فقط ولا هو العدوان الصهيوني المستمر على شعب فلسطين فحسب بل ان على الولايات المتحدة ان تحدد معنى « العدوان » وهي التي تمنع الامم المتحدة طوال سنوات عشر من الوصول الى تعريف حماية لعدوانها على الشعوب وحماية لاسرائيل لتطبيق المخططات الاستعمارية المشتركة .

ثم ان الحديث عن الارهاب مع انه لا يجب ان يكون مع دولة الارهاب الا انه تجاوز غير مقبول عن الحقائق . فاذا كانت الولايات المتحدة تفهم النضال الفلسطيني على انه ارهاب وعصابات ومرتزقة فكيف يتفق ذلك مع دعوة تحقيق سلام عادل في المنطقة الا اذا كان المقصود بالعدل هنا هو « السلام الامريكي » في المنطقة ، لان بحث اي اعمال عنف يجب ان يبدأ من نقطة المسببات الاساسية لها وبالتالي وضع الحلول العادلة طبقا للحقوق الانسانية والمواثيق الدولية التي لا تحترمها لا الولايات المتحدة ولا اسرائيل . ومجرد تسجيل نيكسون لهذا الوصف يكفي لنسف كل امكانيات الحل لقضية الشرق الاوسط ، كما ينفي اوهام الثقة في نيكسون او اي رئيس امريكي اخر .

وتوصيف الحركة الوطنية الفلسطينية بالارهاب يعني التسليم بضرورة القضاء عليها، لان الارهاب بطبيعته جريمة يعاقب عليها القانون بينما النضال المسلح حق مشروع يحميه القانون . ونيكسون يريد باصرار ضرب الحركة الوطنية الفلسطينية ممثلة في المقاومة وذلك كخطوة اساسية لاقرار سلام امريكي في المنطقة . ونقطة البداية التي تحقق ذلك هي « فصل القوات » على الجبهتين المصرية والسورية بعد مذابح ايلول في الاردن فيصبح الباب مفتوحا لضرب مكثف بلا حماية لمراكز تجمع الشعب الفلسطيني. وبذلك تحقق السياسة الامريكية ـ الصهيونية المشتركة تذويب جسدي جديد لشعب فلسطين ، وكسر وجود العمل الفدائي وتحويله الى ايد تقبل التحرك من خلال مخططات امريكية تحصر القضية في نطاق لا يخرج عن مسألة تعويض لاجئين .

ومع ان البعض يتصور ان الضرب المكثف لمخيمات الفلسطينيين في لبنان يهدد مؤتمر جنيف ، فان الواقع يقول ان الضرب بهدف فتح الطريق لمؤتمر جنيف ولكن بطريقة امريكية . فان فشلت ، وليس هناك ما يحول دون نجاحها حتى الان ، فان اسرائيل تخرج بما ارادت وهي فترة هدوء لسنوات خمس او عشر تعيد فيها بناء نفسها وتستعد

لمعركة جديدة تستعيد بها ما فقدته في حرب أكتوبر . وهو ما سوف تسعى ان تحققه بالمناورة ان عقد مؤتمر جنيف .

هذا الى جانب ان ضرب جنوب لبنان بقدر ما يعيد لاسرائيل هيبتها التي اهتزت في معركة اكتوبر ، يعيد سطوتها التي أصبحت موضع شك حتى من حلفائها. وبذلك تتأكد أول حقيقة صاحبت رحلة الرئيس الامريكي نيكسون الى الشرق العربي وهي أن الولايات المتحدة لم تغير من موقفها فليس المهم ما قبل به نيكسون بل المهم ما يسير عليه الرئيس الامريكي . فصحيح أن الرئيس انور السادات قال له في أول ساعات زيارته لمصر «ان احترام الاماني الوطنية لشعب فلسطين هو جوهر القضية كلها» . وصحيح ايضا ان الملك فيصل قال له في السعودية انه « لن يكون في الامكان اقامة سلام دائم ما دامت القدس لم تتحرر ، وما دامت جميع الاراضي العربية المحتلة لم تتحرر ، وما دام الذين طردوا من اراضيهم لم يتمكنوا من العودة الى ديارهم وممارسة حقهم في تقرير المصير » كل ذلك صحيح ولكن نيكسون على حد المثل العربي « ودن من طين وودن من عجين » سمع ونفذ سياسته على الطريقة الامريكية .

ثانيا : ان زيارة نيكسون للمنطقة قد انتهت بموقف اسرائيلي قديم . ومن الصعب تصور ان العودة الى هذا الموقف وليدة ان حكومة رابين تعيش باغلبية صوت واحد وأنه مضطر الى التشدد وارتداء ثوب الصقور . فليست المسألة بهذا القدر من البساطة وانما الحقيقة هي ان اسرائيل اخذت من نيكسون ما يكفي لان تعود الى موقف الهجوم والتحدي . فقد حصلت اسرائيل على سبيل المثال وليس الحصر على وعود امريكية بسلاح جديد تقدر قيمته بحوالي ٥٠٠ مليون دولار ، هذا غير الدعم الاقتصادي والمالي. ويكفي القاء نظرة على اتجاهات تصريحات المسئولين في اسرائيل لتكشف عن حقيقة بارزة وهي ان تصور البعض — من العرب — بأن اسرائيل راغبة في التوصل الى « سلام عادل » هو نوع من الاوهام او احلام اليقظة او ان معارك اكتوبر قد ادت الى تغيير جذري في سياسة اسرائيل فهو تحليل مبالغ فيه ، كما انه لا يمكن القول ان ما تعلنه اسرائيل هو مجرد التشدد الى حد بعيد حتى اذا ما تراجعت يكون تراجع محدود عن الاهداف الاساسية التي رسمت باتقان بين الحركة الصهيونية والاستعمار الامريكي او بشكل اشمل مع حركة الاستعمار العالمي بقيادة الولايات المتحدة . وابرز ما أعلنه المسئولون في اسرائيل وخاصة اسحاق رابين رئيس الوزراء وشمعون بيريز وزير الدفاع هو : —

●● ان اسرائيل لن تعيد مرتفعات الجولان الى سوريا تحت اية شروط . وقال اسحاق رابين بشكل واضح انه حتى في اطار تسوية نهائية لن تستطيع اسرائيل التخلي عن مرتفعات الجولان ، لان عودة السيطرة السورية على هذه الاراضي حتى مع وجود سلام حقيقي سوف يمثل تهديدا استراتيجيا دائما لاسرائيل .

●● ان اسرائيل ترفض قيام دولة فلسطينية حتى على ما تبقى من ارض فلسطين . وقال رابين في اكثر من مرة انه لا مكان لدولة ثالثة بين اسرائيل والاردن ، لان قيام دولة فلسطينية يكون بمثابة قنبلة ذرية . والحل هو قيام دولة فلسطينية — اردنية .

●● ان تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر جنيف يكون من خلال الاردن . وقد أعلن شمعون بيريز وزير الدفاع ان تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر جنيف يجب ان يكون عن طريق الوفد الاردني ، لان المفاوضين يجب ان يمثلوا دولا لا منظمات . واضاف الى ذلك المنطق اسحاق رابين رئيس الوزراء قوله ان اسرائيل لن تتفاوض ابدا مع الفدائيين ، واذا اراد الاردن — وهو بذلك يوصي للاردن بالاسلوب المطلوب — ان يضم بعض الفلسطينيين

المعتدلين الى وفد الاردن في مؤتمر جنيف ، فلن تعترض اسرائيل — ! — لان ذلك امر خاص بالاردن .

وفي هذا الاطار استمرت تصريحات المسئولون في اسرائيل تردد وتؤكد نفس المنطق.

ولست من الذين يعتبرون هذه التصريحات مجرد تعبير عن ازمة حزبية في اسرائيل ولا هي نوع من الضغط الذي قد يصل الى درجة الابتزاز للحصول على مكاسب من الولايات المتحدة التي لم تبخل على اسرائيل بشيء ولا هي في حاجة الى هذا الضغط . وفي اعتقادي ان هذه التصريحات تعكس اتجاها حقيقيا في اسرائيل . ويكفي استدلالا على انه استمرار للوجود العدواني الصهيوني على الارض العربية هو ما قرره مجلس وزراء اسرائيل في الجلسة الطارئة التي عقدها بعد عودة رئيس الوزراء من لندن حيث حضر مؤتمر « الدولية الاشتراكية » ، وبعد عودة وزير الدفاع من رحلة أخذ الاسلحة من الولايات المتحدة ، فقد قرر مجلس الوزراء اتخاذ اجراءات اقتصادية تبدأ من فرض قرض اجباري للدفاع الى ضرائب على الممتلكات بنسبة ٥٪ وضرائب على السلع الاساسية الكمالية بما يحقق للحكومة عائدا يصل الى حوالي الف مليون دولار تذهب الى ميزانية الانفاق العسكري .

وقد صرح المتحدث باسم وزارة المالية الاسرائيلية ان قيمة احتياجات امن اسرائيل — الانفاق العسكري — ستصل الى ٨ الاف مليون دولار خلال السنوات الثلاث القادمة .

فاذا اضفنا الى ذلك الاتفاق الامريكي الاسرائيلي الذي تم خلال زيارة نيكسون لاسرائيل حول الدعم العسكري الامريكي ، لاكتمل خط السياسة الامريكية تجاه العرب. ومع ان الدعم الامريكي غير جديد ، فهو استمرار لدعم عمره اكثر من عمر اسرائيل نفسها الا ان نيكسون اضاف اليه انه « دعم للمدى الطويل » .

وقد تبع ذلك وتأكيدا له اعلان الخطة الكاملة للجنة التنفيذية للوكالة اليهودية باقامة ٤٠ مستعمرة جديدة معظمها في الاراضي العربية المحتلة لاستيعاب ٦٠ الف مهاجر خلال السنوات القادمة . وتوزيع المستعمرات الجديدة في الخطة هو : ٩ مستعمرات في مرتفعات الجولان تكون احداها عاصمة للمنطقة — ٤ مستعمرات بالضفة الغربية — مستعمرة في جنوب غربي القدس — ١٠ مستعمرات بين رفح وجنوب بير سبع — ١٦ مستعمرة في الاراضي المحتلة قبل سنة ١٩٦٧ وخاصة في منطقة الجليل .

ولو لم تحصل اسرائيل على الامان والضمان الامريكي ، والدعم العسكري والمالي منها لما سارعت بعد ايام من عودة نيكسون الى الولايات المتحدة وعودة وزير دفاعها من امريكا الى اعلان خطة انشاء المستعمرات الجديدة .

وبالتالي فان الولايات المتحدة تمضي على نفس السياسة الامريكية القديمة وهي استمرار بقاء اسرائيل كسيف مسلط على رقاب العرب ، تضرب به وقت أن تجد ان الضرب ضرورة — ! — وخاصة بعد أن أصبح الضرب بقوات امريكية مباشرة مسألة تحتاج الى اكثر من نظرة ، وابعد من حساب واحد ، فالمسألة معقدة وتحتاج الى تفكير عميق .

ومجرد الاستمرار على هذا الطريق وهو أن يكون لاسرائيل السيطرة العسكرية في المنطقة حتى بعد نتيجة حرب اكتوبر تعني أن « حماقة القوة » التي تحكم الفكر السياسي الامريكي ما زالت هي جوهر السياسة الامريكية في المنطقة العربية ، وهو ما يثير الشك في حقيقة اهداف اي تحرك امريكي ، وخاصة اذا وصل الامر الى حد ان وزير خارجية

دولة عملاقة مثل الولايات المتحدة يترك مكتبه وعاصمته ويبقى في الشرق العربي متنقلا لاكثر من شهر تصبح المسألة ليست رغبة امريكية في انهـاء حالة الحرب في الشرق العربي وانما هي بالتأكيد محاولة لفرض « سلام امريكي » عـلى العرب وليس عـلى اسرائيل .. !

ثالثا: فان اضفنا محصلة رحلة نيكسون ـ كما توضحه البيانات المشتركة والاحاديث ـ الى ارتباط انتهاء الرحلة بالاعتداء الاسرائيلي المستمر على مخيمات الفلسطينيين في جنوب لبنان ، وبلهجة التحدي والعدوان في تصريحات المسئولين الاسرائيليين لاكتملت لنا صورة الموقف الامريكي ـ غير المتغير ـ بعد معركة اكتوبر .

فقد سجل البيان المشترك الذي صدر عن زيارة نيكسون للقاهرة ان العـلاقات قد تحولت في العام الماضي من « التباعد » الى « علاقة عمل بناءة » . وان الدولتين قد عقدتا العزم على الانطلاق من هذا بالتحرك هذا العام نحو تحقيق علاقـة « صداقة وتعاون واسع » . وبذلك تكون العلاقات قد مرت خلال ثلاث مراحل خلال أشهر ستة ... التباعد ... العمل البناء ... الصداقة والتعاون. ولا بد لنا من دراسة السياسة الامريكية في نفس الفترة ، لتوضيح اذا ما كان قد حدث هذا التطور الدرامي في السياسة الامريكية تجاه العرب خلال أشهر ستة .

واذا كانت الدراسة قد انحصرت في اطار البيان المشترك الصادر مع القاهرة والبيان المشترك الصادر مع تل ابيب فذلك يرجع الى انه لم يصدر غيرهما من وثائق رسمية يمكن الاعتماد عليها . خاصة وان امريكا لم تكن في حاجة الى ورقـة مكتوبة مـن السعودية او الاردن .!

ونظرة على محصلة رحلة نيكسون الى العواصم العربية الاربع ثم الى اسرائيل تؤكد ان السياسة الامريكية بقيت على حالها قبل حرب اكتوبر ودليل ذلك غير صفقات السلاح لاسرائيل والدعم المالي والفعال لها هو :

١ ـ حرص الرئيس الامريكي نيكسون ووزير خارجيته ـ كيسنجر ـ على أن يسجل البيان المشترك مع مصر في مقدمته ان دعم العلاقات بين وشنطن والقاهرة « لا يكون موجها ضد أي دولة بالمنطقة او شعوبها، او ضد اي دولة اخرى ». وهو نص غريب، برغم انه يدخل عادة في معظم البيانات المشتركة بين الدول الا انه في هذه الحالة ليس مجرد تسجيل مبدأ ولكنه تعبير عن موقف . فليس من المتصور ان يكون دعم العلاقات المصرية الامريكية ضد أي دولة عربية في المنطقة او شعب عربي ، لان عروبة مصر مسألة ليست موضع مناقشة وهي فوق أي شبهة او مظنة بشبهة . وبالتالي فهو نص اراد نيكسون ان يخاطب اسرائيل به قبل ان يذهب اليها مؤكدا في بيان مشترك مع مصر أن دعم هذه العلاقات لن يكون على حساب اسرائيل . ومجرد هذه الفقرة تعني ان الموقف الامريكي لم ينتقل الى مرحلة الصداقة بل ولا الى العمل البناء .

٢ ـ تكوين ٦ مجموعات عمل مصرية امريكية تغطي كل المجالات تقريبا ، لدراسـة التعاون في هذه المجالات. وبهذا يكون الجانب الامريكي لم يلزم نفسه بشيء محدد واكتفى بمجموعات تدرس وتسافر وتبحث بما يعطي له وقتا كافيا لضمان استمرار السياسة العربية على الطريق الذي تريده الولايات المتحدة . حتى في المساهمة المالية لم يستطع الرئيس الامريكي وهو أعلى سلطة قرار في امريكا ان يعد بتقديم شيء بل وعد ان يرسل وزير خزانته في القريب العاجل الى مصر لاجراء مباحثات حول المساهمة في دعم البنيان المالي لمصر .

والقريب العاجل هنا يعني شهراً اذ انه موعد زيارة وزير الخزانة الامريكي في ١٤ يوليو — بينما القريب العاجل في العلاقات بين اسرائيل وامريكا كما جاءت في البيان المشترك كانت تعني ٤ أيام فقط حين سافر وزير الدفاع الاسرائيلي الى الولايات المتحدة. والمسألة ليست ايامًا ولكنها في مدلول ذلك ومضمونه خاصة وان المسألة هي حول نفس الكلمة « العاجل » .

حتى مع السعودية نجد ان الولايات المتحدة كانت اكثر تحديدا حيث اتفق على أن العلاقات تمضي على أسس الاتفاق الذي عقده الامير فهد مع امريكا خلال زيارته لها . وهو ينص على تشكيل خمس مجموعات عمل تشبه مجموعات العمل مع مصر الا ان الاتفاق قد حدد شهر اكتوبر القادم موعدا لاول اجتماع للجنة المشتركة لدراسة تقارير المجموعات الخمس بعد التعاون بين البلدين . أي أن هذه المجموعات لا بد ان تقدم اول تقرير لها قبل اكتوبر ، والمسألة ليست متروكة للزمن .

وقد وضح من كل ما اذيع من بيانات رسمية او اعلامية ان حجم ما سوف تقدمه الولايات المتحدة الى مصر غير محدد القيمة ولا محدد الوقت الذي يقدم فيه . ولعل التحديد الوحيد هو ما ورد في البيان المشترك ونصه الحرفي هو « ان القيمة التقديرية للمشروعات قيد البحث يبلغ أكثر من بليوني دولار » . أما حجم ما سوف تشترك الحكومة الامريكية فيه من هذه المشروعات فهو قيد البحث والبحث يحتاج الى وقت ، والوقت قد يغير الامور او يبدلها ، خاصة وان أجهزة الاعلام الامريكية والعربية المتحالفة مع المصالح الامريكية والمرتبطة بها قد صورت الامر وكأن امريكا قد قررت الاشتراك بالمبلغ كله أي ٢بليون دولار بل وصل الامر الى حد أن أحد رؤساء تحرير صحيفة قاهرية كتب أن امريكا سوف تقدم « بليونا » ثالثة ، اي ان امريكا قدمت بليونين قبل ذلك مع أن هذه المشروعات المطروحة للبحث سوف تشترك في تمويلها اكثر من دولة من بينها قد — وهو تحفظ تفرضه الامانة العلمية — تكون الولايات المتحدة .

٣ — ان البند الخاص بالمفاعلات الذرية الذي اثيرت حوله ضجة هي في اعتقادي مصطنعة ينص على « استعداد الولايات المتحدة لبيع مفاعلات ذرية ووقود ذري لمصر بما يمكن مصر في اوائل الثمانينات (!) ان تبدأ توليد كميات اضافية من القوة الكهربائية» .

ان مقابل ذلك نص البيان المشترك الامريكي الاسرائيلي حرفيا على « كخطوة اولى وعاجلة ستعقد الولايات المتحدة واسرائيل اتفاقا مؤقتا خلال هذا الشهر — ! — تزود امريكا بمقتضاه اسرائيل بالوقود الذري » . أي ان ما سوف تقدمه امريكا بعد عشرة اعوام لمصر تقدمه هذا الشهر لاسرائيل . وعلى حد تعبير كيسنجر بعد عودته من هذه الرحلة ان « المسألة ستحتاج على الاقل الى ٧ سنوات يكون السلام خلالها قد تحقق » . فاذا لم يتحقق السلام — الامريكي — فمسألة المفاعل مجرد وعد .

الابعد من ذلك ان مجلة نيوزويك نشرت تعليقا على هذا النص ان فرنسا كانت قد عرضت على مصر تقديم مفاعل ذري في شهر مارس أي قبل زيارة نيكسون بشهرين ولكن عرضها قد رفض . بينما قبل العرض الامريكي وتحت اشراف امريكي . وهو ما كانت امريكا في عهد ايزنهاور تريد تحقيقه باقامة عدة مفاعلات ذرية في المنطقة تكون تحت الاشراف والتنسيق الامريكي الا ان عرضها رفض بسبب هذا الاشراف ولم يتحقق من خطة ايزنهاور الا بناء مفاعلين في اسرائيل . وقامت مصر ببناء مفاعل ذري بدون مساعدة او اشراف امريكي .

وبذلك تكون أمريكا قد وعدت بشيء يمكن الرجوع فيه بينما هي أعطت لاسرائيل ما لا يمكن استرجاعه منها مع ان الفارق سنوات طويلة ، والولايات المتحدة تعلم قبل غيرها

أن مصر ليست في حاجة ملحة الى توليد كهرباء عن طريق مفاعل ذري ولديها كهرباء السد العالي بدون استغلال كامل ومشروع كهرباء منخفض القطاره .

٤ — ان الولايات المتحدة سوف تقدم « اقصى مساهمة ممكنة » لمصر دعما لتعاونهما الاقتصادي بما يتمشى مع تفويضات الكونجرس . ومع ان النص مطاط لا التزام فيه الا أنه جاء بعد فقرة تنص على ان « الحكومتان وافقتا على تشجيع تكوين مجلس اقتصادي مشترك يضم ممثلين للقطاع الخاص من كل البلدين للتعاون » . ولما كانت امريكا تتبع النظام الرأسمالي وهي قلعته فهي ليست في حاجة الى تذكرة ان المجلس لممثلي القطاع الخاص لان كل نشاطها الاقتصادي قطاع خاص . وبذلك يكون النص مقصود به مصر بالذات وتكون امريكا بذلك قد حددت موقفها لاول مرة بوضوح وهو العمل مع القطاع الخاص . ولما كان القطاع العام في مصر هو المسيطر وهو الحاكم لاغلبية اقتصاديات الدولة فان المساعدة الامريكية في هذا المجال اما سوف تكون لمجال محدود وهو ما يعمل به القطاع الخاص او هو ضد القطاع العام بدعم القطاع الخاص لمنافسة القطاع العام اي لمنافسة البنيان الاساسي لاقتصاديات الدولة ، وكلا الاحتمالين يحتـــاج الى بحث ومناقشة .

وفي مواجهة ذلك نجد أن نيكسون قد تعهد لاسرائيل بتقديم المساعدات الاقتصادية وفق تخطيط طويل الامد بين الحكومتين . وتعهـــد بأن تواصل الولايات المتحدة وفقـــا لتفويض من الكونجرس تزويد اسرائيل بمساعـــدات اقتصادية كبيرة تكفي — وهنـــا التحديد — لتعويض النفقات الاحتياطية المترتبة عن استمرار ضمان القوة العسكـــرية الاسرائيلية .

٥ — وفي السعودية كان رد الرئيس نيكسون على كلمة الملك فيصل التي تحدث فيها عن تحرير القدس فقال « اننا نريد ان نقوم بدور مفيد ، ولكن لـــن يكون في امكاننـــا استخدام طريقة سحرية لتسوية جميع المشاكل » . ثم دعا الى تسوية مشاكل المنطقة « خطوة بعد اخرى » . وهو نفس المعنى تقريبا الذي قاله نيكسون في دمشق ، بأنه جاء وليس في جيبه مقترحات أو مشروعات .

وان اهم ما قاله نيكسون في السعودية في مؤتمر صحفي قبيل سفره ان الولايات المتحدة والسعودية تتحركان الآن نحو مرحلة من التعاون الوثيق **لم يسبق له مثيل في تاريخ علاقات البلدين ، وانه والملك استكشفا طرقا جديدة للتعاون الثنائي .**

وهي نقطة حيوية أخرى غير ان امريكا مستمرة على موقفها مـــن اسرائيل والتغير الوحيد هو زيادة الدعم والحماية لها هي . ان امريكا تعود من جديد الى ما سبق ان عرضه روجرز وزير خارجيتها السابق بأن يكون الحل على مراحل وعلى طريق الاتفاق الثنائي . وما رفض بالامس تنفذه السياسة الامريكية اليوم ، وفي الوقت الذي كان الجسر الجوي يحمل السلاح بلا حدود لاسرائيل وهي تحارب أبناء الامة العربية يعلن نيكسون ان العلاقات الامريكية السعودية في مرحلة تعاون لم يسبق له مثيل في تاريخ علاقات البلدين !..

والواضح ليس فقط ايجاد الحلول من خلال الاتفاقات الثنائية بل ووضع الحواجز والتناقضات بين الدول العربية ودعم التيار الذاتي في كل دولة عربية ، وتعميق الدعوات الانعزالية من خلال الوعود التي وزعها على الحكومات في المنطقة بهدف تعميق ودعم التناقض ومحاولة دفع كل منها في ان تتقوقع في مشاكلها الذاتية وتصوراتها الخاصة في غيبة عن تصور عربي شامل .

وذلك كله يزيد من حجم عدم الثقة في السياسة الامريكية ، فاذا ما اضيف لها تاريخ العلاقات العربية الامريكية لاكتملت كل مبررات العداء . ولست اظن ان تاريخ العلاقات العربية الامريكية في حاجة الى اعادة ، وهى التي مرت بمراحل لجأت فيها الى احتواء العرب ثم عقاب الرافضين للاحتواء ثم استعمال العنف الى حد الحرب . وتعود اليوم الى وسيلة مزدوجة من الاحتواء والعنف معا . ويمكن من خلال هذه المراحل ان نميز غزوات امريكية مميزة عن غزوة حلف بغداد بهدف احتواء الثورة العربية، انتهت بالفشل وبالتالي بالعنف ممثلا في سحب تمويل السد العالي والعدوان الثلاثي على مصر . والغزوة الثانية كانت تحت اسم « مبدأ ايزنهاور » وهو مبدأ الفراغ في المنطقة الذي تريد الحكومة الامريكية أن تشغله ، وانتهت الغزوة أيضا بالفشل وبالعنف بانقلاب داخلي في الاردن على الحكم الوطني واخراج سليمان النابلسي ، والتهديد بغزو سوريا ثم تحريك عملية الانفصال بقمة التآمر على الوحدة العربية مع التركيز على السعودية للقيام بدور الدعوة الى التجمع الاسلامي . ثم تبع ذلك غزوة ثالثة تحت راية الحلف الاسلامي قبل عدوان ١٩٦٧ بعامين . وتأتي اليوم الغزوة الامريكية الجديدة التي يقودها الرئيس نيكسون والدكتور هنري كيسنجر وزير الخارجية ، وهي من أكثر الغزوات الامريكية التي حققت مكاسب امريكية على حساب الحركة الوطنية العربية ، ووسط مظاهرة اعلامية مكثفة تضع الولايات المتحدة والرئيس الامريكي نيكسون في موقع المنقذ وكأن الولايات المتحدة لم تكن في يوم من الايام ولا زالت حتى هذه اللحظات ، وسوف تستمر في اعتقادي ، أكبر دعامة عسكرية وسياسية واقتصادية لاسرائيل . واذا كنت أقول انها من أكثر الغزوات الامريكية للشرق العربي نجاحا فيكفي ان نحدد أهداف السياسة الامريكية في المنطقة لندرك مدى نجاح الغزوة . فهي تهدف الى :

- الحصول على ضمان عربي لامن اسرائيل ، وقبول يحقق لها مستقبلا مستقرا مع تصفية الوجود الفلسطيني في اطار مقبول عربيا !..
- فتح المجالات امام الاستثمارات الامريكية بلا قيود مع ضمان استمرار تدفق البترول العربي بمعدلات متزايدة وبأسعار مقبولة امريكيا ، واستغلال الموارد الطبيعية العربية.
- مساندة ودعم القوى الرجعية العربية وتجميد حركة الثورة العربية وتعطيل فاعليتها .
- محاصرة الوجود السوفييتي ، طالما يتعذر طرده تماما من المنطقة — ولو مرحليا — كما اعترف كيسنجر بحيث يبقى الوجود السوفييتي جزيرة وسط بحر النفوذ الامريكي .
- عزل مصر عن العالم العربي او على الاقل تقليص دورها العربي مع دعم الدور السعودي القيادي فيه .

هذه هي الاهداف الاستراتيجية للسياسة الامريكية في الشرق العربي ، وهي الاهداف الثابتة بحكم أنها جزء من الاستراتيجية للتحرك الاستعماري الامريكي . وهي اهداف لا تتغير الا اذا تغيرت المصالح والاطار العام للعمل .

ويضاف الى الاهداف الاستراتيجية هدف طارىء وهو هدف شخصي مؤقت مرتبط بأزمة نيكسون . وأعني به أن نيكسون يبغي توظيف اي نجاح على طريق الاهداف الاستراتيجية الامريكية لتأمين بقائه رئيسا للولايات المتحدة المدة الباقية له دون محاكمة بسبب فضيحة ووترجيت . وان تصور ان دعم نيكسون في معركته ضد خصومه قد يجعله مدينا للعرب ، وبالتالي يقل انحيازه لاسرائيل هو تجاوز لما هو ممكن ، لان السياسة الامريكية لا يرسمها نيكسون وانما ترسمها دوائر هي في الواقع التي تريد اليوم محاكمته وترى فيه اسوأ رئيس امريكي واكثرهم التجاء للوسائل غير الاخلاقية . وبالتالي فدعم

نيكسون عربيا هو في نظر هذه الدوائر دعم للفساد والانحلال في امريكا نفسها . الا ان ذلك لا يمنع حقيقة ان نيكسون قد نجح فيما كان يتصور أنه معجزة وهو الحصول لامريكا على صداقة الحكومات العربية دون ان يؤثر ذلك على العلاقات الامريكية الاسرائيلية ، بل وعلى العكس تماما ، استمرت السياسة الامريكية في دعم اسرائيل .

ونصل من ذلك كله الى انه رغم العداء الامريكي للعرب ، واستمرار الاهداف الاستراتيجية الامريكية لاستعمار المنطقة والسيطرة على مقاليدها ، الا أنه ليس أمام العرب الا حتمية « التعامل » مع الولايات المتحدة . وهي حقيقة لا خلاف عليها ، ولا اعتراض .

والمطروح ليس هو رفض « التعامل » مع الولايات المتحدة وانما هو أخذ عدد من المحاذير موضع الاهتمام بل والتمسك بها ونحن نمضي خطوات طالت او قصرت على طريق التعامل مع نظام الحكم الامريكي . وأبرز هذه المحاذير هو :

١ — ان فتح الابواب للولايات المتحدة مع تناسي كل تاريخها معنا قد يعرض حقوق شعب فلسطين للخطر . ولست أريد أن أسبق الاحداث باقرار ان هذه الحقوق تتعرض اليوم بالفعل للخطر . وأبرز مثال على ذلك توصيف البيان المشترك الاسرائيلي الامريكي للحركة الوطنية الفلسطينية وقيادتها الممثلة في المقاومة بما قيل « عصابات » و«مرتزقة» و« ارهاب » .

وكان أكثر ما وعد به نيكسون هو تنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ الذي لا يحقق شيئا من حقوق شعب فلسطين الا في اطار انها قضية لاجئين . وهو ما تريد أمريكا ان تصل اليه من خلال التذويب الجسدي للشعب الفلسطيني على أرض لبنان بعد أن تم ذلك على أيدي الملك حسين في الاردن .

بل ان امريكا حتى في اطار الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي التي احتلتها بعدوان سنة ١٩٦٧ ما زالت تقف عند منطق جزء من الارض وليس كلها .. وقد وصل التحدي الامريكي للعرب الى حد ان سجل البيان المشترك مع اسرائيل ضمانا امريكيا لامن اسرائيل ، ولحدود آمنة لها . والصياغة بهذا الشكل تعني ان الحدود السابقة لم تكن حدودا آمنة ، وبالتالي يكون نيكسون قد أكد الخط الذي أعلنه رئيس وزراء اسرائيل الجديد في أول خطاب له أمام الكنيست بأن اسرائيل لا يمكن ان تعود الى حدود ١٩٦٧ .

ثم كيف يمكن أن يتحقق سلام عادل ودائم بينما اسرائيل لا تقبل حتى مجرد الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني ، ولا مناقشته الا من زاوية تعويض محدود للاجئين .

فان استطاعت الدول العربية المحافظة على حقوق شعب فلسطين وهي تمضي على طريق التعاون مع الولايات المتحدة ، فان أحدا لا يفكر في التشكيك في الاهداف الاستراتيجية الامريكية او عدم الثقة فيها .

٢ — ضرورة الحفاظ على البنيان الاساسي لكل تجربة عربية . فمؤكدا ان السماح للاستثمارات الاجنبية وخاصة الامريكية بالعمل في مجال البنوك والنقل العام والاسكان واستصلاح الاراضي والزراعة والتعليم يقضي على البنيان الاساسي لكل تجربة ، خاصة وان الولايات المتحدة سوف تتحرك من خلال دعم قطاع خاص . ومجرد ذلك سوف يثير الصراع الطبقي في المنطقة . فشريحة البورجوازية التي تعتمد عليها السياسة الامريكية تريد استعادة حقوقها التي ضاعت مع الاشتراكية ، وهي في عجلة من أمرها فان ذلك سوف يثير الطبقات الكادحة .

فان عادت الولايات المتحدة الى المنطقة العربيـــة دون أن يكون ثمـــن ذلك تفريغ الاشتراكية (التي نفذت في عدد من الدول) من مضمونها وتحويلها الى صورة كاريكاتورية مع تصفية القطاع العام وسط حملة اعلامية مضللة تقودها الاجهزة الاعلامية العميلة تحت أسماء عربية وبأقلام عربية « متأمركة » فكرا وسلوكا بضرب جوهر سياسة القطاع العام والخلط بين خطأ السلوك الفردي في التطبيق وخطأ فلسفة الاشتراكية نفسها . ان تحقق ذلك فليس هناك ضرر من التعامل مع الولايات المتحدة .

٣ ـــ الخوف من ان يكون التعامل الامريكي العربي مؤثرا على الخط المميز للتجربة العربية . فقد كان غريبا ان يتحدث نيكسون في القاهرة بتلميح هو اقرب الى التجريح الى شخص الزعيم جمال عبدالناصر ومع ذلك يجد الترحيب والقبول . وقد يكون لنا تحفظات على فترة حكم عبدالناصر ولكن أن يأتي النقد من الخارج ومن رئيس أمريكي بالذات فهو قطعا يعتبر تدخلا في الشؤون الداخلية للدول ، خاصة وان هذا التدخـــل ارتبط بظاهرة لا يستطيع أحد أن يجزم ان كانت مجرد مصادفة ام هي وليدة مخطط او نتيجة ضغط . وهي بروز عناصر اليمين الى مواقع العمل العربيـــة في معظم المجالات تقريبا . فان كان ذلك مصادفة فهي في صالح امريكا فان لم تكن لكان الامر خطيرا . خاصة وان هذه العناصر وأغلبها من المشهود لهم أنهم من أنشط « المتأمركين » حركة في الامة العربية يقومون بحملة ظالمة لتشويه كل ايجابيات التجربة العربية واخفاء كل سلبيات الاستعمار الامريكي مع العرب .

٤ ـــ الحفاظ على تيار الحركة الوطنية العربية دون ان يضرب لصالح اليمين والقوى الرجعية العربية . واهداف الحركة الوطنية العربية لا تخرج عن الاشتراكية والحرية والوحدة وان اختلفت في ترتيبها . وبالتالي فان دعم التيارات الذاتية والانعزالية في كل دولة هو ضرب لتيار الحركة الوطنية العربية . وضربها لا بد ان يكون في صالح الرجعية العربية أولا ثم في صالح الاستعمار الامريكي واسرائيل في النهاية . فان وجود قطع الاسطول الامريكي في الموانىء العربية ليس موازنة بين موسكو ووشنطن ، لان الامر ان كان خطأ وقع فيه الاتحاد السوفييتي ـــ وهو ليس موضوعنا ـــ فان معاقبته لا تكون بمنح تسهيلات للاسطول الامريكي في اي ميناء عربي وانما تكون بحرمانه من التسهيلات التي يحصل عليها ومساواته في الحرمان مع الاسطول الامريكي الذي كان ولا زال أداة دعم لاسرائيل لضرب الثورة العربية .

ووجود عناصر اليمين والمتأمركين في مواقع العمل الرئيسية في العالم العربي يعني بالحتم ابعاد العناصر الوطنية عن هذه المواقع وبالتالي تحريف المسيرة عـــن طريقها الصحيح لصالح المصالح الامريكية .

٥ ـــ ضمان حصول القوة الضاربة العربية على ما تحتاجه من السلاح وما يكفيها منه لمواجهة الدعم الامريكي الحربي لاسرائيل والذي وعد نيكسون ان يكون علـــى المدى الطويل .

والمعروف ان السلاح يمثل للقوات المسلحة « عقيدة » على حد تعبير العسكريين . وتغيير العقيدة لجيش يحتاج الى سنوات طويلة لا تقل عن ١٠ سنوات . ومصادر السلاح في العالم محدودة واي تغير في العقيدة لا بد ان يكون في اتجاه مصدر مضمون الاستمرار لما يزيد عن ضغط فترة استيعاب العقيدة الجديدة على كل مستويات الجيش اي جيش . ومؤكدا ان امريكا لن تكون هي مصدر السلاح للعرب وان اعطت فهي تقدم ما يعتبـــر متخلفا في مواجهة السلاح المقدم لاسرائيل . هذا الى جانب ان اعتماد التسليح العربي على امريكا مصدر السلاح الاساسي لاسرائيل يعرض الوجود العربي المستقل لخطـــر

الضياع . وتجربة السنوات العشر الماضية خير دليل ، بل وتجربة الاشهر الستة الماضية تكفي وتغني عن أي تعليق .

٦ ــ الحفاظ على الاصدقاء الذين وقفوا مع العرب في أشد الفترات توترا ومثال لهم فرنسا التي تعرضت لنكران عربي غريب أدى الى تغيير وزاري تدخل بعده القدر لينهي حكم انصار العرب وأصاب أهداف اوروبا المستقلة لصالح الذين يسعون لجعل أوربا ذيلا للولايات المتحدة . والغريب ان للعرب دورا في هذا التحول الذي سعت اليه الولايات المتحدة .

وبدون دخول في التفاصيل فان فتح الابواب للتعامل مع الولايات المتحدة لا يجب ان يكون على حساب الاصدقاء ويتكرر مثال فرنسا من جديد ، والا فقد العرب كل الاصدقاء ولن يبقى لهم الا الركوع امام الغزوة الامريكية .

هذه بعض المحاذير التي يجب ان نعمل بجدية وبصدق حتى لا يقع العرب فيها وهم يفتحون الابواب للامريكي القادم ، وحتى لا تتحول مكاسب اكتوبر وايجابياته الى مكاسب أمريكية وتضاف الى رصيد السلبيات العربية .

والواقع ان التعامل العربي الامريكي حتى مع الاخذ بهذه المحاذير سوف يتوقف كثيرا على ما سوف يحدث لنيكسون بسبب فضيحة ووترجيت . صحيح ان سياسات الدول وخاصة الكبرى لا تقوم على ارادة أفراد ولكن شخص رئيس الدولة يؤثر الى حد كبير في الشكل الذي توضع به هذه السياسة . ويبدو ان العرب قد قامروا بكل أوراقهم على حصان نيكسون وهو حتى الان الحصان الخاسر ، وان كانت مسألة محاكمته سوف تستغرق وقتا الا أنها واقعة لا مفر منها . وربما يكون الحل الوسط هو تأجيلها لبعض الوقت حتى قرب نهاية مدته . وبالتالي يكون خلالها طوع ارادة اصحاب القرار والمصالح في دوائر الحكم الامريكية .

فان ذلك يضيف بندا جديدا الى محاذير الطريق الا انه في نفس الوقت سوف يؤثر كثيرا على العرب انفسهم ويومها سوف يجد العرب الجواب على السؤال الذي طرحته الصحافة الامريكية هل السياسة الامريكية هي التي تغيرت ، أم السياسة العربية ؟

التحولات الاستراتيجية في الشرق الاوسط

هشام عبدالله

اعطت الخطوات السياسية التي تلت العمليات الحربية في تشرين الاول ١٩٧٣ ، الانطباع الخاطىء بان هناك تبدلا في سياسة الدول الكبرى ، خاصة الولايات المتحدة ، تجاه دول المنطقة . وان هناك تراجعا من جانب دول المنطقة فيما يتعلق بآمال الدول العربية ، واطماع اسرائيل . الا ان هذا الانطباع الذي عززته بعض الظروف السياسية والحملات الاعلامية ، لا يرتكز على اسس منطقية . فما اعتبر تبدلا في سياسات الدول صاحبة العلاقة في منطقة الشرق الاوسط ، ليس في الحقيقة الا اعادة تقييم لطرق العمل التي اتبعتها هذه الدول . وليست التنازلات او التراجعات سوى تكتيك مرحلي ريثما تتم بلورة سياسة اصح ، وايجاد ظروف انسب . ولا يمكن اعتباره تخليا عن الاهداف الاستراتيجية الاساسية .

ان الخطوط العامة للاستراتيجيات في منطقة الشرق الاوسط ما زالت كما هي . فالكيان الاسرائيلي ما زال قائما يوطد اركانه ويسعى لاستجلاب مزيد من المهاجرين . وما زالت الولايات المتحدة عصب حياة اسرائيل السياسية والاقتصادية والعسكرية . ولا تستطيع الدول العربية من جهة اخرى التخلي عن حقوقها المشروعة في اراضيها ، ولا تسمح شروط اللعبة السياسية الدولية للاتحاد السوفياتي بترك الولايات المتحدة تنفرد بالمنطقة .

وتنبع صعوبة تبديل خطوط هذه الاستراتيجيات من عدة عوامل . فسياسة التوازن، التي اكتشفتها بريطانيا في اوائل عصر النهضة ، ما زالت تفرض نفسها بقوة في المنطقة. وهذه السياسة ، التي اصبح لها اليوم مواصفات تختلف كثيرا عن تلك التي ابتدعها البريطانيون قبل عدة قرون ، تخيم عليها ظلال « الوفاق الدولي » . وهي لم تعد مجرد توازن في القوى بين دولتين متجاورتين او متنافستين . بل هي نتاج لمعادلة معقدة تدخل فيها مصالح الدول الصغرى وحقوقها وامالها . ومصالح الدول الكبرى واطماعها ومراميها . وبعد ان فرض « الرعب النووي » توازنا محكما يصعب على الدول الكبرى تجاوزه ، اصبحت لعبة التوازن ضمام امان ومتنفس يحافظ على الوفاق الدولي بابقاء الصراعات محصورة بالصغار دون ان يكتوي بنارها الكبار. كما ان هذه الاستراتيجيات قد فرضتها احداث ضخمة ومصالح كبيرة ، شديدة التباين . وهي استراتيجيات ديناميكية وضعت كل واحدة للرد على الاستراتيجية الاخرى المناهضة . ويفتقر واضعوها الى الثقة في اهداف الاطراف الاخرى المعلنة او غير المعلنة . وفي الاعتقاد بحسن نواياها .

الاستراتيجية الاسرائيلية والمنطق الصهيوني

كانت السياسة الاسرائيلية أكثر سياسات المنطقة تأثرا بحرب تشرين الاول ، الا انها كانت اقلها تبدلا نتيجة لها . فقد انعكست الحرب على الاستراتيجية الاسرائيلية فزادتها تحجرا ، وعلى العقلية الصهيونية فزادتها تطرفا . فبعد التمثيلية الطويلة التي رافقت وصول رابين ، ذي الاتجاه الامريكي ، الى الحكم ، اعتقد الكثيرون بان اسرائيل مقبلة على تغيرات جذرية في سياستها . وثبت هذا الاعتقاد المظاهر الخادعة لتبدل الموقف الامريكي . الا ان هذا التفاؤل لم يكن في محله . فقد اتبعت اسرائيل الخطوات ذاتها التي كانت ستتبعها أية حكومة مهما كانت متطرفة . وكانت خطوات العمل متشابهة مع خطوات الحكومات السابقة ومنسجمة معها. فلم يكد حبر اتفاقية الفصل بين القوات يجف حتى شنت الطائرات الاسرائيلية سلسلة من الهجمات الارهابية على اضعف حلقة في المعسكر العربي (مخيمات اللاجئين في لبنان) فاعادت الى الذاكرة الهجمات الاسرائيلية على القرى العربية في قبية ونحالين وقلقيلية في الخمسينات . وكان من الخطأ الاعتقاد بان سياسة اسرائيل الماضية هي نتيجة تصورات شخصية بحتة للقيادة الاسرائيلية السابقة . صحيح ان التقييمات الشخصية مرتبطة الى حد ما بالقرارات المتخذة . الا أن العامل المؤثر الاكبر في تحديد اية سياسة يبقى المحصلة الناتجة عن اماني اي بلد وطموحاته او اطماعه ، وامكانية تحقيقها على ضوء امكانات الدول ، مقارنة بامكانيات الخصم ، مع أخذ الوضع الدولي ، ووضع البلد الداخلي والنفسي بعين الاعتبار . وعناصر هذه السياسة لم تتغير وان كانت قد اهتزت نتيجة للحرب ، الا ان اهتزازها هذا زاد تشبث الاسرائيليين بها . وهكذا كان لتبدل الاشخاص اثر بسيط على تبدل السياسة الاسرائيلية . والحقيقة ان من الصعب حدوث اي تغيير، ان لم تتغير القنوات السياسية الاصلية التي حفرتها الاماني ، او الاطماع ، والقدرات والامكانات .

فهل طرأ أي تبدل حقيقي على مجرى السياسة الاسرائيلية ؟ تشمل الاجابة على هذا السؤال عدة نواح عقائدية ، واستراتيجية. وقبل الخوض في الحديث عن هذه النواحي، لا بد من الاشارة الى ان الحرب اثرت على ميزان القوى ، او هي اعطت العرب ثقلا اخر في منطقة الشرق الاوسط وفي العالم . وهذا الثقل الجديد هو الذي ادى الى التراجع الاسرائيلي عن بعض مغانم حرب حزيران ١٩٦٧ . وهو الذي تسعى اسرائيل والسياسة الامريكية الى موازنته . وذلك واضح من تصريحات وزير الدفاع الامريكي الذي قال « ان الولايات المتحدة ستواصل المحافظة على ميزان القوى في الشرق الاوسط »(١). وغني عن القول أن ميزان القوى لا يشمل فقط القوة العسكرية . ومن جهة اخرى فان لدى الاسرائيليين « قناعة مطلقة بان الشيء الوحيد الذي يحول بينهم وبين دمار دولتهم هو الجيش »(٢). اي القوة المادية القادرة على صد القوة العربية والمحافظة على غنائم اسرائيل . ولذلك لا يمكنهم ان يحتملوا اي اختلال في هذا الميزان. وكان من الطبيعي ازاء هذا الوضع ان ترتد اسرائيل الى الاصول التي بنيت عليها . وان تزداد السياسة الاسرائيلية تصلبا . لان اي تهاون معناه الدمار . وكان من الطبيعي ايضا ان ينعكس كل ذلك على طرق العمل الاسرائيلية ، اولا بتأكيد الفكرة الصهيونية ، وحق اليهود في وطن قومي لهم ، والتشبث بمنطق الغزاة . ففي لقاء مع صحافيين امريكيين تحدث وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيرس عن « الجانب الاخلاقي » من القضية الفلسطينية قال « **صحيح ان العديد من السكان العرب غادروا هذه المنطقة ، الا أنه ليس بالامكان المبادرة بالحرب، ثم تطلب بعد أن تنهزم التعويض من المنتصر** » . ثم اضاف « **ان الجانب الاخلاقي من هذه القضية هو هل يحق للشعب اليهودي ان يكون**

له بلد في العالم ؟ ليس لكونه يحب الاستقلال ، فهذا بحد ذاتـــه ليس بجرم ، ولكن لان الشعب اليهودي متعب من البقاء في المهجر ، فهذه هي القضية الاخلاقية الاساسية »(٣)
ويقترن هذا المنطق بجهود صهيونية ضخمة من اجل السماح بهجرة اليهود « المضطهدين، لكونهم يهودا ، في كل مكان من العالم »(٤) كما قال رابين . وتنشيط مشاريع الاستيطان، ولقد صرح شارون « ان الدولة لم تفعل ما يكفي في مجال الاستيطان خلال السنـــوات السبع منذ حرب الايام الستة »(٥) ودعا الى اقامة مستوطنات جديدة في المناطق المحتلة، والى تدعيم المستوطنات الحالية .

اما الخطوة الثانية فهي القضاء على كل سلبيات حرب تشرين الاول ، وتصفية كل الاثار التي خلفتها ، وذلك بايقاف « التنازلات » عند الحد الذي وصلت اليه ، ورفض الانسحاب من باقي الاراضي المحتلة او العودة الى خطوط عام ١٩٦٧ ، لان ذلك هـــو « بمثابة الدعوة الى كارثة »(٦) حسب تعبير وزير خارجية اسرائيل ييغال الون . « ولان هذه الخطوط ليست حدودا يمكن الدفاع عنها ، وهي تشكل اغراء للعدوان كما ثبت من الماضي »(٧) حسب تأكيد رابين . او في الاشارة الى ان خطوط وقف اطلاق النار هـــي خطوط نهائية ، ودق نفير الحرب لان « هناك احتمال معقول في ان يعتبر السوريون فك ارتباط القوات بمثابة وقف اطلاق نار مؤقت »(٨). وهذه التصريحات وان كانت كمـــا يعتقد البعض للاستهلاك المحلي ، فهي في الحقيقة جزء من تكتيك اسرائيـــل ، واحـــد اعمدة سياستها العامة التي يوضحها بـــيرس بقوله « ان وجهـــة نظـــر العرب من المفاوضات متقلبة ، فهم يريدون ان يحققوا عن طريق المفاوضات الامور التي لم ينجحوا في تحقيقها بواسطة القتال »(٩). وتفسير هذا القول معنـــاه انه ان لم ينجح العرب في الحصول على ما يريدون عن طريق الحرب ، فلماذا نتخلى عنه عن طريق المفاوضات ؟ ومن هنا نرى ان الحصول على اية مكتسبات من مفاوضات جنيف يبدو بعيد المنـــال ، خاصة وان شليسنجر وزير الدفاع الامريكي قد ابـــدى « تفهما » للموقف الاسرائيلي واشار الى انه « يؤيد حصول اسرائيل على مساعدات عسكرية لمجابهة الاخطار التي قد تواجهها ولكي تستطيع اجراء مفاوضات وهي في وضع مريح »(١٠). والحقيقـــة ان حصول اسرائيل على هذه المساعدات قبل الشروع في المفاوضات ، يضعف حتى مـــن تأثير الولايات المتحدة على اسرائيل ، ويقلل من امكانية الضغط عليها ، بل انه يعني بحد ذاته انها لا تنوي الضغط على اسرائيل .

وتقضي هذه الخطوة كذلك باسترداد مكانة اسرائيل الدولية ، عن طريق اقنـــاع الزعماء الاوروبيين « بان موقفهم المحابي للعرب لم يعد عليهم بأية فائدة ، وامامهـــم النموذج الامريكي ، فالولايات المتحدة دعمت اسرائيل بصورة كبيرة ودون اية قيود ، وقامت بتزويد اسرائيل بالاسلحة ، وهي بالذات التي قامت بفتح الطريق الى القاهرة ودمشق »(١١). وقد تكررت هذه المقولة اكثر من مـــرة ، وفي عـــدة مناسبات .

وتأتي اهمية عزلة اسرائيل ، التي كان للسياسة النفطية العربية الاثر الاكبر فيها ، من ان الدول الاوروبية قد بدأت تتقبل وجهة النظر العربية ، وهذا التقبل ادى الى بروز حقوق الفلسطينيين كقضية لها حدود وابعاد ، حتى في الولايات المتحدة . وهو الامر الذي اعتبرته اسرائيل « تحديا بارزا للاعـــلام السياسي الاسرائيلـــي في الولايـــات المتحدة »(١٢). وقد لا تستطيع اسرائيل على المدى القريب طمس معالم هذه القضية ، او ردم الفارق بين تساؤل غولدا مائير القديم « أين هم الفلســـطينيون اني لا اراهم » . وصراحة جريدة شعاريم الصهيونية عندما تقول « يتوجب علينا ان نوضح للامريكيين انه ليس باستطاعتنا الموافقة على الاعتراف بالفلسطينيين ، فحتى المعتدلون من بينهم يصرحون بان هدفهم هو ابادة دولة اسرائيل »(١٣). الا ان بامكانهم دون شك طـــرح

الموضوع في لجة المشاريع المختلفة لحل هذه القضية . والتفسيرات المتعددة حول « حقوق » الفلسطينيين المشروعة ، او « المصالح » المشروعة ، كتدبير مرحلي لطمس معالم هذه القضية من جديد .

التوازن العسكري

عشية حرب الايام الستة اطلق موشيه شامير صرخة تعبر عما يعتقده كل اسرائيلي حين قال « **بيننا وبين الموت يقف زاحال وزاحال فقط** »(١٤). واهمية قوة اسرائيل العسكرية ، تتضاءل امامها كل الاعتبارات الاخرى . ولم توفر اسرائيل جهدا ، لا في السابق ولا اليوم ، في الاهتمام بالجيش وخلق المبررات لتقويته وتطويره . وليس هناك في الحقيقة اي تغيير بالنسبة لسياسة الحكومة الاسرائيلية تجاه الجيش . أو حول ضرورة بقائه قويا ، او في وجوب حصوله على احدث المعدات . او حتى في المبررات التي يطلقها الزعماء الاسرائيليون بخصوص ذلك . فتصريح شمعون بيرس القائل بأن « الدول العربية ستنفق في الاعوام العشرة المقبلة ٣٠ مليار دولار لشراء الاسلحة ، وسيصبح عدد الجنود في الجيوش العربية نحو ١ر٥ مليون جندي »(١٥). هذا التصريح الذي لا يأخذ في اعتباره حجم القوات التي قد تشارك في اي حرب ضد اسرائيل ، لا يختلف في جوهره كثيرا عن قول زئيف شيف « في أعقاب تزود الدول العربية بمئات طائرات الميغ والسوخوي والتوبوليف كان ميزان القوى العددي مايلي ، طائرات مقاتلة ، لدى العرب ٣ر٥ ضعف ما لدى اسرائيل »(١٦) والمقولات الاسرائيلية الرئيسية التي شاعت قبل حرب تشرين الاول ، من ان اسرائيل القوية هي الضمانة الوحيدة للسلام ، لا تبتعد كثيرا عن تصريح الون القائل « آمل ان تكون الولايات المتحدة قد تعلمت من عبر الماضي ، وايقنت انه لا يوجد تناقض بين وجود اسرائيل وبقائها **قوية** ديمقراطية ، وبين المصالح الامريكية »(١٧). ولقد اتخذت هذه الحجج كذريعة لمضاعفة النفقات العسكرية ، التي ستبلغ ٧ر٥ مليارات من الدولارات خلال السنوات الخمس المقبلة . كمحاولة لتعديل ميزان القوى في الشرق الاوسط الذي اختل بسبب بروز عناصر جديدة لم تأخذها الاستراتيجية الاسرائيلية في الحسبان . فقد عوضت الولايات المتحدة اسرائيل عن كل ما فقدته من اسلحة ومعدات خلال حرب تشرين الاول ، الا ان ذلك لم يكن كافيا . فالتقديرات السابقة للقوة العربية بنيت على اساس ان العرب ليسوا جنودا محاربين ، وانهم غير قادرين على استخدام الاسلحة والمعدات الحديثة الموجود في أيديهم ، لاسباب « حضارية » . ثم ظهر عكس ذلك على مسارح العمليات . واقتضى هذا العامل الجديد تعديل الموازين ، وضبط الحسابات على اساس المعطيات الجديدة . ونظرا لعدم امكانية ضبط الامور عن طريق زيادة حجم القوة الاسرائيلية ، بعد ان بلغت التعبئة لديها حدها الاقصى ، فقد تركزت الجهود عند تحسين نوعية قوتها المسلحة ورفع مستوى قوتها النارية ، وحركيتها وتزويدها بمعدات متفوقة ومتطورة .

وشملت برامج تسليح الجيش الاسرائيلي بعد الحرب ، الحصول على ذخائر متطورة . والسعي للحصول على طائرات هيليكوبتر مسلحة من طراز كوبرا . وبعد ان فقد الطيران الاسرائيلي جزءا كبيرا من تفوقه عمدت اسرائيل الى تقوية دفاعها الجوي فحصلت على صواريخ من طراز شابرال ، ومدافع مضادة للطائرات من طراز فولكان . وهذه الاسلحة مخصصة لمجابهة الطائرات التي تحلق على ارتفاعات متوسطة . كما طلبت من الولايات المتحدة طائرات من طراز « ف ـ ١٤ تومكات » ، الباهظة الثمن وقد وافقت الادارة الامريكية على تزويد اسرائيل بها(١٨).

سباق التسلح

فرضت الخطوات سابقة الذكر سباق تسليح جديد في المنطقة . او بعبارة اصح مددت سباق التسلح القديم . وقد بدأ سباق التسلح الاخير عمليا قبل نهاية الحرب الرابعة بقليل ، حين زودت الولايات المتحدة اسرائيل بصواريخ « تاو » وصواريخ توجه تلفزيونيا من طراز « ما فريك » . وحين تمادت اسرائيل في قصف المدن المصرية ، حصلت القاهرة على صواريخ بعيدة المدى من طراز سكاد في فترة حرب الاستنزاف المصرية التي تلت حرب تشرين الاول ، لتهديد المدن الاسرائيلية . واثناء حرب الاستنزاف السورية ، أو حرب الجولان وجبل الشيخ ، تحدثت المصادر الامريكية عن احتمال حصول سورية على طائرات من طراز ميغ ٢٣ ذات الاجنحة المتحركة . ثم تأكد ذلك حين اعلن وزير الدفاع الامريكي شليسنجر ان الاتحاد السوفياتي قد زود سورية بطائرات من طراز ميغ ٢٣(١٩). وذلك تمهيدا للموافقة على تزويد اسرائيل بطائرات من طراز « ف — ١٤ تومكات » ويشير هذا الى ان لعبة شد الحبل بين دول منطقة الشرق الاوسط ، التي تشرف عليها الدولتان الاعظمان ، مستمرة كالسابق فليس هناك « تخليا عن المبدأ الاخلاقي الامريكي فيما يتعلق بتوازن القوى في المنطقة »(٢٠) ، ولكن هناك على العكس استمرارا لهذا المبدأ . خاصة وان العمل السياسي الدولي لم يتوصل بعد الى صيغة تدعم موقف أية دولة ، او تردع أية دولة دون احداث توازن في القوى .

واستمرار سباق التسلح كما في السابق يعني ان الاوضاع لن تختلف كثيرا ، وان استراتيجيات المنطقة ستستمر في السير في قنواتها المعتادة . فهو سيحرم دول المنطقة من جني ثمار السلام ، وتحويل جزء من ميزانيات الدفاع الضخمة الى مشاريع التنمية. والواقع ان ميزانيات الدفاع ستتضاعف ، طبقا لاصول سياسة التوازن . فاذا كانت اسرائيل قد ضاعفت ميزانيتها العسكرية فسوف تجد الدول العربية المجاورة لزاما عليها زيادة موازناتها لمجابهة الاعباء الدفاعية التي فرضت عليها . ومن جهة اخرى فان حصول اسرائيل على طائرات من طراز « تومكات » سيجبر مصر على الحصول على طائرات موازية لها ، وهذا بحد ذاته سيكرس استقطاب دول المنطقة ، واعتمادها على مصادر تسليحها الاصلية . وهذا الاستقطاب تفرضه الظروف الموضوعية لا القناعات الشخصية .

وسباق التسلح هو وسيلة الدول الكبرى للبقاء في المنطقة والمحافظة على مصالحها . وقد يبدو القول « بان على الولايات المتحدة ان تؤيد العرب لان مصالحها الحقيقية مع العرب ، على حين تشكل اسرائيل عبئا ثقيلا عليها » صحيحا لاول وهلة . الا انه ليس كذلك في المنظور السياسي الاستعماري الذي يعتقد ان المصالح تؤمن بشكل افضل بوجود قواعد اجنبية ، او كلاب حراسة استعمارية . وليس بعلاقات متكافئة بين الدول . لان العلاقات المتكافئة تفترض تبادلا للمصالح يقوم على اسس سليمة ، وليس على النهب والمبادلات التي لا تعود على الدولة النامية باي نفع حقيقي .

الالتزام الامريكي

على ضوء ما تقدم لم يكن مستغربا ان يكرر الرئيس نيكسون « التزام الولايات المتحدة بضمان امن اسرائيل للمدى البعيد »(٢١) وذلك رغم « الاختلافات العميقة في وجهات النظر بين اسرائيل والولايات المتحدة في مواضيع المناطق والحدود الامنة ، والفلسطينيين ، وشكل اجراء المفاوضات مع الدول العربية »(٢٢) الا ان هذه تبقى خلافات تقنية لا استراتيجية . فقد ازداد حجم الالتزام الامريكي تجاه اسرائيل زيادة لم

يسبق لها مثيل . وقد لخص رابين المجالات التي تحتاج فيها اسرائيل لمساعدة الولايات المتحدة بما يلي : « اولا ، مقدرة على الدفاع الذاتي . ثانيا ، المساعدات المالية . ثالثا ، ردع التحرك السوفياتي في المنطقة . رابعا ، المساعدة السياسية في الحلبة الدولية . خامسا ، مساعدة اسرائيل في مهمتها كدولة يهودية »(٢٣) . فاي تغير طرأ على سياسة الولايات المتحدة تجاه حاجات اسرائيل التي ذكرها رابين ؟

في مجال الدفاع ، تعتبر الولايات المتحدة المصدر الاساسي والمركزي لتأمين الاسلحة لاسرائيل . استنادا الى التزام الولايات المتحدة بالمحافظة على ميزان القوى في الشرق الاوسط . وفي السنوات الاربع الاخيرة حصلت اسرائيل على ٤ مليارات دولار من الولايات المتحدة كمساعدة لحاجات الامن(٢٤) . وذكرت جريدة واشنطن بوست « ان اسرائيل طلبت مساعدات عسكرية بقيمة ٧ر٥ مليار دولار خلال السنوات الخمس القادمة »(٢٥) .

اما في مجال المساعدات الاقتصادية الاخرى فيكفي ذكر رأي الاقتصادي الاسرائيلي جولومب حين تحدث في ندوة اذاعية قال فيها « اعتقد أن عجزا بقيمة ٣ مليارات دولار يحتم علينا السعي للحصول على مساعدة من الولايات المتحدة ، كما يتوجب علينا ان يكون تحركنا السياسي ملائما لوضعنا الاقتصادي ، لانه اذا توقفت الولايات المتحدة عن الدفع فهذا يعني ان اقتصاد الدولة سينهار كليا »(٢٦) فاسرائيل تحصل على مساعدات اقتصادية امريكية في كافة المجالات . وكانت « تحصل على نحو ٢٠٠ مليون دولار سنويا توزع على مجالات الاسكان ، واستيعاب يهود الاتحاد السوفياتي ، وتمويل صفقات شراء الاغذية ، وقد طلبت اسرائيل مضاعفة هذه المساعدات ، وجعلها تصل الى نصف مليار دولار »(٢٧) . يضاف الى ما تقدم المساعدة التي حصلت عليها بعد حرب تشرين الاول مباشرة وقيمتها ٢ر٢ مليار دولار . هذا بالاضافة الى تشجيع مبادرات الشركات الامريكية في الاستثمارات الخاصة التي من شأنها زيادة الدعم الاقتصادي لاسرائيل .

اما بالنسبة لردع التحرك السوفياتي في المنطقة ، والمساعدة السياسية في الحلبة الدولية . فليس لهما حدود نظرا لانهما ينسجمان مع مصلحة الولايات المتحدة ، التي فعلت الشيء الكثير لتعزيز موقفها في المنطقة وعزل السوفيات منها . اما الدعم السياسي ، فان الولايات المتحدة التي لم تبخل قط بالدعم المادي لاسرائيل فهي لن تبخل حتما بالدعم السياسي . وقد اكد نيكسون اكثر من مرة « ان رغبة الولايات المتحدة بتحسين العلاقات مع الدول العربية لن تؤثر باي حال على صداقة اسرائيل او تأييدها »(٢٨) . وذهب نيكسون الى ابعد من ذلك حين اشار « الى ان السوفيات فهموا جيدا ان جو الوفاق لن يستمر على حساب الاصدقاء التقليديين للولايات المتحدة »(٢٩) . وفي مجال الهجرة تعهد الرئيس نيكسون في البيان الامريكي الاسرائيلي المشترك « بأن تستمر حكومته بالعمل بجميع الوسائل الممكنة لكي تنفذ المبادىء الانسانية الواردة في معاهدة حقوق الانسان ، في جميع الدول »(٣٠) مشيرا بذلك الى حق المواطنين اليهود السوفيات في الهجرة .

يتضح من مقارنة مطالب رابين ، بالبيان الامريكي — الاسرائيلي المشترك وبالخطوات العملية التي اتبعتها الولايات المتحدة في دعم اسرائيل ان حجم الالتزام الامريكي تجاه اسرائيل قد زاد عما كان عليه قبل حرب تشرين الاول ، وهو لم يختلف حتى فيما يتعلق بالقدس، التي كان لزيارة نيكسون لها، واقامته، واجرائه للمحادثات فيها ، دلالة واضحة . وهكذا فان مصير سياسة الولايات المتحدة الحالية « المتوازنة » لن يكون

افضل من مصير سياستها المتوازنة في الخمسينات . وان كانت هذه السياسة قد نجحت على المدى القصير . فان طريقها المستقبلي محفوف بالمخاطر .

الموقف العربي

بعد توقيع البيان المصري ـ الاميركي المشترك صرح الرئيس انور السادات قائلا « ان ارادتنا وحدها ليست كافية لصنع السلام ، وانما لا بد ان يدعمها ايمان جميع الاطراف بان ما وقع في ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ، قد انهى الى غير رجعة وهم امكان تحقيق السلام في المنطقة بقوة السلاح ، او غرض الارادة ، وبقدر ما تترسخ القناعة عند جميع الاطراف فاننا نقترب من احلال السلام »(٢١) وهذا القول بالاضافة الى الموقف العربي الذي ما زال متمسكا بضرورة انسحاب الاسرائيليين من كافة الاراضي المحتلة، واستعادة حقوق الفلسطينيين . يشكلان معا الاستراتيجية العربية ، وطريقة العمل للمرحلة المقبلة . فالاستراتيجية العربية في خطها العام ما زالت متصلبة ومتمسكة بمطالبها العادلة . الا انها ترى ضرورة اعطاء الاطراف الاخرى الفرصة لابداء حسن نيتها . وكون الاستراتيجية العربية ملزمة بالرد على الاستراتيجيات الاخرى المناهضة، التي لم تخرج عن خطها القديم ، يجعل من المحتم استمرارها على خطها السابق .

والمعادلة الصعبة التي وضعتها صحيفة يديعوت احرونوت حول موضوع مستقبل السلم في المنطقة والتي تقول « ان الافتراض الاساسي في هذه المرحلة هو ان البلاد العربية لن تكتفي باقل من انسحاب كامل من جميع المناطق التي احتلت في حرب ١٩٦٧ . ولكن اي حكومة مهما كانت حمائمية لا تستطيع التخلي عن المناطق بكاملها »(٢٢) تجعل استمرار كافة الاطراف في استراتيجيتها الماضية امرا محتما . فاذا اضفنا الى ما تقدم حاجة اسرائيل الى الحرب ، لان السلم لا يخدم مصالحها على المدى البعيد ، تصورنا بوضوح ان من الصعب ان تقف اسرائيل مكتوفة الايدي امام تحولات الدول العربية الاقتصادية والسياسية . فهل ستترك الدول العربية المجاورة تزداد قوة وغنى وتطورا دون ان تحرك ساكنا ، وهي تعلم ان ترك الدول العربية وشأنها سيقلب حتما ميزان القوى العربي الاسرائيلي بعد عشرين او ثلاثين عاما ؟

مما تقدم تظهر صعوبة حدوث اي تحول او تغير في استراتيجيات الدول صاحبة العلاقة في المنطقة . فاذا اضفنا الى ذلك ان في العالم ١٤ مليون يهودي « تعبوا من البقاء في المهجر » حسب تعبير وزير الدفاع الاسرائيلي ، تسعى اسرائيل « لاراحتهم » في الاراضي العربية . وعمق المأساة الفلسطينية وشرعية حقوق اللاجئين ، وحق الدول العربية في اراضيها ، وجدنا ان وجهات نظر دول الشرق الاوسط مختلفة تماما . ومن جهة اخرى فان قيام اسرائيل والصراع الذي نتج عنه قد اعطى الدول العظمى مركزا كبيرا ، وخلق لها تواجدا شرعيا في المنطقة ، من الصعب تخليها عنه .

---

١ ـ ر. ا. ا. ، ١٩٧٤/٦/٢٦ .

٢ ـ E.B. Glick, *Between Israel and Death*, stacpole books Pensylvania, p. 13.

٣ ـ ر. ا. ا ، ١٩٧٤/٦/١٢ .

٤ ـ ر. ا. ا. ، ١٩٧٤/٦/١٧ .

٥ ـ ر. ا. ا ، ١٩٧٤/٦/٢٨ .

٦ ـ ر. ا. ا ، ١٩٧٤/٧/٥ .

٧ ـ معاريف ١٩٧٤/٦/٤ .

٨ ـ ر. ا. ا ، ١٩٧٤/٦/٢٧ .

٩ ـ ر. ا. ا ، ١٩٧٤/٦/٢٠ .

١٠ ـ ر. ا. ا ، ١٩٧٤/٦/٢٦ .

١١ ـ ر. ا. ا ، ١٩٧٤/٧/١ .

١٢ ـ ر. ا. ا ، ١٩٧٤/٦/١٨ .

١٣ ـ صحيفة **شعاريم** ١٩٧٤/٦/٢٧ .

١٤ ـ E.B. Glick, *Between Israel and Death*, p. 22.

١٥ — ر. أ. أ ، ١٩٧٤/٦/٢٠ .
١٦ — ملحق هآرتس ، ١٩٧٢/٤/١٤ .
١٧ — ر. أ. أ ، ١٩٧٤/٦/١٥ .
١٨ — **المحرر** اللبنانية ، ١٩٧٤/٧/٨ .
١٩ — **رويتر** ، ١٩٧٤/٦/٢٦ .
٢٠ — **معاريف** ، ١٩٧٤/٦/١٩ .
٢١ — ر. أ. أ ، ١٩٧٤/٦/١٧ .
٢٢ — **معاريف** ، ١٩٧٤/٦/١٨ .
٢٣ — ر. أ. أ ، ١٩٧٤/٦/١٧ .
٢٤ — **المصدر السابق** .
٢٥ — **واشنطن بوست** ، ١٩٧٤/٦/٢٦ .
٢٦ — ر. أ. أ ، ١٩٧٤/٦/٢٩ .
٢٧ — ر. أ. أ ، ١٩٧٤/٦/٢٨ .
٢٨ — ر. أ. أ ، ١٩٧٤/٦/١٧ .
٢٩ — ر. أ. أ ، ١٩٧٤/٧/٤ .
٣٠ — ر. أ. أ ، ١٩٧٤/٦/١٧ .
٣١ — **وكالات الانباء** ، ١٩٧٤/٦/١٤ .
٣٢ — **يديعوت احرونوت** ، ١٩٧٤/٦/١٨ .

صدر عن مركز الابحاث كتاب

أسلحـــة الجيش الاسرائيلي

بقلم هشام عبدالله

٩٢ صفحة من المعلومات العسكرية الدقيقة المدعومة بالصور عن جميع أنواع أسلحـــة الجيش الاسرائيلي .

سعر النسخة ٥ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد الجوي ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١ ل.ل. في اوروبا ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

أطلب نسختك من مركز الابحاث ــ ص.ب ١٦٩١ بيروت ــ لبنان

مخيمات الفلسطينيين
« نظرة سوسيولوجية »

باسم سرحان

لا يرتكز هذا المقال السوسيولوجي على اية دراسة تجريبية وموضوعية لمخيمات الفلسطينيين ، لان دراسة شاملة كهذه غير متوافرة . فالمخيمات الفلسطينية لم تدرس علميا ، ولكن جرت مؤخرا دراسة علمية لمخيم « تل الزعتر » في لبنان قام بها الباحث هاني مندس* بتكليف من مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية . وهذه الدراسة تدرس جانبا اساسيا من المخيم وهو وضع العمل والعمال فيه . كما ان هناك مصدرين احصائيين اساسيين حول المخيمات هما : احصاءات وكالة الغوث التابعة للامم المتحدة (الاونروا) ، واحصاء للقوى العاملة على اساس العينة قامت به مديرية الاحصاء في وزارة التصميم اللبنانية في صيف عام ١٩٧١ (ولم ينشر هذا الاحصاء حتى اليوم) . وسوف نعتمد اعتمادا كبيرا على هذين المصدرين اثناء بحث التوزيع السكاني وجوانب اخرى من حالة المخيمات . ونجد ان من الضروري الاشارة في مستهل المقال الى تحفظنا الشديد حول الاحصاء اللبناني ، الذي يشتمل على درجة عالية من الخطأ الاحصائي في حجم العينة وطريقة اختيارها . ولكن هذا الاحصاء يبقى المصدر الوحيد الذي يعطي صورة عامة او مؤشرا عاما حول وضع مخيمات الفلسطينيين .

وسنتناول في هذا المقال المواضيع التالية : الاوضاع العامة ، الوضع السكاني ، التعليم ، الحالة الاقتصادية ، التركيب الاجتماعي والحياة الاجتماعية ، الحياة السياسية ، والتغير الاجتماعي . وسوف يعتمد القدر الكبير من بحثنا على الملاحظة المباشرة وغير المباشرة المبنية على معرفة واحتكاك بالمخيمات فترة سنوات عديدة . وسوف يقتصر حديثنا على مخيمات الفلسطينيين في لبنان ، ولكن من المعروف ان الاوضاع المادية والاجتماعية في هذه المخيمات لا تختلف كثيرا عنها في مخيمات غزة وسوريا والضفة الغربية والاردن . وهناك تفاوت بسيط في الاوضاع الحسية للمخيمات في الاقطار المضيفة ، في امور كالمساكن ، والمساحات المتوفرة ، والتجهيزات مثلا . وفي هذا المجال تأتي مخيمات لبنان والضفة الغربية في المحل الاول ، وتليها مخيمات سوريا والاردن ، ثم مخيمات غزة .

الاوضاع العامة

لقد اقيمت مخيمات الفلسطينيين في لبنان اما على قطع محدودة من الارض او على المعسكرات التي هجرها الجيش الفرنسي . وقد كانت اوضاع المخيمات في غاية

* هاني مندس ، **العمل والعمال في المخيم الفلسطيني ، بحث ميداني عن مخيم تل الزعتر** ، مركز الابحاث الفلسطيني ، ١٩٧٤ .

السوء والبؤس في اوائل الخمسينات ومنتصفها ، لكنها استمرت بالتحسن ببطء شديد حتى وصلت الى حالتها الحاضرة والتي يمكن وصفها بـ « سيئة » الى « سيئة جدا » . واذا كان اي فرد يريد ان يتخيل وضع المخيمات في اوائل الخمسينات فما عليه الا ان ينظر الى وضع المخيمات الحاضر ويتصور ان الوصول اليه قد استغرق ٢٥ عاما من « التطور » ! أما التحسن الذي استغرق كل هذه السنين فكان التالي : تمت تغطية معظم ارضية الرمل والتربة بالاسمنت ، تم استبدال الخيم بالاكواخ ثم ببيوت من حجارة الصلصال ، كان كل سكان المخيمات يستعملون المراحيض العامة ، فأصبح الان لدى ٨٠٪ منهم مراحيض خاصة او مشتركة(١)، كان الماء يوزع بواسطة صهاريج الاونروا فأصبح لدى بعض المخيمات شبكة توصل المياه لمعظم البيوت، لم تكن في المخيمات أية مجارير ، فأصبح لدى بعضها الان مجارير مكشوفة فوق الارض تجتذب البعوض والحشرات في الصيف ، ولها رائحة كريهة ، وتفيض في الشتاء ، لم يكن لدى السكان في الماضي من المفروشات ما يزيد على بساط القش وفراش او حرامات للنوم ، فأصبح لدى معظم السكان مفروشات متواضعة نوعيا منها الاسرة والكراسي والكنبات .

وقد حدث كل ذلك « التطور » ضمن قطع الارض المحدودة (لم تتوسع المخيمات الا بمقدار بسيط جدا) ورافقه نمو كبير في عدد السكان . فقد ازداد عدد سكان المخيمات بنسبة اكثر من الضعف خلال ربع القرن الماضي . وقد ادت هذه الزيادة الى ازدحام هائل في المخيمات والى نسبة اكتظاظ سكاني عالية جدا . فالمساحة والتجهيزات المخصصة لعدد معين من السكان اصبحت مستهلكة ومستعملة من قبل ضعفي أو ثلاثة أضعاف ذلك العدد ، فنحن نجد في مخيم الكرامة (قرب بيروت) ان الاونروا قد استأجرت ارض المخيم لاسكان ٥٠٠٠ نسمة ، ولكنه يضم حاليا ١٥ر٠٠٠ نسمة . اما الانتقال الى خارج المخيمات فكان محدودا جدا لانه من الصعب جدا ان لم يكن من المستحيل على سكان المخيمات من الناحية المالية الانتقال للسكن في بيوت في المدن المجاورة . والعدد المحدود من العائلات التي استطاعت تحسين وضعها المالي والانتقال الى خارج المخيم صغير نسبيا لدرجة يمكن معها تجاهله . ومقابل العدد المحدود الذي ترك المخيمات كان هناك تدفق اعداد من اللبنانيين والسوريين الفقراء للاقامة في المخيمات : « يقيم في المخيمات ١١ر٥٠٠ لبناني منهم ٥٥٠٠ من جنوب لبنان ، و ٣٣٠٠ سوري »(٢)، بالاضافة الى تدفق فلسطيني غزة والضفة الغربية والاردن بعد مذابح عمان في أيلول ١٩٧٠ .

يوجد في لبنان ١٧ مخيما مجموع سكانها ما بين ١٤٠ر٠٠٠ — ١٥٠ر٠٠٠ الف نسمة (حسب تقديرات مدراء المخيمات واشخاص اخرين مطلعين من سكان المخيمات) . ولكن الاحصاء اللبناني واحصاءات الاونروا يعطيان مجموع سكان المخيمات على اساس ١٠٦ر٤٤٠ (مع السكان من غير الفلسطينيين) و ٩٦ر٠٠٠ من السكان الفلسطينيين . ومن المؤكد ان هذين الرقمين غير صحيحين . وقد حصل الخطأ في تقدير عدد سكان المخيمات التالية :

المخيم	الاحصاء اللبناني (١٩٧١)	العدد الفعلي التقريبي
برج البراجنة	٧٤٨٥	١٥ر٠٠٠
نهر البارد	٩٦٦٠	١٦ر٠٠٠

١ — الاحصاء اللبناني ، حزيران ١٩٧١ .

٢ — الاحصاء اللبناني ، ١٩٧١ .

عين الحلوة	١٦٧٥٥	٣٠ر٠٠٠
الرشيدية	٩٣٧٥	١٥ر٠٠٠
برج الشمالي	٦٧٦٥	١٢ر٠٠٠

وترجع الزيادة في عدد سكان هذه المخيمات الى الاسباب التالية : ١ ــ سياسة الوكالة القائمة على تشطيب الفئة N من سجلاتها . ٢ ــ عدم الدقة في تسجيل المواليد الجدد دون الست سنوات . ٣ ــ تسجيل الفلسطينيين في المخيمات حسب مكان تناول الاعاشة الاصلي وليس حسب التواجد المعيشي يضاف الى ذلك قدوم عدد قليل من الفلسطينيين في الضفة الغربية والقطاع الى المخيمات وخاصة بعد ايلول ١٩٧٠ ، وهؤلاء لم يتم تسجيلهم او احصاؤهم رسميا .

أ ــ **البيوت** . يظهر الاحصاء اللبناني ان متوسط ستة او سبعة افراد يعيشون في مسكن واحد لا يتجاوز الغرفتين ، ولا تتجاوز مساحته ٨٠ م٢ (في ٣ر٨٨٪ من البيوت) . واذا طبقنا المقاييس الفرنسية للكثافة السكانية على الحالة المذكورة نجد ان ٥ر٨٨٪ من سكان المخيمات يعيشون في بيوت شديدة الازدحام . وتشكل البيوت الشديدة الازدحام ٦ر٧٦٪ من عدد البيوت المأهولة في المخيمات (راجع جدول رقم ١ ورقم ٢) .

جدول رقم ١

عدد المساكن والمقيمين ومتوسط عدد الغرف والمقيمين في الغرفة بالنسبة الى مساحة المسكن

مساحة المسكن بالمتر المربع	عدد الغرف بالمسكن	المساكن العدد	المساكن ٪	المقيمون العدد	المقيمون ٪	العدد المتوسط للمقيمين بالمسكن	العدد المتوسط للمقيمين بالغرفة
أقل من ٣٠	١٫٣	٥٣٨٥	٣٤٫١	٢٧٣٦٠	٢٥٫٧	٥٫١	٤٫١
٣٠ ــ ٨٠	٢٫٠	٨٩٤٠	٥٦٫٦	٦٦٦٤٥	٦٢٫٦	٧٫٥	٣٫٧
٨٠ ــ ١٢٠	٣٫٣	٣٢٠	٨٫٣	١٠٧٧٠	١٠٫١	٨٫٢	٢٫٥
١٢٠ او اكثر	٦٫٠	٧٥	٠٫٥	٨٢٥	٠٫٨	١١٫٠	١٫٨
غير معين	٢٫٢	٧٥	٠٫٥	٩٩٠	١٫٠	١١٫٢	٥٫١
جميع المساحات	١٫٩	١٥٧٩٥	١٠٠٫٠	١٠٦٤٤٠	١٠٠٫٠	٦٫٧	٣٫٥

يظهر الجدول رقم ١ ان ٩٠٪ من البيوت تضم غرفتين او اقل وان ٤ اشخاص يعيشون في كل غرفة في هذه البيوت . كما يظهر ان في ٥ر٠٪ من البيوت فقط يسكن شخصان (٨ر١) في الغرفة الواحدة ، وان في ٣ر٨٪ من البيوت فقط يعيش معدل شخصين ونصف (٥ر٢) في الغرفة الواحدة .

جدول رقم ٢

توزيع عدد المساكن والمقيمين ومتوسط عدد المقيمين في المسكن وفي الغرفة بحسب عدد الغرف في المسكن

عدد الغرف	مساكن		مقيمون		متوسط عدد المقيمين	
	عدد	٪	عدد	٪	في المسكن	في الغرفة
١	٦٣٦٠	٤٠٫٣	٣١٤٤٠	٢٩٫٥	٤٫٩	٤٫٩
٢	٦١٥٠	٣٨٫٩	٤٣٢٢٠	٤٠٫٧	٧٫٠	٣٫٥
٣	٢٣٥٥	١٤٫٩	٢٠٨٩٥	١٩٫٦	٨٫٩	٣٫٠
٤	٦٠٥	٣٫٩	٦٣٣٠	٥٫٩	١٠٫٣	٢٫٦
٥ واكثر	٢٦٠	١٫٧	٤٠٣٥	٣٫٧	١٥٫٥	٢٫٤
غير معين	٤٥	٠٫٣	٤٢٠	٠٫٦	٩٫٣	٠٫٠
المجموع	١٥٧٩٥	١٠٠٫٠	١٠٦٤٤٠	١٠٠٫٠	٦٫٧	٣٫٥

أما جدول رقم ٢ فيظهر ان ٤٠٫٣ ٪ من البيوت تتألف من غرفة واحدة فقط ويسكن فيها متوسط خمسة اشخاص ، وان ٣٨٫٩ ٪ من البيوت تتألف من غرفتين . وفي المقابل تتألف ١٤٫٩ ٪ من البيوت من ثلاث غرف ، و ٣٫٩ ٪ من اربع غرف . وهذه الارقام لا تحتاج الى توضيح وتحليل .

ب) **التجهيزات** . ان نوعية التجهيزات في المخيمات الفلسطينية نوعية متدنية جدا . وهناك بعض التجهيزات الاساسية غير المتوافرة كالحمامات ، او غير المريحة كبيوت الخلاء . ويظهر الاحصاء اللبناني ان ٨٥٫٨ ٪ من البيوت في المخيمات لا تشتمل على حمامات مقابل ١١٫٨ ٪ . كما يظهر ان ٥٩٫٨ ٪ من البيوت لا تصلها المياه . اما بيوت الخلاء فمتوافرة في ٣٩٫٣ ٪ من البيوت ، وهي مشتركة في ٤٠٫٧ ٪ من البيوت ، وهي غير متوافرة في ١٩٫٥ ٪ من البيوت . ولدى معظم البيوت (٨١٫٨ ٪) مطابخ ، وتتوافر الكهرباء في ٦٦٫٦ ٪ منها . اما التدفئة المركزية فغير متوافرة اطلاقا ، ولكن ٥٨٫٠ ٪ من البيوت تستعمل وسائل بدائية للتدفئة او دفايات الغاز . اما الهاتف فغير متوافر اطلاقا . ويظهر الاحصاء اللبناني ان ٠٫١ ٪ من البيوت لديها هاتف لكن في الواقع هذه البيوت تستعمل ايضا كدكاكين (راجع جدول رقم ٣) .

الوضع السكاني

عرض الاحصاء اللبناني الخصائص الديموغرافية لسكان المخيمات طبقا للسن والجنس ، ثم طبقا للسن والجنس والحالة الزوجية . كما اعطى الاحصاء جدولا حول المعاقين جسديا طبقا لنوع الاعاقة والجنس .

ان الملاحظة الاساسية التي نستخلصها من الاحصاء اللبناني حول توزيع السكان حسب الاعمار هي ان سكان المخيمات اجمالا غير متقدمين في السن : فنحن نجد ان ٦٤٫١٠ ٪ منهم يقعون ضمن فئة العمر ١ — ١٩ سنة ، مقابل ٨٫٠ ٪ منهم فقط يقعون ضمن فئة العمر ٥٠ سنة او اكثر . اما بقية السكان (٢٧٫٦ ٪) فيقعون ضمن فئة

جـدول رقم ٣

توزيع المساكن بحسب توافر مختلف وسائل الراحة

التوزيع بالنسبة المئوية

وسائل الراحة	موجود وخاص بالمسكن	مشترك مع مساكن اخرى او خارجي	غير موجود	غير معين	المجموع
مطبخ	٨١٫٨		١٨٫٠	٠٫٢	١٠٠٫٠
حمام	١١٫٨		٨٥٫٨	٢٫٤	١٠٠٫٠
بيت خـلاء	٣٩٫٣	٤٠٫٧	١٩٫٥	٠٫٥	١٠٠٫٠
كهربـاء	٦٦٫٦		٣٣٫٣	٠٫١	١٠٠٫٠
ميـاه جارية	٤٠٫٠		٥٩٫٨	٠٫٢	١٠٠٫٠
هـاتـف	٠٫١	٠٫١	٩٨٫١	١٫٧	١٠٠٫٠
تدفئـة	٥٨٫٠		٤٠٫٤	١٫٦	١٠٠٫٠

العمر ٢٠ ــ ٤٩ سنة . واذا كانت دورة العمر في المخيمات ٥٥ عاما فمن المتوقع ان يكون نصف السكان ضمن فئة العمر ١ ــ ٢٧ عاما والنصف الاخر ضمن الفئة ٢٨ــ٥٥ عاما . ولكننا نجد ٧٠٫٨٪ من السكان يقعون ضمن الفئة الاولى (راجع جدول رقم ٤) . ونحن نعتقد ان شباب الفلسطينيين يشكل عاملا اساسيا وهاما لصالح حرب التحرير الشعبية طويلة الامد ضد اسرائيل . وهذه الحقيقة ــ وهي نتيجة لارتفاع معدل الولادات ، تخيف اسرائيل . ولم يتردد زعماء اسرائيل في مناسبات مختلفة في الاعراب عن مخاوفهم من الزيادة الكبيرة في عدد الفلسطينيين . وقد عمدت اسرائيل عن سابق قصد وتصميم الى محاولة تخفيف نسبة الولادات العربية في فلسطين المحتلة من خلال القيام بحملات « توعية » للاهالي ، ومن خلال توفير وسائل منع الحمل مجانا او بأسعار رخيصة جدا .

جدول رقم ٤

توزيع المقيمين بحسب العمر والجنس

العمر	ذكور	اناث	مجموع	النسبة المئوية ذكور	النسبة المئوية اناث	النسبة المئوية مجموع
أقل من سنة واحدة	٢١٤٥	١٩٠٥	٤٠٥٠	٣٫٩	٣٫٧	٣٫٧
١ ــ ٤	٩٨٤٠	٨٧٧٥	١٨٦١٥	١٨٫٠	١٧٫٠	١٧٫٥
٥ ــ ٩	١٠١١٠	٩٢٢٥	١٩٣٣٥	١٨٫٥	١٧٫٩	١٨٫٢
١٠ ــ ١٤	٧٤٢٥	٧٧٤٠	١٥١٦٥	١٣٫٦	١٥٫٠	١٤٫٢
١٥ ــ ١٩	٦٠٣٠	٥٢٠٥	١١٢٣٥	١١٫٠	١٠٫١	١٠٫٦
٢٠ ــ ٢٤	٣٧٥٠	٣٤٠٥	٧١٥٥	٦٫٨	٦٫٦	٦٫٧
٢٥ ــ ٢٩	٢٧٤٥	٣٢٢٥	٥٩٧٠	٥٫٠	٦٫٢	٥٫٦
٣٠ ــ ٣٤	٢٦١٠	٢٦٧٠	٥٢٨٠	٤٫٨	٥٫٢	٥٫٠
٣٥ ــ ٣٩	١٨٩٠	٢١٦٠	٤٠٥٠	٣٫٤	٤٫٢	٣٫٨
٤٠ ــ ٤٤	١٩٣٥	١٧٤٠	٣٦٧٥	٣٫٥	٣٫٤	٣٫٥

٤٥ — ٤٩	١٦٦٥	١٥١٥	٣١٨٠	٣٤٠	٢٤٩	٣٤٠
٥٠ — ٥٤	١٠٣٥	٧٩٥	١٨٣٠	١٤٩	١٤٥	١٤٧
٥٥ — ٥٩	٧٠٥	٦٩٠	١٣٩٥	١٤٣	١٤٣	١٤٣
٦٠ — ٦٤	٧٦٥	٦٤٥	١٤١٠	١٤٤	٢٤٢	١٤٣
٦٥ — ٦٩	٦١٥	٤٩٥	١١١٠	١٤٠	١٤٠	١٤٠
٧٠ واكثر	١٤٨٥	١٤٤٠	٢٩٢٥	٢٤٧	٢٤٨	٢٤٧
غير معين	٤٥	١٥	٦٠	٠٤١	—	٠٤١
المجموع	٥٤٧٩٥	٥١٦٤٥	١٠٦٤٤٠	١٠٠٤٠	١٠٠٤٠	١٠٠٤٠

ان معدل سن الزواج في المخيمات الفلسطينية مبكر نسبيا : ٢٤ر٥ سنة للرجال و ٢١ر٦ سنة للنساء . اما العزوبية الدائمة فغير موجودة تقريبا في المخيمات ، ولكن نظرا ليفاعة السكان فان نسبة العزوبية مرتفعة ٧٠ر٨٪ للرجال و ٦٤ر٤٪ للنساء . وكما هو متوقع ، كلما ازداد العمر انخفضت نسبة العزوبية . اما النسبة الحقيقية للعزوبية للذين في سن الزواج (٢٠ سنة او اكثر للذكور و١٥ سنة او اكثر للاناث) فهي ١٧ر٧٪ و ٢٤ر٣٪ تباعا . وهذا يعني ان معدل العزوبية السكان في سن الزواج هو ٢١ر٠٪ (راجع جدول رقم ٥) . اما الحقيقة الاخرى التي يظهرها جدول رقم ٥ فهي النسبة المتدنية او المتدنية جدا للطلاق بين سكان المخيمات . فالجدول يظهر عدم وجود اية حالة طلاق بين الذكور المتزوجين والذين تتراوح اعمارهم ما بين ١٥ و٣٩ عاما . اما نسبة المطلقات بين الاناث اللواتي تتراوح اعمارهن ما بين ١٠ و ٣٩ عاما مقارنة مع نسبة المتزوجات منهن فتبلغ ٧ر٠٪ . وتدل هذه الحقيقة على استقرار أو ثبات الزيجات المرتبة اجتماعيا . وعلى فعالية الارتباطات الاجتماعية والضغوط العائلية في منع تفسخ الزيجات القائمة .

جدول رقم ٥

توزيع المقيمين بحسب الجنس والعمر والحالة الزوجية

ذكور

فئات العمر	عازبون	متزوجون	مطلقون أو غيرهم		المجموع	نسبة العزوبية ٪
— — ١٤	٢٩٥٢٠	—	—	—	٢٩٥٢٠	١٠٠٤٠
١٥ — ١٩	٥٩٢٠	١٠٥	—	—	٦٠٣٠	٩٨٤٣
٢٠ — ٢٤	٢٣٧٠	١٣٥٠	٣٠	—	٣٧٥٠	٦٣٤٢
٢٥ — ٢٩	٦٣٠	٢١٠٠	١٥	—	٢٧٤٥	٢٣٤٠
٣٠ — ٣٤	١٨٠	٢٤٣٠	—	—	٢٦١٠	٦٤٩
٣٥ — ٣٩	٧٥	١٨٠٠	١٥	—	١٨٩٠	٤٤٠
٤٠ — ٤٤	٤٥	١٨٧٥	—	١٥	١٩٣٥	٢٤٣
٤٥ — ٤٩	٤٥	١٦٠٥	—	١٥	١٦٦٥	٢٤٧
٥٠ واكثر	٦٠	٤١٧٠	١٥	٣٦٠	٤٦٠٥	١٤٣
غير معين	٤٥	—	—	—	٤٥	٠٤٠
المجموع	٣٨٨٩٥	١٥٤٣٥	٧٥	٣٩٠	٥٤٧٩٥	٧٠٤٨

	انـــاث					
ـ ـ ٩	١٩٩٠٥	ـ	ـ	ـ	١٩٩٠٥	١٠٠٤٠
١٠ ـ ١٤	٧٦٠٥	١٢٠	١٥	ـ	٧٧٤٠	٩٨٤٣
١٥ ـ ١٩	٣٩٤٥	١٢٦٠	ـ	ـ	٥٢٠٥	٧٥٤٨
٢٠ ـ ٢٤	١١٨٥	٢١٩٠	١٥	١٥	٣٤٠٥	٣٤٤٨
٢٥ ـ ٢٩	٣٦٠	٢٧٩٠	١٥	٦٠	٣٢٢٥	١١٤٢
٣٠ ـ ٣٤	١٦٥	٢٤٤٥	٤٥	١٥	٢٦٧٠	٦٤٢
٣٥ ـ ٣٩	٧٥	١٩٨٠	٧٥	٣٠	٢١٦٠	٣٤٥
٤٠ ـ ٤٤	١٥	١٥٣٠	١٩٥	ـ	١٧٤٠	٠٤٩
٤٥ ـ ٤٩	ـ	١٢٧٥	٢٢٥	١٥	١٥١٥	ـ
٥٠ وأكثر	٧٥	٢٤٤٥	١٥٠٠	٤٥	٣٩٦٥	١٤٩
غير معين	ـ	ـ	١٥	ـ	١٥	٠٤٠
المجمـــوع	٣٣٢٢٠	١٦٠٣٥	٢١٠٠	١١٨٠	٥١٦٤٥	٦٤٤٤

لقد ظهر من الاحصاء اللبناني ان نسبة المعاقين جسديا في المخيمات اعلى قليلا منهـا بين اللبنانيين : كانت النسبة ٣ر٢٪ للمخيمات مقابل ٤ر١٪ للبنانيين . غير ان الاحصاء اللبناني نفسه حذر من ان حجم العينة ١/١٥ ليس كافيا لتأكيد ان هذا الفارق حقيقي ، او لتحليل خصائص المعاقين بتفصيل اكثر. وبالتالي فان جدول رقم ٦ يعطي صورة عامة للمعاقين طبقا للجنس . كذلك فان ٥٩ر٠٪ من الاجابات حول حالات الاعاقة لم تكـن دقيقة مما يزيد في صعوبة تفسير النتائج (راجع جدول رقم ٦) .

جدول رقم ٦
عدد المعاقين جسديا موزعين بحسب نوع الاعاقة والجنس

نوع الاعاقة	ذكور	اناث	مجموع	٪
صـم وبكم	٧٥	٧٥	١٥٠	٦٤٠
عميـــان	٩٠	١٦٥	٢٥٥	١٠٤٣
مشلولون بأحد الاعضاء	٢١٠	١٥٠	٣٦٠	١٤٤٥
متأخرون عقليا	١٩٥	٦٠	٢٥٥	١٠٤٢
معاقون آخرون	٩١٥	٥٥٥	١٤٧٠	٥٩٤٠
المجمـــوع	١٤٨٥	١٠٠٥	٢٤٩٠	١٠٠٤٠

التعليـــم

ان تعليم الفلسطينيين حتى نهاية المستوى الاعدادي مسؤولية الاونروا (٦ سنوات تعليم ابتدائي و ٤ سنوات تعليم اعدادي) . اما عـــلى المستـــوى الثانوي (سنتان) فالانروا مسؤولة فقط عن توفير جزء من التكاليف (٢٢٥ ل.ل. سنويا) للفلسطينيين الذين يتابعون دراستهم في المدارس الخاصة . ولا يجري قبول الفلسطينيين في المدارس الحكومية او العامة في لبنان . ولكن المدارس الحكومية او العامـــة في مصر وسوريـــا والعراق والاردن تقبلهم في كافة مراحلها التعليمية . وكانت الكويت تقبل كافة التلاميذ

الفلسطينيين المقيمين عندها في مدارسها العامة ، غير ان نصف التلاميذ الفلسطينيين في الكويت حاليا (١٦،٠٠٠ تلميذ) يدرسون في مدارس منظمة التحرير الفلسطينية . وهذه المدارس تستعمل ابنية المدارس الحكومية الكويتية بعد انتهاء الدوام (بعد الظهر)، كما تقوم الحكومة الكويتية بسد عجزها المالي كل عام .

اما على المستوى الجامعي فتقوم الاونروا بتوفير عدد محدود جدا من المنح الجامعية للطلاب المتفوقين .

وسنبحث في هذا الجزء مسألتين : أ) الوضع التعليمي العام في مخيمات الفلسطينيين ، اي الارقام الاجمالية ، وارقام خدمات الاونروا التعليمية . ب) تقييم نوعية التعليم الذي يحصل عليه الفلسطينيون ، خاصة في ظل نظام الاونروا التعليمي .

أ) **الوضع التعليمي العام** . يوفر الاحصاء اللبناني ارقاما عامة حول الحالة التعليمية ، بينما تعطي احصاءات الاونروا ارقاما عامة ومفصلة حول الانتساب للمدارس .

يظهر الاحصاء اللبناني ان نسبة الاميين في مخيمات الفلسطينيين تبلغ ٥٨ر٤ ٪ . ونحن نميل الى اعتبار هذه النسبة مرتفعة قليلا ، خاصة وان الاحصاء يحدد نسبة الامية بين فئة العمر ٦ — ٩ على اساس ٤٨ر٦ ٪ ، بينما تحدد احصاءات الاونروا الاكثر دقة نسبة الامية لنفس فئة العمر على اساس ١٧ر٠ ٪ . والامية تامة تقريبا في فئة العمر ١ — ٥ سنوات (لان الاونروا لا تقبل التلاميذ بهذا العمر في مدارسها) وفي فئة العمر ٧٠ او اكثر . ونلاحظ من الارقام المعطاة ان هناك علاقة بين الامية والسن بالاتجاه التالي : كلما كبر السن كانت نسبة الامية اعلى . وهذه الحقيقة ترجع الى ان المدارس كانت متوافرة لاقلية من السكان في الماضي ، ولان عددا قليلا من الفلسطينيين كانوا يهتمون بارسال أولادهم الى المدارس قبل النكبة . فقد كان معظم سكان فلسطين من الفلاحين ، وبالتالي كانوا يفضلون ان يعمل ابناؤهم معهم في زراعة الارض .

اما الحقيقة الاخرى التي تظهرها الاحصاءات فهي ان المستوى التعليمي لسكان المخيمات متدن بشكل عام . فمعظم سكان المخيمات لم يتجاوزوا المرحلة الابتدائية : فان ٧٦،٢٠ شخصا منهم يتراوحون ما بين « لم يتلقوا اي تعليم » و « تلقوا تعليما ابتدائيا » . وفي المقابل نجد ان ٢٣١٠ اشخاص قد أنهوا المرحلة الاعدادية ، وان ١٠٢٠ شخصا فقط قد انهوا المرحلة الثانوية ، وان ٣٠٠ شخص فقط قد انهوا المرحلة الجامعية .

ويظهر الاحصاء اللبناني ايضا ان الامية منتشرة ايضا بين الاناث اكثر منها بين الذكور : نسبة الامية بين الاناث ٦٨ر٧ ٪ ، ونسبتها بين الذكور ٤٨ر٧ ٪ . وهذا ايضا متوقع نظرا لمعارضة المجتمع الشديدة في الماضي لتعليم الاناث (راجع جدول رقم ٧) .

جدول رقم ٧ (أ)

عدد المقيمين بحسب الجنس والعمر والمستوى التعليمي

الذكور

العمر	لم يحصلوا على تعليم	دون الابتدائي	ابتدائي	تكميلي	ثانوي	جامعي	المجموع	نسبة الاميين
٠ — ٥	١٤٠٨٥	٧٥	—	—	—	—	١٤١٦٠	٩٩٤٥
٦ — ٩	٣٣٩٠	٤٥١٥	٣٠	—	—	—	٧٩٣٥	٤٢٤٧

١٠ — ١٤	٤٦٥	٤٦٥٠	٢١٩٠	١٢٠	—	—	٧٤٢٥	٦٤٣
١٥ — ١٩	٥٥٥	١٩٣٥	٢٣٤٠	١٠٦٥	١٣٥	—	٦٠٣٠	٩٤٢
٢٠ — ٢٤	٤٥٠	١٥٦٠	٧٣٥	٤٨٠	٤٩٥	٣٠	٣٧٥٠	١٢٤٠
٢٥ — ٢٩	٦٩٠	١١٤٠	٤٢٠	١٥٠	٢٢٥	١٢٠	٢٧٤٥	٢٥٤١
٣٠ — ٣٤	١٠٦٥	١٢٠٠	١٦٥	٣٠	٤٥	١٠٥	٢٦١٠	٤٠٤٨
٣٥ — ٣٩	٦٩٠	١٠٣٥	٧٥	٤٥	٣٠	١٥	١٨٩٠	٣٦٤٥
٤٠ — ٤٤	٨٨٥	٩٦٠	٩٠	—	—	—	١٩٣٥	٤٥٤٧
٤٥ — ٤٩	٨٧٠	٧٢٠	٦٠	—	١٥	—	١٦٦٥	٥٢٤٣
٥٠ — ٥٤	٦٩٠	٣١٥	١٥	١٥	—	—	١٠٣٥	٦٦٤٧
٥٥ — ٥٩	٤٦٥	٢٢٥	١٥	—	—	—	٧٠٥	٦٦٤٠
٦٠ — ٦٤	٥٧٠	١٩٥	—	—	—	—	٧٦٥	٧٤٤٥
٦٥ — ٦٩	٤٨٠	١٣٥	—	—	—	—	٦١٥	٧٨٤٠
٧٠ — أو اكثر	١٢٩٠	١٩٥	—	—	—	—	١٤٨٥	٨٦٤٩
غير معين	٤٥	—	—	—	—	—	٤٥	١٠٠٤٠
المجموع	٢٦٦٨٥	١٨٨٥٥	٦١٣٥	١٩٠٥	٩٤٥	٢٧٠	٥٤٧٩٥	٤٨٤٧

جدول رقم ٧ (ب)
عدد المقيمين بحسب الجنس والعمر والمستوى التعليمي

الانـــاث

العمر	لم يحصلوا على تعليم	دون الابتدائي	ابتدائي	تكميلي	ثانوي	جامعي	المجموع	نسبة الاميين
٠ — ٥	١٢٧٠٥	٩٠	—	—	—	—	١٢٧٩٥	٩٩٤٣
٦ — ٩	٣٤٣٥	٣٦٧٥	—	—	—	—	٧١١٠	٤٨٤٣
١٠ — ١٤	١٤٨٥	٤٥٧٥	١٦٨٠	—	—	—	٧٧٤٠	١٩٤٢
١٥ — ١٩	١٦٢٠	١٩٩٥	١٣٥٠	٢٤٠	—	—	٥٢٠٥	٣١٤١
٢٠ — ٢٤	٢٠٤٠	٩٦٠	٢٤٠	١٠٥	٦٠	—	٣٤٠٥	٥٩٤٩
٢٥ — ٢٩	٢٦٨٥	٣٠٠	١٩٥	٤٥	—	—	٣٢٢٥	٨٣٤٣
٣٠ — ٣٤	٢٣٢٥	٢٨٥	٣٠	—	١٥	١٥	٢٦٧٠	٨٧٤١
٣٥ — ٣٩	٢٠٨٥	٧٥	—	—	—	—	٢١٦٠	٩٦٤٥
٤٠ — ٤٤	١٦٦٥	٤٥	١٥	—	—	١٥	١٧٤٠	٩٥٤٧
٤٥ — ٤٩	١٤٤٠	٤٥	١٥	١٥	—	—	١٥١٥	٩٥٤٠
٥٠ — ٥٤	٧٦٥	٣٠	—	—	—	—	٧٩٥	٩٦٤٢
٥٥ — ٥٩	٦٧٥	١٥	—	—	—	—	٦٩٠	٩٧٤٨
٦٠ — ٦٤	٦٣٠	١٥	—	—	—	—	٦٤٥	٩٧٤٧
٦٥ — ٦٩	٤٩٥	—	—	—	—	—	٤٩٥	١٠٠٤٠
٧٠ — واكثر	١٤١٠	٣٠	—	—	—	—	١٤٤٠	٩٧٤٩
غير معين	١٥	—	—	—	—	—	١٥	١٠٠٤٠
المجموع	٣٥٤٧٥	١٢١٣٥	٣٥٢٥	٤٠٥	٧٥	٣٠	٥١٦٤٥	٦٨٤٧

جدول رقم ٧ (ج)

عدد المقيمين بحسب الجنس والعمر والمستوى التعليمي

الذكور والاناث معا :

العمر	لم يحصلوا على تعليم	دون الابتدائي	ابتدائي	تكميلي	ثانوي	جامعي	المجموع	نسبة الاميين
٠ — ٥	٢٦٧٩٠	١٦٥	—	—	—	—	٢٦٩٥٥	٩٩٫٤
٦ — ٩	٦٨٢٥	٨١٩٠	٣٠	—	—	—	١٥٠٤٥	٤٨٫٦
١٠ — ١٤	١٩٥٠	٩٢٢٥	٣٨٧٠	١٢٠	—	—	١٥١٦٥	١٢٫٩
١٥ — ١٩	٢١٧٥	٣٩٣٠	٣٦٩٠	١٣٠٥	١٣٥	—	١١٢٣٥	١٩٫٤
٢٠ — ٢٤	٢٤٩٠	٢٥٢٠	٩٧٥	٥٨٥	٥٥٥	٣٠	٧١٥٥	٣٤٫٨
٢٥ — ٢٩	٣٣٧٥	١٤٤٠	٦١٥	١٩٥	٢٢٥	١٢٠	٥٩٧٠	٥٦٫٥
٣٠ — ٣٤	٣٣٩٠	١٤٨٥	١٩٥	٣٠	٦٠	١٢٠	٥٢٧٠	٦٤٫٢
٣٥ — ٣٩	٢٧٧٥	١١١٠	٧٥	٤٥	٣٠	١٥	٤٠٥٠	٦٨٫٥
٤٠ — ٤٤	٢٥٥٠	١٠٠٥	١٠٥	—	—	١٥	٣٦٧٥	٦٩٫٤
٤٥ — ٤٩	٢٣١٠	٧٦٥	٧٥	١٥	١٥	—	٣١٨٠	٧٢٫٦
٥٠ — ٥٤	١٤٥٥	٣٤٥	١٥	١٥	—	—	١٨٣٠	٧٩٫٥
٥٥ — ٥٩	١١٤٠	٢٤٠	١٥	—	—	—	١٣٩٥	٨١٫٧
٦٠ — ٦٤	١٢٠٠	٢١٠	—	—	—	—	١٤١٠	٨٥٫١
٦٥ — ٦٩	٩٧٥	١٣٥	—	—	—	—	١١١٠	٨٧٫٨
٧٠ — واكثر	٢٧٠٠	٢٢٥	—	—	—	—	٢٩٢٥	٩٢٫٣
غير معين	٦٠	—	—	—	—	—	٦٠	١٠٠٫٠
المجموع	٦٢١٦٠	٣٠٩٩٠	٩٦٦٠	٢٣١٠	١٠٢٠	٣٠٠	١٠٦٤٤٠	٥٨٫٤

ان احصاءات الاونروا تقتصر على الوضع التعليمي للذين في سن الدراسة : الاعمار ٦ — ٢٠ سنة . وهي تقسم الطلاب الى اربع فئات حسب العمر : ٦ — ١١ ، ١٢ — ١٤ ، ١٥ — ١٧ ، ١٨ — ٢٠ . وهي تعطي الارقام لكل طلاب مدارسها ، والتي تشمل سكان المخيمات وسكان المدن . ونحن نعتقد انه لا يوجد اي فرق بالانتساب للمدارس بين سكان المخيمات وسكان المدن في المرحلة الابتدائية . ولكن قد يكون هناك فرق بسيط بين الفئتين في المرحلة الاعدادية ، وفرق كبير في المرحلة الثانوية حيث تلعب الامكانات المادية دورا هاما في تمكن الطلاب من متابعة دراستهم .

اما نسبة الانتساب للمدارس لفلسطينيي لبنان الذين في سن الدراسة فقد بلغت ٦٤٫٠٪ عام ١٩٧١ . وقد بلغ عدد الفلسطينيين في سن الدراسة ٦٥٥٣٦ كان مسجلا منهم في المدارس ٤١٩٤١ شخصا . وقد توزع المسجلون في المدارس كالتالي(٣) :

٦ — ١١ سنة = ٨٨٫٣٪

١٢ — ١٤ سنة = ٦٧٫١٪

---

٣ — كتاب الاحصاء السنوي للاونروا ، ١٩٧١ .

١٥ — ١٧ سنة = ٣ر٣٧٪
١٨ — ٢٠ سنة = ٨ر٣ ٪

نلاحظ من الارقام المدونة اعلاه انه كلما كبر العمر كلما انخفضت نسبة الانتساب للمدارس . ولكن الحقيقة المذهلة تبرز في الفرق بين نسبة المنتسبين في المرحلة الابتدائية (٣ر٨٨٪) ونسبة المنتسبين في المرحلة الثانوية (٣ر٨٪) ، مما يعني ان ٠ر٨٠٪ من الطلاب المسجلين يتركون المدارس قبل ان يبلغوا العشرين من عمرهم (راجع جدول رقم ٨) .

جدول رقم ٨

الانتساب للمدارس بحسب العمر والمستوى التعليمي

فئة العمر	السكان	الابتدائي		الاعدادي		الثانوي		المجموع	
		المسجلين	٪	المسجلين	٪	المسجلين	٪	المسجلين	٪
٦ — ١١	٣٢٣٩٢	٢٨٤٦٤	٨٧٫٩	١٥٠	٠٫٥	—	—	٢٨٦١٤	٨٨٫٣
١٢ — ١٤	١٢٥٨١	٢٥٩٨	٢٠٫٧	٥٨٤٩	٤٦٫٥	—	—	٨٤٤٧	٦٧٫١
١٥ — ١٧	١٠٩٤٥	٢٣	٠٫٢	٣١٧٤	٢٩٫٠	٨٨٧	٨٫١	٤٠٨٤	٣٧٫٣
١٨ — ٢٠	٩٦١٨	—	—	١٩٨	٢٫١	٥٩٨	٦٫٢	٧٩٦	٨٫٣
كل الاعمار	٦٥٥٣٦	٣١٠٨٥	٤٧٫٤	٩٣٧١	١٤٫٣	١٤٨٥	٢٫٣	٤١٩٤١	٦٤٫٠

وتعطي احصاءات الاونروا صورة عن تطور الوضع التعليمي الفلسطيني خلال العشرين سنة الماضية . ويمكننا ان نلاحظ زيادة مستمرة في عدد المنتسبين للمدارس، وخاصة بين الاناث . ويمكن تفسير هذه الزيادة باربعة عوامل : ا) توافر التعليم المجاني للفلسطينيين ب) ادراك الفلسطينيين ان التعليم هو الوسيلة الوحيدة المتوافرة لهم لتحسين اوضاعهم الاقتصادية ج) عدم توافر الوظائف والاعمال لمعظم السكان في البلدان المضيفة التي كانت تعاني من تخلف ملحوظ في الخمسينات والتي تمتاز بنسبة بطالة عالية . د) الروح العامة التي سادت معظم البلدان بعد الحرب العالمية الثانية وهي روح « التعليم للجميع » .

وقد تدرج انتساب الفتيات للمدارس بشكل اكثر اثارة من انتساب الفتيان . فقد كانت نسبة انتساب الفتيات للمدارس من مجموع المنتسبين ٥ر٢٦٪ في المستوى الابتدائي عام ١٩٥٠ — ١٩٥١ ، واصبحت ٣ر٤٣٪ عام ١٩٦٠ — ١٩٦١ ، ثم ارتفعت الى ٥ر٤٧٪ عام ١٩٧٠ — ١٩٧١ . اما في المستوى الاعدادي فلم تكن هناك اي فتيات عام ١٩٥٠ — ١٩٥١ ، واصبحت نسبتهن من مجموع المنتسبين ٥ر٢٧٪ عام ١٩٦٠ — ١٩٦١ ، وارتفعت الى ٦ر٤٣٪ عام ١٩٧٠ — ١٩٧١ .

اما مدارس الاونروا فمزدحمة ، اذ نجد عدد الطلاب في الصف الواحد ٤٢ طالبا عام ١٩٧١ ، ونجد نسبة المدرسين للطلاب بمعدل استاذ واحد لكل اربعين طالبا . اما النسبة عام ١٩٧٤ فأعلى . وقد اجبر ذلك الاونروا على تبني نظام دورتي التعليم بحيث يتعلم نصف الطلاب من الصباح حتى الظهر ويتعلم نصفهم الاخر من الظهر حتى بعد الظهر . وقد اثبت هذا النظام انه مضر جدا سواء بقابلية الطالب للدراسة او بما يقدم له اثناء الساعات التي يحضر فيها للمدرسة . اما الحل الملائم فكان يجب ان يتم على اساس زيادة عدد المعلمين وفتح مدارس جديدة .

اما عدد الطلاب الفلسطينيين الذين حصلوا على منح لمتابعة دراستهم الجامعية عام ١٩٧١ فقد بلغ في لبنان ١١٧ طالبا تلقى ٥٦ منهم منحا من الاونروا ، وتلقى ٥٢ منهم منحا من حكومة المانيا الاتحادية بواسطة الاونروا .

كما ان الاونروا افتتحت مركزا للتدريب والتعليم المهني في كل من الاردن والضفة الغربية وغزة وسوريا ولبنان . وقد كان مجموع الطلاب الفلسطينيين الذين انتسبوا لهذه المراكز ٢٣٢١ عام ١٩٧١ ، وقد التحق ١٩٦ منهم بمركز سبلين في لبنان . ويمكن القول ان التدريب المهني في الاونروا بحاجة الى تطوير كبير لكي يصبح قادرا على افادة الشعب الفلسطيني كله .

وقد لعب معهد التربية التابع للاونروا دورا هاما وفعالا في تحديث وسائل التعليم وفي تدريب معلمي الاونروا .

ب) تقييم تعليم الاونروا : ان تعليم الاونروا ضعيف بشكل عام . وكان لنظام التعليم في الاونروا — وما زال — عدة نواقص ومشاكل . ففي الخمسينات واوائل الستينات كان ٩٠ ٪ تقريبا من معلمي الاونروا لا يملكون الكفاءة اللازمة للتدريس . ولكن الاونروا استطاعت ان تحل هذه المشكلة بواسطة برامج تدريب المعلمين اثناء الخدمة وخارج الخدمة ، وبتعيين عدد كبير من المعلمين الاكفاء حملة الشهادات الجامعية .

أما اذا نظرنا الى نظام الاونروا التعليمي ككل فنجد انه يواجه مشكلتين رئيسيتين : ١) اهداف النظام التعليمي ككل ٢) والمعلم نفسه .

١) تتناقض اهداف النظام التعليمي في الاونروا مع أهداف الشعب الفلسطيني وواقعه الاجتماعي . فالاونروا تهدف الى تعليم الفلسطينيين لكي تشملهم بالمعرفة والمهارة اللازمة لاعادة اسكانهم في البلدان العربية المضيفة واندماجهم في المجتمع العربي بسهولة وبشكل يكونون معه « صالحين » او « ذوي فائدة » للبلدان التي تستقبلهم في النهاية « كمواطنين » . ولا بد الى ان هذا هو الهدف النظري للاونروا ، وان مسألة مدى نجاحها في تزويد الفلسطينيين بالمهارة اللازمة والمعرفة اللازمة لتحقيق الهدف تعتبر مسألة اخرى . وفي المقابل ، نجد ان الواقع الاجتماعي للشعب الفلسطيني واقع شعب مقتلع ومشرد يرفض الاسكان خارج بلده المحتل بشدة . وان الهدف الاول الذي يطغى على أي هدف اخر عند الفلسطينيين هو العمل من أجل تحرير فلسطين والعودة اليها . والسؤال الاساسي في هذا المجال هو « ما هي المساهمة التي يقدمها تعليم الاونروا لتحقيق الهدف الفلسطيني الاول ؟ » والجواب « لا شيء » . فحتى تاريخ فلسطين وجغرافيتها لا يدرسان في مدارس الاونروا . وقد اضطرت الاونروا امام الاحتجاجات والضغوط المتكررة وامام قوة الثورة الفلسطينية الى اقرار ساعتين اسبوعيا لتعليم هاتين المادتين عام ١٩٦٩ . وتم وضع مخطط في معهد التربية لتأليف ٢٥ كتابا حول تاريخ فلسطين وجغرافيتها تغطي المرحلتين الابتدائية والاعدادية . ولكن اسرائيل اعترضت على ذلك في الاونسكو وطالبت بحق مراجعة وضع نصوص الكتب ووضع « فيتو » على اي نص ترفضه بحجة « انه يربي الكره والحقد تجاه اسرائيل وشعبها » . وقد نجحت في اجهاض المشروع ، اذ خرجت ستة كتب لا لون لها ولا طعم ، ولم يوزع سوى اربعة كتب منها على جزء من الطلاب الفلسطينيين ، ولم يجر تدريسها بتاتا .

وتقوم الاونروا في كل بلد عربي بتدريس برامج البلد المعني للطلاب الفلسطينيين مما يحرم التعليم الفلسطيني من اي طابع وطني او خاص بقضية الشعب الفلسطيني ومصيره .

٢) ان أي انسان على احتكاك بمدارس الاونروا يعرف من المعلمين انفسهم ومن

الطلاب ومن اهالي الطلاب أن هناك مشكلة تتعلق بممارسة ودور المعلم الفلسطيني في مدارس الاونروا في لبنان . والمشكلة تتلخص بالوضع النفسي العام للمعلم الفلسطيني الذي انعكس بدوره على ادائه كمعلم وعلى مدى اهتمامه بافادة طلابه . وقد طرحت هذه المشكلة بصور واشكال مختلفة في الدورات المكثفة لمعلمي لبنان التي كان يعقدها مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية . وقد اتهم المعلم الفلسطيني بالتقصير والاهمال وعدم الرغبة في التدريس ، ولخصت كل هذه التهم بأن المعلم أصبح موظفا بيروقراطيا يهمه قبض معاشه اخر كل شهر وانه بالتالي فقد الروح المطلوبة للرسالة التعليمية . وقد انعكس وضع المعلم هذا على علاقته بطلابه ثم على علاقته باهالي الطلاب الذين يحملون المعلمين مسؤولية تدني مستوى اولادهم العلمي وتقصيرهم . غير أن بعض المعلمين قالوا انهم فقدوا الاهتمام بالتدريس نتيجة « لنوعية » الطلاب الفلسطينيين الحاليين والذين ليست لديهم ادنى رغبة في التعلم والتحصيل . ان هذه التقييمات بحاجة الى دراسة خاصة بها ، والمشكلة بحاجة الى دراسة عميقة وشاملة توضع على اساسها الحلول الجذرية ولا يمكن تركها على حالها لانها تمس مصير الاف الطلاب ومصير اجيال المستقبل الفلسطيني . ومهما يكن من أمر فالاحصاءات الرسمية تدل على وجود مشكلة في التعليم الفلسطيني في الاونروا . فقد كان طلاب الاونروا يقفون في أعلى سلم التعليم العربي في اواخر الخمسينات واوائل الستينات ، ولكنهم أصبحوا في أسفل ذلك السلم في اواخر الستينات واوائل السبعينات . والحقيقة الثانية هي ان مكانة المعلم الاجتماعية التي كانت مرتفعة جدا في اوساط الجماهير الفلسطينية ، تدنت الان وفقدت الكثير من لمعانها . أما النواقص الاخرى التي ادخلت حديثا على نظام تعليم الاونروا فهي نظام الترفيع الالي حيث يجري ترفيع كافة التلاميذ الى الصف الاعلى بنهاية السنة (لا سقوط او اعادة السنة الدراسية) ، ونظام التعليم المزدوج حيث يدرس صف الطلبة قبل الظهر ونصفهم الاخر بعد الظهر . وقد كان لهذين النظامين تأثير سلبي على ممارسة واداء المعلمين والطلاب على السواء .

اخيرا هناك مشكلة فقدان الرقابة الادارية على المعلمين . فهذه الرقابة ليست موجودة الا اسميا الان وهي اذا وجدت غير فعالة او تؤدي الى اية نتيجة . أما أسباب ضعف الرقابة الادارية والتعليمية فيردها بعض الاساتذة الى اضطرار رئاسة الاونروا لمسايرة الدول المضيفة والى خوفها من الثورة الفلسطينية التي انتمى اليها عدد غير بسيط من المعلمين . ويدعي اولئك الاساتذة ان كلا الطرفين السياسيين يتدخلان في سير عمل الاونروا . ولكننا نميل الى عدم الاخذ بذلك الادعاء ، والى ارجاع سبب الشلل الرقابي التعليمي في الاونروا الى عناصر داخلية في تركيبة الادارة التعليمية والهيئة التعليمية . ثم يجب الا ننسى ان رئاسة الاونروا تلعب دورا في هذا المجال ، اذ هي تتدخل في التعيينات ولها مصالح سياسية في ترتيب الاوضاع بشكل معين .

يمكننا ان نستنتج من الاستعراض السريع لمشاكل النظام التعليمي في الاونروا ان ذلك النظام بحاجة الى امرين أساسيين هما : ١) ثورة ثقافية في اوساط المعلمين الفلسطينيين ٢) اعادة النظر في مضمون التعليم واساليبه لكي يتلاءم مع حاجات الشعب الفلسطيني واهدافه الثابتة . واذا لم تستطع الثورة الفلسطينية الضغط باتجاه احداث التغيير المذكور اعلاه ، فهي بأمس الحاجة الى تجاربها وأطرها التعليمية الخاصة بها .

الوضع الاقتصادي

ان الوضع الاقتصادي في مخيمات الفلسطينيين في لبنان وضع صعب للغاية . والصعوبات على ثلاثة أوجه : اولا ، ان الشغل او التوظيف الدائم والثابت ليس متوافرا

سوى لعدد صغير من سكان المخيمات . ثانيا ، ان مداخيل او رواتب السكان منخفضة بشكل عام . ثالثا ، ان الدخل البسيط للشخص الواحد ، وفي بعض الحالات لشخصين ، عادة ما ينفق على اعالة عائلة كبيرة (ثمانية اشخاص او اكثر) . وهـذا العـبء الاقتصادي متمشيا مع المداخيل البسيطة يجعل سكان المخيمات في ضيق شديـد ولا يتمكنون من تدبير أمورهم المعيشية الا بصعوبة . ونظرا لعدم وجود فائض مالي لدى السكان فالرفاهية معدومة .

وقد زودنا الاحصاء اللبناني ببعض المعلومات حول القوى العاملة في المخيمات . وتظهر هذه المعلومات ان ١٩٫٣ ٪ من سكان المخيمات يعملون (عملا دائمـا ، او موسميا ، او يوميا) . ولكن المعدل الحقيقي للذين يعملون من السكان في سن العمـل (١٥ سنة او اكثر) يبلغ ٣٩٫٣ ٪ . واذا نظرنا الى فئات العمر المختلفة نجد أن اعلى نسبة للبطالة توجد في فئتي العمر ١٥ — ١٩ سنة و٦٠ — ٦٤ سنة ، اذ تبلغ ٧٣٫٤ ٪ . وهذا أمر متوقع لان الفئة الاولى معظمها من الطلاب ، والفئة الثانية متقاعدة . أمـا نسبة البطالة العالية التي تلي فتوجد في فئة العمر ٥٠ — ٥٤ سنة اذ تبلغ ٦٦٫٤ ٪ ، و٢٥ — ٢٩ سنة اذ تبلغ ٥٦٫٠ ٪ (راجع جدول رقم ٩) .

جدول رقم ٩

توزيع المقيمين العاملين وغير العاملين بحسب العمر والجنس

الذكور والاناث معا :

العمر	عاملون	يبحثون عن عمل لاول مرة	عاطلون عن العمل	متقاعدون	لا يعملون	المجموع	نسبة النشاط
٠ — ٩	٩٠	١٥	—	—	٤١٨٩٥	٤٢٠٠٠	٠٫٤٣
١٠ — ١٤	٨٨٥	٩٠	١٥	—	١٤١٧٥	١٥١٦٥	٦٫٥
١٥ — ١٩	٢٣٤٠	٤٨٠	١٢٠	—	٨٢٩٥	١١٢٣٥	٢٦٫٢
٢٠ — ٢٤	٢٨٩٥	٣٤٥	٩٠	٣٠	٣٧٩٥	٧١٥٥	٤٦٫٥
٢٥ — ٢٩	٢٤٤٥	١٢٠	٦٠	١٥	٣٣٣٠	٥٩٧٠	٤٤٫٠
٣٠ — ٣٤	٢٥٨٠	١٥	٦٠	٣٠	٢٥٩٥	٥٢٨٠	٥٠٫٣
٣٥ — ٣٩	١٧٨٥	—	٧٥	٩٠	٢١٠٠	٤٠٥٠	٤٥٫٩
٤٠ — ٤٤	١٨٦٠	—	١٥	٩٠	١٧١٠	٣٦٧٥	٥١٫٠
٤٥ — ٤٩	١٦٨٠	—	١٥	١٠٥	١٣٨٠	٣١٨٠	٥٣٫٣
٥٠ — ٥٤	٩٠٠	—	١٥	٢١٠	٧٠٥	١٨٣٠	٥٠٫٠
٥٥ — ٥٩	٤٥٠	—	١٥	٢٨٥	٦٤٥	١٣٩٥	٣٣٫٣
٦٠ — ٦٤	٣٦٠	—	١٥	٣٩٠	٦٤٥	١٤١٠	٢٦٫٦
٦٥ — ٦٩	٣٤٥	—	—	٢٥٥	٥١٠	١١١٠	٣١٫١
٧٠ واكثر	٤٠٥	—	—	١٠٨٠	١٤٤٠	٢٩٢٥	١٣٫٨
غير معين	—	—	—	—	٦٠	٦٠	—
المجمـــوع	١٩٠٢٠	١٠٦٥	٤٩٥	٢٥٨٠	٨٢٢٨٠	١٠٦٤٤٠	١٩٫٣

ترجع النسبة غير الطبيعية للبطالة بين سكان المخيمات الى نسبة البطالة العالية جدا بين الاناث والتي تكاد تكون تامة كما سنرى عندما ندرس علاقة العمل بالجنس (راجع

جدول رقم ١٠ وجدول رقم ١١) . وكما هو متوقع ، فان عدد العاملين بين الذكور اكبر منه بين الاناث ، ولكن الفرق كبير لدرجة يمكن معها القول ان نصف الطاقة البشرية الفلسطينية في المخيمات معطلة ولا يجري استغلالها . فالاحصاء اللبناني يدل على ان نسبة الذكور العاملين من مجموع السكان تبلغ ٣٤ر٥ ٪ ، بينما تبلغ نسبة الاناث العاملات من مجموع السكان ٣ر٢ ٪ . اما نسبة الذكور العاملين من السكان في سن العمل (١٥ واكثر) فتبلغ ٧٠ر٤ ٪ بينما النسبة نفسها للاناث تبلغ ٦ر٧ ٪ فقط . اما نسبة العاملين من الذكور بين فئات العمر ٢٥ — ٤٩ فهي طبيعية ، اذ تتراوح ما بين ٩١ر٣ ٪ — ٩٦ر٠ ٪ ، وتنخفض هذه النسبة الى ٨٠ر٠ ٪ لفئتي العمر ١٥ — ١٩ سنة و٥٠ — ٥٤ سنة . ويمكننا الاستنتاج من هذه الارقام ان نسبة العاملين من الذكور في مخيمات الفلسطينيين هي نسبة عادية بالمقاييس العالمية . ولكن نسبة العاملات من الاناث متدنية جدا بالمقاييس الغربية ، ومنخفضة بالمقاييس المحلية .

جدول رقم ١٠

توزيع المقيمين العاملين وغير العاملين بحسب العمر والجنس

الذكـــور

العمر	عاملون	يبحثون عن عمل لاول مرة	عاطلون عن العمل	متقاعدون	لا يعملون	المجموع	نسبة النشاط
٠ — ٩	٩٠	١٥	—	—	٢١٩٩٠	٢٢٠٩٥	٠٤٥
١٠ — ١٤	٧٢٠	٩٠	١٥	—	٦٦٠٠	٧٤٢٥	١١٤١
١٥ — ١٩	١٩٨٠	٤٦٥	١٠٥	—	٣٤٨٠	٦٠٣٠	٤٢٤٣
٢٠ — ٢٤	٢٦٢٥	٣١٥	٩٠	٣٠	٦٩٠	٣٧٥٠	٨٠٤٨
٢٥ — ٢٩	٢٣٤٠	١٠٥	٦٠	١٥	٢٢٥	٢٧٤٥	٩١٤٣
٣٠ — ٣٤	٢٤٤٥	١٥	٤٥	٣٠	٧٥	٢٦١٠	٩٦٤٠
٣٥ — ٣٩	١٧٢٥	—	٧٥	٩٠	—	١٨٩٠	٩٥٤٢
٤٠ — ٤٤	١٨١٥	—	١٥	٩٠	١٥	١٩٣٥	٩٤٤٦
٤٥ — ٤٩	١٥٣٠	—	١٥	١٠٥	١٥	١٦٦٥	٩٢٤٨
٥٠ — ٥٤	٨٢٥	—	١٥	١٩٥	—	١٠٣٥	٨١٤٢
٥٥ — ٥٩	٣٩٠	—	١٥	٢٨٥	١٥	٧٠٥	٥٧٤٤
٦٠ — ٦٤	٣١٥	—	١٥	٣٧٥	٦٠	٧٦٥	٤٣٤١
٦٥ — ٦٩	٢٨٥	—	—	٢٥٥	٧٥	٦١٥	٤٦٤٣
٧٠ واكـثر	٣٦٠	—	—	١٠٥٠	٧٥	١٤٨٥	٢٤٤٢
غـير معـين	—	—	—	—	٤٥	٤٥	—
المجمـــوع	١٧٤٤٥	١٠٠٥	٤٦٥	٢٥٢٠	٣٣٣٦٠	٥٤٧٩٥	٣٤٤٥

جدول رقم ١١
توزيع المقيمين العاملين وغير العاملين بحسب العمر والجنس

الانـــاث

العمر	عاملون	يبحثون عن عمل لاول مرة	عاطلون عن العمل	متقاعدون	غير عاملين	المجموع	نسبة النشاط
٠ — ٩	—	—	—	—	١٩٩٠٥	١٩٩٠٥	—
١٠ — ١٤	١٦٥	—	—	—	٧٥٧٥	٧٧٤٠	٢٫١
١٥ — ١٩	٣٦٠	١٥	١٥	—	٤٨١٥	٥٢٠٥	٧٫٥
٢٠ — ٢٤	٢٧٠	٣٠	—	—	٣١٠٥	٣٤٠٥	٨٫٨
٢٥ — ٢٩	١٠٥	١٥	—	—	٣١٠٥	٣٢٢٥	٣٫٧
٣٠ — ٣٤	١٣٥	—	١٥	—	٢٥٢٠	٢٦٧٠	٥٫٦
٣٥ — ٣٩	٦٠	—	—	—	٢١٠٠	٢١٦٠	٢٫٨
٤٠ — ٤٤	٤٥	—	—	—	١٦٩٥	١٧٤٠	٢٫٦
٤٥ — ٤٩	١٥٠	—	—	—	١٣٦٥	١٥١٥	٩٫٩
٥٠ — ٥٤	٧٥	—	—	١٥	٧٠٥	٧٩٥	٩٫٤
٥٥ — ٥٩	٦٠	—	—	—	٦٣٠	٦٩٠	٨٫٧
٦٠ — ٦٤	٤٥	—	—	١٥	٥٨٥	٦٤٥	٧٫٠
٦٥ — ٦٩	٦٠	—	—	—	٤٣٥	٤٩٥	١٢٫١
٧٠ واكثر	٤٥	—	—	٣٠	١٣٦٥	١٤٤٠	٣٫١
غير معين	—	—	—	—	١٥	١٥	—
المجمـــوع	١٥٧٥	٦٠	٣٠	٦٠	٤٩٩٢٠	٥١٦٤٥	٣٫٢

ان المستوى التعليمي المنخفض والنقص الشديد في التدريب المهني والتقني عند سكان المخيمات يجعل هؤلاء السكان ، كما هو متوقع ، في القسم الاسفل من السلم المهنـــي والوظيفي . ويظهر الاحصاء اللبناني ان القوى العاملة في المخيمات تعمل في القطاعات الاقتصادية التالية : الزراعة ٢١ر١ ٪ ، الصناعة ١١ر٨ ٪ ، البناء ١٣ر٦ ٪ ، التجارة والفنادق ١٤ر٤ ٪ ، النقل والمواصلات والخدمات المالية وخدمات للمؤسسات ٢ر٤ ٪ ، الخدمات الاخرى ٢١ر٠ ٪ ، غير معين ١٥ر٧ ٪ (راجع جدول رقم ١٢)*.

جدول رقم ١٢
توزيع المقيمين الذين يمارسون عملا بحسب قطاع النشاط والوضع في المهنة

قطاع النشاط	عاملون منفردون وارباب عمل	اجراء دائمون	مياومون	غيرهم	المجموع	٪
الزراعـــة	٢١٠	—	٣٧٥٠	٦٠	٤٠٢٠	٢١٫١
الصناعة والكهرباء والماء	٢٢٥	٣٣٠	١٦٣٥	٦٠	٢٢٥٠	١١٫٨

* ان الجدول رقم ١٢ جدول ضعيف جدا في تقسيمه لقطاعات العمل مثلا « التجارة والفنادق » ، « الصناعة الماء والكهرباء » ، « خدمات اخرى » و« غير معين » . فهو يجمع مهنا متباينة تحت قطاع واحد ، كما أن الفرق بين الفئتين الاخيرتين غير واضح بتاتـــا .

البنـــاء	١٩٥	٦٠	٢٣١٠	٣٠	٢٥٩٥	١٣٫٦
التجارة والفنادق	١٧٥٥	٢١٠	٥٢٥	٢٤٠	٢٧٣٠	١٤٫٤
النقل والمواصلات والمالية وخدمات للمؤسسات	١٢٠	١٢٠	١٩٥	١٥	٤٥٠	٢٫٤
خدمات اخرى	٥١٠	١٧٨٥	٩١٥	٧٨٠	٣٩٩٠	٢١٫٠
غـــير معـــين	٥٧٠	٢١٠	١٨١٥	٣٩٠	٢٩٨٥	١٥٫٧
المجمـــوع	٣٥٨٥	٢٧١٥	١١١٤٥	١٥٧٥	١٩٠٢٠	١٠٠٫٠

نلاحظ من هذا الجدول ان أكبر قطاعات القوى العاملة في المخيمات هي الزراعـــة (وهذا يشير الى العمال الزراعيين) و« الخدمات الاخرى » (التي تشير الى الاعمال البسيطة في قطاع الخدمات اللبناني العريض) اذ تبلغ النسبة ٢١٫٠ ٪ لكل قطاع منهما. ويلي هذين القطاعين ، فئة « غير معين » (وهي تشير على الارجح الى الاشغال التي لا تتطلب اية مهارة والتي تحتاج الى القوة الجسدية فقط) اذ تبلغ ١٥٫٧ ٪ . ثم يلي قطاع « التجارة والفنادق » والذي يشير اساسا الى اصحاب الدكاكين الصغـــيرة في المخيمات والمدن المجاورة . وجمع هاتين المهنتين تحت فئة واحدة خطأ . فان جدول رقم ١٢ يظهر أن ١٧٥٥ شخصا من أصل ٢٧٣٠ ، اي ٦٠٫٣ ٪ من هذا القطاع ارباب عمل. ولا يعقل أن يكون عشر او حتى ١ ٪ من ذلك العدد اصحاب فنادق . وبالتالي يمكننـــا الاستنتاج ان ارباب العمل هؤلاء هم أصحاب دكاكين . والجدول رقم ١٣ يؤكد صحـــة الاستنتاج كما سنرى .

أما القوى العاملة ذات المهارة الفنية فتقع ضمن القطاعات التالية : الزراعـــة ، الصناعة ، والبناء . ولكن الاحصاءات المتوافرة لا تمكننا بأية وسيلة من معرفة نسبة العمال الفنيين في هذه القطاعات التي تشكل ٥٦٫٤ ٪ من مجموع القوى العاملة في المخيمات . وبالتالي لا يمكننا معرفة نسبة العمال الفنيين والمهرة من مجموع القـــوى العاملة في المخيمات .

واذا انتقلنا الى دراسة وضع القوى العاملة الوظيفي نجد أن نسبة عالية منها تعمل على أساس يومي . ويتركز العمال المياومون في قطاعات الزراعة والبناء والصناعـــة « وغير معين » . ففي قطاع الزراعة كل العمال مياومين . وفي قطاع البناء نجد ان ٩٧٫٢ ٪ من العمال يعملون على أساس يومي . وفي قطاع الصناعة تصل نسبة العمال المياومين الى ٨١٫٠ ٪ . وفي قطاع « غير معين » تصل نسبتهم الى ٨٨٫٩ ٪ . أمـــا نسبة العمال المياومين الى العمال الثابتين او الدائمين فهي ٨٠ ٪ للفئة الاولى مقابل ٢٠ ٪ للفئة الثانية ، اذ ان مجموع العمال المياومين في المخيمات ١١١٤٥ عاملا مقابل ٢٧١٥ عاملا ثابتا او دائما . ويشكل العمال المياومون ٥٨٫٤ ٪ من القوى العاملة في المخيمـــات .

يساعد جدول رقم ١٣ على توضيح جدول رقم ١٢ . فهو يعطي تفصيلات اكثر حول مهن القوى العاملة في المخيمات ووظائفها ، وهذه التفاصيل ضرورية لمعرفة موقـــع القوى العاملة الفلسطينية في القطاعات الاقتصادية المختلفة وعلى السلم المهني .ويظهر جدول رقم ١٣ ان ٣٫٤ ٪ من العاملين من سكان المخيمات لهم وظائف حرة (مهندسون ، اطباء) او وظائف تتطلب كفاءة مهنية عالية . أما الموظفون الاداريون فيشكلون ١٫٣ ٪ من مجموع العاملين ، بينما يشكل اصحاب الدكاكين والمحلات التجارية الصغيرة ٩٫٠ ٪ ، ويشكل العمال المختصون بالخدمات ٨٫٣ ٪ ، والعمال الزراعيون وصيادو الاسماك

٠ر٢٣ ٪ . اما العمال غير المهرة فيشكلون ٨ر٤٢ ٪ من القوى العاملة في المخيمات . ويعمل ٠ر٧ ٪ من القوى العاملة في قطاع « غير معين » . وتظهر هذه الارقام انخفاض نسبة العمال الفنيين والمهرة بين العاملين من سكان المخيمات (راجع جدول رقم ١٣) .

استنتاج : ان القوى العاملة في مخيمات الفلسطينيين في لبنان هي قوى غير مهرة وغير فنية في غالبيتها . والاحوال الاقتصادية في تلك المخيمات صعبة جدا ، اذ أن مدخول معظم الناس قليل وغير مؤمن نظرا للنسبة العالية من العمال المياومين . كما أن هناك نسبة عالية من البطالة بالنسبة لمجموع السكان وليس بالنسبة للقوى القادرة على العمل فعليا وسط سكان المخيمات (٧ر٨٠ ٪) ترجع الى بطالة النساء ٨ر٩٧ ٪ . أما نسبة البطالة بين الذكور في سن العمل (١٥ وما فوق) فمرتفعة ايضا اذ تبلغ ٦ر٢٩ ٪ . واما نسبة غير العاملات بين الاناث في سن العمل (١٥ سنة) وما فوق فهي مرتفعة كثيرا جدا — ٣ر٩٣ ٪ .

جدول رقم ١٣
توزيع المقيمين الذين يمارسون بحسب المهنة والوضع في المهنة

	المهنة	عاملون منفردون	ارباب عمل	اجراء دائمون	مياومون	غيرهم	المجموع	٪
٠/١/٢	المهن التقنية والحرة وموظفو الملاك العالي	١٥	١٥	٦٠٠	—	١٥	٦٤٥	٣ر٤
٣	الموظفون الاداريون	—	—	٢٤٠	١٥	—	٢٥٥	١ر٣
٤	المهن التجارية — باعة	١٨١٥	٩٠	١٣٥	٣٩٠	٢٧٠	٢٧٠٠	١٤ر٢
٥	عمال متخصصون في الخدمات	٢٢٥	٤٥	٧٢٠	٥٧٠	١٥	١٥٧٥	٨ر٣
٦	زراعيون وصيادون	٢٤٠	١٥	١٥	٣٩٩٠	١٠٥	٤٣٦٥	٢٣ر٠
٩/٨/٧	عمال وفعلة غير زراعيين قوات مسلحة وغير معينة	١٠٢٠	٧٥	٧٣٥	٦١٠٥	٢١٠	٨١٤٥	٤٢ر٨
		٣٠	—	٢٧٠	٧٥	٩٦٠	١٣٣٥	٧ر٠
	المجمـــوع	٣٣٤٥	٢٤٠	٢٧١٥	١١١٤٥	١٥٧٥	١٩٠٢٠	١٠٠ر٠

التركيب الاجتماعي والحياة الاجتماعية

المخيمات الفلسطينية في لبنان ليست تجمعا عشوائيا وفوريا للافراد او للعائلات . وهذه المخيمات لا تشبه بتاتا ، من الناحية الاجتماعية ومن ناحية التركيب الاجتماعي ، المناطق السكنية الفقيرة التي تنشأ عند اطراف المدن الكبيرة . فالمخيمات اقرب الى القرى في تركيبها الاجتماعي . والمخيمات منظمة في الواقع على اساس وحدتين : القرية الفلسطينية والعائلة الكبيرة (الحمولة) . وقد تم اعادة تجميع قرى شمال فلسطين ، سكانيا ، في المخيمات الفلسطينية في لبنان . فالقرى التي احتلتها اسرائيل واخلتها من

سكانها ثم دمرتها ما تزال حية ومتماسكة بشكل متين . ويمكن تشبيه هذه القرى بمخلوقات حية خارج موطنها الطبيعي . وعند تحرير فلسطين سيكون من الممكن اعادة تركيبها اجتماعيا على أرض فلسطين في فترة قصيرة جداً .

وقد لعبت الطريقة التي تم بها تركيب المخيمات اجتماعيا ، (لقد ركبت المخيمات عفويا وبشكل طبيعي وليس من خلال جهود الاونروا المنظمة ، ولو كان للاونروا الخيار لقامت حتما بتفكيك التركيب الاجتماعي الحالي للمخيمات واعادت تركيبها بشكل هدام بالنسبة للوحدة الاجتماعية الفلسطينية . وقد قامت اسرائيل بذلك العمل في قطاع غزة ، كما أن سلطات الاردن كانت تعتزم تفكيك مخيمات الاردن بمساعدات مالية المانية غربية واميركية) ، دورا كبيرا في الحفاظ على انماط العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة قبل عام ١٩٤٨ . كما انها لعبت دورا كبيرا في المحافظة على الشخصية الفلسطينية وعلى الهوية الفلسطينية من الناحيتين العاطفية والنفسية . كما ان التركيب الاجتماعي للمخيمات أثر تأثيرا كبيرا على جوانب أخرى من الحياة الفلسطينية ومنها : الحياة الاجتماعية ، الحياة السياسية ، التماسك الاجتماعي والعادات والتقاليد .

المخيم الفلسطيني وحدة اجتماعية مغلقة ، يعرف فيها كل الناس بعضهم بعضا ويعرفون تقريبا كل شيء عن بعضهم بعضا ابتداء من المسائل الشخصية الى المدخول الى الانتماءات السياسية . وهذه المعرفة ممكنة او هي في الواقع تفرض نفسها على الناس بسبب التقارب الجسدي والحسي الشديد للبيوت وبالتالي للسكان . فسواء اراد المرء ان يصغي الى حديث جيرانه او لم يرد فهو غالبا ، وخصوصا في الليل ، ما يسمعهم يبحثون مشاكلهم الخاصة أو يتشاجرون حول أمر او اخر الخ . ولا يمكن لساكن المخيم ان يتجنب ان يعرف . وعندما يعرف الناس ذلك المقدار عن بعضهم بعضا يبدأون بالاهتمام او بالتدخل بامور بعضهم بعضا . ومما يزيد في حدة ذلك الوضع كون معظم السكان في حي او منطقة من المخيم يمتون الى بعضهم بصلة القرابة او المصاهرة ، او الصداقة والجيرة القديمة في فلسطين .

ويحمل هذا الوضع الاجتماعي للمخيمات في طياته طرفين في آن واحد : الاول طرف التنازع الاجتماعي والثاني جو التضامن الاجتماعي . ويظهر التنازع والتضامن الاجتماعي على مستويين : على مستوى المجتمع ككل ، وعلى مستوى العائلة . فالتنازع الاجتماعي على مستوى المجتمع يرجع الى عاملين هما الخلافات القديمة فيما بين القرى والعائلات والتي نقلها السكان معهم من فلسطين ، والخلافات الثورية مثل التنازع حول المياه او حول الارض المخصصة للبناء ، او حول الانتماءات السياسية مؤخرا ، مثلا الانتماء الى التنظيمات الفدائية المتنافسة .

اما التنازع على المستوى العائلي فيعود الى الصراع بين الاهل المتسلطين والابناء الذين يسعون لنيل حرية التصرف كما ان التنازع ينشأ نتيجة لصعوبة الوضع المالي للعائلة حيث يقوم فرد واحد ، غالبا ما يكون الاب ، بالعمل المضني من اجل اعالة عائلته بما فيها اولاده العاطلون عن العمل . ويشعر الاب ان دوره الرئيسي هذا يعطيه الحق لتسيير عائلته كما يشاء .

التضامن الاجتماعي في المخيمات اقوى على مستوى المجتمع وعلى مستوى العائلة من التنازع الاجتماعي . فان عرى التضامن على المستوى الاجتماعي هي التالية : ا) معظم سكان المخيمات في لبنان يأتون من نفس المنطقة في فلسطين (شمال فلسطين) حيث كانت هناك روابط شخصية وجماعية بين القرى . ب) المجتمع كله يشعر بانه مجتمع مقتلع ومضطهد ولاجيء . ج) لدى المجتمع ككل شعور قوي بان مصيره واحد .

د) يواجه المجتمع ككل المشاكل العامة واليومية ذاتها . هـ) يعيش المجتمع كله على أمل واحد وهو العودة الى وطنه المحتل . و) يشعر المجتمع ككل بانه يواجه الاعداء انفسهم : الاستعمار الاميركي ، اسرائيل والصهيونية العالمية ، المانيا الغربية ، بريطانيا ، القوى الرجعية العربية .

اما على المستوى العائلي فان العرى التي تسبب التضامن وتحتوي اي تنازع بحيث لا يهدد تماسك العائلة ووحدتها ، فهي نفس العرى العاطفية والروابط التقليدية الموجودة في العائلة العربية ككل . فان افراد العائلة يساعدون بعضهم بعضا ويهتمون باحوال بعضهم بعضا ويبقون معا باختيارهم التام . والولاء للعائلة ما زال يحتل المرتبة الاولى في سلم ولاءات الفرد (ملاحظتنا الشخصية ودراسة بيتر خود وحليم بركات حول نزوح ١٩٦٧) . لكن في بعض الحالات يأتي الولاء للثورة قبل الولاء للعائلة . ويشعر الفرد بان حياته جزء من حياة عائلته ، وبانه فرد ضائع ومحروم عاطفيا خارج اطار عائلته . وما زال مدخول افراد العائلة يعتبر مدخولا مشتركا للعائلة ككل بغض النظر عمن يشارك في تحصيل ذلك المدخول . وغالبا ما يجري استيعاب العائلة الجديد (رجل وزوجته وطفله او اطفاله) في منزل العائلة الام او في منزل مجاور لمنزلها .

وبما ان مجتمع المخيم عبارة عن مزيج لمجتمعات القرى الفلسطينية ، فمن الطبيعي ان تكون قيمه الاجتماعية هي قيم تلك القرى نفسها . فما زال مجتمع المخيم يشدد على احترام الكبار ، والتصرف المؤدب ، وشرف العائلة وكرامتها ، والكرم ، ومساعدة الاخرين ، وتحمل بعض المضايقات من اجل الاخرين ، والابتعاد عن الفردية ، وتبادل الخدمات ، والتضحية من اجل الجماعة الخ . كما ان مجتمع المخيم ما زال يحافظ على كل مقاييس التصرف ، فالتصرف الايجابي والسلبي محدد الماهية . والالتزام بمقاييس التصرف الايجابي مطلوب ، واي انحراف يعاقب اجتماعيا وحتى جسديا ، او على الاقل يستنكر من قبل المجتمع . وان سوء تصرف الفرد يجلب العار لعائلته .

ويشكل وضع المخيم المادي والاجتماعي اداة ضخمة للرقابة الاجتماعية . فالرقابة أو السيطرة الاجتماعية فعالة في المخيمات لدرجة لا نجد معها الا انحرافات بسيطة عن انماط السلوك الاجتماعية . فالجرائم ضد الاشخاص او ضد الممتلكات قليلة جدا . وحوادث الاغتصاب مثلا معدومة بالرغم من الحرمان الجنسي الشديد . وينطبق الامر نفسه على انحرافات الشبان الصغار كالسرقة ، والعصابات ، وتدخين الحشيش ، والادمان على المخدرات ، اذ ان نسبتها متدنية جدا . كما يقوم المجتمع بالسيطرة على الخلافات العائلية او الفردية ويحتويها بسرعة قبل ان تتفاقم وتتسع .

ان وضع النساء في مجتمع المخيم وضع بائس . فمن الصحيح ان وضع المرأة العربية ككل بائس ، ولكن لا يمكن تناسي ان المرأة العربية من الطبقة المتوسطة قد اكتسبت حريات كثيرة على الصعيدين الشخصي والاجتماعي ، وانها قد قطعت شوطا كبيرا في الاستقلال الذاتي . اما المرأة في المخيم فما زالت بعيدة جدا عن تحقيق حريتها الشخصية والاجتماعية . والخطأ ليس خطأها ، فهي مكبوتة ومضطهدة . كما ان التقارب السكني يزيد من كبت الرجل للمرأة ، فهو يراقبها بدقة خوفا من ان تتصرف تصرفا يلحق به العار والفضيحة . والمرأة ما زالت تعتبر ادنى مرتبة من الرجل . وهي تعتبر « شيئا » يجب تحمله قبل الزواج ، « وشيئا مريحا » و « أما » و « خادمة » بعد ان تتزوج . والمرأة تعتبر مصدر خطر دائم على شرف العائلة ومكانتها واحترامها . ولا يسمح للفتيات بالخروج مع الشبان . وحالما يصلن الى مرحلة البلوغ الجنسي (سن ١٠ — ١٤) يبدأ اهلهن بالتفكير والحديث عن تزويجهن . وتعتبر المرأة عبأ اقتصاديا ولكنها في الوقت ذاته تمنع من العمل . اما تعليمهن فيعتبر بشكل عام مضيعة للوقت او يعتبر في احسن

الحالات عاملا مساعدا على ايجاد زوج . ولا تعطى المراة اية فرصة لتنمية شخصيتها ، وهي بالتالي تنتقل من تسلط الابوين الى تسلط الزوج . ويلعب الابوان عادة دورا اساسيا في اختيار زوج المستقبل . وتجري معاقبة المراة بشدة اذا خالفت التقاليد وخاصة في مجال العلاقات الجنسية ، او اذا تحدت والدها واخوتها . لكن هناك اقلية صغيرة من الفتيات (ربما ٥٪) تحاولن الثورة على اوضاعهن وتنجحن في تحرير انفسهن الى حد كبير ، ومعظم هؤلاء الفتيات ينتمين الى الفئة المتعلمة التي تشتغل . اما الفتيات اللواتي يعملن في المصانع او في المنازل فما زلن مقيدات تماما .

كان العديد من المفكرين الفلسطينيين وبعض العناصر الثورية يأملون في ان تلعب الثورة الفلسطينية الدور الاول في تحرير المرأة الفلسطينية عامة والمراة في المخيم خاصة . وبما ان الثورة قد تبنت اسلوب حرب التحرير الشعبية وبما ان النساء يشكلن نصف طاقة الشعب البشرية ، فقد آمن اولئك بان تحرير المرأة واجب ومن اول واجبات الثورة . ولكن تلك الامال والتطلعات (من قبل النساء انفسهن ايضا) لم تجد مجالا واسعا للانعاش . فقد ركزت الثورة جهودها على العمليات العسكرية وتركت الاوضاع الاجتماعية على حالها في معظم الاحيان . وقد اهملت النساء الى حد ما ، باستثناء بعض العناصر النسائية المتعلمة التي تم استيعابها ضمن الاطر الثورية القائمة . ولم تحاول النساء اللواتي تحررن واللواتي قدن حركة التحرر النسائية ان يحررن او يثورن اخواتهن في المخيمات . ولهذا السبب بالذات فشل التنظيم النسائي . فقد كانت النساء الثوريات يدرن حول ذواتهن ، وكن يركزن جهودهن في تأدية المهام المعطاة لهن من قبل الرجال في الثورة . ونتيجة لذلك لم تنجح الثورة كثيراً في خلق حركة اجتماعية بين النساء الفلسطينيات . وقد عارض بعض اكثر العناصر ثورية في السماح لاخواتهم بالمشاركة في التنظيمات الثورية اما لاعتبارات اخلاقية واجتماعية واما خوفا من الضغط الاجتماعي . لقد كان بامكان الثورة الفلسطينية ان تفعل الكثير من اجل تحرير المراة الفلسطينية ، ولكن ظروفها لم تسمح لها بفعل الكثير في هذا المجال . فقد كانت الثورة القوة الوحيدة القادرة على مخالفة وتخطي اي تقليد اجتماعي بلا خوف ، لانه بالنسبة للفلسطينيين يأتي تحرير فلسطين اولا وأي أمر آخر ثانيا . وكان من المفروض أن تبدأ الحركة الاجتماعية في مجالين في آن واحد : ضمن التنظيمات الرجالية ، وفي اوساط النساء الفلسطينيات حيث تلعب النساء المتحررات دورا اساسيا .

الحياة الاجتماعية

ان الحياة الاجتماعية في المخيمات ليست غنية بشكل عام . ويرجع هذا الى الوضع الاقتصادي والوضع السكني للمخيمات . وعندما نتحدث عن الحياة الاجتماعية علينا ان نميز بين حياة ثلاثة اجيال . الجيل الاول جيل الاولاد (سن ٣ — ١٥) الذي يقضي وقته قبل دخول المدرسة (سن ٣ — ٦) في اللعب والشجار داخل المخيم وحوله . ويتابع هذا الجيل بعد دخول المدرسة (سن ٦ — ١٥) طريقته السابقة في اللعب والشجار ويضيف العابا جديدة تتطلب اقل قدر من الامكانات كالكرة ، والعصي ، والسكاكين القديمة ، وعلب التنك الخ . ومن الملاحظ ان كل العاب هذا الجيل تقريبا جسدية ولا تتضمن اية العاب ذهنية او فكرية . ويبدأ الاولاد في هذا السن بالذهاب الى دور السينما القريبة كلما توافر لهم المال اللازم لذلك . ولا تقوم المدرسة او الاهل بترتيب أية نشاطات لهؤلاء الاولاد .

الجيل الثاني ، جيل الشباب (سن ١٦ — ٣٠) . ليس لدى هذا الجيل ايضا اية نشاطات اجتماعية منظمة او جماعية . فالمخيمات يندر فيها وجود النوادي وتخلو من تنظيمات الشباب الاجتماعية ، باستثناء بعض النوادي الرياضية الضعيفة . والحياة

الاجتماعية لهذا الجيل فارغة . ولديهم الكثير من وقت الفراغ الذي يضيعونه هبـــاء . أما نشاطاتهم بعد انتهاء اليوم المدرسي او يوم العمل فتقتصر على الذهاب للسينمـــا والجلوس في المقاهي للتحدث او لعب الورق والتنزه سيرا على الاقدام داخل المخيم او بقربه . ولا توجد اية نشاطات مشتركة بينهم وبين الفتيات . كما ان حياتهم العاطفية والجنسية مليئة بالكبت والحرمان . واضحت مكاتب التنظيمات الفدائية في المخيمات مؤخرا (بعد العام ١٩٦٩) اماكن تجمع للشبان . وقد كان للتواجد في هذه المكاتـــب والعمل السياسي والعسكري تأثير ايجابي على حياة ابناء هذا الجيل اذ اعطتها معنى وقيمـــة .

اما الجيل الثالث ، جيل الكبار (سن ٣٠ وما فوق) فيقضي معظم اوقات فراغه في تبادل الزيارات الاجتماعية (بين الاقارب والاصدقاء) . وتشكل الزيارات جزءا رئيسيا من حياة الكبار الاجتماعية . وهي ممكنة بكثرة نظرا لقرب بيوت الاقارب والاصدقـــاء من بعضها بعضا . وتتخلل الزيارات مشاهدة التلفزيون ، واحيانا لعب الورق بـــين الرجال . كما يقضي الكبار جزءا من وقت فراغهم في المقاهي يشربون القهوة والشاي ويتحدثون او يلعبون الورق او طاولة الزهر وغيرها .

اما الحياة الاجتماعية للنساء فهي ضحلة تماما ، اذ انها تقتصر تقريبا على الزيارات والبقاء في البيت . وتذهب بعض الفتيات غير المتزوجات (سن ١٢ — ٢٥) مرة كـــل اسبوع او كل اسبوعين الى السينما في مجموعات او مع اقاربهن الذكور . اما حياتهن العاطفية والجنسية فاكثر تعقيدا وكبتا من حياة الشبان . وهن يعشن في خوف دائـــم من ان يخطئن اجتماعيا لان شرف عائلتهن ومكانتها قد تتأثران نتيجـــة لذلـــك ، ولان « مستقبلهن » (فرصتهن في الزواج) قد تتأثر ايضا .

الحياة السياسية

الفلسطيني ، وخاصة المقيم في المخيم ، انسان سياسي . وهو كذلك لان الشؤون والاحداث السياسية العالمية والعربية والداخلية تمس حياة الفلسطينيين ربما بشكل لا تمس فيه حياة اي شعب اخر . وقد لعبت السياسة دورا في تقرير حياة الفلسطينيين على عدة مستويات وفي عدة جوانب من حياتهم اليومية كالعمل ، والصداقة ، والزواج ، والسفر ، والتعليم والتغذية ، واللهو ، وعلاقتهم بالعالم الخـــارجي ، والطمـــوح ، والتطلعات ، والوضع النفسي ، ونظرتهم الى الحياة نفسها .

وهذه العلاقة بين السياسة وحياة الشعب الفلسطيني تجعل من الممكـــن القول ان الشعب الفلسطيني هو من اكثر الشعوب المسيسة في العالم . وبالتالي ، فالفلسطينيون يهتمون بالعمل السياسي بحكم واقعهم ، ان لم يكن بحكم اختيارهـــم . وهـــذا يفسر مشاركتهم في الاحداث السياسية المحلية والقومية في الوطن العربي منذ نكبة فلسطين . ولا يمكن للفلسطينيين ان يقفوا موقف المتفرج مما يجـــري في الوطن العربي لانه حتما سيمسهم اكثر مما يمس اي شعب اخر في المنطقة .

وسنحاول الان ان نصف الحياة السياسية لسكان المخيمات من خلال بعض المظاهر السلوكية . **أولا** ، ان افضل مقياس لاهتمام الفلسطينيين بالاحداث السياسية هو كمية ودرجة حديثهم عن تلك الاحداث ، ومقدار اصغائهم لنشرات الاخبـــار من الاذاعـــة والتلفزيون ، ومقدار قراءتهم للصحف اليومية . ومن الممكن بالطبع قياس هذه الامور علميا وبطريقة تجريبية دقيقة . ولكننا في هذا المقال سنكتفي بالانطبـــاع والاحتكـــاك والملاحظة الشخصية . وان اي شخص يعيش في المخيم او يكون على احتكـــاك يومي بالمخيم يلاحظ بسهولة ان مقدارا كبيرا من الوقت (عدة ساعات يوميا) ينفقها الاهالي

في بحث الاحداث السياسية الجارية وعلاقتها بـ او تأثيرها على القضية الفلسطينية ومستقبل فلسطين . ويستمع الاهالي الى نشرات الاخبار من عدة محطات اذاعية كل يوم . واهم تلك الاذاعات (الترتيب ليس حسب الاولوية) : صوت الثورة الفلسطينية (صوت العاصفة) ، صوت العرب من القاهرة ، اذاعة القاهرة ، اذاعة دمشق ، اذاعة لندن العربية ، اذاعة لبنان ، اذاعة اسرائيل ، واذاعة الاردن . والواقع ان المحللين السياسيين في وزارات الخارجية هم الذين يصغون الى مثل هذا العدد من الاذاعات . وبالاضافة الى نشرات الاخبار ، يقوم عدد اقل من الاهالي (الكبار في السن والمتعلمون) بتتبع التحاليل والتعليقات السياسية خاصة من صوت الثورة الفلسطينية ، وصوت العرب ، واذاعة لندن العربية ، واذاعة اسرائيل . ويمكن لاي عابر سبيل في المخيم ان يسمع النقاشات السياسية الحادة في البيوت والمقاهي . لقد كان الاهتمام بالسياسة موجودا دائما عند الفلسطينيين ، ولكن هذا الاهتمام أصبح ظاهرا للعيان بعد ان حررت الثورة الفلسطينية المخيمات من الارهاب والضغط . وقد كان الاهتمام بالسياسة يظهر على السطح او يختفي تحته تبعا لتقدم حركة التحرر العربية (في عهد عبد الناصر) ثم تبعا لتقدم الثورة الفلسطينية . فكلما احرزت حركة التحرر العربية او الثورة الفلسطينية انتصارات جديدة كلما انتعشت امال الجماهير الفلسطينية وزاد اهتمامها بالشؤون السياسية ، وخاصة عندما تبدو عودة فلسطين اقرب (نفسيا على الاقل) . اما عندما تبدو فلسطين بعيدة وصعبة المنال فان الجماهير الفلسطينية تصاب بالكمود ويخف مقدار الحديث السياسي ، ولكن الناس في الواقع لا يكفون عن التفكير بفلسطين وبما يجري حولهم . اما كمية القراءة فاقل من كمية الكلام والاصغاء ، وهذا متوقع لان القراءة تحتاج الى تركيز والى درجة من التعليم .

وقد اضافت الثورة الفسطينية موضوعات سياسية جديدة لمناقشات جماهير المخيمات واحاديثها ، وهي برامج التنظيمات الفدائية السياسية المختلفة واداء كل تنظيم منها على الصعيد الثوري ، عمليات الفدائيين الفلسطينيين ، تدريب الميليشيا ، ونوعية الاسلحة المختلفة ومواصفاتها وكيفية استعمالها . وقد زادت هذه المواضيع من عدد الساعات التي تنفق على الاحاديث السياسية زيادة كبيرة غير معهودة منذ النكبة .

ثانيا ، ان الفلسطينيين لم يقوموا فقط بالتحدث عن الاحداث السياسية ومناقشتها وتتبعها ، بل لعبوا دورا نشطا واحيانا رئيسيا في كل حركة سياسية كبرى في الوطن العربي ، كما انهم شاركوا في كل شكل من اشكال العمل السياسي . ولكن من الضروري التأكيد على ان اهتمام معظم الفلسطينيين الناشطين سياسيا كان مقتصرا على الحركات العربية الوحدوية والمعادية للاستعمار . فالفلسطينيون عامة لم يكونوا مهتمين اطلاقا بالحركات السياسية الاقليمية او بالمسائل السياسية الاقليمية . ويمكن للمرء القول بسهولة ان الفلسطينيين هم اكثر العرب وحدوية . فقد انضم الفلسطينيون باعداد كبيرة الى الحركات الوحدوية العربية الكبرى وهي حركة القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي . اما فيما يتعلق بالحركة الوحدوية الكبرى غير المنظمة — الحركة الناصرية — فيمكن القول ان الغالبية العظمى من الفلسطينيين كانوا ناصريين وان عبد الناصر كان القائد الحقيقي للجماهير الفلسطينية (والجماهير العربية ايضا) . وينظر الفلسطينيون الى اسرائيل على انها عدو الامة العربية ككل ، ويرون فيها خطرا على الاستقلال والتقدم العربي وتهديدا لهما . وهم يرون ان بلدهم لن يتحرر الا بمجهود عربي جماعي . فاسرائيل لم تقف لوحدها في اي يوم من تاريخها . وبالتالي يمكن القول ان الفلسطيني قومي عربي بحكم طبيعة معركته مع اسرائيل ، ان لم يكن لاي سبب اخر ، وقد انضم عدد صغير من الفلسطينيين الى الحركات السياسية

الدينية كالاخوان المسلمين . وانضم عدد أصغر الى الحركات الاقليمية كالحزب القومي السوري . ولكن الجماهير الفلسطينية نبذت وحاربت الفلسطينيين الذين انضموا الى الحركتين الاخيرتين .

لقد مارس الفلسطينيون كافة اشكال النضال السياسي في الدول العربية المضيفة . وبما اننا نتحدث عن فلسطينيي لبنان في هذا المقال ، فسنذكر انهم قد شاركوا في الاضرابات ، والاحتجاجات ، والمسيرات السلمية ، والمسيرات العنيفة ، وفي التنظيمات السرية . وكان هناك مؤشران يرشدان العمل السياسي الفلسطيني باستمرار وهما تحرير فلسطين ، ووحدة الامة العربية واستقلالها .

وقد كان لممارسة الفلسطينيين للنشاط السياسي في الوطن العربي انعكاسات سلبية على الفلسطينيين في الدول العربية المضيفة ، خاصة وان الحكومات العربية كانت رسميا تعتبر الفلسطينيين غرباء او « ضيوفا » لا حق لهم في ممارسة اي نشاط سياسي في بلادها ، خاصة اذا كان ذلك النشاط يستهدف تغيير النظام في البلد المضيف . ولكن المنطق الفلسطيني في حرية العمل السياسي كان مناقضا للمنطق الرسمي العربي . فقد كان الفلسطينيون يتصرفون على اساس ان حقهم طبيعي في الانضمام للحركات السياسية العربية القادرة على تعبئة الجماهير العربية والضغط على الحكومات العربية للعمل من اجل تحرير فلسطين . ونتيجة لذلك المنطق وما تبعه من نشاط سياسي فلسطيني قامت الانظمة العربية باضطهاد التجمعات الفلسطينية والتضييق عليها حيثما وجدت . ولا داعي للقول ان جماهير المخيمات تلقت الجزء الاكبر من الاضطهاد الرسمي العربي لانها كانت تقف دائما في صف المواجهة الاول ، ولانها كانت تشكل هدفا كبيرا وملموسا (كتلة واحدة) ، واخيرا لانها كانت معرضة وغير محمية (على عكس الطبقة الوسطى الفلسطينية ، مثلا ، التي كانت لها صلات جيدة وعلاقات طيبة مع الفئات المختلفة من الطبقات الحاكمة في الدول العربية) .

وكان للتحركات السياسية للدول الاستعمارية (الولايات المتحدة الاميركية، بريطانيا، المانيا الغربية ، وفرنسا) الموجهة نحو قضية فلسطين وضد حركة التحرر العربية ككل — خلال ربع القرن الماضي — تأثير مباشر على تماسك المجتمع الفلسطيني . فكل مشاريع التوطين والاسكان — سواء المباشرة منها او التي طرحت من خلال الامم المتحدة — وكل برامج التصفية والتحالفات السياسية في المنطقة ، قد ادت الى خلق تماسك فوري عند الجماهير الفلسطينية لانها كانت تدرك ان رأسها ووطنها هو الثمن الذي سيدفع لتلك التسويات والمشاريع المشبوهة . وبالتالي كانت الجماهير الفلسطينية تقاتل بشراسة لاحباط تلك المشاريع . وحتى برامج التهجير والتسهيلات التي قدمتها دول كاميركا وكندا واوستراليا للفلسطينيين لمساعدتهم على الهجرة ، تم كشفها وتصنيفها على انها تستهدف قضية فلسطين في المدى البعيد . وكان التماسك الداخلي الفلسطيني يزداد مع ازدياد وحشية الهجمات الاستعمارية على الوجود الوطني الفلسطيني . وقد بلغ التماسك الداخلي اعلى مراحله في تاريخ فلسطين اثناء تنفيذ المذبحة الفلسطينية الكبرى في عمان في ايلول ١٩٧٠ بتخطيط اميركي وتنفيذ هاشمي ومباركة اسرائيلية .

وكان التماسك الداخلي للمجتمع الفلسطيني يهتز احيانا بسبب الانتماءات السياسية المختلفة للفلسطينيين . ولكن النقص في التماسك لم يصل ابدا نقطة تهدد بانقسام المجتمع الفلسطيني على نفسه ، وذلك لان الرباط الاساسي للمجتمع هو الرباط العائلي الذي أثبت متانته في وجه الاحداث والنكبات . ويجد المرء في حالات عديدة أخوين او ثلاثة أخوة او ابناء عم ينتمون الى ثلاث مجموعات سياسية متباينة — غالبا في الوسائل اكثر

منها في الاهداف واحيانا في الاهداف — ولكن العائلة لا تتفسخ وتتابع عملها كالوحدة الاساسية في المجتمع . وفي الختام يمكننا القول ان المؤامرات السياسية ضد الشعب الفلسطيني تواجه بتماسك وصلابة من الجماهير الفلسطينية اذ كانت تزيد من قوة التماسك الداخلي لذلك المجتمع .

القيادة السياسية: يمكن التمييز بين اربعة انواع من القادة السياسيين الفلسطينيين، وخاصة بين جماهير المخيمات . **أولا** ، هناك الوجهاء الذين يستمدون شرعيتهم القيادية من مكانتهم الاجتماعية والسياسية السابقة في فلسطين . ومعظم هؤلاء الوجهاء يقيمون في المدن اللبنانية (بيروت اساسا) ويمارسون تأثيرهم على فلسطينيي المدن والمخيمات على السواء . اما الوزن السياسي الحالي لهذه الفئة فضعيف او ضعيف جدا ، اذ ان هذه الفئة قد سقطت في اواخر الخمسينات لانها اظهرت ، بالنسبة الى سكان المخيمات ، ترددا واتخذت مواقف رجعية ومتعاونة ومساومة حول القضية الفلسطينية. فكل ما فعلوه من اجل استرجاع فلسطين كان كتابة العرائض للامم المتحدة وللدول العربية . ويمكن القول باختصار ان هذه الفئة القيادية قد سقطت لانها لم تناضل لاسترجاع فلسطين .

ثانيا ، هناك زعماء العائلات الكبيرة والذين هم في الوقت نفسه زعماء القرى (فالقرية الصغيرة تتألف من عائلتين كبيرتين او ثلاث) . ومن بين هؤلاء نجد المختار والشيخ والوجيه . زعماء العائلات هم قادة محليون وغالبا ما كانوا اتباعا لفئة الوجهاء الكبار . وما زال لزعماء العائلات نفوذ ملموس داخل المخيمات بحكم مكانتهم العائلية .

ثالثا ، هناك القادة « الجدد » او العصاميون . وهؤلاء افراد حصلوا على مكانة مرموقة وسط المخيمات بفضل نضالهم السياسي الطويل (داخل الاحزاب العربية) او بفضل تحصيلهم العلمي الرفيع او بفضل مراكزهم الوظيفية (مدراء مخيم ، اطباء ، اداريون كبار الخ) . وهذه المجموعة من القادة تمتلك قوة تأثير على الجماهير . فالناس يستمعون الى رأيهم حول المسائل المختلفة ، وقد يتصرفون حسب مشورتهم .

اما الفئة الاولى من هؤلاء القادة (اعضاء الاحزاب السياسية) فقد نجحت في قيادة قطاعات كبيرة من الجماهير ولكن لفترات محدودة . ولم يستطيعوا قيادة كل الجماهير لمدة طويلة ربما لانهم لم يبدأوا النضال المسلح لتحرير فلسطين . وكان معظم الناس يتعاطفون معهم ولكنهم لم ينضموا للاحزاب السياسية بشكل جماعي . وبالتالي فقد كان دور هذه الفئة محدودا في حجمه ولكن ليس في ابعاده كقوة محركة ومعبئة للجماهير . وقد قادت هذه الفئة النضال السياسي الفلسطيني في المخيمات لسنين عديدة .

رابعا ، القادة الفدائيون . اكتسح هؤلاء القادة كل القيادات الاخرى . وقد حصلوا على شرعيتهم القيادية بالبندقية وحدها — البندقية الموجهة نحو فلسطين . والبندقية المقاتلة هي التي اعطتهم قوة غير محدودة وشرعية تامة في نظر الجماهير الفلسطينية (والعربية) . فقد بدأوا النضال المسلح ، وتركت الجماهير كل شيء اخر وتبعتهم . وقد حققوا الحلم المنتظر لكل فلسطيني وهو بدء النضال المسلح من اجل العودة . وقد حرر القادة الفدائيون الشعب الفلسطيني من الاضطهاد والكبت الرسمي العربي ، وزودوا الجماهير بالسلاح ، وجعلوا الشعب الفلسطيني مسؤولا عن نفسه . واصبح الفدائي القائد اللامنازع في المخيمات . وقد استوعبت التنظيمات الفدائية المجموعة الثالثة من القادة وبعض افراد المجموعة الثانية . ولكنها لم تزل قوة زعماء العائلات .

ويسيطر الفدائيون سيطرة شبه تامة على الشباب (سن ١٥ — ٢٣) الذين يرفضون كل انواع القيادات التقليدية . وفي الختام يمكننا القول ان القيادة السياسية في المخيمات مضمونة للذين يقاتلون من اجل فلسطين .

التغيير الاجتماعي

السؤال الهام الذي يجب ان يسأله اي مراقب او باحث هو « ما نوع ودرجة التغيير الاجتماعي الذي حصل في المخيمات في ربع القرن الماضي ؟ » .

من الصعب ملاحظة وقياس التغيير الاجتماعي في مجتمع مغلق وغير صناعي . لذلك قد يقول العديد من المراقبين ان مجتمع المخيم كوحدة اجتماعية لم يتغير اطلاقا . ولكن هذا غير صحيح لان درجة معينة من التغيير قد حصلت . والتغيير لم يكن كبيرا ومثيرا لان القاعدة الاقتصادية للمجتمع لم تتغير .

ويمكن ملاحظة التغيير الاجتماعي في المخيمات في النواحي التالية :

أ) لقد خفت الخلافات العشائرية بين القرى المختلفة داخل كل مخيم وما لبثت ان انتهت . فمنذ عدة سنوات لم تقع اية مشاجرات جماعية بين القرى داخل المخيمات . ويرجع هذا التغيير الى عاملين هما : ازدياد الوعي الوطني عند الناس ، وازدياد عدد المتعلمين في المخيمات .

ب) حصل تغيير في نوع القيادة السياسية المقبولة جماهيريا . وكان التغيير بالاتجاه التالي : من الرفض التدريجي للقيادات التقليدية الى القبول التام بالقيادات الثورية . كذلك حصل لاول مرة ان قبلت الجماهير قيادات غير محلية مثل المسؤولين الفدائيين من غزة . وقبول هذه القيادات « الخارجية » مقتصر على المجالين السياسي والعسكري ، ولكن هناك ميلا لقبولها على المستوى الاجتماعي ايضا ، اذ يقوم الناس بدعوة القادة الفدائيين أحيانا لحل مشكلة اجتماعية ما او للتحكيم في خلاف اجتماعي ما .

ج) لقد استبدلت الحالة النفسية العامة المتصفة بالاتكالية والشعور بالعجز واحتقار الذات بحالة نفسية متصفة بالاستقلالية والشعور بالقيمة الذاتية واحترام الذات .

د) لقد تغيرت الهوية الذاتية من « لاجىء » الى « فلسطيني » .

هـ) حصل تغير بسيط او معقول في الموقف من المرأة . فبعض الرجال يسمحون الان لنسائهم (زوجاتهم ، بناتهم ، امهاتهم ، او اخواتهم) بالعمل . وبعضهم لا يعترض على الثياب الحديثة المتحررة نسبيا . وبعضهم يشجعون نساءهم على تحصيل دراسة ثانوية او جامعية او مهنية . وقد زال بشكل عام فرض « ازواج المستقبل » على الفتيات ، وان كان الاهل ما زالوا يلعبون دورا هاما في زواج بناتهم ، وقد اكتسبت الفتيات حرية الاختيار باشراف الاهل ، وحرية قول « لا » لرجل اختاره اهلها دون استشارتها . ولكن ما زالت الفتيات لا تملكن حرية الخروج مع الشبان قبل الزواج او الخطوبة (لكنهن بالطبع يخرجن سرا كما يحدث في كل المجتمعات المحافظة) .

و) هناك هوة كبيرة بين آراء الشباب وآراء الكبار حول عدة مسائل اجتماعية وحول بعض العادات والتقاليد ثم حول انماط التصرف السائدة . ولكن هذه الهوة لم تصل الى حد حدوث انفصال تام بين الجيلين ، والتوازن في العلاقة ما زال قائما نتيجة للروابط التقليدية الوثيقة . ومن الصعب جدا تقدير هذا التغير وتحديده بدون دراسة تجريبية وموضوعية .

ز) لقد نجح الشباب في تحسين علاقة المجتمع الفلسطيني في المخيم مع المجتمع اللبناني . وقد اصبح المجتمع الفلسطيني في المخيم اكثر انفتاحا ويحاول الشبان مد جسور ، على عكس آبائهم الذين كانوا سلبيين ومنعزلين على انفسهم . وهذا التغير لا يعود بالطبع الى جهود الشبان وحدها ، وانما يرجع ايضا الى تغير في البيئة وفي الظروف السياسية للفلسطينيين واللبنانيين .

الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي
(١٨٧٠ ــ ١٩١٤)

الدكتور عبد العزيز محمد عوض

يرتبط ظهور الشخصية الفلسطينية(١) الحديثة ارتباطا وثيقا بحركة الاستيطان اليهودي في فلسطين ، فقد ادى الاحساس بالخطر الصهيوني الذي استهلاف العرب في متصرفية القدس وفي الاجزاء الجنوبية من ولاية بيروت والاحساس بضرورة توحيد الجهود لمقاومة ذلك الخطر المشترك الى ابراز الشخصية الفلسطينية في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى .

وكان ذلك على الرغم من عدم وجود وحدة ادارية او وحدة جغرافية سابقة تميز عرب فلسطين عن غيرهم من عرب بلاد الشام ، كما ان الكيان السياسي لفلسطين لم يبرز كوحدة قائمة بذاتها الا بعد تقسيم الولايات العربية التابعة للحكم العثماني الى مناطق نفوذ بين فرنسا وبريطانيا بموجب اتفاقية سايكس بيكو السرية التي عقدت بين دول الحلفاء (بريطانيا ، فرنسا ، روسيا) في ربيع عام ١٩١٦ . ثم عينت الحدود الاقليمية في معاهدات ما بعد الحرب .

هذا ولم تكوّن فلسطين في العهد العثماني وحدة ادارية متكاملة ، بل كانت عبارة عن متصرفية القدس التي كانت تشمل أقضية القدس ويافا وغزة والخليل وبئر السبع. والاجزاء الادارية الجنوبية من ولاية بيروت والتي كانت تشمل لوائي عكا ونابلس،ويتبين لنا من ذلك ان تسمية الوحدات الادارية العثمانية كانت ترتبط غالبا بالمدن الهامة ولا علاقة لها بالوحدات الجغرافية او الاقليمية ، في معظم الاحيان .

وقد رافق انعدام الوحدة الادارية في العهد العثماني عدم انفراد العرب في المناطق التي ستعرف بفلسطين بعد الحرب العالمية الاولى بتشكيل جمعيات او احزاب تطالب بالاصلاح خاصة بهم ، بل اشتركوا مع غيرهم من عرب الولايات العثمانية في تأسيس الجمعيات والاحزاب المختلفة ، ذلك أن الاحساس بالانتماء الى اصولهم العربية كان اقوى من الاحساس بالانتماء الى وحداتهم الادارية او الى وحداتهم الجغرافية الاقليمية . ويعود ذلك الى وحدة الشعور العربي والى وحدة الولايات العربية تحت الحكم العثماني .

وهنا تكمن صعوبة دراسة الحركة العربية في العهد العثماني على أساس اقليمي لصعوبة الفصل بين الاتجاهات السياسية العربية وعدم استطاعة حصر اي اتجاه منها بولاية او وحدة جغرافية معينة، لكن ذلك لا ينفي اهتمام الولايات العربية بمشاكلها الخاصة الى جانب دورها في الاسهام في الحركة العربية .

وعلى هذا الاساس لم يكن عرب فلسطين غائبين عن مسرح الاحداث العربية بل شاركوا في بلورتها واسهموا في المطالبة بالحقوق العربية من الاتحاد بين الاتراك ونالوا

نصيبا من اضطهادهم قبيل الحرب العالمية الاولى وفي اثنائها فاصابهم ما أصاب اخوانهم عرب الشام من اضطهاد ونفي وتشتيت . ولكن على الرغم من ذلك فان نشاط عرب فلسطين السياسي لم يكن كافيا(٢) بسبب انشغالهم في المسألة الصهيونية ممثلة بمشكلتي الهجرة والاستيطان .

لقد عاش العرب واليهود اجيالا في فلسطين في سلام ووئام ، ولم تكن الحوادث النادرة التي كانت تقع بينهم في بعض الاحيان سوى مظهر من مظاهر اي مجتمع متعدد الطوائف والاجناس . وبذلك كانت المنازعات القليلة التي حصلت قبل أن تتكشف أهداف الغزو الصهيوني حالات فردية وعادية(٣). فمثلا كانت العلاقات بين الفلاحين العرب والمستوطنين اليهود في بداية تكوين المستعمرات اليهودية حسنة بوجه عام وبخاصة في المستعمرات التي استخدمت اعدادا من العمال العرب في اعمالها الزراعية .

أما سكان المدن فقد اعتبروا المهاجرين اليهود الذين قدموا الى البلاد حجاجا جاءوا لدوافع دينية او لاجئين هربوا من الاضطهاد في اوروبا الشرقية . ولما كانت اعداد المهاجرين اليهود قليلة نسبيا ، ولما كانوا يتسترون ايضا على الدوافع السياسية الكامنة وراء الهجرة اليهودية فقد اظهر عرب فلسطين نحوهم شعورا يمكن وصفه بأنه غير عدائي(٤). واستمرت العلاقات بين العرب واليهود هادئة فقد كانت حاجة المستعمرات اليهودية الى العمال ماسة ، ولم يكن في وسع المستوطنين اليهود احضار العمال من الخارج نظرا للقيود المفروضة على الهجرة اليهودية الى فلسطين ، لذلك اضطروا للاستعانة بالعمال العرب .

ولكن موقف عرب فلسطين الذي كان هادئا في خلال السنوات العشر الاولى من الهجرة الكثيفة (١٨٨١ — ١٨٩١) سرعان ما انقلب الى شعور بالشك والاستنكار للهجرة اليهودية ، وبدأوا يتنبهون للخطر الصهيوني ، واصبح مألوفا ان تحصل اعتداءات من السكان العرب على المستعمرات اليهودية ، وبذلك سقطت الصداقة القديمة امام عداء عرب فلسطين للهجرة والاستيطان(٥). فقد كان احساسهم بابتعاد المستعمرات اليهودية عنهم يزداد حيث حرص اليهود على أن تكون مستعمراتهم عبرانية خالصة ، وقاوموا كل ما يخل بالشكل العبراني(٦).

وسجل عرب فلسطين اول تذمر رسمي لهم من الهجرة اليهودية في ٢٤ يونيه ١٨٩١ حينما ابرق زعماء المسلمين في القدس الى الصدر الاعظم يعربون عن تخوفهم من وصول اعداد كبيرة من المهاجرين اليهود ويطالبون بمنع اليهود من دخول فلسطين نظرا لعدم قدرة المسلمين من السكان على الصمود امام منافسة المهاجرين اليهود في النواحي الاقتصادية ، مما ينجم عنه سوء الاحوال الاقتصادية للسكان ، وتضمن رد الصدر الاعظم على برقية مماثلة من متصرف القدس منع اليهود من الاقامة في فلسطين والسماح لهم بزيارة القدس لفترة قصيرة حددت بثلاثة اشهر . وفي العام التالي (١٨٩٢) أصدر الباب العالي قرارا بمنع اليهود الاجانب واليهود العثمانيين من تملك الاراضي الاميرية(٧). وقد أدى ذلك القرار الى احتجاج اليهود العثمانيين فتدخلت بعض الدول الكبرى — آنذاك — في الموضوع كعادتها واستطاعت ان تقلل من فعالية قرار المنع(٨).

وقد اهتمت الصحف العربية بالحركة الصهيونية بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في بال (اغسطس ١٨٩٧) وتمثل ذلك في مجلة المقتطف في ابريل ١٨٩٨(٨). وقد استبعدت المقتطف امكانية استعمار فلسطين لان اليهود المهاجرين الى فلسطين حتى

عام ١٨٩٨ كانوا أهل صناعة وتجارة ولا يظن أنهم سيعكفون على الفلاحة وان كان في وسع اغنياء اليهود ابتياع الجانب الاكبر من اراضي فلسطين ونقل اليهود الفقراء اليها، لكن المقتطف عادت فاستبعدت ذلك للاسباب التالية :

ـ ان هناك بونا شاسعا بين ما يمكن للانسان ان يعمله وبين ما يقدم عليه .

ـ ان هذا النقل ليس بين الهنات الهينات .

ـ ان اغنياء اليهود لن يواصلوا نقل اليهود باستمرار وان المحسنين منهم كالبارون هرش وامثاله الذين ينفقون الاموال الطائلة شيء نادر .

ـ ان نقل اليهود الى فلسطين وابتياع الارض من الحكومة ومن أصحابها اصعب من نقلهم الى الارجنتين .

ـ ان طلب كفالة الدول الاوروبية وحمايتها لليهود الذين سينقلون الى فلسطين عقبة كبيرة ، لان الدولة العثمانية لا ترضى بذلك عن طيب نفس .

هذا ما أورده المقتطف من أسباب استبعاد فكرة استيطان اليهود فلسطين على نطاق واسع وبالمقابل يتبين لنا ما يلي :

ـ التقليل من شأن المطامع الصهيونية في ذلك العهد المبكر نسبيا ، وعدم معرفة حقيقتها وبالتالي الخطأ في تقدير قيمتها واغماض العين بحجة ان ذلك المشروع مستحيل التحقيق .

ـ عدم معرفة نوعية المهاجرين اليهود الى فلسطين ، فقد ادعت المقتطف خطأ ان المهاجرين كانوا من ارباب الصناعة والتجارة وغاب عن بالها ان البلاد بدأت تشهد نوعا جديدا من المهاجرين اعتبارا من ١٨٨١ تمكن من تأسيس المستعمرات الزراعية واشتغل في الزراعة ، وعلى الرغم من ذلك كله فقد كانت المقتطف من أوائل الصحف العربية التي أبدت اهتماما مباشرا بالحركة الصهيونية .

وبعد اسبوعين اعيد نشر مقال المقتطف في مجلة المنار ثم عقب محمد رشيد رضا عليه بعنوان « خبر واعتبار ـ جمعية اليهود الصهيونية » خاطب فيه العرب داعيا اياهم الى التنبه قائلا « أترضون ان يسجل في جرائد جميع هذه الدول ـ يقصد الاوربية ـ ان فقراء اضعف الشعوب الذين تلفظهم جميع الحكومات من بلادها هم من العلم والمعرفة بأساليب العمران وطرقه بحيث يقدرون على امتلاك بلادكم واستعمارها وجعل اربابها اجراء واغنيائها فقراء »(٩). ثم عاود محمد رشيد رضا الكتابة في موضوع الصهيونية فكتب مقالا في عام ١٩٠٢ بعنوان « حياة امة بعد موتها ـ جمعية اليهود الصهيونية » فضح فيه أطماع الجمعية الصهيونية وكيف انها تتظاهر بنقل فقراء اليهود الى فلسطين للعيش في ظل السلطان العثماني بينما هي في واقع الامر تطلب تملك البلاد، ثم حمل على الحكام المسلمين ـ آنذاك ـ وطلب من الامة عدم الاعتماد عليهم(١٠)، وفي مايو ١٩٠٣ اتهم اليهود بالعمل على الاستقلال بفلسطين واحداث ملك جديد لهم فيها(١١).

وهكذا حذرت المنار منذ اعدادها الاولى من الخطر الصهيوني الذي كان يحاول التسلل الى فلسطين ، وقد دل محمد رشيد رضا بمقالاته عن الصهيونية التي ظل ينشرها تباعا في مجلته (المنار) منذ عام ١٨٩٨ وحتى قيام الحرب العالمية الاولى ، دل على فهم وأدراك عميقين لحقيقة الحركة الصهيونية وابعاد مطامعها .

وفي اعقاب الموجة الثانية من الهجرة اليهودية التي أخذت تتدفق على ميناء يافا بعد

فشل الثورة في روسيا في عام ١٩٠٥ بتحريض من الحركة الصهيونية التي تبنت فكرة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، اشتد العداء بين العرب واليهود فقد رافق الموجة الصهيونية طرد الفلاحين والعمال العرب من المستعمرات الصهيونية بالاضافة الى المقاطعة الصهيونية المنظمة للمنتوجات العربية ، ونتج عن ذلك ان ساد التذمر اوساط العرب الذين تأثروا مباشرة بتصرفات الصهيونيين العنصرية . فوقعت مصادمات في يافا بين العرب واليهود في مارس ١٩٠٨ استدعت على اثرها الحكومة المركزية في استانبول قائمقام يافا للتحقيق معه في أسباب الاضطرابات(١٢).

لكن الاوضاع اخذت شكلا جديدا بعد ثورة يوليه ١٩٠٨ في الدولة العثمانية فقد شارك اليهود الطوائف الاخرى ابتهاجها باعلان الدستور العثماني من جديد ، بل فاق يهود القدس جميع الطوائف في اظهار عواطفهم فنشط الخطباء منهم وبالغت جرائدهم المحلية في الترحيب بالعهد الجديد(١٣)، ورفعت الحركة الصهيونية علمها في يافا وصرح الصهيونيون بوجوب تمثيلهم في مجلس المبعوثان ليتمكنوا من عرض قضيتهم والمطالبة بالحكم الذاتي في فلسطين(١٤)، غير أن الفلاحين العرب في قضاء طبريه اخذوا يهاجمون المستوطنين اليهود والمستعمرات اليهودية ، واتهم نجيب نصار — صاحب جريدة الكرمل في حيفا — بأنه كان وراء ذلك النشاط .

وكان نجيب نصار قد أخذ على عاتقه منذ صدرت جريدة الكرمل في اواخر ١٩٠٨ معارضة الحركة الصهيونية ، وقد عطلت جريدته مرتين في عام ١٩٠٩ بتهمة الاخلال بالامن ثم حوكم في عام ١٩١٠ لمعارضته تملك اليهود للاراضي وبتهمة اثارة الخواطر، لكنه برىء من التهمة ، وفسر الدافع لمقالاته التي عارض فيها انتقال الاراضي لليهود بالاخلاص والرغبة في خدمة الدولة العثمانية(١٥). ولكن ازاء احساس نصار بحقيقة الخطر الصهيوني ، فقد استمر في حمل لواء مناهضته الحركة الصهيونية ، فاضحا أطماعها وسعيها لامتلاك الارض واقامة الدولة اليهودية . وكاشفا زيف ادعاءات اليهود العثمانيين ومهيبا بالعرب ان يهبوا جميعا لمقاومة الغزو الصهيوني العنصري لفلسطين بجمع الكلمة ووحدة الصف(١٦).

وبعد استعادة الاتحاديين للسلطة وعزلهم السلطان عبد الحميد الثاني في ابريل ١٩٠٩ اتهمت جريدة « نهضة العرب » التي كان يصدرها في باريس نجيب عازوري اتهمت الاتحاديين بالتحالف مع اليهود والماسونيين وان اليهود تسلطوا على جمعية الاتحاد والترقي ، وانهم دبروا ثورتها على السلطان بهدف ايجاد الفوارق بين الاتراك والعرب من أجل هدم الامبراطورية العثمانية واقامة مملكة يهودية على انقاضها. ومثل هذه الافكار لم تكن بين العرب فقط بل كانت بين قسم من الاوربيين أيضا ، كما وجدت طريقها الى وزارة الخارجية البريطانية(١٧).

وفي النصف الثاني من عام ١٩٠٩ وجهت جريدة الاهرام هجوما مباشرا للحركة الصهيونية لاطماعها السياسية في فلسطين ، فتحدثت في المقالات التي نشرتها عن مؤتمراتهم الصهيونية وعن بحث الاسرائيليين عن وطن لهم في فلسطين ، وفي مقال بقلم أحد أبناء القدس اشارت الاهرام الى طمع الصهيونيين بالاستقلال في فلسطين ، وكيف ان المستعمرات الصهيونية أشبه بولايات مستقلة لا تخضع لقوانين الدولة وانظمتها بدعوى أنها أجنبية ، وطالبت الحكومة العثمانية بوضع حد للاطماع الصهيونية في فلسطين(١٨). ومع ازدياد الشعور بالخطر الصهيوني طلب مبعوث القدس في مجلس المبعوثان العثماني فعالية اجراءات منع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فأعادت الحكومة العمل بالقيود التي فرضت في نوفمبر ١٩٠٠(١٩).

ثم اتخذت المعارضة العربية شكلا جديدا في النصف الاول من عام ١٩١٠ فأرسلت برقيات احتجاج جماعية الى الحكومة العثمانية في استانبول ضد بيع الاراضي لليهود وقامت الصحف العربية بنشر تلك البرقيات ، كما حثت برقيات اخرى المبعوثين العرب للحصول على تأكيد من طلعت بك(ناظر الخارجية)بأن اجراءات محكمة ستتخذ لمنع دخول اليهود الى فلسطين وتمليك الارض لهم(٢٠) .وذهبت جريدة المقتبس الدمشقية الى أبعد من ذلك في خريف ١٩١٠ عندما اتهمت الحكومة العثمانية بازالة العقبات التي كانت قائمة في طريق الاستيطان اليهودي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني(٢١) . كما قامت بنشر خطاب مفتوح في اواخر ١٩١٠ اوضحت فيه استيلاء الحركة الصهيونية على أجزاء من أقضية طبريه وصفد ويافا والقدس وحيفا بأسماء الرعايا العثمانيين وبواسطة انسماسرة الذين يعدون أنفسهم من الاعيان ، ولفتت الانتباه الى أن الحركة الصهيونية لها علمها وبريدها الخاص وتعمل على تكديس السلاح ، واستدلت بذلك على شروعها في تنفيذ مخططاتها الصهيونية واهابت بالنواب والحكومة وضع حد للاطماع الصهيونية قبل أن تصبح فلسطين ملكا لليهود .

وفي خريف ١٩١٠ ايضا اثارت الصحف العربية ضجة عندما باع الياس سرسق من بيروت اراضي مساحتها (٢٤٠٠) فدان ــ وتقع بين الناصرة وجنين وتعتبر من أجود أراضي فلسطين ــ للصهيونيين ، وقد بذل شكري العسلي قائمقام الناصرة آنذاك أفضل مساعيه لمنع انتقال الاراضي معارضا الاوامر الصادرة من بيروت لكن البيع تم نهائيا في يناير ١٩١١(٢٢) .

وفي مايو ١٩١١ وخلال مناقشة الموازنة اثار مبعوث القدس روحي بك الخالدي المسألة الصهيونية من جديد لكن التوقيت كان سيئا . لذلك عندما القى روحي بك الخالدي مقدمة تاريخية طويلة عن الصهيونية مستعينا بفقرات من التوراة احتج أحد المبعوثين قائلا « ان الجلسة يفترض ان تكون لدراسة الموازنة وليس لدراسة التوراة »(٢٣) . ومهما يكن من أمر فقد تلقى المبعوثون العرب تعهدا ادبيا بأن الحكومة العثمانية ستنظر بعناية لتنفيذ القيود المفروضة على الهجرة اليهودية .

وفي هذه الاثناء تشكل في يافا الحزب الوطني وكان هدفه الحيلولة دون تقدم الحركة الصهيونية في فلسطين وذلك بمنع التعامل مع المؤسسات الصهيونية وحظر بيع الاراضي لها . وقد بيّن سليمان التاجي من الرملة في صيف ١٩١١ اهداف الحزب الوطني في مقال نشرته له جريدة المفيد البيروتية ، عرض فيه لاخطار الحركة الصهيونية واوضح أن سكوت الامة عن خطرها استفز غيرة الشبيبة فأسست « حزبا وطنيا » للعمل على مناهضة الحركة الصهيونية واهاب بالامة ان تستيقظ من غفلتها وتطالب الحكومة بما يلي :

١ ــ سد باب المهاجرة الى فلسطين وذلك بتطبيق قانون الجواز الاحمر ــ الورقة الحمراء ــ .

٢ ــ منع بيع الاراضي لليهود مع احصاء نفوسهم بدقة واعطاء العثمانيين منهم تذاكر نفوس تتضمن اسماءهم الحقيقية .

٣ ــ تطبيق نظام المعارف العثماني على المدارس اليهودية .

٤ ــ عدم جواز عقد الاجتماعات الخاصة الا بعد اعلام الحكومة وأخذ موافقتها .

٥ ــ احصاء الاملاك واراضي المستعمرات واستيفاء الاموال الاميرية من اليهود لصالح الخزينة ، كما أشار الى أن الحزب يقوم باحياء ليلة خطابية في كل اسبوع(٢٤) .

وعندما عاد روحي الخالدي الى القدس في صيف ١٩١١ حث الموظفين العرب في متصرفية القدس العمل على منع انتقال الاراضي لليهود . وفي ديسمبر ١٩١١ بدأت شورى الدولة بالبحث لسن قانون يمنع اليهود الاجانب الهجرة الى بلاد الشام تنفيذا للوعد الذي قطعته الحكومة على نفسها للمبعوثين العرب(٢٥).

وفي عام ١٩١١ ايضا جمع نجيب نصار مقالاته التي كان ينشرها عن الحركة الصهيونية في اعداد جريدة الكرمل ونشرها في كتاب بعنوان « الصهيونية ، تاريخها ، غرضها ، أهميتها » . وفي مجموعة المقالات هذه تعرض نصار بالبحث والتعليق لمراحل الحركة الصهيونية ، وفضح الاسس العنصرية التي قامت عليها ، كما سخر من اسلوبها في التمويه والتضليل وحمل أيضا على الذين كانوا يمنون انفسهم بالانتفاع من الصهيونيين في تعمير البلاد واتهمهم بالجهل والسطحية وان الصهيونية قد غررت بهم ، كما هاجم الحكومة ايضا لعدم اهتمامها بمنع الهجرة اليهودية واشار الى رفع اليهود لعلمهم اثناء الاحتفالات وبيع الطوابع اليهودية تحت سمع الحكومة وبصرها(٢٦).

وادرك عرب فلسطين حقيقة تواطؤ الحكومة العثمانية سواء الاتحادية منها ام الائتلافية بسبب افلاس خزينتها وأمل المسئولين في سد العجز من أموال الحركة الصهيونية ، لذلك هاجمت جريدة فلسطين التي كانت تصدر في يافا الحكومة الائتلافية في خريف ١٩١٢ ووصفت الاوامر العديدة التي صدرت بمنع الهجرة اليهودية الى فلسطين ومنع الاستيطان واستملاك الاراضي بانها كلها حبر على ورق بما فيها الورقة الحمراء التي تحدد اقامة اليهودي الاجنبي في فلسطين بثلاثة اشهر فقط . وعقدت جريدة فلسطين مقارنة بين الاوامر التي تمنع هجرة اليهود الى فلسطين وتلك التي تمنع هجرة ابناء فلسطين الى امريكا فقالت بانها لم تحقق الاغراض التي سنت من أجلها بل استعملها الموظفون لشيء اخر وهو اكتساب المال فكأنها سنت لفائدتهم وصدرت لمنفعتهم(٢٧).

واهتمت الصحف المعادية للحركة الصهيونية (الكرمل ــ فلسطين ــ المقتبس) بمسألة الاراضي المدورة وهي الاراضي التي وضع السلطان عبد الحميد يده عليها مقابل دفع زهيد من المال لخزينة الدولة وعرفت باسم « الجفتلك » وقد استولت عليها الحكومة العثمانية بعد ثورة ١٩٠٨ باعتبارها من أملاك الدولة وسميت هذه الاراضي عندئذ بالمدورة اي « المنتقلة » لانها انتقلت من ملكية السلطان الخاصة الى ملكية الدولة . وقد لعبت مسألة الاراضي المدورة دورا هاما في العهد الدستوري العثماني (١٩٠٨ ــ ١٩١٤) . ذلك ان حكومة حزب الاتحاد والترقي استثنت هذه الاراضي من التطويب بهدف بيعها لحاجتها للمال العاجل فقام المزارعون العرب فيها يطالبون بتطويبها لهم ببدل المثل وبالتقسيط ، كما احتجوا ضد الحكومة المركزية التي تريد بيع أراضيهم دون مسوغ قانوني الى شركات اجنبية ذات اغراض سياسية تستهدف اخراجهم من أراضيهم(٢٨).

وقد ارتبط موضوع الاراضي المدورة في فلسطين بمشروع الاصفر ، لذلك هاجمت الصحف العربية آنذاك المشروع بعنف لانه يهدد باستيلاء الاجانب على الاراضي المدورة ، وقد نظرت الحكومة العثمانية في المشروع اكثر من اربع مرات منذ مايو ١٩١٠ ولم توفق في اتخاذ قرار بشأنه وكان دافع الحكومة في كل مرة حاجتها الماسة الى المال ، واخيرا صرف مجلس شورى الدولة النظر عن مشروع الاصفر ، وكان للوزير العربي سليمان البستاني دور في اقناع حكومة حزب الاتحاد والترقي بالاستجابة لمطلب العرب ، واعلنت الحرب العالمية الاولى ولما تتخذ الحكومة قرارا بشأن مستقبل الاراضي المدورة.

ويمكننا القول أن مشروع الاصفر كان من بين الاسباب التي عملت على توحيد الجهد الفلسطيني لمواجهة الخطر الصهيوني ، فعندما لمحت الحكومة في صيف ١٩١٣ الى نيتها الاخذ بالمشروع تنادى السكان العرب في لواء نابلس فعقدوا اجتماعا كبيرا في نابلس في اغسطس ١٩١٣ للمطالبة بصرف النظر نهائيا عن مشروع بيع الاراضي المدورة بالمزاد العلني — مشروع الاصفر — واعطائها ببدل المثل وبالتقسيط للمزارعين العرب الذين نزعت ملكية الاراضي من أيديهم بوسائل غير مشروعة. ودعت جريدة المقتبس الدمشقية الصحف العربية الاخرى وأهل الرأي وأصحاب الاملاك الى اكراه الحكومة على بيع الاراضي الاميرية للعثمانيين فقط .

وفي صيف ١٩١٣ اقدم الصهيونيون على شراء اراضي الناصرة الزراعية ومساحتها (٢٢٫٠٠٠) دونم من جرجي لطف الله سرسق(٢٩)، وكانت هذه الاراضي قد بيعت من قبل والي بيروت منذ اكثر من ثلاثين عاما حوالي عام (١٨٨١) وكان يقيم عليها اكثر من مئتي عائلة عربية . كما شهد صيف عام ١٩١٣ أيضا قيام الفلاحين العرب بمهاجمة المستعمرات اليهودية وقتل حراسها ، وقد ربط الصهيونيون ذلك بحسد الفلاحين لهم من ناحية ولاستجابة الاتحاديين للمطالب العربية في أعقاب المؤتمر العربي في باريس من ناحية اخرى(٣٠).

وهكذا اتبعت الحركة الصهيونية الخطة التي اقترحها هرتزل والتي تتلخص في نزع ملكية الاراضي من أصحابها العرب ثم التخلص من الفلاحين على أن يتم ذلك بسرية ، وابعادهم عن الارض بتوفير فرص العمل لهم في خارج فلسطين ، واغلاق مجالات العمل امامهم في فلسطين حتى يضطروا للنزوح عنها ، ولا يفكروا في العودة اليها في المستقبل، وكان هرتزل يرى أيضا انه لا بأس اذا اعتقد أصحاب الارض العرب أنهم يغشون الحركة الصهيونية ببيعهم الاراضي لها بأكثر من قيمتها الحقيقية ، فان الارض لن تعود اليهم مرة ثانية(٣١).

وثمة ظاهرة اخرى على جانب كبير من الاهمية ظهرت في ربيع ١٩١٣ وهي الاعلان عن تشكيل جمعيات فلسطينية في انحاء متفرقة من الدولة العثمانية، ونستطيع القول أن الاحساس بالخطر الصهيوني المشترك ، والاحساس بضرورة توحيد الجهود لمقاومته كان وراء تشكيل هذه الجمعيات التي عملت على ابراز الشخصية الفلسطينية قبل الحرب العالمية الاولى. وكانت جمعية فلسطين في بيروت التي الفها الطلاب الفلسطينيون في جامعة بيروت الامريكية « لضم الكلمة وجمع الشتات » والتي زاد عدد اعضائها في صيف ١٩١٣ عن اربعين عضوا كان ابرزهم احمد سامح الخالدي من اوائل هذه الجمعيات(٣٢).

ومع الاحساس ايضا باشتداد الخطر الصهيوني ، لا سيما بعد احجام المؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس في يونيو ١٩١٣ عن التعرض لموضوع الهجرة اليهودية الى فلسطين دعا نجيب نصار — صاحب جريدة الكرمل — الى عقد « مؤتمر لا صهيوني »(٣٣)في نابلس يضم جميع الفلسطينيين ردا على المؤتمر الصهيوني الحادي عشر الذي كان متوقعا عقده في فيينا في سبتمبر ١٩١٣ ، ووجدت دعوة نصار هذه تجاوبا في اوساط المثقفين الفلسطينيين ، فأخذنا نسمع عن جمعية للشبيبة الفلسطينية في الاستانة تؤيد عقد المؤتمر الفلسطيني لمقاومة الصهيونية(٣٤) . كما لاقت تأييدا من بعض المتنورين في متصرفية القدس(٣٥) . ثم استمر نصار في الدعوة الى ابراز الشخصية الفلسطينية وتمييزها عن غيرها ، وان فلسطين بما فيها من أعيان ومتعلمين تؤلف جامعة — رابطة — قوية لا يصح معها أن تكون عالة على

بيروت أو دمشق وحتى على الحكومة العثمانية . ثم خلص الى القول « ... مالنا وللبيروتيين ، نحن الفلسطينيين على شفا جرف فالخطر السياسي والاجتماعي والاقتصادي يهددنا من كل صوب والامة التي تنازعنا البقاء في وطننا برهنت على كونها أمة حية قوية تعمل لنفسها وتعتمد على نفسها »(٣٦).

ولم يكف نصار عن الدعوة الى ابراز الشخصية الفلسطينية ، ففي فبراير (١٩١٤) دعا أهل فلسطين الى « تأليف جامعة عربية فرعية في فلسطين تنبثق عن الجامعة العثمانية » يكون هدفها انقاذ فلسطين من خطر الصهيونية بتأليف القلوب وجمع الكلمة ، ثم حذر من انه اذا تألفت في فلسطين جامعة غير عربية — يقصد الصهيونية — هددت الجامعة العربية سياسيا واقتصاديا وبالتالي الجامعة العثمانية(٣٧).

وميّز نصار الفلسطيني عن غيره بحكم متاعبه مع الخطر الصهيوني ، وطلب من الشبيبة الفلسطينية ان لا تكون ذيلا للاعيان والمتنفذين واصحاب الغايات الذين يسعون وراء مصالحهم الخاصة ، ثم كرر الطلب بتأليف جامعة تعمل على توحيد الكلمة واحياء الزراعة واصلاح شأن البدوي والفلاح . وتقوم بافهام العرب الاضرار التي ستلحق بهم من جراء سيطرة الصهيونية على فلسطين ، وافهام الاتراك ان ضياع فلسطين لا يتفق مع مصالح الدولة العثمانية . ثم دعا الفلسطينيين ان يأخذوا زمام أمورهم بأيديهم قائلا « وليعلم الفلسطينيون ان كل من يهمل شئونه أهملته الناس »(٣٨).

وفي ابريل ١٩١٤ جدد نصار الدعوة لعقد مؤتمر نابلس(٣٩) ثم دعا الى تأليف حزب وطني اخر يعمل على تكوين رأي عام لمقاومة الحركة الصهيونية(٤٠) لان الواجب — في نظره — يحتم على الفلسطينيين مقاومة الصهيونيين واخراجهم من البلاد . ويرى نصار ان هذا الواجب « أعظم وأشرف من واجب الصهيونيين المتمثل باخراج الفلسطينيين من ديارهم لانه دفع تعد ومنع ظلم »(٤١).

ولقيت دعوة نجيب نصار بعض التجاوب ، فتشكلت جمعيات جديدة للشبيبة الفلسطينية ، كالشبيبة النابلسية في بيروت واليافية في يافا ، ثم تشكلت جمعية فلسطينية جديدة في الاستانة هدفها السعي لجمع كلمة الفلسطينيين وضمت أبناء القدس ويافا وغزة ونابلس وعكا والناصرة ، وكان في مخططها اتخاذ القدس مركزا لها وفتح فروع لها في أنحاء فلسطين على ان يكون لها فرع دائم في الاستانة(٤٢).

وهكذا ازداد الشعور بالخطر الصهيوني بين الفلسطينيين في الخارج في صيف ١٩١٤ فتوسعوا في انشاء الجمعيات المختلفة في بيروت والقاهرة والاستانة والتشيلي(٤٣) وقامت الشبيبة في القدس ايضا بانشاء بعض الجمعيات مثل « جمعية الاخاء والعفاف » و « شركة الاقتصاد الفلسطيني العربي » وشركة التجارة الوطنية الاقتصادية(٤٤). لكن هذه الجمعيات على كثرتها كان يعوزها التنظيم ، ولم يكن ثمة رابطة بينها ، فقد كان الحافز لتأسيسها احساس الافراد والجماعات بالخطر الصهيوني ، ومحاولة لاثبات الوجود العربي في فلسطين ، ولما كان معظم هذه الجمعيات خارج فلسطين فقد كان تأثيرها في أوساط السكان محدودا لذلك لم تستطع ان تفعل شيئا ملموسا لانجاح دعوة نصار لعقد مؤتمر فلسطيني في نابلس وهي الدعوة التي ظل يدعو اليها بالحاح قرابة عام ولكن دون جدوى .

ومهما يكن من أمر فقد اوجد نصار بحمله لواء مناهضة الصهيونية اتجاها معاديا لها في اوساط الشبيبة الفلسطينية، اما الاعيان واصحاب الاملاك فقد ادى تقريعه المستمر لهم الى عدم المبالاة بنتائج التشهير بهم ، ونستطيع ان نلمس الاثر الذي اوجده نصار

في الراي العام الفلسطيني على صفحات جريدة الكرمل(٤٥) حيث كان ينشر رسائل القراء المشجعة والمثبطة على حد سواء، فكان بعضها يطلب منه الاستمرار في مناهضة الصهيونية وخدمة وطنه(٤٦) والبعض الاخر يعذله بسبب اتهام البعض له بالسعي للحصول على اموال من الصهيونيين ثمنا لسكوته ، وينصحه باغلاق الجريدة وبيع المطبعة والرحيل عن « بلاد لا ناقة له فيها ولا جمل »(٤٧) واخرون يذكرون له ان حملاته على الصهيونية جاءت بنتائج عكسية ، فقد شجعت حركة بيع الاراضي لليهود علنا بعد ان كانت تتم سرا وان دعوته لتشكيل الجمعيات لم تلق استجابة من أحد ، ويفلسفون ذلك لان الفقراء وهم الكثرة لا يستطيعون والمتوسطين يتوسطون لبيع الاراضي والاغنياء يبيعون ، لذلك يرى هؤلاء أن يدع نصار الفلاحين يبيعون لليهود مباشرة ليتخلصوا من المبالغ التي يدفعونها للسماسرة(٤٨).

ولعله يجدر بنا أن نتعرف على راي نصار في النتائج التي توصل اليها بعد سنوات من مناهضة الصهيونية يكتب في اغسطس ١٩١٣ « ... صار لنا خمس سنين ونحن ننبههم الى خطر الصهيونية العظيم وهم لا يسمعون ولا يعون بل هم لاهون في اشباع شهواتهم وفي منازعاتهم ومشاحناتهم وغافلون عما يحدق بهم من الاخطار ، دعوناهم الى تاليف مؤتمر لا صهيوني ... فما سمعنا لدعوتنا الا اصداء قولية ضعيفة اشبه بأنات العليل »(٤٩). ثم عاود الشكوى من قلة المستمعين لدعوته بعد ذلك بثمانية أشهر في أبريل ١٩١٤(٥٠).

ولا بد لنا من القول ان نصار كان مبالغا في شكواه فهو كصاحب اي فكرة يطلب المزيد من التجاوب والتفاعل مع دعوته ذلك ان الاهتمام بالحركة الصهيونية قد بدأ في أوساط عرب فلسطين في العقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر ، وان لم يكن بالدرجة التي يريدها نصار ، وهذا ما سبق ورأيناه في موقف عرب فلسطين العدائي من حركة الاستيطان اليهودي .

كما وقف عرب فلسطين موقفا حازما وحاسما من محاولات التفاهم والاتفاق التي جرت بين الاصلاحيين العرب والحركة الصهيونية في عامي ١٩١٣ و١٩١٤ . وقد سبق وذكرنا كيف ان المؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس يونيه ١٩١٣ قد أحجم عن التعرض بسوء الهجرة اليهودية ، ولم يمر موقف المؤتمر دون ملاحظة صحف فلسطين ويبدو انها أحست بمحاولات التفاهم والاتفاق مع الحركة الصهيونية بتأثير عاملين :

الاول : عدم اشارة المؤتمر بسوء الى الهجرة اليهودية بعد نشر محاضر جلساته بعد تنقيحها .

والثاني : ــ تسرب ما دار في المؤتمر من مناقشات حول موقف الاصلاحيين العرب من الهجرة اليهودية ، وافتضاح معارضة المؤتمرين للهجرة التركية وسكوت الاعضاء عن ترحيب بعضهم بالهجرة اليهودية .

ولما كان الشعور الشعبي في فلسطين شديد المناوءة للحركة الصهيونية فقد أعربت صحف فلسطين عن استيائها واستنكرت تقصير المؤتمر العربي في اتخاذ موقف حازم من الصهيونية ، كما انتقدت صحيفتا الكرمل وفلسطين مواقف الذين حضروا المؤتمر واحتجت الكرمل بشدة على فكرة عقد الاتفاق المقترح ، وبدأت مظاهر المعارضة لقرارات المؤتمر العربي عندما نشرت الكرمل الاتفاق بين الحكومة العثمانية والاصلاحيين العرب وقرار الحكومة العثمانية ببيع الاراضي المدورة والتي لا تستطيع ان تقدم على شرائها الا المنظمة الصهيونية في خبر واحد(٥١). ثم عقبت بعد ذلك على الاتفاق العربي ــ التركي . وتساءلت عن حقيقة الاتفاق الذي تم واهميته بالنسبة

لفلسطين ، وعما اذا كان الاتفاق قد تعرض للحد من نشاط الحركة الصهيونية ام تركها تعمل على احياء اللغة العربية والقومية اليهودية وتشتري الاراضي المدورة(٥٢).

أما جريدة فلسطين التي كانت تصدر في يافا فقد سخرت في يوليو ١٩١٣ من اهتمام الشيخ أحمد طبارة — عضو الوفد البيروتي الى المؤتمر العربي — ببيان ما في مهاجرة منكوبي الروملي لسورية من الاضرار وتجاهله اخطار الهجرة اليهودية الى فلسطين وتساهل الحكومة العثمانية في تنفيذ قيود الهجرة وما سينجم عن ذلك من مشاكل في المستقبل(٥٣). وتناولت الكرمل الموضوع بتفصيل اكثر وفضحت زعماء المؤتمر العربي لتهاونهم في بحث موضوع الهجرة الى فلسطين في الوقت الذي طلبوا فيه توطين مهاجري الروملي في الاناضول بدلا من بلاد الشام وكيف ان زعماء المؤتمر لم يذكروا شيئا عن اضرار تمليك الارض للاجانب والجمعيات الصهيونية لمندوبي الحكومة العثمانية الذين جاءوا باريس للاتفاق معهم . وتهكم نصار عليهم قائلا « ... ان مهاجري الروملي يستعربون مع الزمن لان بيننا وبينهم روابط ومناسبات — لعله يقصد مصاهرات — ولكن مهاجري الصهيونيين لا يمتزجون بشعب » ثم انكر عليهم موقف المتفرج من محنة اخوانهم عرب فلسطين(٥٤)، وتساءل « ... نريد معرفة من يبيعنا عبيدا ؟ اخواننا ام هيئة حكومتنا »(٥٥).

وعادت جريدة فلسطين فهاجمت المؤتمر ثانية في اغسطس ١٩١٣ وانهمته بعدم شرعية تمثيله للعرب لانه لم يتم انتخابه من قبل المجالس المحلية باستثناء الوفد البيروتي ، وذكرت ان ما يهم الفلاح الفلسطيني قبل كل شيء تسجيل الاراضي وتأسيس المصارف الزراعية وتخليصه من سلطة المتنفذين عليه وتوفير الامن والعدل له(٥٦).

ومما زاد في حدة موقف عرب فلسطين ازاء محاولات التفاهم والاتفاق مع الحركة الصهيونية اقدام الحكومة العثمانية في اكتوبر ١٩١٣ على الغاء القيود المفروضة على الهجرة اليهودية طمعا في الحصول على الرأسمال اليهودي من اوروبا ، وكانت السلطات العثمانية قد درجت منذ عام ١٩٠١ على منح اقامة مؤقتة لمدة ثلاثة اشهر وكانت جريدة الكرمل قد تنبهت الى ذلك قبل ان تتخذ الحكومة قرار الالغاء ، فقد لاحظت تساهل حكومة حزب الاتحاد والترقي في تنفيذ القيود ، فنددت في مايو ١٩١٣ بموقف الحكومة ، وذكرت انه اذا كان السلطان عبد الحميد قد استولى على قسم من الاراضي والمتنفذون على قسم اخر ، فان الحكومة تملكها للاجانب ذوي الاطماع السياسية وتساءلت عن اوامر الحكومة بالعمل بالورقة الحمراء ومنع تمليك الصهيونيين وعن الارادة السنية بمنع انتقال الاراضي على جانبي الخط الحديدي الحجازي الذي يمر وسط الجفالك الاميرية وتساءلت ايضا عن موقف الصحف الاتحادية الداعية للجامعة الاسلامية(٥٧).

أما جريدة فلسطين ، فنشرت قرار الغاء الورقة الحمراء ثم علقت عليه فذكرت ان الالغاء لم يأت بجديد لان الجوازات كانت ترد لاصحابها بطرق غير مشروعة ، وكان يسمح لليهود بالاقامة في البلاد ، وكل ما في الامر ان اعترفت الحكومة بالامر الواقع رسميا فسمحت لليهود بالهجرة الى فلسطين دون قيد(٥٨). كما عزت جريدة القبس (التي صدرت بدلا من المقتبس في دمشق) الغاء الورقة الحمراء الى التدابير التي اتخذها المؤتمر الصهيوني الحادي عشر الذي عقد في فينا سبتمبر ١٩١٣(٥٩).

ولذلك ظل عرب فلسطين يرفضون محاولات التفاهم مع الحركة الصهيونية فقد كانوا يعتقدون انها تريد ابتلاع فلسطين والاستقلال الاداري التام بها ، بل ان الحركة

الصهيونية قامت بتنفيذ مخططها واستولت على قسم من البلاد لذلك طالبوا الحكومة العثمانية بتلبية دعوة السكان لايقاف الخطر الصهيوني قبل ضياع فلسطين(٦٠).

ولما اخذت الحركة الصهيونية تغدق الوعود على الاصلاحيين العرب نهض عيسى داود العيسى ـ صاحب جريدة فلسطين ـ للرد على تضليلها للرأي العام العربي واوضح الرفق الكبير بين تصريحات الزعماء الصهيونيين على صفحات الجرائد العربية وبين القرارات التي يتخذونها في مؤتمراتهم ، واستشهد بما يلحق بأهالي فلسطين من افعالهم وأكد أن جميع التصريحات الصهيونية ما هي الا تمويه وخداع كوسيلة لتضليل الراي العام(٦١).

وعندما أبدى رفيق العظم ـ رئيس حزب اللامركزية ـ في اول يونيو ١٩١٤ استعداده للسعي لدى أعيان فلسطين لانتخاب ممثلين عنهم في المؤتمر المقترح عقده في القاهرة بين حزب اللامركزية والحركة الصهيونية عارض نجيب نصار هذا الاقتراح بشدة وذكر ان اتفاق العرب والصهيونيين مستحيل ، وتعجب كيف يتم الاتفاق مع قوم يقررون في مؤتمراتهم العمل على ايجاد وطن يهودي في فلسطين ، وحمل على أعيان فلسطين بعنف فقال : « ... ان مصائب فلسطين تأتيها من بعض سراتها اكثر مما تأتيها من الصهيونيين ، لان هؤلاء السراة هم سماسرة الصهيونيين والبياعين لهم » . ثم نوهت الكرمل بدور الشبيبة الفلسطينية التي اخذت تدرك حقيقة خطر الحركة الصهيونية(٦٢). ثم هاجم نصار بعنف كل من شبلي شميل ويعقوب صروف ونمر فارس ورفيق العظم لموقفهم المتخاذل من الحركة الصهيونية واتهمهم باهمال الواجب الوطني والسعي وراء المنافع الخاصة ، ومحاولة كم افواه المعارضين للحركة الصهيونية وتخدير المتنبهين لخطرها(٦٣).

وعندما عرّض نصار بالاصلاحيين العرب وبجرائدهم وتهكم عليهم مستفسرا « ... عما اذا كان بيع الاملاك للصهيونيين داخلا في موادهم الاصلاحية » . رد عليه الشيخ احمد طبارة في جريدته « الاصلاح » التي كانت تصدر في بيروت . فأشار الى أن كل ما فعله نصار لايقاف تيار الهجرة لم يتجاوز الضجيج والصراخ ولم يفد ذلك العرب في شيء باستثناء ارتفاع اثمان الاراضي التي اتخذ اصحابها من الضجة التي اثيرت حولهم وسيلة لزيادة نفعهم(٦٤).

ولم يغفر نجيب نصار لحزب اللامركزية سعيه لعقد اتفاق مع الحركة الصهيونية لذلك عندما علم ان حقي العلم « سكرتير اللامركزية » هو رئيس جمعية مقاومة الصهيونية التي تألفت في القاهرة وارسلت منشوراتها الى سائر جهات فلسطين أبدى عدم ارتياحه ونصح الشبيبة الفلسطينية العمل مستقلة عن الزعماء لايجاد « رأي عام عربي ـ عثماني » في فلسطين . ثم طلب منها الاستفادة من التجارب السابقة التي اظهرت اتخاذ الزعماء الشبيبة سلما لبلوغ الغايات الخاصة(٦٥).

وهكذا وقف عرب فلسطين موقفا حاسما من محاولات التفاهم والاتفاق فرفضوها وانكروا على الاصلاحيين العرب سعيهم للتوصل الى اتفاق مع الحركة الصهيونية . فقد كان احساسهم بالخطر الصهيوني عميقا ، وبذلك كان الشعور الشعبي في فلسطين عدائيا جدا للصهيونية ولا يسمح بتنفيذ اي اتفاق معها .

وما ان اشتدت وطأة الحركة الصهيونية على عرب فلسطين حتى استغاث الاعيان في القدس ويافا وغزة في أبريل ١٩١٤ بالمنتدى الادبي العربي في الاستانة وناشدوه العمل بحزم ضد التيار الصهيوني الجارف الذي هدد الموارد الاقتصادية للفلاح والتاجر، ولفتوا الانتباه الى نفوذ الحركة الصهيونية في دوائر الحكم في متصرفية القدس وان حكومة

اسرائيلية قد تأسست في فلسطين تقاصص وتجازي ، واوضحوا انه اذا كانت الحاجة الى الاصلاح شديدة فان الحاجة الى دفع الخطر الصهيوني أشد ثم ناشدوا المنتدى الادبي بأسم الوطنية أن يستعمل كل ما لديه من الوسائل المشروعة لينبه الحكومة العثمانية الى الخطر الصهيوني(٦٦) .

كما اتخذ المجلس الاداري في نابلس قرارا في يوليو ١٩١٤ يقضي بعدم البيع للصهيونيين في لواء نابلس ، فسعت الحركة الصهيونية لفصل ارتباط عدد من قرى اللواء والحاقها بقضاء يافا بدعوى قربها ليسهل عليهم بعد ذلك شراء الاراضي فيها(٦٧) . واشتدت مناوءة الصهيونيين فوزعت منشورات في القدس تحذر من الخطر الصهيوني ، وتضمنت نداء حارا الى أبناء البلاد(٦٨) ثم طلبت منهم العمل على ما يلي :

١ — مطالبة الحكومة العثمانية بالحاح لصد تيار الهجرة اليهودية الجارف .

٢ — السعي لتقوية التجارة الوطنية والصناعية .

٣ — عدم بيع الاراضي لليهود .

٤ — النظر في كل الوسائل التي تدعو الى عدم هجرة العرب من فلسطين .

ولعله من المفيد — في ختام هذه المقالة — ان نتعرف على وجهات النظر التي كانت سائدة في اوساط متنوري فلسطين الذين تفاعلوا مع الاحداث في تلك الفترة الحاسمة التي سبقت اعلان الحرب العالمية الاولى(٦٩) .

كان من رأي حافظ السعيد — مبعوث يافا واحد أعيانها وعضو حزب اللامركزية ومن انصار حزب الحرية والائتلاف العثماني — وهو هنا يتبنى رأي حزب اللامركزية في موضوع الهجرة اليهودية « ... انني أرى ان الهجرة الصهيونية قد تكون مضرة وقد تكون غير مضرة ، فان كانت مربوطة بقيود وشروط تتكفل بدفع الضرر فلا بأس منها كأن تنظر الحكومة لمقدار نفوس فلسطين سيما لواء القدس فيها ومقدار سعة الاراضي، وتنظر لمقدار الزايد فيها عن كفاية السكان ... فتسمح ببيعه للمهاجرين الذين يدخلون في التابعية العثمانية ... واما اذا كان حبل الاستعمار ملقى على غارب المستعمر في الهجرة والعدد والمقدار ، فلا يبعد والحالة هذه ان يستولي المستعمرون وهم متلبسون بأجنبيتهم على أكثر الاراضي والتجارة ... فالظن اذا بأنهم — يقصد الاهالي — يستفيدون بمجرد النظر لاعمال جيرانهم الصهيونيين هو في رأيي ظن لا يتحقق وكلام لا معنى له » .

أما خليل افندي السكاكيني — مدير المدرسة الدستورية في القدس ومن اقطاب النهضة الارثوذكسية في المتصرفية — فيرى ما يلي : « ... الصهيونيون يريدون ان يملكوا فلسطين وهي قلب البلاد العربية ... ويقسموا الامة العربية الى قسمين يصعب معهما اتحادها وتضامنها » .

أما فيض الله العلمي — مبعوث المتصرفية ومن أعيان القدس — فقد وصف الواقع المؤلم آنذاك بقوله : « ... اذا دمنا على حالنا فلا بد ان يأتي يوم يصبحون فيه أهل البلاد ونحن غرباء عنها » أما جميل الحسيني — من أعيان القدس في الاستانة والمشتغلين في الحركة العربية « فكان من المعارضين للحركة الصهيونية ومن الداعين لمقاومتها ... المسألة الصهيونية من امهات المسائل التي يجب علينا ان نقاومها ونحاربها والحكومة تشد ازرها والاهلون جهلاء بسطاء » .

وكان رأي جرجي زيدان(٧٠) — صاحب مجلة الهلال في القاهرة — في الحركة الصهيونية في أعقاب رحلة شاملة لفلسطين قام بها في عام ١٩١٤ وعاين على الطبيعة

الاثار السيئة التي ألحقتها الصهيونية بالفلاحين العرب « ... واما ما لا شك فيه من مستقبل تلك البلاد اذا ظلت على ذلك واليهود عاملون على ابتياع الاراضي واستعمارها واهلها غافلون او متجاهلون وحكومتها ساكتة او مشغولة فلا يمضي زمن طويل حتى تصير كلها لليهود » . ويرى جرجي زيدان ايضا انه لا يمكن تلافي الخطر الصهيوني الا بالنسج على منواله من حيث استغلال الارض بالوسائل الحديثة — آنذاك طبعا — وانقاذ الفلاح من جشع المرابين . ثم يقول « ... وفي وسع الحكومة ان تفعل ذلك لكنها مشغولة مضطربة اما اعيان البلاد فمنصرفون الى المسائل السياسية والتنازع على الوظائف والنيابات أو المطالبة بالاصلاح ، ولو صرفوا الهمة والجهد الى الناحية الاقتصادية لكان ذلك أقرب الى الوطنية والاستقلال » .

وكتب محمد رشيد رضا(٧١) — صاحب جريدة المنار — وعضو حزب اللامركزية — مقالا في المنار في مارس ١٩١٤ بعنوان « المسألتان الشرقية والصهيونية » تعجب فيه من تصدي الصهيونية لاقامة دولة يهودية في فلسطين ثم ذكر ما يقال عن اقتناع جمعية الاتحاد والترقي بتلك الفكرة وكيف أنها تساعد الصهيونيين على التمهيد لتمليكهم البلاد نكاية بالعرب ، ثم خلص الى القول « ... انه لا مجال للبحث في اثبات هذه الاقوال او نفيها وانما كان ذلك لتذكير الذين اكثروا القول في المسألة الصهيونية من كتاب العرب بأنهم ما فتئوا يدورون حولها ولما يدخلوا فيها بعد » ثم انهى المقال بالدعوة لحسم الموضوع بين العرب والصهيونية فقال « ... يجب على زعماء العرب أهل البلاد أحد أمرين ، اما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونية على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد ان أمكن — وهو ممكن قريب اذا دخلوا عليه من بابه وطلبوه بأسبابه — واما جمع قواهم لمقاومة الصهيونية بكل طرق المقاومة وأولها تأليف الجمعيات والشركات وآخرها تأليف العصابات المسلحة التي تقاومهم بالقوة ، وهو ما تحدث به بعضهم على ان يكون أول ما يعمل ، وانما هو الكي والكي آخر العلاج كما يقال » .

وفي ٢٠ يوليو ١٩١٤ كتب حقي العظم — سكرتير حزب اللامركزية — رسالة الى محمد المحمصاني من المشتغلين في الحركة العربية في بيروت وقد أعدمه جمال باشا في مايو ١٩١٦ . وقد جاء في تلك الرسالة « ... فيما يتعلق بالاتفاق الذي كان قد اقترحه سكولوف عضو اللجنة التنفيذية الصغرى للحركة الصهيونية — فان رأيي يختلف عن راي رفيق بك العظم (رئيس حزب اللامركزية) ... لاني مقتنع أن لا فائدة على الاطلاق من الاجتماع (بالحركة الصهيونية) . واذا لم اعارضه فلأني لا ارى فيه أذى ... اعلم يا اخي ان هؤلاء الناس يسيرون نحو هدفهم بسرعة شاكرين مساعدة الحكومة وعدم مبالاة الاهالي ، وانا متأكد بأننا اذا لم نعمل شيئا للتأثير في الوضع الراهن للصهيونية فسيحققون هدفهم في فلسطين في سنوات قليلة حيث سيوجدون دولة يهودية وبعد ذلك يتجهون نحو سورية والعراق ، وهكذا سيفرغون من تحقيق برنامجهم السياسي ... ولكن باستخدام وسائل التهديد والاضطهاد والاسلوب الاخير هو الذي يجب ان تستخدمه فقط ويتمثل في حث السكان العرب على تدمير مزارعهم واشعال النار في مستعمراتهم وتشكيل العصابات لتنفيذ هذه المخططات . وبعد ذلك ربما يهاجر الصهيونيون من فلسطين لانقاذ حياتهم »(٧٢) .

ويتبين لنا مما سبق استمرار عرب فلسطين في مقاومة الغزو الصهيوني بوسائلهم المحدودة وعلى الرغم من فشل السلطان عبد الحميد في ايقاف تدفق سيل الهجرة اليهودية الى فلسطين بسبب مداخلات السفراء الاجانب ، وبسبب تواطؤ بعض المسئولين في الادارة والشرطة مع الصهيونيين بفعل الرشوة ، وعلى الرغم من مساعدة الاتحاديين

للصهيونيين ومن نجاح المتنفذين اليهود في اقصاء بعض المتصرفين او عزل الموظفين العثمانيين المعارضين لهم في فلسطين .

كما تبين لنا كيف كانت نظرة عرب فلسطين للحركة الصهيونية نظرة واقعية ، فقد احسوا بخطر الغزو الصهيوني الذي يتهددهم ، فحصلت كما رأينا منازعات بين الفلاحين العرب والمستوطنين اليهود ، ووقف الى جانبهم الموظفون العرب في الدوائر العثمانية ، وكان من بينهم شكري العسلي الذي كان قائمقاما لقضاء الناصرة ، ثم نائبا عن دمشق في مجلس المبعوثان ، وبذل كل جهوده لمنع الهجرة اليهودية وشراء الاراضي كما أخذ آخرون يضعون العوائق والصعوبات في طريق الاستيطان اليهودي ، وازدادت معارضة الاعضاء العرب في مجلس المبعوثان العثماني للنشاط الصهيوني في فلسطين ، بل دخلت مقاومة الحركة الصهيونية في البرنامج الانتخابي لمرشحي متصرفية القدس لمجلس المبعوثان فصرح راغب النشاشيبي أحد مرشحي القدس في انتخابات ١٩١٤ « بأنه سيبذل أقصى جهوده — اذا نجح في الانتخابات — لازالة الخراب والخطر الذي يتهدد المواطنين من الصهيونية والصهيونيين » فانتخب بأكثرية فائقة(٧٣) .

وهكذا نجد عرب فلسطين وقد اتخذوا موقفا حاسما في الحركة الصهيونية فأسسوا عدة جمعيات لمكافحتها وقاموا باعمال العنف المسلح وفرضوا على مرشحيهم لمجلس المبعوثان العمل على ازالة الخطر الصهيوني مقابل التصويت لهم . وبذلك بلوروا شخصيتهم الفلسطينية وابرزوا مقوماتها الاساسية قبل الحرب العالمية الاولى .

---

١ — تعتمد هذه الدراسة اساسا على المادة الوثائقية المحفوظة في ارشيف رئاسة الوزراء في استانبول ، وتشمل السجلات والمعاملات والمخابرات الرسمية التي جرت بين الحكومة المركزية في استانبول والسلطات المحلية في متصرفية القدس ، وفي ولاية بيروت خلال الفترة (١٨٧٠ — ١٩١٤) كما تعتمد ايضا على الوثائق البريطانية المحفوظة في مكتب السجلات العامة في لندن . وتشمل التقارير والمخابرات التي رفعها القناصل الانكليز في القدس وبيروت (١٨٧٠ — ١٩١٤) الى وزارة الخارجية في لندن والى السفارة البريطانية في استانبول . كما تعتمد الدراسة ايضا والى حد كبير على الدوريات العربية المعاصرة للاحداث التي ترد في هذه الدراسة ومن هذه الدوريات : جريدة فلسطين (يافا) وجريدة الكرمل (حيفا) والقبس والمقتبس (دمشق) والمفيد (بيروت) والاصلاح (بيروت) والمنار (القاهرة) والمقتطف (القاهرة) والاهرام (القاهرة) والمقطم (القاهرة) والهلال (القاهرة) .

٢ — جريدة **فلسطين** ، العدد ٢٠٤ — ١ في ١٥ كانون الثاني ١٩١٣ ، والعدد ٢٠٩ — ٦ في ١ شباط ١٩١٣ .

٣ — أنيس صايغ ، **الهاشميون وقضية فلسطين** ، ص ٤٣ .

٤ — **تقرير اللجنة البريطانية للتحقيق في اضطرابات يافا** (أيار ١٩٢٢) .

٥ — **المرجع السابق** ، ص ٣٢ — ٣٣ .

٦ — محمد رفيق ومحمد بهجت ، **ولاية بيروت — القسم الجنوبي** ، ص ٢١٥ .

٧ — F.O. 195/1789. No 13 Const. 3rd April 1893, and See also; F.O. 195/1765. No 35. Jerusalem, 30th Dec. 1892.

٨ — **المقتطف** ، ابريل ١٨٩٨ ، مجلد ٢٢ ، ص ٣١٠ .

٩ — **المنار** ، مجلد ١ ، ج ٦ ، ص ١٠٨ .

١٠ — **المنار** ، مجلد ٤ ، ج ١ ، ص ٨٠١ — ٨٠٩ .

١١ — **المنار** ، مجلد ٦ ، ج ٥ ، ص ١٩٦ — ٢٠٠ .

١٢ — F.O. 195/2287, No. 20. Jerusalem, 2nd April 1908.

١٣ — عبد المسيح انطاكي ، **نيل الامماني في الدستور العثماني** ، ص ٧٥ .

١٤ — Mandel, Neville, *Turks, Arabs, and Jewish Immigration into Palestine.* (1882-1914). P. 92.

١٥ — **المرجع نفسه** .

١٦ ــ نجيب نصار ، **الصهيونية** ، ص ١٢ ، ١٧ ، ٥١ (٥٩ ــ ٦٢) .

١٧ ــ Mandel., *op. cit.*, pp. 93-94.

١٨ ــ **الاهرام** ، العدد ٩٤٩٣ في ٩ يونيو ١٩٠٩ ، ٩٥٠٧ في ٢٥ يونيو ١٩٠٩ .

١٩ ــ Mandel, *op. cit.*, pp. 94-95.

٢٠ ــ **المصدر نفسه** .

٢١ ــ **المقتبس** ، العدد ٣١٨ في ١٥ آذار ١٩١٠ والاعداد ٤٦٥ و٤٦٧ و٤٦٩ في ايلول ١٩١٠ .

٢٢ ــ Mandel, *op. cit.*, pp. 96-98.

٢٣ ــ **المصدر نفسه** .

٢٤ ــ **المفيد** ، العدد ٧٧٠ في ١٩ آب ١٩١١ .

٢٥ ــ **المفيد** ، العدد ٨٧٠ في ٣١ كانون الاول ١٩١١ .

٢٦ ــ نجيب نصار ، **الصهيونية** ، ص ١٢ ، ١٧ ، ٥١ .

٢٧ ــ **فلسطين** ، العدد ١٨٥ ــ ٨٤ في ٢ تشرين الثاني ١٩١٢ .

٢٨ ــ **الكرمل** ، العدد ٣٥٥ في ٥ آب ١٩١٣ والعدد ٣٥٧ في ١٢ آب ١٩١٣ . وانظر **فلسطين** ، العدد ٢٥٥ ــ ٥٢ في ١٩ تموز ١٩١٣ .

٢٩ ــ **الكرمل** ، العدد ٣٣٤ في ٢٤ حزيران ١٩١٣ .

٣٠ ــ **فلسطين** ، العدد ٢٦٣ ــ ٥٩ في ١٣ آب ١٩١٣ ، وانظر ايضا الاعداد ٢٦٧ ــ ٦٤ ، ٢٨٧ ــ ٨٤ في آب وتشرين الثاني ١٩١٣ .

٣١ ــ Herzl, Theodor, *The Complete Diaries of Theodor Herzl.* 5 vols. pp. 88-89.

٣٢ ــ **فلسطين** ، العدد ٢٥٣ ــ ٥٠ في ١٢ تموز ١٩١٣ .

٣٣ ــ **الكرمل** ، العدد ٣٦٣ في ٩ ايلول ١٩١٣ .

٣٤ ــ **المصدر نفسه** .

٣٥ ــ **فلسطين** ، العدد ٢٦١ ــ ٥٨ في ٩ آب ١٩١٣ .

٣٦ ــ **الكرمل** ، العدد ٣٦٦ في ١٩ ايلول ١٩١٣ .

٣٧ــ٤٢ ــ جريدة **الكرمل** ، الاعداد ٤٠٤ ، ٤٠٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٣٧ ، في الفترة من (شباط ــ حزيران ١٩١٤) .

٤٣ــ٤٤ ــ جريدة **فلسطين** ، العدد ٢٢٦ ــ ٢٩ في ١٠ حزيران ١٩١٤ والعدد ٣٣١ ــ ٣٤ في ٢٧ حزيران ١٩١٤ .

٤٥ــ٤٩ ــ جريدة **الكرمل** ، الاعداد ٢٩١ ، ٣١٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣٦٠ خلال الفترة (كانون الاول ١٩١٢ لغاية آب ١٩١٣) .

٥٠ ــ **الكرمل** ، العدد ٤٢٣ في ٢٤ نيسان ١٩١٤ .

٥١ ــ **الكرمل** ، العدد ٣٤٦ في ٤ تموز ١٩١٣ .

٥٢ ــ جريدة **الكرمل** ، الاعداد ٣٤٧ ، في ٨/٧/ ١٩١٢ ، ٣٤٩ في ١٥/٧/١٩١٣ ، ١٥٣ في ٢٢ /٧/١٩٧٣ .

٥٣ ــ **فلسطين** ، العدد ٢٥٢ ــ ٤٩ ، في ٩/٧/ ١٩١٣ ، والعدد ٢٦٢ ــ ٥٩ في ١٣/٨/١٩١٣ .

٥٤ ــ انظر الحاشية رقم ٥٢ .

٥٥ ــ انظر الحاشية رقم ٥٢ .

٥٦ ــ انظر الحاشية رقم ٥٣ .

٥٧ ــ **الكرمل** ، العدد ٣٣٥ في ٢٣ ايار ١٩١٣ .

٥٨ ــ **فلسطين** ، العدد ٢٨١ ــ ٧٨ في ١٨ تشرين الاول ١٩١٣ .

٥٩ ــ **القبس** ، العدد ٣٧ ــ ١٣٣٧ في ١٧ تشرين الثاني ١٩١٣ .

٦٠ ــ **المقطم** ، العدد ٧٦٤٨ في ٢٢ مايو ١٩١٤ .

٦١ ــ **المقطم** ، العدد ٧٦٥٥ في ٣٠ مايو ١٩١٤ .

٦٢ ــ **الكرمل** ، العدد ٤٣٥ في ٥ حزيران ١٩١٤ والعدد ٤٥١ في ٣١ تموز ١٩١٤ .

٦٣ ــ **الكرمل** ، العدد ٤٣٧ في ١٢ حزيران ١٩١٤ .

٦٤ ــ **الاصلاح** ، العدد ٣٥٢ ــ ١٧٤٦ في ٥ تموز ١٩١٤ .

٦٥ ــ **الكرمل** ، العدد ٤٥٣ في ٧ آب ١٩١٤ .

٦٦ ــ **فلسطين** ، العدد ٣٢٣ ــ ٢٦ في ١١ نيسان ١٩١٤ .

٦٧ ــ **فلسطين** ، العدد ٣٣١ ــ ٣٤ في ٢٧ حزيران ١٩١٤ .

٦٨ ــ **الكرمل** ، العدد ٤٤٤ في ٧ تموز ١٩١٤ .

٦٩ ــ **فلسطين** ، العدد ٣٢١ ــ ٢٤ في ٤ نيسان ١٩١٤ .

٧٠ ــ **الهلال** ، ج ٧ ، السنة ٢٢ في ابريل ١٩١٤ ص ٥١٩ .

٧١ ــ **المنار** ، مجلد ١٧ ، ج ٤ ، ص ٣١٩ ــ ٣٢٠ .

٧٢ ــ Mandel, Neville, *Attempts at an Arab Zionist Entente.* 1913-1914. pp. 264-265.

٧٣ ــ Mandel, Neville, *Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine*, p. 102.

رحلة في عالم فدوى طوقان :

شاعرة عربية على درب الواقعية الجديدة

ممدوح السكاف

يتوضح صوت الشاعر ، يأخذ أشكاله وأبعاده ، رجعه ومداه ونكهته عندما يصبح تعبيرا عن وجدان امته الجماعي وينتقل من حالة الفردية والخصوصية الى الحالات الكلية الشمولية الانسانية . وفدوى طوقان واحدة من شاعراتنا العربيات المعاصرات اللواتي اسهمن في حركة الشعر الحضاري الجديد واصّلن دربه ووضعن لـه بعـض المنطلقات والركائز الفنية .

وقد كانشعر فدوىطوقان فيما قبل نكسة حزيران يغنيمشاعرنا الذاتية كامراةشرقية تعيش فكرة الحب ضمن حدود مغلقة وتفتح بوحها الانساني على الاخرين من المحبين برومانسية معذبة حزينة ولكنها شفافة ورقيقة، الا ان هذا الحب عند فدوى لم يكن مجرد علاقة برجل وحب له وانما كان صداقة حية غنية بالمشاعر الطيبة الصافية . وخلال صفحات دواوينها الاولى مثل « وحدي مع الايام » و« وجدتها » و« أعطنا حبا » تظهر انعكاسات هذه النزعة الذاتية وطوابعها من شوق مبحوح الى المجهول وضياع في عالم من القلق والتشاؤم والغربة الروحية وعكوف على «الانا» واجترار للانفعالات والأحزان الشخصية ورغبة عاتية في الهجرة نحو اكوان ودنيوات مسحورة عطرة وخوف من المجتمع الشرقي القديم وتقاليده الصارمة :

انظر هنا ..
الصخرة السوداء شدت فوق صدري
بسلاسل القدر الغبي
بسلاسل الزمن الغبي
انظر اليها كيف تطحن تحتها
ثغري وزهري
تحتت مع الايام ذاتي
سحقت مع الدنيا حياتي

وتقع النكسة الحزيرانية الاليمة فاذا بشاعرتنا تنطلق من حدود ذاتها وأفقها الدائر حول نفسها الى منطلقات الحياة العربية التي تحترق بوحشية المستعمرين وتدافع عن وجودها ببسالة . وعندئذ يبدأ خط جديد مشرق يتسطر في تاريخ الشاعرة التي أصبحت تعيش في نابلس فتعاني وطأة الاحتلال الصهيوني البغيض وتقاوم ناره وحديده وجبروته جنبا الى جنب مع الفدائيين الابطال ، بأشعارها الملتهبة وقصائدها النابضة بدم جديد ورعشة حارة وايمان صلب لفتاة عربية تريد ان تقول شيئا في معركة العمل من أجل النصر والتحرير .

والواقع ان هذا الخط قد بدأ يتسطر فعلا بعد لقاء الشاعرة الفلسطينية بزملائها

من الشعراء الشباب في الارض المحتلة امثال محمود درويش وتوفيق زيـاد وسميـح القاسم ، فقد رأت فيهم عنوانا للصمود والمقاومة في وجه التحديات الصهيونية وصورة من صور الغربة الباغية التي يعيشها الانسان الفلسطيني وهو في وطنه مع تصميمه على النضال والاحتجاج والرفض ، واستامت في وجوههم النضرة مرافىء الامل والضياء ممثلة بصبرهم ونضالهم وثقتهم بالانتصار رغم النكسة الفاجعة .

وكان من حصاد هذا اللقاء الاخوي قصيدة فدوى الرائعة « لن أبكي » التي نشرتها بعد عدوان حزيران وكانت بداية التحول الكبير في شعرها وموقفها حيث انتقلت من مرحلة شعرية الى اخرى ، من مرحلة السلبية والتقوقع والبكاء الى مرحلة الايجابية والانفتاح والنضال، او بمعنى اخر من التيار الرومانتيكي الانعزالي الى التيار الواقعي الملتحم بقضية المصير والجماهير وهي تهدي قصيدتها هذه الى شعراء المقاومة ذكـرى لقائها بهم في حيفا وتخاطبهم بأعلى درجات الايمان بالعمل الفدائي :

أحبائي
حصان الشعب جاوز كبوة الامس
وهب الشهم منتفضا وراء النهر
اصيخوا .. هاحصان الشعب يصهل
واثق النهمة
ويفلت من حصار النحس والعتمة
ويعدو نحو مرفئه على الشمس
وتلك مواكب الفرسان ملتمه
تباركه وتفديه ..

وهكذا تطور وعي فدوى طوقان للواقع : أصبح وعيا ثوريا . قررت ان تخـوض معركة المقاومة بالكلمة التي لها فعل الرصاص في قلب العدو واندفعت تكتب القصائد الواعية الهادفة الحارة العاطفة بعد صمت طويل ذاهل اثر النكسة ، وفي هذه القصائد الجديدة المكتوبة بعد السكوت المدمر ، نلاحظ نماذج بناءة فعالة ، ايجابية صامدة ، تمثل وجدان الشعب الحقيقي المصمم على انتزاع النصر وتحقيق هدف التحرير ، وخير نموذج لهذا الانسان المكافح في الارض المحتلة شخصية « حمزة » الذي نسف الصهاينة بيته في نابلس فلم يهن ، ولم يطأطىء رأسه ولم يغادر بلده :

كان حمزه
واحدا من بلدتي كالاخرين
طيبا ياكل خبزه
بيد الكدح كقومي البسطاء الطيبين
قال لي حين التقينا ذات يوم
وأنا اخبط في الهزيمه
اصمدي لا تضعفي يابنة عمي
هذه الارض التي تحصدها نار الجريمه
والتي تنكمش اليوم بحزن وسكوت
هذه الارض سيبقى
قلبها المغدور حيا لا يموت
هذه الارض امراة
في الاخاديد وفي الارحام سر الخصب
واحد

قوة السر التي تنبت نخلا وسنابل
تنبت الشعب المقـاتل

ان فدوى طوقان ابنة نكبتين ، ولكن شتان ما بين فعل الاولى بها واثر الثانية فنكبة عام ١٩٤٨ فجرت فيها ينابيع الحزن السديمي ، فشغلت بذاتها عن قضيتها المصيرية ، فهومت على هذه الذات تنزح منها الرغاب والتصورات والخيالات الشاحبة المتعبة ، واما نكسة عام ١٩٦٧ فقد فعلت بها فعلها العجيب : قلبتها رأسا على عقب من شاعرة لا هم لها الا نفسها وما يدور في هذه النفس من الانفعالات والذكريات والهواجس الى شاعرة تحكي عن كل شيء يخدم قضية الخلاص من الاحتلال الصهيوني الشرس لوطنها، فترسم بالفاظها الريا بالعاطفة النبيلة صور البطولة والكفاح اليومي من أجل الحرية، وتنسى في زحمة هذه العملية الجادة ذاتها بل تخنق ما يضطرب فيها مـن انتفاضات داخلية خاصة وبهذا تتيح لصوتها الشعري ان يزداد أصالة وابداعا .

ولم تقف فدوى طوقان عند حدود تجربتها الفنية كواحدة من رائدات الشعر الحديث، بل تطورت تطورا واضحا في قصائدها الاخيرة التي ضمها ديوانها الجديد « على قمة الدنيا وحيدا — من منشورات الاداب » فأصبحت من ناحية البناء المعماري لقصيدتها تعتمد على الشكل الدرامي وما يتيحه من أجواء متنامية تفسح مجالا طلقا لرسم الموقف الشعري ، وعلى المقاطع الموسيقية الطويلة المتتابعة بنفس حار متلاحق بدل الشطرة المحدودة التفعيلات المغلقة الايقاع ، مما أتاح لشاعريتها ان تلحق بركب التجديد الدائم .. نلحظ هذا في قصيدتها « مع الحزن المعتق » التي اهدتها الى زميلها الشاعر « سميح القاسم » وفيها تقول :

وعند انهيارات جسر التواصل ، حاولت
حاولت ، حاولت ، لكي
ولم يبق مني على راحتيك سوى غيمه
تجمد فيها الشرار
وغاب حضوري ، رحلت بعيدا وغصت
بعيدا الى القاع ، غصت انادم حزني
اعاقره في غيابة جب بغير قرار

ورغبة من الشاعرة في سريلة قصيدتها بوشاح من التجديد الشكلي ، واغنائها بمظهر جذاب ، عمدت الى استعارة بعض وسائل الفن القصصي ، واستعملتها في عدد من قصائد هذه المجموعة على الشكل التالي :

١ — استعمال الحوار الحركي : حيث جعلت الشاعرة الحوار عصب القصيـدة ومرتكزها الاساسي ومحورها الذي تتنامى من خلاله واثرته بفيض من التدفق والحرارة فأصبح يموج بالحيوية والاشارات الخفية احيانا ، ووخز الدبابيس والايجاع أحيانا اخرى ، والنعومة الشاعرية والترقرق الوجداني احيانا ثالثة :

— لعلك مثلي غريبة
وتنفصل القطرتان عن المد ثم تغيبان
بين زوايا حديقه
— تحبين اوزبورن ؟
— ومن لا يحبه ؟
— عجائز انكلترا المحيطون وضباطها
الآفلون مع الشمس « غرب السويس »

ـ ترى من سيزرعها شجرة الغد
لهذا البلد ؟..
ـ شباب الهيز
ـ لاذع انت لاذع
ـ هناك في العطفة الجانبية حانوت خمر
وفي النزل ذوق وتدفئة مركزيه
ـ سدى ما تحاول ...
ـ ألست ابنة العصر ؟
ـ كبرت عن الطيش صيرني الحزن
بنت مئات السنين

٢ ـ استعمال المونولوج الداخلي : فالقصيدة سرد في الحاضر ، ثم رجوع الى الماضي، ثم بين هذا وذاك تطلع الى المستقبل وتداخل في الساحات المكانية والزمانية . والمونولوج هنا ليس لعبة شكلية فقط مهمتها اثراء العمل الفني واغنائه بفيض من الدلالات والصور والانطباعات والذكريات وانما هو مقصود لذاته من أجل تجسيد الحدث القصصي القصيدي ، وترسيخ معاني الحداثة في كيفية تبادل التقنيات بين الفنون الادبية قصيدة ام قصة ام مسرحية او رواية .

فرحلة التداعي مثلا في قصيدة (في المدينة الهرمة) تجري كما تقول الشاعرة بين شارع اوكسفورد في لندن وسوق العطارين في نابلس ، الرحلة تبدأ عند إشارة الضوء الاحمر وتنتهي عند اشارة الضوء الاخضر والشاعرة ضائعة في مدينة الضباب والفحم والمؤامرات تتلقفها الشوارع والارصفة ، وتموج مع المائجين من العبور تتملى في الوجوه اليابسة وفجأة ينخطف الفكر بها الى نابلس :

يحمر ضوء الاشارة والمد يرتد
تعود الخفافيش للذاكره
ونصف مزنجرة ، تعبر السوق افسح
فيه مكانا لتعبر ، اني ، تعلمت
الا اعرقل خط المرور .
وعن ظهر قلب حفظت دروس نظام المرور
هنا كان سوق النخاسة ، باعوا هنا
والدي وأهلي
وهذا أنا اليوم جزء من الصفقة الرابحه
أمارس حمل الخطيئة معصيتي انني
غرسة أطلعتها جبال فلسطين ... من
مات أمس استراح

٣ ـ استعمال التضمينات الصحفية والوثائقية النثرية كما تفعل رواية الموجه الجديدة ، وذلك بانتزاع تصريحات الرسميين والسياسيين كما وردت على السنتهم وتضمينها القصيدة (وقد فعل ذلك توفيق يوسف عواد في روايته « طواحين بيروت ») ولجأت اليه فدوى طوقان في قصيدتها « كوابيس الليل والنهار » هادفة الى هز الوجدان أكثر عن طريق النثر ، لغة الحياة اليومية ، والصراع المر من أجل العيش :

في صحف القدس اليومية أرمي عيني
اقرأ خبرا كالاخبار :

« بيت لحم : — فوجىء المزارعون في خربة
بيت سكاريا بمجموعة من الجرامات خرجت
من مستعمرة كفار عصيون وشرعت في
قلع المزروعات في اراضي تلك البلدة »
اقرأ شكوى مرفوعه
لوزير الحرب

ولم تكتف فدوى طوقان في هذه المجموعة بالتجديد في سربال القصيدة الخارجي ، وانما راحت تعطرها بشميم التراث بما فيه من اقتباس وتضمين عصريين يأتيان على شكل اسقاطات تاريخية هدفها العودة الى الجذور فهي أحيانا تستعير من القرآن الكريم بعض آياته كقولها « يتوارون بظل الحائط اشباحا وهياكل جوفا غير خفاف غير ثقال » وفي كتاب الله : « انفردوا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله » (سورة التوبة) وأحيانا ثانية تستعير من التوراة كقولها : « تظلون يا حارسي انبيـاء الكذب » وجاء في التوراة : قال لي الرب يتنبأ الانبياء باسمي لم ارسلهم ولا امرتهم ولا كلمتهم بالرؤى الكاذبة ومكر القلب يتنبأون — أرميا /١٤/ ما أنا على الذين يتنبأون باحلام كاذبة — ارميا/٢٣ .

ومما يلفت النظر كذلك في مجموعة « على قمة الدنيا وحيدا » مسألة الاختصاص الشعري بموضوع المقاومة وفلسطين والاحتلال ، فالاثنتا عشرة قصيدة التي تؤلف جسد هذه المجموعة تدور في مدارها حول العذاب الفلسطيني والنضال للخلاص منه، وحول الحلم الفلسطيني بالعودة الظافرة الى الوطن الفردوس ، وحـول اليـأس الفلسطيني الذي يصل الى ذروته الفاجعة عندما تصرخ الشاعرة من أعماقها صرخة الاسى والاحباط :

يا اخوتنا قولوا حتـام
أواه وآه يا فيتنام
آه لو مليون محارب
من ابطالك
قذفتهم ريح شرقيه
فوق الصحراء العربية
لفرشت نمارق
ووهبتهم مليون ولود قحطانيه
عفوا يا أهل البيت
جارحة هذي الامنيه
لكنا لم يبق لدينا
منكم الا قعقعة الصوت

حتى تلك القصيدة العاطفية التي اهدتها الشاعرة الى زميلها « سميح القاسم » . تمر في الجو النفسي ذاته ، فهي تعبر عن تجربة احباط وفشل شعوري وجسدي بين شاعر فلسطيني وشاعرة فلسطينية ، أرادا التواصل الانساني بأفسح معانيه، ولكنهما لم يستطيعاه ، لان حزن القضية القديم شج رأسهما فجأة ، وشل فعاليتهما ، فتوقفا عن المغامرة :

وعند اشتعال المساء بنيران
شمسك ، تسلقت جدران كهفي

حاولت أقطف وهجا ، فأمطر حزني
وعند أنهار هباتك قلت لارضي تبارك
هذا الربيع ، تلقي هبات يديه ، فأزهر
حزني
وقام التعارض سدا كما الموت ، حال
التعارض دون اندماج العناصر
شمسك ظلت قصية ...
وأرضي ظلت عصيه

ومثل هذا الاختصاص في موضوع شعري ما ، والدوران حوله والنهل من ينبوعه ، وتقليبه على اوجهه ، واستنفاد طاقاته ليس امرا سهلا في ميدان الخلق الفني اذ ان التجربة الواحدة مهما كانت ثرة وغنية ، لا بد لها أن تخبو مع تكرار صياغتها ، فما بالك بموضوع مثل موضوع فلسطين وضياعها تتسم معطياته بالدمع والغربة والقهر ، وهو شغلنا الشاغل منذ ما يقرب من نصف قرن وقد سئم الناس من قراءة آثاره لانها توحي باللاجدوى والعبث ؟..

لقد عانى السياب معاناة قاتلة اثناء مرضه من ضمور تجربته الشعرية وتقلصها ووحدانيتها ودورانها الدائم حول فكرة الموت والخوف منه ووداع العالم الى غير رجعة وتمثل هذا الامر اكثر ما تمثل في دواوينه الاخيرة : « شناشيل ابنة الجلبي » و « المعبد الغريق » و « منزل الاقنان » حيث حاول السياب ان يعوض عن فقر المضمون وتكراره بلعبة الشكل والصياغات المستجدة وخاصة في مجالات الموسيقى والتنويع عليها .

لكن فدوى طوقان عامدة متعمدة قصرت موضوع مجموعتها هذه على مأساة فلسطين كي تقول بمعنى من المعاني انه لا يشغلها شيء في الوجود ويؤرق حياتها ، كما يشغلها أمر وطنها المنهوب ... انه موقف التزامي صميمي نابع عن صدق شخصي وفني انعكس في كل شطرة وفي كل مقطع وفي كل قصيدة من صفحات المجموعة حيث يشعر القارىء لها بنكهة فلسطين ، جبالها ووهادها ، مدنها وقراها ، وشوشة الرياح في غضائها ، رقرقة الجداول في بساتينها ، ذكرياتها الدينية والنضالية العطرة ، ثم فدائييها وشهدائها وعلى راسهم الشهيد البطل (وائل زعيتر) الذي وضع برسالته الحقيقة الفلسطينية امام عيون العالم المضلل واللامكترث :

وجهك الغائب يلقانا على صدر الجريده
وعلى نظرة عينيك البعيده
نحن نمضي ونسافر
ونلاقيك ، نلاقيك على
قمة الدنيا وحيدا يا بعيدا يا
قريبا ، يا الذي نحويه فينا في الخلايا
في مسام الجلد ، في نبض الشرايين التي
وترها الحزن المكابر
يا بعيدا يا قريبا ، ثم على الصدر الذي
يفتحه (عيبال) من أجلك أسند
رأسك الشامخة اليوم الى « القبه »
فالصخرة في القدس احتوتك الان
حين الموت اعطاك الحياة ...

وتجسد قصيدة « نبوءة العرافة » — وهي أنضج قصائد المجموعة تناولا فنيا وتدفقا عاطفيا ورؤية فكرية — التراجيديا الفلسطينية بكل ثقلها ووطأتها وزخمها فهي تصور في مقاطعها الخمسة وأصواتها الداخلية وشكلها التقني قصة تشرد الانسان الفلسطيني وهيمانه في فجاج الارض الغريبة بلا وطن ، والشر يحيق به في كل مكان وفي غمرة عذاباته الساحقة وفي خضم نضالاته السيزيفية المريرة يشق سكون الصحراء الذاهل صـــوت ندي بالامل ، ريان بالتفاؤل :

تنبئني عنك الرياح في هبوبها
تقول
تعويذة الشر المحيق ههنا
ببيتك المهلهل المشطور
معقودة تظل لا تزول . .
حتى يجيء الفارس المكرس المنذور
تنبئني الرياح في هبوبها
عن فارس يجيء
لا واهنا ولا بطيء
تقول لي يجيء من طريق
تشقها من أجله الرعود والبروق

والقصيدة، بعد ذلك وقبل ذلك، حافلة بالرموز الشفافة المعنى التي تعطيك دلالاتها، ومفاهيمها ومعانيها دون كد عقل ، وارهاق ذهن ، وانما بعفوية وبساطة محببتين ، بعيدا تماما عن كل تصنعات بعض الشعراء المعاصرين في استعمال الغريب المستعصى من الرموز والاساطير في قصائدهم حتى ليشق فهمها على القارىء دون دليل يشرح وهوامش تفسر ، وهذا ليس من طبائع الشعر الجماهيري الذي يطمح للتغلغل بين صفـــوف البسطاء من الناس عن طريق اللغة الاليفة والصياغات البعيدة عن التعقيد والغموض اللاموحي .

ولو شئنا ان نستعرض رموز هذه القصيدة بسرعة، ونكشف معطياتها لوجدنا الشاعرة تستعمل الكلمات كرموز ، فـ « الفارس » عندها هو المخلص والفادي والمسيح ، انه ليس فردا له جبروت المعجزات القديمة ودهشتها ولكنه ارادة امة وبعث حضـــارة و« الرياح » هي ذلك المجهول الطلسم الذي يضيء بخيط من نور ليقشع قلاع الظلام وينبىء بالمستقبل والمصير و « البيت » هو فلسطين المسروقة المباعة المسلمة والضحية المعذبة منذ عام ١٩٤٨ و « أيلول » هو رمز الدمار والموت المجانيين ، اما « قابيل » فهو عنوان الخيانة الاخوية بأوضح صورها .

ان هذه القصيدة قصيدة أصوات ، تعبر عن الخفوق الداخلي والجيشان المستعمر لشعب كتب عليه الطراد والنفي والحزن ، لكنه يواجه مصيره بشجاعة الشـــعوب العظيمة وصبرها :

هلا سألت لي الرياح يا
عرافة الرياح
متى يجيء الفارس المنذور ؟
« حين يصير الرفض »
« محرقة وجلجلة »
« تلفظه احشاء هذي الارض »

« من جسمها بضعه »
« لكنما الرياح في هبوبها »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعه »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعه »

ان الشاعر الحق ، هو الشاعر الذي يثري ذاته الفنية باستمرار ويؤكد انفتاحها وتجدد خلاياها واستجابتها للتحول والانعطاف ويتابع بانفعال وصدق تشكيل تجربته الشعورية والشعرية ولا يدخر وسعا في الاستفادة من الجديد والانفتاح عليه والتعاطف معه ... الشاعر الحق ايضا هو الذي لا ينكص على عقبيه عن خطوة تقنية خطاها الى الامام فيعود ، ليتراجع عنها وينكرها ويسقطها من تاريخه وتقويمه . ان ميزة فدوى طوقان عن نازك الملائكة مثلا ، ان الاثنتين رائدتان من رائدات الشعر الحديث ، ولكن فدوى طوقان استمرت في طريقها الشعري تعطي وتعطي حتى وصلت الى تخوم القصيدة الحديثة جدا كما يكتبها محمود درويش في « سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا » والبياتي في عدد من قصائده الاخيرة بينما عادت نازك الملائكة الى الوراء وتبرأت من خطواتها الاولى في التجديد واعتبرتها خطوات على الرمال ، وراحت تتابع نظم قصائدها على الشكل التقليدي المحافظ ضاربة بعرض الحائط زيادتها في الحداثة مع السياب ، ولم تكتف بذلك بل أصبحت حربا عوانا في دراساتها النقدية وآرائها الادبية على الشعر الحديث والشعراء المحدثين ، الا ان دولاب الزمن ، وخاصة في مجال الفنون والانطلاق الحضاري لا يمكن ان يعود الى الوراء ابدا ، لان التطور الطبيعي للاشياء هو سنة الكون وديدن الوجود .

صدر كتاب

محمود درويش

وداعا ايتها الحرب وداعا ايها السلام

اطلبه من مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

ص.ب ١٦٩١ — بيروت — لبنان

سعر النسخة ٥ ل.ل. يضاف اليها أجور البريد الجوي :

١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في اوروبا ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

الجذور الطبقية للحركة الصهيونية

لطف الله حيدر

« حين يعمد المرء الى تحليل قضية اجتماعية أيا كانت ، توجب عليه النظرية الماركسية اطلاقا ان يضع تلك القضية في نطاق تاريخي معين ، كما تشترط عليه ايضا ، اذا كان الموضوع يدور حول بلد بمفرده ، أن يأخذ بعين الاعتبار الخصائص الملموسة التي تميز هذا البلد عن سواه ، في حدود حقبة تاريخية واحدة معينة»(١).

ف. أ. لينين

هذا الشرط الاساسي والصحيح لفهم أية قضية تاريخية*، يعني ضرورة التمييز بين العصور والمجتمعات المختلفة والمتطورة منذ انهيار العصر الاقطاعي وحتى بلوغ الرأسمالية مرحلة الامبريالية ، مرورا بظهور طبقة البورجوازية والانتاج البضاعي والثورة الصناعية ، وتشكل الدول القومية ، ثم مرحلة الاستعمار ، فالامبريالية ، وما رافق هذا التطور من حركات سياسية واجتماعية توجب النظرة الموضوعية والعلمية وضعها ودراستها ضمن الاطار التاريخي ، الاجتماعي والاقتصادي ، الذي نشأت وتشكلت ونمت خلاله هذه الحركة او تلك ، ذلك لان جملة الظروف الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية لمجتمع ما في حقبة تاريخية معينة هي التي تتشكل ضمن اطارها وتنمو وفق قوانين تطورها الموضوعية أية حركة سياسية او اجتماعية ترتبط حكما بقضايا العصر والمجتمع اللذين تنمو في اطاريهما .

والحركة الصهيونية ، بالتأكيد ، ليست ، ولا يمكن ان تكون ، استثناء لهذا القانون التاريخي الثابت والصحيح . ولذا فان الاحاطة ، ولو بشكل سريع وعام ، بأوضاع القارة الاوروبية في منتصف القرن التاسع عشر ، أي المكان والزمان والمجتمع ، الذين اعطوا الحركة الصهيونية أسسها ومولدها ونموها ، هذه الاحاطة تقودنا الى فهم صحيح للجذور الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية ، التي ادت الى تشكل هذه الحركة . وبالتالي فان فهم الحركة الصهيونية علميا وتفسيرها واقعيا يستلزم بالضرورة توفر شرطين أساسيين : ١ ــ وضعها ضمن اطار الظروف التاريخية ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وتأثيرات القوى المختلفة للطبقات البائدة والطبقات الصاعدة ، وتفاعلات القوى الاجتماعية في العصر الذي نشأت فيه الحركة . ٢ ــ تطبيق المنهج المادي التاريخي على اسس وظروف وارتباطات نشوء ونمو هذه الحركة بعيدا عن أية اعتبارات دينية ميتافيزيكية او فكرية مثالية وطوباوية .

ظهرت الحركة الصهيونية في اوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، بعيدا

---

* يتضمن هذا البحث الموجز والمكثف ، الافكار الرئيسية والخطوط العريضة لاطروحة دكتوراه عن الحركة الصهيونية ، يزمع المؤلف التقدم بها الى جامعة موسكو .

عن فلسطين وعن الديانة اليهودية ، وشهدت اول تنظيم لها في المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في مدينة « بازل » بسويسرا عام ١٨٩٧ ، وهو المؤتمر الذي ينسب اليه زعيم الحركة الصهيونية ومؤسسها ثيودور هرتزل ، مولد الدولة اليهودية(٢) .

كانت اوروبا انذاك تغلي بنتيجة الحدث الكبير الذي غير وجه القارة وقفز بها من العصر الاقطاعي البدائي الى عصر تشكل وسيطرة الطبقة البرجوازية ، وبروز هذه الطبقة كقوة تاريخية جديدة استطاعت تحطيم الاقطاعية ونظاميها الاقتصادي والاجتماعي ، واقامة علاقات اجتماعية واقتصادية جديدة ، واحلال نمط جديد من العلاقات الانتاجية والاجتماعية ، يستمد مقوماته الاساسية من تحطيم الانتاج الطبيعي البدائي للعصر الاقطاعي ، وتركيز نمط الانتاج التبادلي والانتاج البضاعي مكانه ، وبالتالي اخضاع الريف والارض لمتطلبات السوق ، والحاجة الى توسيع هذه السوق وضمان استقرارها بما يتوازى ويتكامل مع توسيع الانتاج وضمان تصريفه ، مما يتطلب بالضرورة القضاء نهائيا على التبعثر الاقطاعي والغاء الحواجز والحدود الكفيلة بايجاد سوق مستقلة واسعة وحرة .

هذه الثورة الاقتصادية والاجتماعية التي قادتها البرجوازية ضد الاقطاعية ولمصلحة التقدم في الحقلين الاقتصادي والاجتماعي ، كان لا بد لها أن تجد انعكاسها في الحقلين السياسي والفكري .

وهكذا كان النتاج الطبيعي لهذه الثورة البرجوازية ظهور فكرة القومية ، والدولة القومية البرجوازية التي استمدت مبررها المادي والاساسي من حاجة البرجوازية النامية والمندفعة باستمرار الى امام ، الى تأمين سوق وطنية مستقلة خاصة بها ، والتي تلازم ظهورها عبر التاريخ مع نمو قوى الرأسمالية وقدرتها على تحطيم الاقطاعية . « في العالم كله كان عهد انتصار الرأسمالية التام على الاقطاعية مقترنا بالحركات القومية . ان اساس تلك الحركات الاقتصادية يقوم على ان تفوق الانتاج البضاعي تفوقا تاما يتطلب استيلاء البرجوازية على السوق الداخلية وتوحيد الاراضي التي يتكلم سكانها لغة واحدة في دولة واحدة »(٣) . « وهكذا فالسعي الى اقامة دولة قومية تستجيب على الوجه الاكمل لمتطلبات الرأسمالية الحديثة هذه . هو أمر ملازم لكل حركة قومية، وتدفع انى ذلك اعمق العوامل الاقتصادية ، ومن هنا يبدو ان الميزة النموذجية والشيء الطبيعي في المرحلة الرأسمالية هو قيام الدولة القومية في اوروبا الغربية كلها بل في العالم المتمدن كله »(٤) .

اذن كان العصر الذي ظهرت فيه الحركة الصهيونية ، عصر انتصار الطبقة الرأسمالية والبحث عن سوق مستقلة وطنية خاصة بها وظهور فكرة القومية البرجوازية كتعبير عن الحاجة الى سوق مستقلة حرة تضمن استمرار تدفق الانتاج البضاعي وبالتالي نمو الطبقية القائدة للمجتمع في هذا العصر . كما كانت الشرائح الاجتماعية اليهودية في هذا العصر متشكلة تاريخيا كباقي الشرائح الاجتماعية الاخرى ، بمعنى انه كانت هناك البرجوازية اليهودية والبروليتاريا اليهودية ، ولم يكن هناك لسوء الحظ ، الاقطاعية اليهودية ، لان اليهود — كما هو معلوم تاريخيا — لم يكن لهم على مر العصور حق امتلاك الارض والتصرف بها ، وهو الحق الذي كان مقصورا على طبقة النبلاء والاشراف ورجال الدين المسيحيين ، مما اضطرهم الى التعامل برأس المال السائل اي المال والاملاك المنقولة ، وكانت هذه المهنة الاجتماعية حكرا لهم لسببين :

١ — تحريم امتلاك اليهود للارض وحصر هذا الامتلاك بالمسيحيين ، النبلاء والاشراف ورجال الدين منهم خاصة .

٢ ــ الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي حتمت وجود فئة تتعامل بالمال المنقول ، وامتناع الاشراف والنبلاء ورجال الدين (الاقطاعيون المسيحيون) عن امتهان هـــذه « الحرفة الوضيعة » ، الامر الذي ادى الى احتكار اليهود لها ، وبالتـــالي ظهورهم كطبقة برجوازية مميزة في مرحلة تثبيت سلطة البرجوازية بعد تحطيم الاقطاعية .

وهكذا فقد رافق عصر الانتقال من مرحلة الاقطاعية الى مرحلة البرجوازية ، وظهور الطبقة البرجوازية اليهودية وتحكمها في كثير من مجالات الانتاج ، يؤهلها لذلك رأس المال المنقول المتراكم لديها عبر العصور وخبرتها العريقة في مجال التجارة والتبادل الانتاجي، كما رافق ظهور هذه البرجوازية اليهودية جنبا الى جنب مع البرجوازية المســيحية ومنافستها لها والتغلب عليها في بعض الاسواق والدول ، واحتدام الصراع بينهما ، واتخاذه شكلا دمويا في بعض الاحيان ، رافق هذا ايضا ، ظهور موجة العداء للسامية وتجدد مذابح اليهود . ان احياء العداء للسامية وتجديد الدعوة لمذابح اليهود يجد أساسه الاقتصادي والاجتماعي لا الديني في كثير من الوقائع التاريخية المعروفة .

يسرد الدكتور « ادمون بليدو » في دراسة له باللغة الانكليزية عن « الاصول الثقافية للصهيونية »(٥)نتائج توقيع معاهدة ادريا نوبل عام ١٨٢٩ بين روسيا ورومانيا من جهة واوربا الغربية من جهة اخرى ، وهي المعاهدة التي فتحت باب التجارة الحرة علـــى مصراعيه بين رومانيا واوربا الغربية بعد أن كانت التجارة بينهما معدومة ، فيقول : « كانت الطبقة البرجوازية المسيحية في رومانيا صغيرة الحجم وضعيفة ، وبالتالي لم يكن في وسعها استغلال الفرص الضخمة للتجارة والاثراء والناجمة عن الوضع الجديد، بينما كانت البرجوازية اليهودية هي الفئة الاجتماعية الوحيدة المؤهـــلة للاســـتفادة من الوضع الجديد نتيجة اوضاعها المالية وخبرتها التجارية المكتسبة سابقا بسبب وضعهـــا التاريخي المعروف . وهكذا اندفعت البرجوازية اليهودية لملء هذا الفراغ الناجم عـــن توقيع المعاهدة ، وظلت تحتكر السوق التجارية دونما منافسة مهمة قرابة ثلاثين سنة، الا ان نماء الطبقة البرجوازية الرومانية وتكون الدولة القومية الرومانية نتيجة توحيد مقاطعتي مولدافيا واليشيا واندفاع هذه الطبقة الى مزاحمة البرجوازية اليهودية ونزع زمام المبادرة منها ، أدى الى اندلاع موجة عداء للسامية في رومانيا »(٦) .

ان حصر امتلاك الارض والتعامل بها بغير اليهود ، وامتناع غير اليهود عن التعامل برأس المال السائل ، والفراغ الاقتصادي الناجم عن هذا الوضع ، دفع اليهود الـــى التعامل بالمال والاملاك المنقولة ، وجعل من هذا المجال الاقتصادي ، الذي لم يكن حيويا آنذاك ، احتكارا لهم ينفردون به دونما منافسة . لكن تحطيم الاقطاعية وانخفاض قيمة الارض الى مستوى ادنى من المال المنقول واستبدال الانتاج الاقطاعي الطبيعي بالانتاج البضاعي التبادلي ، وسيادة نمط جديد من علاقات الانتاج والعلاقات بين القـــوى الاجتماعية المختلفة يرتكز في أساسه على النمط البرجوازي الجديد للعلاقات الاجتماعية والانتاجية . كل هذا أدى الى ظهور شريحتين متمايزتين مـــن الطبقة البرجوازية : البرجوازية اليهودية والبرجوازية غير اليهودية . وكما سبق الايضاح، كانت البرجوازية اليهودية ، نتيجة أوضاعها التاريخية المعروفة والتي اكسبتها تراكم رأس المال المنقول والخبرة التجارية العريقة ، في وضع أقوى بالنسبة للبرجوازية المسيحية . الامر الذي كان لا بد أن يؤدي الى تنافس ، فمزاحمة ، فصراع دموي احيانا بين البرجوازيتين، وجد التعبير الاوضح عنه في الحركة المعادية للسامية ومذابح اليهود في شتى ارجاء اوروبا .

« كان على البرجوازية القومية الناشئة في بلدان اوربا ان تصارع بضراوة ضـــد الاحتكار اليهودي التاريخي للتجارة ، لان البرجوازية التجارية اليهودية كانت الحـــاجز الرئيسي في طريقها، وهكذا كان يبدو استغلال البرجوازية اليهودية على صورة الاستغلال

الاجنبي الذي لا يطاق ، وكان تهديم التسلط التجاري لليهودي هو شرط نموها واستيلائها على سوقها »(٧).

هذا الصراع الدامي أحيانا بين البرجوازيتين من جهة، وارتباط مرحلة نمو الرأسمالية بفكرة البحث عن سوق وطنية مستقلة (الدولة القومية البرجوازية) من جهة اخرى ، وجد صورته الاكثر وضوحا في تبني كل من البرجوازيتين لفكرة القومية البرجوازية ، اذ بينما بدأت البرجوازية المسيحية تشدد في دعوتها لتوحيد الدولة القومية ، وتأمين السوق الخاصة الحرة لها، انطلقت البرجوازية اليهودية تفتش عن « سوق وطنية خاصة بها » تستطيع ان تتخذ منها قاعدة تنافس بها وتزاحم البرجوازية المسيحية ، الا ان افتقار هذه البرجوازية الى الاساس الطبيعي الذي تبنى بواسطته وعليه الدولة القومية البرجوازية (اللغة والارض والثقافة والمصالح المشتركة جميعها) وامتلاك البرجوازية المسيحية لهذا الاساس ، دفع البرجوازية اليهودية الى التفتيش عن أساس اخر تبني عليه دولتها العتيدة . وهكذا ، بعيدا عن جميع المقومات الاساسية لتشكيل الامة الواحدة ، وجدت البرجوازية اليهودية ضالتها المنشودة في الدين واعتبرت دعوتها القومية على أساس ديني سبيل الخلاص الوحيد لليهود مما يتعرضون له من اضطهاد وعزلة وعداء .

ان ايقاظ الحس الديني لدى اليهودي ، ودغدغة نوازعه الطبيعية والمشروعة للتحرر من الاضطهاد الذي مورس ضده قرونا طويلة في اوربا ، وتغذية تطلعاته العادلة للعيش بسلام ومساواة في مجتمع لا يتخذ من العداء له أساسا للتعامل معه . هذه الامال والتطلعات والاماني المشروعة كانت الورقة الذكية والمخادعة التي لعبت بها البرجوازية اليهودية على عقول وعواطف اليهود في شتى ارجاء الارض .

ان تحرير الانسان اليهودي ليست عملية منفصلة في مجتمع معين، بل لا يمكن ان يكون الا جزءا من تحرير الانسان كليا ، يهوديا كان أم غير يهودي ، ولقد كانت المطالبة بتحرير اليهودي في اوربا ، (واليهودي المطلوب تحريره هنا هو البروليتاري ، الكادح ، البسيط بالطبع وليس البرجوازي القابض على زمام السلطة والمال) . مطلبا منفصلا عن المطالبة بتحرير غير اليهودي ايضا ، اي المسيحي البروليتاري ، الكادح ، البسيط . كانت الطبقة المضطهدة واحدة : الطبقة الكادحة بشرائحها المسيحية واليهودية .

ولذا كان لا بد لمطلب التحرير هذا من ان يتجه الى جميع المضطهدين ، لا الى فئة واحدة منهم ، لان اتجاهه الى فئة واحدة يخفي خلفه خبث هذه الدعوة وعدم جديتها : « ان خلاص اليهود وتحولهم الى آدميين ، حيث يكون خلاص الانسانية وتحرر الانسان من اليهودية ، لا يمكن اعتباره مهمة خاصة باليهود بل مهمة عملية عامة للعالم الحديث، هذا العالم اليهودي حتى النخاع ، وقد ثبت ان مهمة القضاء على الطبيعة اليهودية هي مهمة التغلب على يهودي المجتمع البرجوازي ، وعدم انسانية الوجود الواقعي الذي يبلغ قمته في النظام المالي »(٨).

هذه الدعوة الى تحرير اليهودي وتشكيل الدولة القومية اليهودية ، وهي الدعوة التي أنجبت الحركة الصهيونية فيما بعد ، دعوة خاطئة ورجعية في الاساس ، وهي مناقضة لقوانين التطور التاريخي ومعادية لحركات التحرر والتقدم ، بما فيها الحركات القومية حتى في ذلك العصر : ذلك لانها ترتكز في الاساس على الموضوعية الخاطئة والقائلة بامكانية تحرير اليهودي في مجتمع غير محرر ، وامكانية فصل الاضطهاد الذي يمارس ضده عن الاضطهاد الذي يمارس ضد غيره . وهي رجعية في الاساس لانها دعوة البرجوازية التي وان كانت قد قادت حركة التقدم في مرحلة تحطيم الاقطاعية ، الا انها

تحولت الى حركة معادية للتقدم في مرحلة نمو الرأسمالية وتصاعد حركات التحـــرر القومية . ولذا فان هذه الدعوة القومية البرجوازية تحتفظ لنفسها من صفات البرجوازية بأسوأ هذه الصفات ، أي المتاجرة والاستغلال والسيطرة . « ان قومية اليهود الوهمية هي قومية التاجر ، قومية رجل المال ، والتحرر اليهودي في معناه الاخير هو تحريـــر الانسان من اليهودية »(٩) .

فالدعوة اليهودية القومية ، كغيرها من الدعوات القومية الاخرى التي نشأت في اوروبا في منتصف القرن الماضي واواخره ، هي دعوة البرجوازية اليهودية ، الناتجة عن والمرتبطة بعصر انتصار الرأسمالية على الاقطاعية وبدء البحث عن سوق وطنية مستقلة وخاصة بها .

الا ان الدعوة القومية اليهودية ، والتي تشكلت على اساسها الحركة الصهيونية ، تختلف عن باقي الدعوات الاوربية في شيئين أساسيين : ١ ــ لم يكن لليهود أرض ولغة واقتصاد وثقافة مشتركة ، وبالتالي لم يكن لهم « دولة قومية » يهدفون الى تأسيسها بازالة الحدود بين اجزائها ، في حين ان هذا كان متوفرا للالمان والرومانيين والايطاليين وغيرهم . ٢ ــ اقترنت الدعوة القومية اليهودية بالدعوة الى تحرير اليهودي مـــن اضطهاد المجتمع له . وبالتالي تهجير هذا اليهودي من وطنه الذي يعيش فيه سواء كان المانيا او بولونيا او روسيا ، الى وطن اخر مستقل وخاص به واستندت هذه الدعوة على الدين اساسا للوصول الى أوسع الطبقات الكادحة والفقيرة ، واثارة حسها الديني وترسباتها التاريخية العميقة وتطلعاتها المشروعة للعيش بسلام في مجتمع يتساوى فيه الافراد على اختلاف اديانهم . فالدعوة القومية اليهودية التي تبنتها وهدفت الى تحقيقها الطبقة البرجوازية اليهودية ــ حسب نصوص مفكري هذه الدعوة ــ تهدف الى تحرير اليهودي من الاضطهاد والغربة والانعزال !!

من المؤكد والثابت تاريخيا ان الطبقة البرجوازية اليهودية لم تكن تعاني من الاضطهاد والغربة ، بل على العكس من ذلك ، كانت هذه الطبقة ، بما تراكم لديها من رأس مال سائل وخبرة تجارية عريقة ، تشكل شريحة فوقية بارزة في المجتمع ، وقادرة عـــلى التحكم في سياسة البلد الذي تعمل فيه ، وكانت البيوتات المالية اليهوديـــة المشهورة امثال روتشيلد، وهيرش وغيرهما تحتل مواقع اقوى بكثير من رجال السلطة والسياسة المسيحيين في هذه الدولة او تلك ، وبالتالي فان المطلوب تحريره وايجاد وطن له ليس بالتأكيد شرائح هذه الطبقة التي تتربع على قمة السلطة والثورة ، بدليل انها لم تزعج نفسها حتى بمجرد التفكير بتبديل الوطن الذي تحيا فيه ، والهجرة الى الوطن القومي اليهودي العتيد ، وكان حسبها أن تلقي بفتات من أموالها الهائلة المكدسة على شكل هبات خيرية لمن افلحت الحركة الصهيونية باقناعهم بالهجرة الى الارجنتين ثم الـــى فلسطين لتأسيس الدولة القومية اليهودية هناك .

فالدافع الرئيسي اذن خلف هذه الدعوة القومية البرجوازية كان في الاساس نمـــو الطبقة البرجوازية اليهودية الى جانب زميلتها البرجوازية المسيحية ، وحاجة كل من هاتين الطبقتين الى توفير سوق مستقلة خاصة بكل منهما . الا ان تثبيت الرأسمالية وانتصاراتها المتوالية وبدء البحث عن اسواق جديدة خارج حدود الدولة القومية ذاتها، ووفرة هذه الاسواق في القارات الثلاث آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، أدى الـــى المصالحة بل والتعاون بين هاتين البرجوازيتين وسهّل تحالفهما من أجل مصلحتهما المشتركة التي تتطلب منهما التحالف من أجل الهدف المشترك : السيطرة على الاسواق القديمة والجديدة . كما تتطلب منهما التضامن ضد العدو المشترك : الطبقات الكادحة وتنظيماتها الديمقراطية الاشتراكية والتي بدأت تشكل خطرا يقينيا بالنسبة اليهم .

« ثمة شبح يقلق اوربا ، الا وهو شبح الشيوعية . وقد اتحدت ضده سائر قوى اوربا العجوز في (تحالف مقدس) من البابا الى القيصر ومن (مترنيخ) الى (غيزو) ومن الراديكاليين الى جواسيس البوليس في المانيا »(١٠) . هذا (التحالف المقدس) الذي يتحدث عنه البيان الشيوعي ، ضم في مجموعة جملة الفصائل الرأسمالية والبرجوازية والدينية وضمنها اليهودية ايضا ، واتحد في وجه الخطر المحدق والمشترك ، الحركات الديمقراطية والاشتراكية والشيوعية .

كان اليهود يشكلون احد الاعمدة الرئيسية لهذه الحركات ، وكانت البروليتاريا اليهودية ، المضطهدة والمقهورة والمعزولة ، فصيلة اساسية من فصائل التقدم والتحرر، وهذه نتيجة منطقية وطبيعية للاضطهاد والعزلة والتمييز الذي عانت منه هذه الفئة طيلة قرون عديدة من عمرها ، وبالتالي فان اي تجميع او توحيد للطبقات الكادحة في تنظيمات تقدمية او ثورية من شأنه ان يشكل تهديداً مباشرا وخطيرا لمصالح بل ووجود الطبقات الرأسمالية والبرجوازية المسيطرة .

وهكذا « اكتشفت » البرجوازية اليهودية الكبيرة مرة اخرى ضرورة « تحرير اليهود » عن طريق « تهجيرهم » ولم يكن المقصود بالطبع — مرة اخرى — تحرير اليهودي البرجوازي ، وانما كان المقصود تهجير البروليتاري اليهودي ، وتمزيق وحدة البروليتاريا في كل مكان ممكن في اوربا ، خوفا من انصهار هذه البروليتاريا في بوتقة النضال الطبقي ضد مستغليهم المتحدين معا في بوتقة طبقة واحدة .

« لا يمكن ان يقيم الدنيا ويقعدها ضد انصهار اليهود غير اولئك اليهود الرجعيين التافهين الضيقي الافق الذين يريدون ان يعيدوا عجلة التاريخ الى الوراء ، ان يجبروها على السير ، لا من النظام القائم في روسيا وغاليسيا (حيث العزلة والانغلاق والتخلف) باتجاه النظام القائم في باريس ونيويورك (حيث الانصهار والتقدم) بل في الاتجاه المعاكس »(١١) .

وهكذا فان الذين اقاموا الدنيا واقعدوها من اجل الحفاظ على انفصال « الثقافة القومية اليهودية » وعدم تفاعلها مع الثقافات القومية الاخرى ، والذين ارعبهم شبح الشيوعية في اوروبا ، فبادروا الى عقد « تحالف مقدس » بينهم ضد كل ما هو تقدمي ، واتخذوا من شعار تحرير اليهود وهجرة البروليتاريا اليهودية ستارا يخفون تحته رعبهم الحقيقي الناجم عن انتشار الافكار والدعوات الديمقراطية والاشتراكية في صفوف البروليتاريا اليهودية بنسبة مخيفة ، هؤلاء الدعاة القوميون الصهيونيون هم انفسهم — كما يقول لينين — اعداء البروليتاريا ، انصار كل ما هو قديم وما يحمل طابع العزلة بين اليهود ، وشركاء الحاخاميين والبورجوازيين .

« ان نسبة اليهود في الحركات الديمقراطية والبروليتارية تفوق في كل مكان نسبة اليهود بين السكان بوجه عام . ولذا فان كل من يتبنى مباشرة او بصورة غير مباشرة شعار «الثقافة القومية» اليهودية ، انما هو (مهما تكن نواياه حسنة) عدو البروليتاريا. ونصير ما هو قديم وما يحمل طابع العزلة بين اليهود ، انما هو شريك الحاخاميين والبرجوازيين »(١٢) .

ان جميع الاسترة والحجب الكثيفة والزائفة التي حاولت البرجوازية القومية اليهودية ان تحيط بها دعوتها الى الحركة الصهيونية لا تستطيع ان تخفي اية من الحقائق التاريخية العلمية الثابتة ، كما لا تستطيع اية من هذه الحجج الصمود طويلا امام المنهج المادي التاريخي لتفسير الحوادث والمنطق الديالكتيكي لمعالجتها وفهمها . وهكذا لم يكن من الصعب على لينين العبقري ، ان يقرر منذ البدء الدعوة الى الحركة الصهيونية بأنها :

« حركة خاطئة ورجعية في الاساس ، تتناقض مع مصالح البروليتاريا اليهودية ، وترتبط بدوافع ومصالح البرجوازية اليهودية الكبرى »(١٣) .

كذلك فان ادعاء البرجوازية اليهودية في دعوتها القومية بان اليهود يشكلون امة ثابتة عبر التاريخ ادعاء باطل وخاطىء في الاساس . فالامم ليست ازلية ، بمعنى انها تتشكل في زمان ومكان معينين ثم تخلد عبر العصور والازمنة غير متأثرة بتبدل الظـــــروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم . وبالتالي فان الادعاء بأن اليهود امة ثابتة عبر التاريخ لا يمكن له ان يثبت امام اي مفهوم علمي للامة .

و « الامة اليهودية » المزعومة تفتقر ـــ كما هو معلوم تاريخيا ـــ الى الحد الادنى من الاسس والعوامل التي تشكل الامة ، اذ ليس لليهود الموزعين في مختلف ارجاء الارض لا اللغة المشتركة ولا الارض المشتركة ولا الحياة الاقتصادية المشـــتركة ولا التكوين النفسي المشترك ، وليس هناك اطلاقا ما يوحد قوميا بين اليهودي الامريكي والهندي والروسي والافريقي . « ان اليهود المقيمين في العـــالم المتمدن لا يشكلون أمة . فقـــد انصهروا اكثر من غيرهم . كذلك لا يشكل اليهود القاطنون في روسيا وغاليسيا امة ، فليسوا في هذين البلدين مع الاسف ، سوى فئة معزولة مغلقة . وهذا هو الرأي الثابت الذي يقول به اولئك الذين يعرفون التاريخ اليهودي يقين المعرفة »(١٤) .

ان المنظرين الاساسيين للحركة الصهيونية لا يحاولون اخفاء الاساس الطبقي لدعوتهم القومية الهادفة الى تهجير البروليتاريا اليهودية في اوروبا ، وبالتالي تمزيق وحدة الطبقات الكادحة في هذا البلد او ذاك سواء تحت شعار الدعوة القومية اليهودية ، او تحرير اليهودي ، او العودة الى ارض الميعاد او اي ستار آخر زائف وخاطىء . وفي هذا الصدد يقول « ليو بنسكر » ، اول مفكر وشارح للفكرة الصهيونية ، في كتابه المنشور عام ١٨٨١ بعنوان « التحرر الذاتي » : « وستهدف البيئة الادارية(١٥) بشكل رئيسي وخاص الى ايجاد وطن آمن لا يمكن انتهاكه للفائض من اولئك اليهود الذين يعيشون كبروليتاريين في مختلف البلدان ، ويشكلون عبئا على سكان البلاد الاصليين . لذلك يجب ان نتأكد من ابعاد الفائض من اليهود » .

ان الفائض من اليهود ، المقصود هنا ، هو دونما شك ، البروليتاريا اليهودية المنصهرة في بوتقة النضال الطبقي ضد الرأسمالية ، لا البرجوازيون اليهود .

الا ان عددا من كبار البرجوازيين اليهود امثال البارون هيرش ، والبارون روتشيلد وغيرهما كانوا قد احسوا بخطر هذا « الفائض البروليتاري » اليهودي وباشروا الى اقامة مستوطنات يهودية في عدد من البلدان كالارجنتين وفلسطين وغيرها . وكانوا يطلقون على برامج التهجير والتوطين هذه « برامج الابعاد الخيري » ويهدفون منهـــا الى ابعاد الفقراء اليهود الى ابعد مكان ممكن وبأقل كلفة ممكنة ، وبالتالي التخلص من خطرهم الطبقي(١٦) .

اما هرتزل ، مؤسس الحركة الصهيونية وزعيمها الاول ، فهو اكثر وضوحا وادق تعبيرا من زملائه الصهاينة في شرحه للدوافع الحقيقية الكامنة وراء دعوته الصهيونية . يقول هرتزل ، في رسالة بعث بها الى دوق بادن في نيسان ١٨٩٦ : « ستكون لحركتنا (الصهيونية) نتيجتان ـــ وهذا أمر لم الممح اليه سوى خطفا في كتابي « الدولة اليهودية » المقصود به النقاش العلني ، وأود ان أوجه انتباه سموكم الى هاتين النتيجتين : دور الهجرة اليهودية المغادرة في اضعاف الاحزاب الثورية وقدرتها على ضرب القوة المالية العالمية »(١٧) .

ويقول هرتزل في مكان آخر من يومياته المؤرخة ليوم ١٤ حزيران ١٨٩٥ : « ان شبابنا بكامله ، كل اولئك الذين هم الان بين سنّي العشرين والثلاثين عاما ، سيتخلون عن ميولهم الاشتراكية الغامضة ويتجهون الي » .

ويكتب هرتزل ايضا بعد مقابلة للقيصر الالماني في ٨ تشرين الاول ١٨٩٨ مسجلا يومياته عن هذه المقابلة فيقول : « أوضحت للقيصر اننا نبعد اليهود عن الاحزاب الثورية » .

كما يذكر في طلبه الذي قدمه لمقابلة القيصر الروسي مؤكدا ان دعم الحركة الصهيونية في مصلحة القيصرية ضد الاشتراكية ، وكذلك لان حركته الصهيونية « تهدف الى اضعاف الاحزاب الثورية ، فنحن اليوم وفي كل مكان نحارب الثوريين ، كما نعمل على ابعاد الطلاب والعمال اليهود عن الاشتراكية والفوضوية ، وذلك بتعريفهم الى فكرة القومية مثالية نقية »(١٨) .

ويؤكد دبلوماسي بريطاني هو « رونالد غراهام » في مذكرة مؤرخة في ٢٣ حزيران ١٩١٧ وموجهة الى وزارة الخارجية البريطانية ، على الهدف الطبقي الكامن وراء دعم الحركة الصهيونية فيقول :

« يجب تأمين كافة الفوائد السياسية التي يمكن احرازها من علاقتنا بالصهيونية ، ولا شك ان هذه الفوائد ستكون ضخمة وخاصة في روسيا حيث الطريقة الوحيدة للوصول الى البروليتاريا اليهودية من خلال الصهيونية والصهيونية هي الوسيلة الوحيدة لصرف اهتمام البروليتاريين عن الكفاح الاشتراكي »(١٩) .

فالدعوة القومية اليهودية اذن تستمد مقوماتها الاساسية ، كباقي الدعوات القومية البرجوازية التي ظهرت في نفس العصر ، من انتصار البرجوازية على الاقطاعية ، وبدء البحث عن سوق وطنية خاصة بها . كما ان الدعوة القومية اليهودية ــ كباقي الدعوات القومية البرجوازية كالالمانية والايطالية وغيرها ، تحولت مع عصر تثبيت الرأسمالية ودخولها مرحلة الاستعمار الى قومية عنصرية شوفينية مضطهدة لباقي الشعوب .

ان تشكل الدول القومية البرجوازية في اوروبا ، وانتقال الرأسمالية الى مرحلة الاستعمار ، وقيام « التحالف المقدس » بين جميع قوى الاضطهاد والاستغلال بما فيها اليهود البرجوازيين ، ضد الطبقات الكادحة وقواها الصاعدة المنظمة بما فيها اليهود البروليتاريين ، قد وضع الحركة الصهيونية مرة اخرى في موضعها الطبقي الطبيعي : التعصب القومي البرجوازي العنصري والعداء لكل ما هو تحرري او تقدمي .

---

١ ــ لينين ، **مسائل السياسة القومية والاممية البروليتارية** ، ص ٧٤ ، الطبعة العربية ، دار التقدم ، موسكو .

٢ ــ « في بازل اسست الدولة اليهودية » ، هرتزل ، **المذكرات** .

٣ ــ لينين ، **ملاحظات انتقادية حول المسالة القومية** ، ص ٦٧ ، الطبعة العربية ، دار التقدم ، موسكو .

٤ ــ لينين ، **نفس المصدر** ، ص ٦٨ .

٥ ــ صادق العظم ، **دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية** ، الطبعة العربية ، ص ١٤٢ ، بيروت .

٦ ــ صادق العظم ، **المرجع السابق** .

٧ ــ ابراهام ليون ، **المفهوم المادي للمسالة اليهودية** ، الطبعة العربية ، ص ١٠٩ .

٨ ــ ماركس وانجلز ، **العائلة المقدسة** .

٩ ــ كارل ماركس ، **المسالة اليهودية** ، الطبعة العربية ، بيروت .

١٠ ــ **البيان الشيوعي** ــ ماركس وانجلز ، الطبعة العربية ، ص ٣٩ .

١١ — لينين ، **ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية** ، ص ٢٩ ، الطبعة العربية ، دار التقدم ، موسكو .
١٢ — لينين ، **المرجع السابق** ، ص ٢٤ .
١٣ — لينين ، جريدة « **ايسكرا** » ، ١٠/٢٢/ ١٩٠٣ .
١٤ — لينين ، **ملاحظات انتقادية** ، ص ٢٨ .
١٥ — المقصود هنا هو الهيئة الادارية اليهودية التي دعا « بنسكر » الى تشكيلها لتأمين توطين بضعة ملايين من البروليتاريين اليهود خارج اوروبا بالاتفاق مع القوى الاوروبية الحاكمة .
١٦ — أ.ن.سعد ، حول الايديولوجية الصهيونية، **مجلة شؤون فلسطينية** ، العدد ١٢ ، ص ٢١ .
١٧ — هرتزل ، **المذكرات** ، الطبعة العربية .
١٨ — أ.د.ديمتري ، **الماركسية والدولة الصهيونية** ، ص ٩٤ ، الطبعة العربية ، بيروت .
١٩ — أ.ن.سعد، حول الايديولوجية الصهيونية، ص ٣١ .

صدر عن مركز الابحاث كتاب

الصهيونية واسرائيل وآسيا

بقلم ج.ه. جانسن

٢٤٩ صفحة بثمان ليرات لبنانية ، تضاف اليها اجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢١/٢ ل.ل. في اوروبا ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

أطلب نسختك من قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية

عبد القادر ياسين

ليست* « الجبهة الحمراء » ، التي القي القبض على اعضائها في اسرائيل ظاهرة جديدة ، فقد سبقها العديد من الاعمال المشابهة ، التي عبرت عن الكفاح العربي ـ اليهودي المشترك من ناحية ، كما عبرت عن معارضة شرفاء اليهود للحركة الصهيونية ، مثل « عصبة مكافحة الصهيونية في العراق » و« الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية في مصر » . ويعنى مقالنا هذا بدراسة الرابطة ، مما يستتبع بالتالي دراسة علاقة اليهود بمصر ، وحجمهم ، وتكوينهم الطبقي ، وتأثرهم في المجتمع ، وما اليه من الامور التي تمكن القارىء من الالمام بكل ما يتعلق بهذه الرابطة .**

ع. ي.

قد تعود علاقة اليهود بمصر الى زمن نزول أولاد يعقوب فيها ، وبقاء بعضهم فيها بعد خروج النبي موسى من مصر . وان كان الثابت ـ تاريخيا ـ هو وجود طائفة يهودية في مصر في القرن السادس قبل الميلاد . وقد شهد القرن التاسع عشر ازدهارا وتطورا للطائفة اليهودية ، منذ تولى محمد علي باشا حكم مصر . فقد كانت البرجوازية المصرية الناشئة في اشد الحاجة الى رأس المال لتمويل مشاريعها الصناعية ، وكانت الطائفة اليهودية تحوز هذا الرأسمال . وقد أغرى هذا الازدهار بعض يهود اوربا بالهجرة الى مصر . ومع الاحتلال البريطاني لمصر ، عام ١٨٨٢ ، فتحت ابواب البلاد على مصاريعها للاجانب ، فتزايد تدفق اليهود الاوربيين الى مصر . وازدهرت أحوالهم اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، ولاقوا من السلطات كل رعاية وتشجيع(١) .

ويوضح الجدول التالي معدلات الزيادة في حجم الطائفة اليهودية في مصر منذ القرن الماضي حتى عام ١٩٤٨(٢):

السنة	حجم الطائفة الاسرائيلية اليهودية	مجموع سكان مصر	النسبة
١٨٣٥	٥٬٠٠٠	٧٬٠٠٠٬٠٠٠	٪٠٫٠٧
١٨٩٧	٢٥٬٢٠٠	٩٬٧٣٤٬٤٠٥	٪٠٫٢٥
١٩٤٧	٦٤٬٤٨٤	١٥٬٩٠٠٬٠٠٠	٪٤

وكان ٣٠ الفا من الثمانين الفا يحملون الجنسيات الاجنبية ، في حين كان خمسة الاف منهم يحملون الجنسية المصرية ، أما الباقون فكانوا بلا جنسية .

وقد تمتعت الطائفة اليهودية بحرية العبادة والفكر والثقافة . وبلغ عدد معابدها ـ في

النصف الاول من هذا القرن في القاهرة وحدها ــ نحو ٢٩ معبدا(٣) . كما انشأت الطائفة العديد من المدارس التي كانت تعلم طلبتها المناهج الاوربية،وكانت لغة التعليم الاساسية هي الفرنسية في حين كانت الانجليزية لغة اجبارية .

وكان للطائفة اليهودية في مصر مجلسها الملي ، المتخصص بمعالجة الامور الشخصية لابناء الطائفة ، كالزواج والطلاق والارث وفق التقاليد والطقوس الدينية لليهود . وقد أعطى دستور ١٩٢٣ المصري ضمانات جديدة للطوائف والاقليات ، وذلك باقراره مبدأ المساواة في الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الاصل او اللغة او الدين ، ومنحه حرية الاعتقاد والراي والصحافة والتعليم وحق استعمال أية لغة فيها. كما كفل لهم تسوية امورهم الشخصية وفق تقاليدهم وعلى يد سلطاتهم الدينية(٤) .

وقد صدر عن الطائفة اليهودية في مصر ، فيما بين ١٩١٧ ــ ١٩٤٧ ، عشر صحف ، كانت اربع منها بالعربية ، ومثل هذا العدد بالفرنسية ، وصحيفتان بالانجليزية . وقد رفع بعض هذه الصحف لواء الدعوة للحركة الصهيونية مثل : « الرسول الصهيوني » و« مصر الاسرائيلية » و« الشمس » و« المنبر اليهودي » . كما بذلت الجهود لاحياء الثقافة العبرية في اوساط الطائفية اليهودية بالقاهرة جمعية « أصدقاء الجامعة العبرية في القدس » و« النادي العبري للغة العبرية »(٥) .

كان جزء من يهود مصر يقوم بدور كومبرادوري : كوكلاء لشركات اجنبية . في حين عمل بعضهم كحرفيين ، وباعة جائلين ، وتجار وسطاء ، ومهنيين مثقفين بثقافة أجنبية، فهم اما خريجو مدارس فرنسية ، او تعلموا في مدارس الطائفة(٦) . وكانت الطائفة الاسرائيلية تتمتع ــ على العموم ــ بمستوى معيشي جيد ومرتفع نسبيا . وعدا اربعة آلاف شخص كانت تساعدهم مؤسسات الطائفة ، لم يعرف يهود مصر الفقر المدقع(٧) .

وقد نشط يهود مصر في مختلف المجالات ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . ونجحوا في العمل بالتجارة والصناعة والاعمال المصرفية . وكان منهم موظفون كبار في أجهزة الدولة ، وفي المؤسسات العامة . وشارك بعضهم في الحياة السياسية المصرية ، امثال : يوسف وأدولف قطاوي ، وحاييم ناحوم ، ويوسف بتشو(٨) . كما لعب بعض افراد الطائفة دورا بارزا في السياسة المصرية بعد الحرب العالمية الاولى ، فقد التصق المحامي ليون كاسترو بسعد زغلول ، زعيم حزب الوفد المصري ، وعمل معه كناطق باسم الحزب في اوروبا . كما برز أيضا في حزب الوفد يوسف دوبيكيوتو الذي انتخب عضوا في مجلس النواب المصري عام ١٩٢٧ . هذا بينما جرى تعيين اثنين من الطائفة في مجلس الشيوخ ، وهما يوسف قطاوي والحاخام حاييم ناحوم . واختار سعد زغلول في وزارته الاولى ، عام ١٩٢٥ ، قطاوي باشا وزيرا للمالية . وبعد سقوط وزارة سعد أعيد تعيين قطاوي وزيرا للمواصلات في وزارة زيور باشا(٩) .

أما من الناحية المذهبية فقد كان يهود مصر ينقسمون الى طائفتين : ١ ــ اليهود الحاخامية ، ٢ ــ اليهود القراءون . وكانت الطائفة الثانية أشبه بالبروتستانت بالنسبة للكاثوليك في الدين المسيحي . اذ ان افرادها كانوا يقبلون بالكتاب المقدس (التوراة) دون التلمود والعرف . الا ان السلطات المصرية لم تكن تعترف الا بالحاخامية . وكان لحاخاميي القاهرة حاخام ومجلسان ، أحدهما للسفارديم والاخر للاشكنازيم ، كما كان لحاخاميي الاسكندرية حاخام ومجلس اخر(١٠) .

تمتعت الطائفة الاسرائيلية بموقع متميز داخل المجتمع المصري . وقد تغلغل افرادها في معظم مجالات العمل الاقتصادي ، في التجارة والصناعة والمصارف . وفي عام ١٩٤٢ كان الرأسماليون اليهود يشاركون في ادارة وتوجيه ١٠٣ شركات من مجموع ٣٠٨

شركات ، هي مجموع الشركات المصرية آنذاك .كما كانوا يسيطرون على نسبة ضخمة من رؤوس أموال تلك الشركات . وكان لهم مصالح واسعة في البنوك والمشاريع الاقتصادية الاخرى . وكان العاملون في المشاريع التي يسيطر عليها اليهود — من المدير الى ضارب الالة الكاتبة — يهودا .

وفي ميدان النشاط المالي ساهم اليهود في انشاء وتوجيه البنوك وشركات التأمين ، وأهمها : البنك العقاري المصري ، البنك الاهلي المصري ، البنك البلجيكي ، البنك التجاري المصري ، بنك موصيري ، بنك سوارس ، البنك الزراعي ، شركة الشرق الادنى المالية ، الشركة المصرية المالية ، شركة الاسكندرية للتأمين ، وشركة التأمين الاهلية المصرية(١١). وكانت أهم الشركات اليهودية في مصر هي شركة التسليفات التجارية ، لصاحبها أوفاديا سالم ، وكانت علاقة اوفاديا ببنك مصر وثيقة جدا ، لدرجة انه عقد اتفاقا مع عبد المقصود احمد — رئيس مجلس ادارة بنك مصر في الاربعينات — يقضي بأن يتولى أيهما ادارة تركة الاخر عند وفاته . ومن المعروف انه كان لاوفاديا هذا بنك في فلسطين آنئذ(١٢).

وفي مجال الاستغلال الزراعي ، أنشأ يهود مصر عددا من شركات الاراضي الزراعية التي تعمل على امتلاك الاراضي واستغلالها ، والمضاربة فيها ، وتمويل المشاريع العقارية والصناعية ، التي تساعد على استغلال الاراضي : منها « شركة البحيرة المساهمة » و« شركة وادي كوم امبو » و« شركة أراضي الدلتا المصرية » (أسسهما موصيري عام ١٩١٠ وكانت تملك ضاحية المعادي) ، وشركة لتجفيف الاراضي كانت قد أسستها عائلة سموحة بالاسكندرية عام ١٩٣٠(١٣). ومن المعروف ان نحو ٩٨٪ من العاملين في البورصة كانوا يهودا . هذا عدا نشاطات اقتصادية فردية لابناء الطائفة في المجالات التجارية والزراعية والعقارية والمهنية(١٤).

ومع توقيع معاهدة عام ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا ، وحصول مصر على استقلالها السياسي بموجبها ، الغيت الامتيازات الاجنبية . وبدا وكأن النفوذ الاقتصادي للاجانب وليهود مصر قد تجمد على ما كان عليه عند الغاء الامتيازات ، بل واخذ في الانحسار البطيء . وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ١٩٤٥ ، اخذت بعض عناصر الجاليات الاجنبية تترك مصر ، اذ تسببت الحرب في نمو شيطاني للبورجوازية المصرية مما زاد من منافستها للجاليات الاجنبية ومعارضتها لنشاطها الاقتصادي في مصر(١٥).

وفي مجال الملكية العقارية ، كان عدد الملاك المحليين ، عام ١٩١٠ ، ١٫٣٨٤٫٣٨٦ يمتلكون ٤٫٧٤٣٫٥٥٩ فدانا منهم ٧٨٠٫٨٧٩ مالكا لاقل من فدان واحد ، و٤٦٢٫٣٦٨ يمتلك الواحد منهم اقل من خمسة افدنة ، وكان عدد الملاك الاجانب ٧٥٧٨ يمتلكون ٧٢٠٫٢٣٠ فدانا منهم ١٦٥١ يمتلكون ٦٧٥٫٩١٧ فدانا بمتوسط قدرة ٤٣٣ فدانا . وبلغت قيمة الدين العام بفوائده المختلفة في اخر كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٠ . مبلغ ٩٤٫٧٧٢٫٢٠٠ جنيه(١٦). كما تملك بعض يهود مصر بعضا من دور السينما المصرية(١٧).

ولم يصل مجموع من وصل الى فلسطين من يهود مصر قبل عام ١٩٤٨ سوى ١٨٤٥ نسمة ، وهو عدد ضئيل اذا قيس بحجم الطائفة اليهودية في مصر ، اذ تبلغ نسبته نحو ٢ ٪ من مجموع الطائفة(١٨). وكان ضيق حجم الهجرة اليهودية من مصر يتفق وعدم تعريض اليهود للاضطهاد ، كما ويتفق وانتعاش الطائفة اليهودية في مصر اقتصاديا . مما حصر تأييد بعض يهود مصر — وخاصة كبار اثريائهم — للصهيونية في التمويل فقط .

وان كانت الهجرة اليهودية قد بدأت من مصر بمعدلات اعلى نسبيا بعد عام ١٩٤٥، ولكن على أساس عقائدي مما ابقاها في حدود ضيقة ايضا .

هذا بالرغم من أن صحيفة « يديعوت احرونوت » الصهيونية الصادرة في فلسطين ، قد زعمت — في خريف عام ١٩٤٦ — أن جميع اليهود المصريين يرغبون في الهجرة الى فلسطين لاسباب عدة اهمها اقتصادية . كما يدحض في الوقت نفسه ما كان قد ذكره مراسل صحيفة « دافار » الصهيونية الفلسطينية في القاهرة عن القيود الكثيرة التي كانت تفرضها حكومة مصر آنذاك على الطائفة اليهودية(١٩) . ولم تكن اقوال الصحيفتين الصهيونيتين اكثر من حملة دعائية هدفها ابتزاز المزيد من التبرعات المالية من العالم من جهة ، والضغط على الحكومة المصرية لتهجير يهود مصر من جهة اخرى .

وكان الواقع يكذب ادعاءات هاتين الصحيفتين . اذ لم يعرف تاريخ مصر المعاصر اعمال عنف ضد اليهود الا مرتين : الاولى عندما نظمت مظاهرة طافت شوارع القاهرة، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ ، بمناسبة مرور ٢٨ سنة على صدور وعد بلفور ، وتطورت تلك المظاهرة الى صدامات مع بعض الجاليات الاجنبية ومع الطائفة اليهودية وجاءت المرة الثانية في أيار (مايو) ١٩٤٨ ، حين اعلنت الحكومة المصرية الاحكام العرفية في مصر بمناسبة دخول جيشها الى فلسطين ، وشنت حملة اعتقالات في الاوساط الصهيونية وغيرها من اوساط خصوم الحكومة . فقد استغلت حكومة النقراشي المصرية حرب فلسطين لتضرب الحركة المصرية ، فاعتقلت المئات من الشيوعيين المصريين « في حين أبقت معظم الصهيونيين المصريين طلقاء ، ومن اعتقلته منهم كان يتمتع ، داخل السجن ، بامتيازات لا حد لها ، من ثلاجات ومراوح وما اليه من أسباب الرفاهية »(٢٠) . وفي ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ حدث ان هاجمت جموع من الجماهير المصرية الغاضبة بعض اليهود والاجانب .

وكان طبيعيا والحالة هذه ان يترك بعض افراد العائلة اليهودية مصر خاصة بعد الغاء الحكومة المصرية لقيود السفر في آب (اغسطس) ١٩٤٩ ، والتي كانت قد فرضتها مع اعلان الاحكام العرفية في أيار (مايو) ١٩٤٨ . وقيل انه قد ترك مصر فيما بين آب (اغسطس) وتشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٩ نحو ٢٠٫٠٠٠ يهودي ، وصل منهم الى فلسطين المحتلة ٧٢٦٨(٢١) .

النشاط الصهيوني في مصر

عمل الصهيونيون في مصر بحنكة شديدة . وقد كان للمنظمة الصهيونية مكتبا في القاهرة ، بشارع محمد فريد (فوق محل بانا حاليا) . وقد ظل هذا المكتب يمارس نشاطه حتى عام ١٩٤٨ . وكان اميل نجار هو أكثر العناصر الصهيونية نشاطا وفعالية في مصر ، وكان متزوجا من ابنة جاكوب وايزمن ، رئيس مكتب المنظمة الصهيونية في القاهرة ، وقد شغل فيما بعد منصب اول سفير لاسرائيل في فرنسا ! وقد تولى مكتب المنظمة الصهيونية بالقاهرة مهمة تنظيم عمليات الهجرة الى فلسطين . كما قامت « الكارن كايمت » و« الكارن هايسود » بجمع التبرعات ، علنا ، من يهود مصر . وقد انتعشت الدعاية الصهيونية في مصر ابان الحكم الفاشي في ايطاليا والمانيا ، وتحت ستار مقاومة الفاشية .

وبالرغم من كل ذلك فقد اقتصر تأييد الكتلة الرئيسية من يهود مصر للصهيونية على العواطف(٢٢) . وان كان لم يمنع بعض يهود مصر من الارتباط التنظيمي بالحركة الصهيونية . فقد كشف اغتيال اللورد والتر موين وزير الدولة البريطاني ، في القاهرة يوم ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤ ، على أيدي افراد من عصابة « شتيرن »

الارهابية الصهيونية ، كشف هذا الاغتيال عن وقائع تدين بعض الافراد من يهود مصر بالتعاون مع الصهيونية(٢٢).

وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٦ ، القى البوليس المصري القبض على ثلاثة اشخاص حاولوا شراء ستمائة مسدس،من أمين احد مخازن الاسلحة الحكومية.وكان هؤلاء الثلاثة ينوون تهريب هذه المسدسات الى الحركة الصهيونية في فلسطين . وكان احد هؤلاء الاشخاص الثلاثة ينتمي الى الطائفة اليهودية في مصر(٢٤). وبعد أقل من شهرين ضبط البوليس المصري ثلاثين شابا وفتاة من الطائفة اليهودية ، كانوا مجتمعين في منزل بشارع الخديوي، تملكه سيدة تدعى لديا حسب الله وهي بلغارية الاصل يهودية الديانة، وقد كشف التحقيق عن أن هؤلاء الشبان والفتيات كانوا يؤلفون عصابة صهيونية حملت اسم « العبري الصغير » ، وان بعض اثرياء اليهود في مصر كانوا يمدونهم بالمال(٢٥).

وكان بعض يهود الاسكندرية قد أسسوا ، عام ١٩٠٨ ، « جمعية بني صهيون » ، والتي أعلنت تأييدها لبرنامج المؤتمر الصهيوني الاول في بال ، المنعقد عام ١٨٩٧ . وفي الاسكندرية ايضا جرى تأسيس جمعية اخرى تحت اسم « زئير صهيون » . اخذت تنظم المحاضرات والندوات والاحتفالات الموالية للصهيونية(٣١). واتسع النشاط الصهيوني في مصر بعد الحرب العالمية الاولى ، حيث شكلت منظمات الشبيبة الصهيونية الطلائعية ، ورابطة نوادي المكابي . كما قام يهود الاسكندرية بجمع ١٣ الف جنيه ، اشتروا بها اراضي في فلسطين لحساب الصهيونية . كما كان كل من حاييم وايزمن وفلاديمير جابوتنسكي قد اعتادا الحضور الى مصر والدعوة للصهيونية بين ابناء الطائفة اليهودية فيها . وقد تزايد النشاط الصهيوني في مصر بعد قدوم الفرقة اليهودية الى مصر ، والتي كانت ملحقة بالجيش البريطاني ابان الحرب العالمية الثانية(٢٧).

وقد كان للصهيونية تأثير بالغ على مفاتيح الحياة في مصر . وذكر حافظ محمود ، نقيب الصحفيين المصريين الاسبق ، انه عندما كتب مقالا ضد الصهيونية ونشاطها في مصر ، بصحيفة « السياسة الاسبوعية » القاهرية والتي كان يرأس تحريرها في الاربعينات ، زاره متعهد اعلانات من الطائفة اليهودية في مصر ، وطلب اليه كتابة مقال آخر عن الصهيونية ، يتراجع فيه عما كان قد كتبه ، وهدد المتعهد حافظ محمود بأنه اذا لم يفعل فستتعرض صحيفته للخطر . ويقول حافظ محمود انه بعد ان رفض الاذعان لرغبة المتعهد « وقبل مضي اربع وعشرين ساعة ، كانت امامه شكوى من الاداريين في الجريدة بأنهم عجزوا عن الحصول على ورق ، ثم عجزوا عن الحصول على الحبر ، فقد كانت كل هذه السلع في أيدي اليهود . وعالجنا هذه المشكلة ، لكننا فوجئنا باختفاء قطعة صغيرة من اجزاء آلة الطبع ، وبالبحث اكتشفنا ان للوكالة اليهودية دخلا في هذا كله !!»(٢٨).

جذور الرابطة

بعد وصول أدولف هتلر الى الحكم في المانيا عام ١٩٣٣ ، وممارسته أبشع أساليب معاداة السامية . تشكلت « الرابطة العالمية لمكافحة معاداة السامية » Lica ، واتخذت من باريس مقرا لها ، واقامت فروعا لها في انحاء العالم . وتفرع عنها « رابطة الطلبة العالمية لمكافحة معاداة السامية » . وكان للرابطة الاولى فرع في مصر برئاسة ليون كاسترو . وكان فرع رابطة الطلبة يضم ــ أساسا ــ الطلبة اليهود الموجودين في مدارس الليسيه الفرنسية بالقاهرة والاسكندرية .

ويلاحظ ان ظهور الرابطة قد اتى بعد نجاح « الجبهة الشعبية » في فرنسا عام ١٩٣٦ ، مما أعطى أملا بتحول ميزان القوى ضد المانيا الهتلرية .

وكان معظم المدرسين الفرنسيين والمصريين في الليسيه اما اشتراكيين أو شيوعيين . مما افسح المجال لانتشار الافكار الاشتراكية بين يهود مصر ، ومع الغاء الامتيازات الاجنبية في مصر ، اصبح لكل جالية اجنبية في مصر حياتها الخاصة وصحفها الخاصة . واخذت في الانعزال عن الاهالي . وربما كان ذلك عاملا اخر ساعد بدوره على انتشار الافكار التقدمية بين يهود مصر .

ومع مرور الزمن تبلور تياران داخل الرابطة ، سرعان ما تباعدا ، بعد ثلاث سنين من بدء الرابطة لنشاطها . وقد ضم التيار الاول كبار اثرياء اليهود ، الذين كانوا يمولون الرابطة بدافع الخوف من تسرب الافكار المعادية للسامية ، وكان هؤلاء الاثرياء — في البداية — ينظرون للافكار التقدمية كدرع لهم ، وان كشفوا عداءهم الصريح لها بعد سقوط النازية وغياب الخطر المحدق بهم . اما التيار الثاني فقد كان ماركسيا ، وقد ضم معظم قواعد الرابطة من الشباب . حيث كان عدد من زعمائهم — مثل عزرا هراري وايلي ميزان (يهود شوام) — قد اعتنقوا الماركسية واصبحت علاقتهم باثرياء اليهود تقوم على الود المفقود(٣٠) .

وقد انشأت المنظمة اليهودية (مكابي) عدة فرق رياضية وادبية وفنية ، وساهم عدد من كبار الرأسماليين اليهود في تمويل تلك الفرق(٣١) . ومن أبرز تلك النوادي كان « نادي المكابي » بفرعيه : « مكابي القاهرة » و « مكابي الضاهر » اللذان انشئا عام ١٩٣٢ . وكان الاول يقع في وسط القاهرة في شارع عبد الخالق ثروت ، فوق بنك القاهرة فرع ثروت حاليا . في حين قام الثاني في شارع الضاهر . وقد انحصر نشاط الاول في الثقافة والنشاط الكشفي ، وركز الثاني على النشاط الرياضي(٣٢) .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية (ايار ١٩٤٥) ، اندفعت الى السطح جملة تناقضات : كانت الاولى منها بين الامبريالية الامريكية وبين الامبريالية البريطانية ، في حين احتدمت التناقضات بين الحركات الوطنية والاستعمار . ومن جهة ثالثة كان التناقض العنيف بين البورجوازيات المحلية وبين الطبقة العاملة في المستعمرات واشباه المستعمرات . وكان طبيعيا ، بعد انفجار كل تلك التناقضات ، ان تبرز في مصر مشكلة الصهيونية . وان يصل التناقض بين الشيوعيين والصهيونيين الى مرحلة التناقض العدائي ، نظرا لتعارض توجهات كل من التيارين « حيث كان الشيوعيون يدعون الشباب اليهودي الى مكافحة الاستعمار ، والعمل على الاندماج بالشعب المصري ، وتحويل الجالية اليهودية من احتياطي للاستعمار الى احتياطي للحركة الوطنية المصرية . هذا في حين كان الصهيونيون يطالبون شباب اليهود بالهجرة الى فلسطين ومكافحة الحركة الوطنية المصرية »(٣٣) .

وعليه اندفع الصهيونيون يبسطون سيطرتهم على التعبيرات العلنية للطائفة اليهودية في مصر ، كالنوادي وفرق الكشافة ، وخرج صدامهم مع الشيوعيين الى العلن ، بعد ان سيطر الصهيونيون على « مكابي القاهرة » واستخدموه في الاعداد لتهجير اليهود الى فلسطين ، بالمحاضرات ، والتهيئة الايديولوجية، وتوزيع التصريحات لدخول فلسطين .

وقد تحملت منظمة « ايسكرا » الشيوعية المصرية العبء الاكبر في مقاومة النشاط الصهيوني في مصر . ويحكي احد زعماء هذه المنظمة قصة تكوينها ، فيقول « ان سير الاحداث هو الذي دفعنا [الى الشيوعية — الكاتب] ، فقد بدأنا بمعاداة النازية . ومن ثم كنا ضد غزو الحبشة وضد الملكيين في اسبانيا ، وكذلك تبنينا شعار الجبهة الشعبية ، لتكوين اوسع جبهة ضد النازية ، والحقيقة ان تبنينا لشعار الجبهة الشعبية كان يمثل نقطة اساسية في موقفنا ، وهكذا بدأنا كيهود يحاربون العداء للسامية ثم

انتهينا شيوعيين ، ولا بد ان ذلك كان — ايضا — بتأثير عناصر يساريـــة ساهمت في تأسيس الجمعية [يقصد رابطة مكافحة العداء للسامية] » . ويضيف ان « ايسكرا » قد تشكلت في مطلع عام ١٩٤٢ ، وكانت لجنتها المركزية الاولى مكونة من هيلل شوارتز وماكس اديت وايلي ميزان(٣٤). وكان تنظيم « ايسكرا » يقوم على اساس التوزيـــع الفئوي وليس الجغرافي . ومن ثم فقد خصص فيها قسم للاجانب ضم قسما لليهود ، وكان قسم اليهود مقسما بدوره الى دوائر تقود خلايا الاعضاء اليهود . وفي قســم الاجانب كان هناك قسم اقتصادي، مهمته العمل داخل المؤسسات الاجنبية الاقتصادية، مما عجل بالصدام بين الشيوعيين والصهيونيين ، كما ان تجنيد الاعضاء للايسكرا كان مصدرا اخر للصدام بينهما(٣٥). ويتكلم احد اعضاء ايسكرا عن التجنيد فيقول « ... وكنا نأخذ من نجنده الى نواد تقدمية ، مثل (نادي البورص اجبسيان) بشارع عـــرابي حاليا ، و (بيت شباب الهرم) و (الرابطة الديمقراطية) بالاسكندرية . وذلك بعـــد ان نعطيهم دورة فكرية معادية للصهيونية ، قبل تحويلهم للبديل التقدمي »(٣٦).

وكان طبيعيا ان يشتد الصراع بين الشيوعيين والصهيونيين ، خاصة بعـــد زوال النازية ، العدو المشترك ، وبعد استعصاء الحركة الديمقراطية بين يهود مصر علـــى الاحتواء ، بل وتحولها ضد كبار اثرياء اليهود انفسهم . ولقد كان لكبار الاثرياء اليهود مصالح كبار الاثرياء المصريين نفسها . ولذلك نرى مقاومتهم للحركة الشيوعية المصرية بالغة العنف ، لتعارضها مع مصالحهم الاقتصادية كرأسماليين .

وفي عام ١٩٤٦ نجح الشيوعيون اليهود في السيطرة على مكابي الضاهر ، وسارعوا الى تنظيم محاضرات سياسية فيه . ورد الصهيونيون عليهم باختـــلاق المشاجـــرات الاستفزازية والاعتداء على الشيوعيين بالضرب المبرح . وفي عـــام ١٩٤٧ اجريـــت انتخابات للنادي المذكور ، نجح فيها الشيوعيون . فهاجمهم الصهيونيون ونظموا ضدهم حملات عنف ، ونجحوا في اغلاق النادي . وقد ساعدهم في ذلـــك البوليس المصري . الذي اخذ يضيق الخناق على المنظمات الشيوعية .

وبعد ان شن اسماعيل باشا صدقي — رئيس وزراء مصر ١٩٤٦ — حملته المشهورة ضد الشيوعيين المصريين واعتقل العشرات منهم واقفل مؤسساتهم العلنية في تمـــوز (يوليو) ١٩٤٦ ، اصدر البرت مزراحي كتيبا بعنوان « الشيوعية » وقع في ٦٤ صفحة من القطع الصغير ، ضمنه جملة افتراءات على الشيوعية والشيوعيين . وقد اعتبـــر مزراحي الشيوعية « من مخلفات الحرب » . واستعدى السلطـــات المصرية علـــى الشيوعيين المصريين وطالبها بقمعهم « بواسطة البوليس والنيابـــة والمحكمـــة »(٣٩) وحاول مزراحي تنفير القراء من الشيوعية بوسيلة مضحكة تعبر عن مدى استخفافه بعقول قرائه ، اذ يقول انه في الشيوعية « تجزى على عملك بقدره ، ولا ملكية هناك بالمعنى الذي تفهمه ، بل كل ما في الوسع ان تملك بيتا او فيلا » !(٤٠) وببساطة يحسد عليها يفتي مزراحي بأن النظام الشيوعي « مخالف لما تواضح عليه الناس منذ انشأهم الله ، ولما لقنتهم اياه الديانات من ان الله قد فضل بعضهم على بعض في الرزق »(٤١). واستنكر المؤلف دعوة الاتحاد السوفياتي الى الحرية في الوقت الذي « يظـــل سنوات يضايق جارته تركيا ليحصل على حق المرور في المضايق »(٤٢). ونفى مزراحي عن الاتحاد السوفياتي حبه للسلام « والا فما له لم يسرح جيوشه ؟... وما له لم يحول بواخـــره الحربيـــة وطياراتـــه المقاتلة والقاذفة للقنابـــل الى ادوات مدنيـــة لخدمـــة التجارة والحضارة ؟ »(٤٣) وعاد البرت مزراحي ليورد كلاما للشيخ محمود مكي، الذي كان قد استشهد بآية القرآن الكريم القائلة « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق »(٤٤) وبين فضيلته كيف ان الله جعل « القوامة للرجال على النساء ، ليحملوا عنهن واجـــب

الكد في سبيل الرزق ويتركهن لخدمة البيت والطفولة »(٤٥). وأدان مزراحي هجوم الشيوعيين المصريين على الاستعمار البريطاني . واشاد بصدقي باشا مدللا اياه بـ « أبي السباع »*. واعتبر المؤلف « الحملة على الشيوعية ـ مهما قست ـ واجب وطني »(٤٦). ولم ينس الكاتب ان يعزز هجومه على الشيوعية بمقتطفات لبعض الكتاب اليمينيين امثال خليل بك ثابت وفكري اباظة وحافظ محمود(٤٧). ثم هو يعقب على بريطانيا لانها تراخت امام الشيوعية ابان الحرب العالمية الثانية . وان كان قد عاد وحيا في بريطانيا عودتها لقمع الشيوعيين ومطاردتهم بعد انتهاء الحرب(٤٨).

ظهور الرابطة

في اطار الحركة الوطنية المصرية ، ومع بروز الخطر الصهيوني ، واستفحال القضية الفلسطينية واحتياجها الملح الى الحل ، نضجت فكرة تكوين تنظيم جماهيري ، يظهر التباين بين اليهودية كدين وبين الصهيونية كحركة سياسية موالية للاستعمار . كما ظهرت الحاجة الى تنظيم يناضل ضد الصهيونية . ويرمي ـ ثالثا ـ الى ابراز الصهيونية ليست باعتبارها معادية للحركة الوطنية المصرية فحسب بل معادية لليهود انفسهم ايضا . وكان طبيعيا ان يقوم هذا التنظيم على اكتاف اليهود انفسهم ، ما دام سيحصر نشاطه في اوساط الطائفة اليهودية . وهكذا ظهرت « الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » في نهاية عام ١٩٤٦ . وعندما سئل سكرتير الرابطة في وقت لاحق عن سبب تشكيل الرابطة في تلك الايام بالذات اجاب عزرا هراري « لان الدعاية المسممة نشطت في مصر اخيرا ، نشاطا كبيرا مما يهدد العلاقات بين العرب واليهود بتسميم الجو في بلد كمصر عاش فيه اليهود اجيالا متعاقبة على احسن ما يكون من الوئام مع زملائهم المصريين »(٤٩).

وربما كانت الكلمة التي ارسلها بعض قادة « ايسكرا » الى صحيفة « صوت الامة » في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٦ ، اول مؤشر على ظهور الرابطة . وتقول الصحيفة المذكورة « تلقينا من جماعة الشباب الاسرائيلي الديمقراطي بالقاهرة كلمة يذكرون فيها ان جماعتهم نشأت من صميم الشعب ، وتتلخص اهدافهم في محاربة العنصرية ومكافحة الاستعمار وربيبته الصهيونية » . واضافت الصحيفة الوفدية ان هذه الجماعة « التي تنطق باسم احرار الطائفة الاسرائيلية المصرية التي تبلغ حوالي المائة الف مواطن تعادي الصهيونية واهدافها الجائرة التي لا تحل مشكلة اليهود المشردين ، وان اغلبية اليهود لا يرضون عن الصهيونية ، ويرونها لعبة في يد الاستعمار لتدعيم استعماره » . واوردت صوت الامة في الختام ، الفقرة التي اختتمت بها الجماعة الاسرائيلية كلمتها ، والتي تقول « اننا يحدونا الشعور التام بان مصرنا اليوم لفي اشد الحاجة الى تكتيل جميع العناصر الوطنية المخلصة لتحطيم الاستعمار وقهر الصهيونية، وايجاد شرق عربي حر مستقل يظلله التسامح وجو الاخاء المطهر من العنصرية العصبية المقيتة ، التي لن يكسب من ورائها سوى الغاصب المحتل »(٥٠).

وكانت الرابطة من نتاج قسم اليهود في « ايسكرا » بعد اتحادها مع منظمة شيوعية اخرى كانت تعرف باسم « حركة تحرير الشعب »* ، وتكوينهما معا « الطليعة المتحدة » في ربيع عام ١٩٤٧ . و « كانت اللجنة التأسيسية للرابطة تتكون من خمسة اشخاص هم : عزرا هراري ومارسيل اسرائيل وادوارد متالون وهانزين كاسفلت وادوارد ليفي »(٥١). هذا بالرغم من اشارة البيان الذي اصدرته الرابطة الى « استقلالها عن جميع الاحزاب السياسية » وان اعلنت عن « استعدادها للتعاون مع جميع الذين يؤيدونها باخلاص في كفاحها لتحقيق اغراضها »(٥٢).

اما سبب اقتصار عضوية الرابطة على ابناء الطائفة اليهودية فلانها « تعتبر نفسها حركة يهودية تعمل اساسا بين الجماهير اليهودية ، وبمناهضتها للصهيونية تخدم المصالح الحقيقية للطائفة اليهودية المصرية » ،(٥٢) على حد تعبير بيان الرابطة .

ولم تعمر الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية طويلا للمقاومة الشديدة التي واجهتها من حكومة السعديين التي كان يترأسها محمود فهمي النقراشي باشا ، وللمقاومة الاشد ضراوه من جانب الصهيونيين . وفي الفترة القصيرة التي عاشتها الرابطة ، تمكنت من اصدار كراس وبيان في ان واحد ، وزعهما اعضاؤها في حزيران (يونيو) ١٩٤٧ ، في التجمعات اليهودية التي يسيطر عليها الصهيونيون ، او تلك التي يوجد فيها كتله يهودية مثل : محلات شيكوريل ، شملا ، بنزايون ، عدس ، البنك الاهلي ، البنك البلجيكي ، وبنك باركليز(٥٤) .

وفي ايار (مايو) ١٩٤٧ اعتقلت حكومة النقراشي اعضاء اللجنة التأسيسية للرابطة ثم عادت وافرجت عنهم بعد ٤٨ ساعه فقط من اعتقالها لهم .

وعن اهداف الرابطة ، عبر سكرتيرها ، عزرا هراري ، وهي « مكافحة الصهيونية ودعايتها المضللة بين كافة الاسرائيليين القاطنين بمصر »(٥٥) . كما صدرت الرابطة كراسها الذي اصدرته بالجملة التاليه : « ضد الصهيونية !.. في صالح مصر !.. في صالح مصر !.. »(٥٦) كما عددت الرابطة اهدافها ، في الكراس الذي اصدرته ، وهي : « ١ ــ الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التي تتعارض مع مصالح كل من اليهود والعرب . ٢ ــ الربط الوثيق بين يهود مصر والشعب المصري في الكفاح من اجل الاستقلال والديمقراطية . ٤ ــ العمل على حل مشكلة اليهود المشردين »(٥٧) .

وتعي الرابطة العلاقة الديالكتيكية بين نشاطها وبين الحركة الوطنية المصرية . اذ نراها تشير في كراسها الى انه « بمقدار نجاح الرابطة في كفاحها ضد الصهيونية ، وبمقدار نجاحها في جذب الجماهير اليهودية نحو الحركة الوطنية الشعبية المصرية ... تتمن نضالها ضد الصهيونية اداة الاستعمار وعدوة اليهود ، تحت شعار : ضد الصهيونية !.. في صالح اليهود !.. وفي صالح مصر !.. »(٥٨) .

ولم تأخذ الرابطة فرصتها ، الا ان الزمان القصير الذي عاشته حفل بالمواقف النضالية الفكرية والعملية . فبالنسبة للصهيونية اعتبرتها الرابطة « اخطر حركة ظهرت في تاريخ اليهود ... وعقبة في طريق حل المشكلة اليهودية ... وفي نفس الوقت الذي تكافح فيه الرابطة ضد الصهيونية ، تناضل من اجل جميع العناصر الايجابية التي تسهل من حل المشكلة اليهودية »(٥٩) . ويقول هراري ان الصهيونية « اداة استعمارية، تريد جذب جماهير اليهود اليها لتحقيق اغراض الاستعمار بانشاء دولة يهودية في فلسطين تساعد على تثبيت اقدامه في الشرق الاوسط » ويؤكد سكرتير الرابطة ان الصهيونية تريد « ان تربط اليهود بعجلة الاستعمار وان تجعلهم عبيدا لتنفيذ مأربه الحقير خلال سياسة فرق تسد ، التي يقدمها في فلسطين ، وخلال سياسة انشاء دولة يهودية صهيونية في فلسطين ، تصبح رأس الرمح الاستعماري ضد شعوب البلاد العربية »(٦٠) .

وادانت الرابطة الهجرة اليهودية الى فلسطين واعلنت رفضها « تأييد سياسة للهجرة تعارضها اغلبية سكان فلسطين ، وتؤدي عمليا الى نتائج تتعارض مع الاغراض الانسانية المزعومة . اننا لسنا في حاجة الى هجرة تؤدي باخواننا اليهود الى ان يعيشوا في جو حرب اهلية في فلسطين ، ان لم تؤد بهم الى معسكرات قبرص المشؤومة وراء الاسلاك الشائكة . ولكننا واثقون ان فلسطين الحرة المستقلة ستشترك ــ عن

طيب خاطر — مع الدول الديمقراطية الاخرى في ايواء اليهود المشردين »(٦١).

وعبرت الرابطة عن استنكارها للجرائم التي ارتكبها النازيون ضد اليهود ، واشارت الى المشردين اليهود الذين كانوا موجودين في معسكرات اوروبا الغربية ، حينئذ ، حيث « يرفض الصهيونيون التفكير في اي حل لهؤلاء التعساء سوى الذهاب الى فلسطين ، وبذلك يطيلون عذابهم ، ليتمكنوا من استغلاله في حدود مصالح السياسة الصهيونية »(٦٢). واقترح بيان الرابطة ، حلا لمسألة المشردين اليهود ، اعادتهم « الى البلاد التي طردتهم منها الفاشية » . اما الذين يرفضون العودة بدعوى الابتعاد عن ذكريات الماضي المحزنة « فاننا نرى انه من واجب جميع البلاد ، ولا سيما الواسعة منها ، استقبال هؤلاء المشردين ومساعدتهم على التوطن فيها »(٦٣).

ونددت الرابطة في كراسها ، بالارهاب الصهيوني في فلسطين ، ووصفته « بانه حركة فاشية موجهة اساسا ضد الجماهير اليهودية ، ولا تخدم في الواقع سوى المستعمرين ، الذين وجدوا في الحركات الارهابية — تحت ستار المحافظة على الامن — حجة قانونية في الظاهر لتحويل فلسطين الى معسكر مسلح في خدمة مشروعاتهم العدوانية ، وتبريرا ادبيا في الظاهر لاخضاع السكان الى نظام اضطهاد واستبداد دائم » . وحملت الرابطة الحركة الصهيونية مسئولية بث الافكار والوسائل الفاشية بين اليهود . وانتهت الرابطة الى « ان تكوين جبهة موحدة مع الحركة التحريرية العربية في سبيل فلسطين حرة مستقلة ديمقراطية ، هو طريق الخلاص الوحيد للجماهير اليهودية في فلسطين »(٦٤).

وبعد ذلك قدمت الرابطة تفسيرا طبقيا للتأييد الذي تلقاه الافكار الصهيونية والشوفينية في اوساط يهود مصر ، فقالت « ان الازمة الاقتصادية التي تسير الان، أخذت تمس اليهود بازدياد ، اذ ان اغلبيتهم ينتمون الى الطبقات المتوسطة . فصاحب الحرفة اليهودي والتاجر الصغير والمستخدم الذين يقاسون شظف العيش كثيرا ما يقعون فريسة للدعاية الصهيونية التي تجعلهم يحلمون بالهرب من حياتهم الصعبة ليعيشوا في فلسطين كفلاحين على الارض في الهواء الطلق ، وبدون ان يهتموا بقوت الغد . ويضاف الى اكاذيب الدعاية الصهيونية ، ضغط بعض اصحاب الاعمال الصهيونيين او المحبذين للصهيونية »(٦٥). ولا تترك الرابطة هذا الامر بدون تقديم الحل له ، اذ ترى « ان السبيل الوحيد ليهود مصر هو الانضمام الى الحركة الوطنية المصرية والتضامن التام معها في سبيل تحقيق جميع اهدافها ، اذ لا تختلف مصالح الجماهير اليهودية بتاتا عن مصالح الشعب المصري عامة »(٦٦).

وترى الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية ان العداء لليهودية هو سلاح في يد اعداء التقدم والحرية ، واكدت الرابطة انها — على عكس الصهيونيين — امكانية تجنب هذه الظاهرة . واشارت الرابطة الى « ان المشكلة اليهودية قد تفرعت اليوم فاصبحت ذات ثلاثة جوانب متمايزة الواحد عن الاخر : توجد اولا مشكلة الاقليات اليهودية التي تعيش في أغلب انحاء العالم ... وهناك ثانيا مشكلة يهود فلسطين ، ويريد الصهيونيون اظهارها على انها المشكلة اليهودية بأسرها . وتوجد اخيرا مشكلة اليهود الذين لا مأوى لهم غير معسكرات المشردين في اوروبا الغربية »(٦٧). وانكرت الرابطة على اليهود حق انشاء دولة خاصة بهم . واكدت ان العداء لليهودية لا يتقدم الا حيث تتراجع الديمقراطية . واتهم كراس الرابطة الصهيونيين « بصرف اليهود عن الكفاح ضد عدوهم الاول — الا وهو الفاشية » . ورأى « ان سلام الاقليات اليهودية لن يكفل الا بالتحالف مع القوى الديمقراطية ، التي بتحقيقها للحرية والرفاهية لكافة الشعب ستحقق بهذا الحرية والرفاهية لليهود »(٦٨).

وصافت الرابطة حلا ديمقراطيا للمسالة اليهودية اذ رأت « ان المشكلة الفلسطينية هي — اساسيا — مشكلة تحرر فلسطين من الاضطهاد والاستعمار . والطريق الوحيد الذي يجب ان يسلكه يهود فلسطين هو التفاهم مع العرب والاتحاد معهم لتحرير فلسطين من نير الاستعمار . ان فلسطين مستقلة ديمقراطية هي الوحيدة التي تستطيع ان تضمن للسكان اليهود حياة رغدة ، حرة ، ومثمرة »(٦٩) وفضح كراس الرابطة الساسة الصهيونيين الذين يعارضون « في فزع امر استقلال فلسطين »(٧٠) .

الصدام

نشرت صحيفة « صوت الامة » بعض المقالات عن النشاط الصهيوني في مصر ، وكانت بلا توقيع ، وكان واضحا من اتجاه المقالات ان « الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » تقف وراءها . وقد علمت ان كاتب تلك المقالات هو المحامي التقدمي المصري مصطفى كامل منيب(٧١) وتحدث المقال الاول عن قيام اصحاب المحال التجارية في القاهرة وبعض سماسرة الاعلانات ووكلاء شركات الدعاية باتباع الجمعيات الصهيونية المؤلفة في فلسطين،قصد مقاومة الهيئات والجماعات والافراد والصحف وكل ما له علاقة بالعرب » . وانتهى المقال الى دعوة الهيئات المصرية الى اليقظة ومحاربة هؤلاء الصهيونيين(٧٢) .

ووصل العداء بين الشيوعيين والصهيونيين في مصر الى مداه . وطلب الصهيونيون — في اوائل نيسان (ابريل) ١٩٤٧ — عقد الجمعية العمومية لمكابي الضاهر ، بغية اسقاط مجلس ادارة النادي المذكور . وانعقدت الجمعية العمومية مساء يوم التاسع من نيسان (ابريل) . وخرجت صحيفة « لا بورص اجبسيان » الموالية للصهيونية تعلن ان الجمعية العمومية لمكابي الضاهر قد اتخذت جملة قرارات وانتخبت مجلس ادارة جديد ورؤساء لاقسام النادي المذكور . واعتبرت الصحيفة الاعضاء المعينين لاقسام الكشافة والثقافة (أي الشيوعيين) والذين قاطعوا اجتماع الجمعية العمومية — معزولين(٧٣) .

وفي وقت لاحق كشفت صحيفة « الجماهير » — التي كان يشرف على اصدارها اعضاء « ايسكرا » — النقاب عن الخطة التي اتبعها الصهيونيون لطرد الشيوعيين من النادي المذكور . فقالت الصحيفة « ... اجتمعوا بليل ، يدبرون ويتآمرون تحت زعامة كليمان شيكوريل . الذي جمع في اليوم السابق لعقد الجمعية العمومية لهذا النادي عشرات من الشبان الصهيونيين وبعض مستخدمي محله المعروف . ودبروا المؤامرة لطرد الاسرائيليين الديمقراطيين . وقال لهم زعيمهم ، لا تخشوا شيئا فالبوليس المصري يلبي اقل اشارة من اصبعي !! وقد اتفقنا معه على كل شيء ! وفي اليوم المحدد لعقد الجمعية العمومية حشد شيكوريل جموعه ، واستطاع بعد تزوير في قائمة اعضاء النادي ، وبوسائل وطرق مخالفة لقانون الجمعيات ، ان يعين مجلس ادارة صهيوني» . واكدت الصحيفة التقدمية انه بمجرد تكوين الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية « اجتمعت الجمعيات الصهيونية في مصر ، واعتمدت ميزانية مقدارها عشرة الاف من الجنيهات ، لحرب اليهود الديمقراطيين » . ولا تستغرب « الجماهير » موقف شيكوريل هذا ، وان كانت قد ابدت دهشتها « ... ان نرى ضابطا من ضباط بوليس الاقسام يواجه شابا يهوديا ديمقراطيا بقوله : انه لا حق لاحد ان يتكلم باسم النادي سوى الخواجه شيكوريل !! » واشارت الصحيفة الى ان شيكوريل هذا لم يكتف بمناصرة البوليس له « وانما استأجر بعض البلطجية ووضعهم على باب النادي ليمنع دخول اليهود الديمقراطيين ! « واشارت الصحيفة نفسها الى أن الشباب الشيوعي اليهودي

« اقتحم النادي في شبه مظاهرة ، سرعان ما تعالت فيها هتافاتهم : لتسقط الصهيونية اداة الاستعمار .. لتحيا مصر ديمقراطية .. ليسقط الاستعمار »(٧٤).

وكان خروج الشيوعيين من مكابي الضاهر بداية لمرحلة جديدة في الصراع بين الشيوعيين والصهيونيين ، أشد عنفا وأكثر ضراوة . وتوالت الحملات الصحفية التي شنتها الرابطة ضد الصهيونية والنشاط الصهيوني . فواصل مصطفى كامل منيب كتابة مقالاته في « صوت الامة » دون ان يوقعها . وتحت عنوان « أوكار الصهيونية في مصر » كتب منيب مقالا ، أشار فيه الى النشاط الصهيوني المحموم في مصر ، والى جهل الشعب المصري بهذا النشاط ، وتجاهل الحكومة والصحف له . واتهم منيب الصهيونيين باتخاذ « مكابي القاهرة » مقرا لتنظيم نشاطهم التخريبي والدعوة للصهيونية . واشار المقال الى « الشعارات والاعلانات التي تعلو جدران الغرف في النادي وتتضمن هذه الاعلانات دعوة اليهود الى الهجرة الى فلسطين باعتبارها الوطن القومي لليهود ، كما تتضمن الاشادة بالصهيونية ، باعتبارها حركة وطنية يتحتم على اليهود التمسك بها والتفاني من أجلها » . ويشير المقال نفسه الى ان الذين يديرون النادي المذكور هم « في مجموعهم من الاثرياء اليهود الذين اغتنوا باستنزاف دماء المصريين ، والوقوف بجانب المستعمرين الانجليز في محاربة الحركة الوطنية الديمقراطية في مصر » . ويذكر الكاتب منهم كلا من « كليمنت شيكوريل وسلفاتور شيكوريل ، صاحبي محلات شيكوريل المعروفة ، ودكتور جاك اسا ، ومارسيل فينتورا ، وغيرهم » . ولفت منيب في مقاله النظر الى ناد آخر يستخدمه الصهيونيون للغرض نفسه(٧٥).

وبعد يومين من نشر المقال المذكور ، نشرت الصحيفة نفسها مقالا آخر بعنوان « مؤامرة صهيونية سافرة » ، بلا توقيع . وقد اشار فيه كاتبه الى ما كان قد جرى في « مكابي الضاهر » من صدام بين الشيوعيين والصهيونيين ، والى المؤامرة التي دبرها الصهيونيون لاخراج الشيوعيين منه. وندد الكاتب بالاثرياء اليهود «الذين عرفهم الشعب المصري متجلببين بجلباب المصرية بل والوطنية ، في حين انهم في الواقع لا يفعلون شيئا غير استنزاف دماء المصريين ... والوقوف بجانب المستعمرين الانجليز في محاربة قضيتنا الوطنية العادلة » . وأشار المقال الى مخالفة اجتماع الجمعية العمومية لمكابي الضاهر، المنعقد في ٩ نيسان (ابريل) ، للقانون « فلم يحضرها مندوب من وزارة الشؤون الاجتماعية كما ينص على ذلك القانون ، كما حشد الصهيونيون في هذا الاجتماع عددا كبيرا من أتباعهم وانصارهم على الرغم من عدم احقيتهم في حضور هذا الاجتماع ... يضاف الى ذلك التعجيل في الاجتماع ... وقاموا فاعتدوا بالضرب على اليهود الآخرين ... وتمت عملية الانتخاب في هذه الظروف،واذا باعضاء مجلس الادارة الجديد جميعهم من الصهيونيين » . وابدى كاتب المقال دهشته لوقوف البوليس المصري بجانب الصهيونيين في عدوانهم(٧٦).

وتستمر « صوت الامة » في نشر سلسلة « من اوكار الصهيونية » . فتنشر حلقة اخرى عن « شركة الاعلانات الشرقية » ، باعتبارها وكرا صهيونيا . وكانت الاعلانات الشرقية تصدر صحيفتين بالفرنسية ، هما : « البورص » و « البروجريه » ، وصحيفتين اخريين بالانجليزية هما : « الاجبشيان جازيت » و « الاجبشيان ميل » . وكان يملك هذه الشركة الصهيونيون وبعض الانجليز . وقد جعلت مهمتها الدفاع عن الاستعمار والصهيونية وتبرير استغلالهما وقهرهما للشعب المصري . ودلل المقال على ذلك بأن هذه الشركة « كانت دائما حربا عوانا على الوطن والوطنيين » . وانها كانت تصف « الوطنيين المصريين ، وهم في نضالهم ، بأنهم جماعة من الرعاع ». واشار الى محاربتها لقانون الشركات الجديد الذي كانت قد وضعته الحكومة المصرية لضمان ٧٠٪ من وظائف

الشركات في مصر للمصريين ، مع ضمان ٥١ ٪ من الاسهم في الوقت نفسه لهم . كما ندد المقال بصحف هذه الشركة التي تضرب « على نغمة مرذولة ، وهي نغمة تخويف الاجانب من الحركة الوطنية الديمقراطية في مصر » . وأدان الكاتب صحف شركة الاعلانات الشرقية لميولها الصهيونية السافرة ولاتهامها « الحركة الوطنية العربية في فلسطين بأنها حركة رجعية » . وكشف مقال « صوت الامة » الدور الذي تلعبه هذه الشركة الانجليزية الصهيونية « فهي تحتكر الاعلانات في مصر ، ويقع تحت سيطرتها — بواسطة هذا الاحتكار — عدد كبير من الصحف والمجلات المصرية ، ومن ثم تجد هذه الصحف والمجلات نفسها بين براثن هذه الشركة لا تستطيع ان تخرج عن حدود سياستها الاستعمارية الصهيونية المفروضة ، قيد انملة ، والا حرمت من الاعلانات التي تعتمد عليها ، فيتعرض بقاؤها للخطر » . واتهم المقال الشركة بأنها « في الوقت الذي تغدق فيه على موظفيها الاجانب اغداقا عجيبا ، نجدها من ناحية اخرى تسوم العمال المصريين من العذاب والآلام . . . » (٧٧) .

وفي مساء الرابع والعشرين من نيسان (ابريل) ١٩٤٧ ، قام فريق من الشيوعيين اليهود بمحاولة لدخول مكابي الضاهر بشكل جماعي ، فتصدى لهم الصهيونيون واعتدوا عليهم بالضرب . وقد ترأس الجانب الصهيوني كل من البرت حاتشويل وروبير اسكي . واصاب الصهيونيون كلا من موسى لاينادو وايلي شيزانه باصابات بالغة . الا ان الشيوعيين نجحوا في اقتحام النادي ، وهتفوا في داخله بسقوط الصهيونية ، وحياة الشعب المصري . « ولقد بلغت الجرأة الوقحة بأحد الصهيونيين ، وهو المدعو البرت حاتشويل ، الى حد الاعلان امام رجال البوليس بأنه صهيوني لحما ودما ، وانه ينتمي الى عصابة شتيرن ، وانه سيمضي في طريقه ، ولن تستطيع قوة ان تحد من عمله ! » (٧٨) .

وقد ادى هذا الهجوم الاعلامي الى انتقال الصهيونيين المصريين الى الدفاع . فأرسل كليمان شيكوريل — باعتباره رئيسا لمكابي القاهرة — خطابا الى « صوت الامة » نفى فيه ان يكون المكابي وكرا للصهيونية ، واوضح ان النادي يشترط عدم الخوض في الشؤون السياسية ، وان خطته وخطة زملائه « تهدف الى محاربة كل نشاط سياسي » . ولفت شيكوريل نظر الصحيفة الوفدية الى « ان بعض عناصر الشغب التي سعت لفرض ارادتها على نادي المكابي فاستبعدتها الادارة ، هي الان التي تحاول الصيد في الماء العكر » . ولم يفت الصحيفة الاشارة الى ان شيكوريل لم يعلن في خطابه اليها عن معاداته للصهيونية ، في حين ارسل اليها الشيوعيون اليهود رسالة « يعلنون فيها معاداتهم للصهيونية وتأييدهم التام لحملتنا العادلة ضد الصهيونية » (٧٩) .

ويبدو ان الصهيونيين خشوا ان يعود الشيوعيون الى اقتحام مكابي الضاهر بمناسبة عيد العمال في أول ايار (مايو) ١٩٤٧ ، فشددوا حراستهم لابواب النادي في ذلك اليوم « يحولون دون دخول اليهود غير الموالين للصهيونية ، ويقصرون الدخول على الصهيونيين وحدهم . وكان يتزعم الصهيونيين شخصان صهيونيان يدعيان : رافله دويك ، ورالف دانا . واعجب العجب ان قوة البوليس المصري الموجودة في النادي كانت تتلقى اوامرها في السماح بالدخول او المنع من هذين الشخصين » (٨٠) .

وبعدها بيومين قرر الشيوعيون اليهود عقد اجتماع في مكابي الضاهر ، الا انهم فوجئوا بالصهيونيين يحولون دون دخولهم النادي بالضرب ، وتعاون البوليس المصري مع الصهيونيين « باستخدام العصي الغليظة في ضرب وتشتيت الفريق المعادي للصهيونيين واصيب كثيرون باصابات بالغة . كما حدث ان اعتدى مأمور قسم باب

الشعرية (التابع له مكابي الضاهر) على فتاة من هذا الفريق بالصفع الشديد على وجهها . كما قبض على عدد كبير نذكر منهم ، ايزاك ليفي وايلي شيرانه وموسى لاينادو والبرت سجرى ولولى سجرى . وقد اودعوا في سجن باب الشعرية » . على حد ما جاء في مقال نشرته — دون توقيع — « صوت الامة » لمصطفى كامل منيب(٨١) .

واستمر الشيوعيون في تعرية النشاط الصهيوني في مصر ، فنشر مصطفى منيب مقالا اخر تحدث فيه عن استخدام المدارس الاجنبية والسفارة البريطانية في بث السموم الاستعمارية ، ويقول « وقد بلغنا — من أوثق المصادر — ان الصهيونيين يستخدمون مدارس الطائفة الاسرائيلية الموجودة في القاهرة والاسكندرية في اقامة حفلات صهيونية، يستغلونها في نشر دعايتهم ، وفي جمع الاموال التي يستخدمونها في تهريب اليهود الى فلسطين . كما ان نواديهم التي يعملون فيها تحت ستار النشاط الرياضي ، هي في الواقع نواد انشأها الصهيونيون في مصر لا للرياضة ، ولكن لكي تكون اوكارا لهم ، يدبرون فيها مؤامراتهم ، وينظمون صفوفهم ، ويعدون خططهم الاجرامية في العدوان على الشعب الفلسطيني الشقيق » . وانتهى الكاتب الى تنبيه وزارات المعارف والداخلية والشؤون الاجتماعية لامر تلك المدارس والنوادي(٨٢) .

ثم عاد الكاتب نفسه ونشر في الصحيفة نفسها تحذيرا ، قال فيه انه علم « ان لجنة تكونت من كبار الماليين اليهود المناصرين للصهيونية في مصر وانها تقوم بتحصيل مبلغ جنيه مصري واحد من كل يهودي قادر على الدفع ، وذلك لتشجيع الاغراض العدوانية التي ترمي اليها الحركة الصهيونية في فلسطين وفي الشرق الاوسط بوجه عام » . وانتهى كاتب المقال الى لفت نظر الحكومة الى ضرورة مكافحة مثل « هذه الحركات المدمرة »(٨٣) .

الصواب والخطأ في التجربة

في أواسط حزيران (يونيو) ١٩٤٧ ، ابلغت وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية سكرتير الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية ، عزرا هراري « بعدم الموافقة على تكوين الرابطة ، لاسباب تتعلق بالامن العام » . وقد سارعت الرابطة بارسال برقية الى محمود فهمي النقراشي باشا ، رئيس الوزراء انذاك ، استنكرت فيها هذا القرار ، وطلبت منه « سحبه لعدم تشجيع نشاط الصهيونية الاثيم في مصر »(٨٤) .

وفي مكان اخر من الصحيفة التي نشرت نص برقية الرابطة ، نشر مقال ندد بموقف حكومة النقراشي من الرابطة . وبعد ان عرض المقال لاهداف الرابطة ، اشار الى ان الحكومة النقراشية « قامت بحل هذه الرابطة بحجة — لا تضحكوا — نعم بحجة المحافظة على الامن العام ! اذن فمكافحة الصهيونية مخلة بالامن يا دولة الباشا ! » وتساءلت الصحيفة عما اذا كان ترك النوادي والهيئات الصهيونية تنتشر وتزدهر هو « عين المحافظة على الامن والنظام ! » واتهم المقال الحكومة النقراشية انها « بهذا التصرف المخزي انما تساعد سياسة كبار رجال المال اليهود المناصرين للصهيونية في مصر » . وتوجه الصحيفة كلامها الى النقراشي مؤكدة « ان صوت اليهود الاحرار المعادين للصهيونية والمتعاونين مع الشعب المصري في كفاحه ضد الاستعمار من اجل حريته واستقلاله ، ان هذا الصوت لن يخفت او يضعف ، بل سيدوي اقوى مما كان ، حتى تتحقق رسالتهم المقدسة للقضاء على الصهيونية وسيدها الاستعمار واذنابه ، والاشتراك في كفاح الشعب المصري من أجل الحياة في واد سعيد متحرر من القيود والاستغلال »(٨٥) .

وفي ايار (مايو) ١٩٤٨ القت الحكومة المصرية القبض على كافة اليهود المصريين

الذين لعبوا دورا ضد الصهيونية . وابعدت اغلبهم عن البلاد . في حين بقي اغلب الصهيونيين المصريين خارج السجن . والقليلون الذين اعتقلوا منهم كانوا متميزين عن غيرهم من المعتقلين ومرفهين داخل السجن « كالباشوات » على حد تعبير احد المعتقلين الشيوعيين آنذاك(٨٦) . ولوحظ ان الشيوعيين اليهود الذين تم اعتقالهم انذاك ، كانت اسماؤهم قد قدمت للبوليس المصري من العناصر الصهيونية المصرية . وفي وقت لاحق رفضت السلطات الامريكية التصريح لكثير من الشيوعيين المصريين من ابناء الطائفة اليهودية بالسفر الى امريكا . وقد حدث ان ابرز احد المسؤولين الامريكيين لاحد هؤلاء المنوعين ، ملفات عن نشاطهم الشيوعي داخل المكابي !(٨٧) .

وبهجرة الكتلة الرئيسية من يهود مصر ، اضمحل الاساس الجماهيري للرابطة ، وتوقفت عن النشاط .

ولقد كان انشاء الرابطة هو الجانب الصحيح في التجربة . اذ كانت الفكرة سليمة مائة في المائة ، وصفحة مشرفة للشيوعيين المصريين ، اذ قاوم هؤلاء ، بكل ما اوتوا من قوة ، الحركة الصهيونية ، في الوقت الذي كان يساندها فيه الاقطاعيون والبورجوازيون العرب .

على ان هناك بعض العيوب والعوائق التي حالت دون بلوغ الرابطة الى اهدافها . لعل اهمها :

• الخلط بين التنظيم الحزبي السري والتنظيم الجماهيري العلني « والواقع انه لم يكن للرابطة ثمة تنظيم علني بالمعنى المعروف . بل كان الشيوعيون اليهود هم — في الوقت نفسه — اعضاء الرابطة »(٨٨) .

• لم يكن للرابطة التأثير المنشود ، بسبب تزايد العداء لليهود في مصر بعد الحرب العالمية الثانية ، والذي افتعلته واجهته جماعتا « الاخوان المسلمين » و « مصر الفتاة » مما حال دون تفهم جماهير اليهود المصريين للرابطة ، وعدم التفافهم حولها .

• وقد اختلفت الرابطة عن «عصبة مكافحة الصهيونية» العراقية ، فقد حصرت الاولى عضويتها في الطائفة اليهودية ، في حين شملت العصبة بنشاطها ودعايتها كل العراقيين بدون تمييز ، مما وسع اساسها الجماهيري وجعلها اكثر فعالية من الرابطة . اذ كانت جماهير الشعب العريضة بحاجة الى التوعية — ايضا — باخطار الصهيونية ، وبالفرق بين اليهودية والصهيونية الخ ...

• حال قصر عمر الرابطة دون ان تحوز المطلوب من تأييد جماهير الطائفة اليهودية في مصر . وفي حديث كان قد ادلى به سكرتير الرابطة ، اعترف بان مثل هذا التأييد كان « يحتاج الى جهاد طويل ، فالصهيونية في مصر مؤيدة — مع الاسف الشديد — من قوات البوليس المصري نفسه ! وهي ايضا مدعمة بالاموال الطائلة والجاه العريض ! »(٨٩) .

وبعد ، فان وضعا عربيا ثوريا جديدا ، ناهضا وقويا . وتفهما عميقا لواقعنا ، ونظرية صحيحة لثورتنا ، وبرنامجا وتكتيكات صائبة .. كل ذلك قادر على خلق الاساس الموضوعي — السياسي والفكري — لميلاد اكثر من « رابطة » قوية داخل فلسطين المحتلة وخارجها ، تلعب دورها في تقويض كيان الدولة الاسرائيلية ، وتكون احدى الخطوات في رحلة قيام فلسطين مستقلة ديمقراطية .

---

* لا يسعني الا ان اتقدم بالشكر والامتنان لكل الذين ساعدوني في انجاز هذا المقال . واخص بالذكر الانسة سنية خلف ، والاساتذة : احمد صادق سعد ، وشحاتة هارون ، والبير آرييه .

* راجع مقالنا بنفس العنوان في **شؤون فلسطينية**، العدد ١١ ، ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢ .

١ — الدكتور علي ابراهيم عبده وخيرية قاسمية ، **يهود البلاد العربية** ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، دراسات فلسطينية ، ٨٢ ، حزيران (يونيو) ١٩٧١ ، ص ١٥٩ — ١٦١ .

٢ — **المصدر نفسه** ص ١٤ و ١٦١ و ١٦٢ .

٣ — احمد محمد غنيم واحمد ابو كف ، **اليهود والحركة الصهيونية في مصر ١٨٩٧ — ١٩٤٧** . كتاب الهلال . القاهرة . العدد ٢١٩ . يونيو (حزيران) ١٩٦٩ . ص ٣٢ .

٤ — الدكتور علي ابراهيم عبده ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٣ .

٥ — غنيم ص ٣١ — ٣٢ ، ٣٩ — ٤٠ ، ٤٦ — ٤٧ ، ٨٧ ويعقوب خوري ، **اليهود في البلدان العربية** ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧٠ . ٣٠ — ٣١ ودكتور عبده ، **المصدر السابق** ، ١٧٣ — ١٧٦ .

٦ — احمد صادق سعد ، جلسة معه ، ٢١/٥/ ١٩٧٢ .

٧ — دكتور عبده ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٢.

٨ — يعقوب خوري ، **المصدر السابق** ، ص ١٩ — ٢٠ .

٩ — دكتور عبده ، ص ١٧٦ — ١٧٧ .

١٠ — **المصدر نفسه** ، ص ١٦٤ .

١١ — **المصدر نفسه** ، ص ١٦٥ — ١٦٦ .

١٢ — البير آريه ، جلسة معه ١٩٧٣/١/١١ .

١٣ — دكتور عبده ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٦.

١٤ — غنيم ، **المصدر السابق** ، ص ٦٢ .

١٥ — احمد صادق سعد ، **المصدر السابق** .

١٦ — يعقوب خوري ، **المصدر السابق** ، ص ٣٠ (أنظر : مجلة **المصور** القاهرية ، العدد ٢٣١٧ — ١٩٤٩/٣/٧ ، ص ٣٧) .

١٧ — خوري ، **المصدر السابق** ، ص ٣١ .

١٨ — دكتور عبده ، **المصدر السابق** ، ص ١٨١.

١٩ — صحيفة « **صوت الامة** » العدد ٩١ ، السنة الاولى ، ١٩٤٦/١١/١١ ، ص ٥ .

٢٠ — البير آريه ، **المصدر السابق** .

٢١ — دكتور عبده ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٤.

٢٢ — شحاته هارون ، جلسة معه ، ١١/١/ ١٩٧٣ . والبير آريه ، **المصدر السابق** .

٢٣ — غنيم ، **المصدر السابق** ، ص ١٣٥ — ١٧٢ .

٢٤ — **صوت الامة** ، العدد ٨١ ، السنة الاولى، ١٩٤٦/١٠/٢٩ ، ص ٢ .

٢٥ — **صوت الامة** ، العدد ١٠٩ ، السنة الاولى ١٩٤٦/١٢/١ .

٢٦ — غنيم ، **المصدر السابق** ، ص ٢٠ .

٢٧ — **دكتور عبده** ، ص ١٧٩ — ١٨١ .

٢٨ — حافظ محمود . **المعارك في الصحافة والسياسة والفكر ١٩١٩ — ١٩٥٢** . كتاب الجمهورية . القاهرة . العدد الاول — نيسان (ابريل) ١٩٦٩ . ص ٦٠ .

٢٩ — صادق سعد ، **المصدر السابق** .

٣٠ — **المصدر نفسه** .

٣١ — دكتور عبده ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٢.

٣٢ — البير اريه ، **المصدر السابق** .

٣٣ — **المصدر نفسه** .

٣٤ — محضر نقاش مع ايلي ميزان (انظر : د . رفعت السعيد . **اليسار المصري ١٩٢٥ — ١٩٤٠** . دار الطليعة . بيروت . تموز (يوليو) ١٩٧٢ . ص ٢٤١ — ٢٤٢) .

٣٥ — البير آريه ، **المصدر السابق** .

٣٦ — **المصدر نفسه** .

٣٧ — كان البرت مزراحي عميلا للبوليس السري المصري ، ولكبار اثرياء اليهود في مصر في آن واحد . وكان يصدر صحيفة اسبوعية في القاهرة باسم « التسعيرة » ، ظلت مهتمة بمتابعة تسعيرة المواد التموينية حتى منتصف ١٩٤٦ ، حيث تحولت الى صحيفة سياسية . (البير — شحاتة — سعد — راجع ايضا الصحيفة المذكورة في دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة) .

٣٨ — البرت مزراحي ، **الشيوعية** ، وكالة مصر للصحافة . القاهرة ١٩٤٦/٨/٢٦٠ . ص ٧٠ .

٣٩ — **المصدر نفسه** ، ص ٨ .

٤٠ — **المصدر نفسه** ، ص ١٠ .

٤١ — **المصدر نفسه** ، ص ١٢ .

٤٢ — **المصدر نفسه** ، ص ١٨ .

٤٣ — **المصدر نفسه** .

٤٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٣ .

٤٥ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٤ .

* ابو السباع : يستخدمه المصريون كرادف لاسم « اسماعيل » ، من قبيل التحبب والتدليل .
٤٦ ــ مزراحي ، **المصدر السابق** ، ص ٤٥ .
٤٧ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٤٧ .
٤٨ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٥١ ــ ٥٧ .
٤٩ ــ **الجماهير** . العدد الخامس ، السنة الاولى ، ١٩٤٧/٥/٥ (انظر : الاسرائيليون الوطنيون يؤلفون رابطة لمكافحة الصهيونية ، ص ٤ ــ ١١) .
٥٠ ــ **صوت الامة** . العدد ٧٨ . السنة الاولى. ١٩٤٦/١٠/١٦ ، ص ٣ .
* ابرز عناصر « حركة تحرير الشعب ح. ت. ش. » : سعيد خيال ، مصطفى كامل منيب ، اسعد حليم ، راؤول مكاريوس ، مارسيل اسرائيل ، اما « ايسكرا » فكان ابرز عناصرها: هليل شوارتز (المشهور باسمه الحركي «شندي» وهو خال محمود حسين مؤلف كتاب « الصراع الطبقي في مصر ») ، وعبد المعبود الجبيلي (رئيس مؤسسة الطاقة الذرية في مصر حاليا)، وشهدي عطية الشافعي ، وميشيل كامل (مدير تحرير مجلة الطليعة القاهرية اليوم) ومحمد سيد احمد (الكاتب والمحرر بجريدة الاهرام الان والبير آرييه .
٥١ ــ البير اريبه ، **المصدر السابق** .
٥٢ ــ **بيان الرابطة الاسرائيلية لمكافحةالصهيونية.** مطبعة الشبكشي بالقاهرة . حزيران (يونيو) ١٩٤٧ ، ص ١٦ .
٥٣ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٦
٥٤ ــ البير اريبه ، **المصدر السابق** .
٥٥ ــ الجماهير ، **المصدر السابق** .
٥٦ ــ **بيان الرابطة** . ص ٣ .
٥٧ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٥ ــ ١٦
٥٨ ــ **المصدر نفسه** ص ١٦ .
٥٩ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٥ .
٦٠ ــ **الجماهير** ، المصدر السابق .
٦١ ــ **بيان الرابطة** . ص ١٠ .
٦٢ ــ **بيان الرابطة** . ص ١٢ .
٦٣ ــ **بيان الرابطة** . ص ١٢ .
٦٤ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٠ ــ ١١ .
٦٥ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٣ .
٦٦ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٤ .
٦٧ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٤ ــ ٥ .
٦٨ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٦ ــ ٨ .
٦٩ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٩ ــ ١٠ .
٧٠ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٠ .
٧١ ــ اخبرني بذلك ــ مشكورا ــ الاستاذ احمد محمد غنيم .
٧٢ ــ **صوت الامة** العدد ١٩٧ ، السنة الاولى ، ١٩٤٧/٣/١٤ ، ص ٤ .
٧٣ ــ **لا بورص اجبسيان** ، اول نيسان (ابريل) ١٩٤٧ .
٧٤ ــ **الجماهير** . العدد الرابع . السنة الاولى ــ ١٩٤٧/٤/١٨ (انظر : الاسرائيليون الديمقراطيون يقاومون الصهيونية بالرغم من تعاون البوليس مع زعماء الصهيونيين، ص ٥).
٧٥ ــ **صوت الامة** ، العدد ٢٢٩ ، السنة الاولى، ١٩٤٧/٤/٢٠ ، ص ٣ .
٧٦ ــ **صوت الامة** ، العدد ٢٣١ ، السنة الاولى، ١٩٤٧/٤/٢٢ ، ص ٤ .
٧٧ ــ **صوت الامة** ، العدد ٢٣٣ ، السنة الاولى، ١٩٤٧/٤/٢٥ ص ٣ ــ ٥ .
٧٨ ــ **صوت الامة** ، العدد ٢٣٤ ، السنة الاولى ، ١٩٤٧/٤/٢٦ ، ص ٣ .
٧٩ ــ **صوت الامة** ، العدد ٢٣٦ ، السنة الاولى ، ١٩٤٧/٤/٢٨ ، ص ٣ .
٨٠ ــ **صوت الامة** ، العدد ٢٣٩ ، السنة الاولى ، ١٩٤٧/٥/٢ ، ص ٣ .
٨١ ــ **صوت الامة** ، العدد ٢٤١ السنة الاولى، ١٩٤٧/٥/٤ ، ص ٢ .
٨٢ ــ **صوت الامة** ، العدد ٢٤١ ، السنة الاولى ، ١٩٤٧/٥/٤ ، ص ٣ .
٨٣ ــ **صوت الامة** ، العدد ٣٨٩ ، السنة الثانية ، ١٩٤٧/١٠/٢٣ ، ص ٢ .
٨٤ ــ **الجماهير** ، العدد الثاني عشر ، السنة الاولى ، ١٩٤٧/٦/٢٣ (انظر :النقراشي يدافع عن الصهيونية ، ص ٥) .
٨٥ ــ **الجماهير** العدد نفسه ، (انظر : فضيحة نقراشية جديدة ، النقراشي يحل الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية ، ص ٥) .
٨٦ ــ البير اريبه ، **المصدر السابق** .
٨٧ ــ **المصدر نفسه** .
٨٨ ــ **المصدر نفسه** .
٨٩ ــ **الجماهير** ، العدد الخامس ، السنة الاولى ، ١٩٤٧/٥/٥ .

مراجعات

W. F. Abboushi : **The Angry Arabs**
(Westminster Press, 1974)
Sami Hadawi : **The Middle East Reality : Between War And Peace**
(The American - Arab Society, 1974)
Glen M. Jubran, **Our Struggle : The Palestine Revolution 1968 - 70**
(Vantage Press, 1972)

الاشياء المشتركة بين هذه الكتب الثلاثة هي انها من تأليف فلسطينيين ، او اميركيين من اصل فلسطيني ، حول القضية الفلسطينية ، وموجهة الى قراء اللغة الانكليزية عامة والى الاميركيين بنوع خاص . والفوارق بينها هي في نطاق المعالجة، والوجه الذي يشدد عليه كل منها ، والنبرة التي تطبع كلا منها ، واخيرا في الاسلوب والمستوى . ولا شك لدينا النية في سلامة الدوافع القومية لكل من المؤلفين الثلاثة ، لكن معيارنا الرئيسي والاساسي للحكم على كل منها يجب ان يكون مدى جدوى وفعالية كل منها وفائدته لحركة المقاومة الفلسطينية . ان كلا من الكتب الثلاثة يؤكد مؤلفها ضمنا او صراحة انه وضعه استجابة لحاجة ملحة الى سد فجوة كبيرة نقر بوجودها جميعنا في الدعاوة الفلسطينية بين الاميركيين بنوع خاص والغرب عامة . والسؤال الذي سيرافقنا في مراجعة الكتب الثلاثة هو هل يمكن لهذه الكتب ان تساعد في ردم جزء ولو يسير من هذه الفجوة؟

كتاب الاستاذ عبوشي هو الاكثر طموحا : من حيث نطاقه ، انه يوسعه ليشمل تاريخ العرب منذ العصر الجاهلي حتى يومنا هذا ، ومن حيث عدد الصفحات التي تبلغ ٢٨٥ صفحة مع الملاحظات ، كما انه الاكثر اثارة للجدل في ما يتضمنه من اراء . فالاستاذ عبوشي ، في الواقع، لا يصل الى « المشكلة الفلسطينية » الا في الفصل الخامس (الصفحة ١٢٩) من فصول الكتاب الثمانية ، ولا يأتي على ذكر الخطر الصهيوني المتسلل لاول مرة الا في الصفحة ١٠٧ وسط الفصل الرابع . فالفصول الاربعة الاولى من الكتاب تضم موجزا سريعا ووافيا لتاريخ العرب ، كمقدمة تساعد القارىء الغربي على فهم قضية فلسطين . يقول المؤلف في المقدمة : « ... بما ان النزاع العربي — الاسرائيلي يؤلف الجدل الرئيسي ، والاكثر حداثة (بين العرب والعالم الغربي واسرائيل) ، فان نصف الكتاب تقريبا مكرس لتفسير تاريخه وتضميناته ، وهذا ينسجم مع الغاية الرئيسية للكتاب ، وهي تفسير لماذا يبدو العرب مريبين ، مخيبين في علائقهم الاقليمية والدولية » . ومما لا ريب فيه انه ينجح الى حد كبير في توضيح التاريخ العربي للقارىء الغربي ، وايضا في توضيح الخلفية التاريخية المباشرة للنزاع العربي — الاسرائيلي . وفي هذا لا خلاف لنا معه .

لكن المرء يلاحظ ان الكاتب يحاول في كل الاحوال ان يبدو « معتدلا في عرضه للاحداث » ، عن طريق الاقرار باخطاء العرب والفلسطينيين ، وتقديم وجهة النظر الصهيونية بصورة « مجردة » واتخاذ الموقف « الوسط » ، واعتماد النبرة الهادئة ، « الموضوعية » من اول الكتاب الى اخره . ولا شك في ان الهدوء ، وضبط النفس المثير للاعجاب الذي تحلى به الكاتب ، هما من الامور الضرورية في كتاب اعلامي كهذا يهدف الى كسب عقول الاميركيين وتغير ارائهم ازاء القضية الفلسطينية.

فما من شيء يقيم حاجزا منيعا بين المتكلم صاحب القضية والمستمع هدف الحديث اكثر من النبرة الزاعقة واظهار الغضب الشديد . ولكن هناك حدا حتى للاعتدال ، ان تخطاه المرء المعني مباشرة ظهر عليه التصنع ازاء القارىء وفقد سلاحا قويا في الاقناع . وفي حال الاستاذ عبوشي ، فان القارىء الاميركي يعرف انه فلسطيني ، ويعتبره معنيا مباشرة ، وبالتالي يتوقع منه ان يكون منحازا الى القضية الفلسطينية وملتزما بها . ولهذا السبب يرى كاتب هذه المراجعة ان الاستاذ عبوشي ربما بالغ في بعض المواقع في « اعتداله » و « موضوعيته » حتى الى حد الوقوف احيانا موقف الحياد ، وهو امر غير مسوغ لا من الناحية القومية ولا من الناحية الاعلامية . وكان بامكانه ان يظهر انحيازه للقضية والتزامه بها في كل الاحوال « مع » الاحتفاظ بالهدوء وضبط النفس .

وبالفعل ، فان بعض مواقف الكاتب المبالغ في « اعتدالها » لا يمكن لاي عربي واع ، ناهيك بالفلسطيني ، ان يقبل بها . فالسلام الذي يتحدث عنه الاستاذ عبوشي تحت عنوان « مشكلات السلام » ، (من ص ١٩٦) ، على سبيل المثال، هو مفهوم لا تقبل به المقاومة ولا الجماهير الفلسطينية ، اذ انه يفترض سلاما مبنيا على قبول الفلسطينيين ، والعرب ، ببقاء دولة اسرائيل — وهذا ، بالطبع ، موقف مرفوض من الاساس . ثم لا بد من التساؤل عما اذا كان « الاعتدال »المبالغ به هو المسؤول عن قول الكاتب ، (ص ٢٠٢) ، ان مشكلة الفجوة العسكرية انما « يزيدها حدة افتراض الولايات المتحدة الخاطىء بانه يوجد توازن قوة في الشرق الاوسط » . فالولايات المتحدة ، في الواقع ، لم تكن « تفترض » اي شيء من هذا ، بل هي كانت تدرك ان الامر خلاف ذلك ، ولو ادعت العكس . وكذلك ، هل هو من باب المبالغة في اظهار « الموضوعية » قول الكاتب ان « الفلسطينيين العرب سلموا الدول العربية ، طوعا ، مسؤولياتهم المحقة ودورهم في النزاع ») ؟ الم تكن عوامل وتطورات معينة هي التي اجبرت الفلسطينيين على الاعتصام بالصمت والهدوء لفترات محددة ؟

هذه ، بالطبع ، هي ابرز المآخذ على عرضه للاحداث والنزاع من وجهة النظر الفلسطينية العربية . وهناك اراء اخرى اقل اهمية ،يطرحها الكاتب ولا يقره عليها معظم الفلسطينيين ، او هي مثيرة للجدل على الاقل . ومن جهة اخرى ، فان بعض الاراء قد تخطتها الاحداث منذ ان دفع الكاتب كتابه الى المطبعة . فافتراض الكاتب (ص ٢٠٢) بان المعونة العسكرية السوفياتية للدول العربية لم تؤثر الى حد كبير في الفجوة العسكرية قد كذبته حرب تشرين الى حد ما على الاقل . وتشديده الزائد (ص ٢٠٥) على احتمالات نشوب حرب عالمية ثالثة نتيجة لاستقطاب النزاع في الشرق الاوسط يبدو ، في الوقت الحاضر بنوع خاص ، غير وارد تقريبا بعد تضاؤل احتمال نشوب مثل هذه الحرب الى حد كبير .

ومع هذا ، ارجو الا يؤخذ الانطباع بان كتاب الاستاذ عبوشي قد اضر بالقضية الفلسطينية . بل على العكس تماما ، فان ايجابياته اكثر من سلبياته . فهو كتاب جيد ، يعرض وجهة النظر العربية باسلوب بسيط ولكنه قوي ، ومدعومة بحجج وشواهد متينة وبمنطق ثابت . والاستاذ عبوشي يبقى من المؤمنين بقضيته القومية ، بعدالتها وبحتمية انتصارها في النهاية ، بدليل تكهنه (ص ٢٢١) بان « العالم ... عاجلا ام آجلا ... سيشهد ثورة عربية اخرى لا تقل قوة عن ثورة الشعب الصيني » .

اما كتاب السيد سامي هداوي ، فهو عرض مباشر ، مكثف وسريع للقضية الفلسطينية يقع في ٧٢ صفحة فقط . وهذه الدراسة القصيرة موجهة ، في الدرجة الاولى ، للقراء الناطقين بالانكليزية الذين ليس لديهم الوقت للقيام بقراءات اكثر اسهابا حول القضية الفلسطينية من وجهة نظرنا ، وايضا لتقديم وجهة نظرنا هذه الى اخرين من الذين يجهلون كل شيء عنها او ممن ضللتهم الدعاوة الصهيونية الاسرائيلية . وبالفعل ، فالكتاب هو مدخل شامل واف لفهم القضية ، وقد يكون حقق غرضه اذا استطاع حمل قرائه ، او بعضهم على الاقل ، على قراءة المزيد من المنشورات حول القضية الفلسطينية . وهو متين اللغة ، واضح ، صافي التفكير ، ويرتكز الى منطق قوي سليم في عرضه الحجج الصهيونية والردود العربية المفحمة عليها .

ونصل الان الى غلين جبران ، الذي يقول لنا

التعريف به في مؤخر كتابه انه ولد في ديترويت من ابوين فلسطينيين ، وانه كان ما يزال طالبا جامعيا في تكساس ودون العشرين من العمر لما انتهى من تأليف هذا المجلد النحيل (١١٥ صفحة) . ولا يسع كل من يقرأ هذا الكتاب ان يشك في حماسة المؤلف للقضية الفلسطينية واخلاصه لها . ولعل هذه الحماسة وهذا الاخلاص هما اللذان دفعاه الى تأليف الكتاب في هذه السن وبهذه السرعة ولكنهما ، للاسف ، لا يضمنان وحدهما صنع كتاب جيد .

يتألف الكتاب من عرض سريع لاحداث الثورة الفلسطينية وفقا لتسلسل زمني غير واضح وغير دقيق ، بين سنة ١٩٦٨ وسنة ١٩٧٠ . وقد صدر جبران كتابه بمقدمة قصيرة ، تليها « خلفية تاريخية » في اربع صفحات . وقسمه الى قسمين ، احدهما بعنوان « مقدمة للاعتراف » والاخر بعنوان « اعوام الملاحم — ١٩٧٠ » . ويضم القسم الاول تسعة فصول ، والثاني ثمانية فصول ، يليها نص انكليزي « للميثاق الوطني الفلسطيني » ، وفي الختام مقابلة مع ياسر عرفات . وهذا يعني ان معظم فصول الكتاب قصيرة جدا ، لا تتجاوز احيانا الصفحة الواحدة او الصفحتين . وليس في هذا ما يعيب لو ان عرض الاحداث كان اكثر تنظيما وتركيزا ، ولو لم يكن الكتاب ككل مليئا بالاخطاء والهنات المختلفة .

فالانطباع الذي يخرج به المرء من مطالعة الكتاب هو ان مؤلفه كتب فصوله تباعا ، اثناء وقوع الاحداث ، دون ان يعمد الى اعادة كتابة المواد المتجمعة لديه على هذا النحو ، او الى تنقيحها تنقيحا جيدا على الاقل . والاسلوب الذي دون به هذه الاحداث هو اقرب ما يكون الى اسلوب التقارير الصحافية التي تتسم بحيوية الاحداث الانية كما يكتبها للحال شخص عاصرها ويفتقر ، بالتالي ، الى العمق والبعد التاريخي . ولئن كان هذا الاسلوب يليق بصحيفة او مجلة اخبار اسبوعية فمن البديهي انه لا يصلح البتة لكتاب يفترض ان تبقى له قيمة ما بعد فترة من مرور هذه الاحداث . واحدى النتائج السيئة لهذا الاسلوب هي ان الكثير من الاراء والتعليقات التي ابداها جبران حول حدث او موضوع معين في فصل مبكر عادت الاحداث فدحضتها بطول كتابة فصل لاحق.

والادلة على ذلك في الكتاب كثيرة . منها ان جبران يتكهن جازما (ص ٣١) بأن « ... أية محاولة (يقوم بها الملك حسين) لسحق الفدائيين ستفضي حتما تقريبا الى الاطاحة به » . ثم يعود فيخصص فصلين لاحقين ، السادس عشر والسابع عشر ، لتدوين احداث ايلول الاسود . كان بامكان الكاتب اعادة النظر في هذه الاراء التي تخطتها احداث الكتاب ذاته قبل دفعه الى المطبعة . وكان يمكن اعتبار امتناعه عن اعادة النظر فيها من باب الامانة للمشاعر والاراء الانية لو انه في صدد تقديم يوميات او مذكرات . اما وان الكتاب هو عرض مباشر « موضوعي » لاحداث تتعلق بالمقاومة في فترة زمنية معينة ، فاننا لا نجد مندوحة من اعتبار هذا الامتناع عن اعادة النظر اهمالا وتسرعا لا مسوغ لهما .

وثمة امثلة اخرى ، من نوع اخر ، على الاهمال والتسرع . فهناك اخطاء لغوية واضحة ، واخرى مطبعية ، والكتاب كان بحاجة ماسة ، الى منقح كفوء ومصحح قدير . كما اننا نرى المؤلف ، في اماكن كثيرة ، يعرض الافكار والتعليقات ، التي قد تكون سليمة وربما واضحة في عقله ، بطريقة مشوشة ينقصها التسلسل المنطقي والتطوير الكافي ، بحيث لا يسع القارىء فهم قصده منها . والبعض الاخر من اقوال الكاتب لا بد وان يرفع ، تعجبا ، حواجب الكثيرين من القراء الفلسطينيين والعرب ويثير التساؤل عن صحتها وقيمتها الاعلامية ، كقوله في الصفحة ٥٣ : « ومع ان الفدائيين قد يتمنعون عن الاعتراف بتأثير اجنبي ، فانهم ربما تبعوا الى حد ما تقليد لورنس العرب » !

بالطبع ، تشفع بالكاتب سنه ، وحماسته التي تضفي على الكتاب حيوية أكيدة ، وصدقه الذي يبرز بوضوح من البداية الى النهاية . وقد لا يخلو الكتاب من فائدة اعلامية . لكننا نتمنى على غلين جبران الحرص على ان يجيء كتابه الثاني عن « النزاع الفلسطيني » الذي يبشرنا به تعريف الناشر ، خلوا من كل هذه الاخطاء والعيوب التي من السهل تحاشيها ، واكثر تركيزا وعمقا .

رجا جورج

John Cooley, **Green March, Black September : The Story of Palestinian Arabs.**
(London : Frank Cass, 1973).

مؤلف هذا الكتاب ، السيد كولي ، صحفي امريكي عاش في الشرق الاوسط فترة طويلة عايش خلالها الاحداث وراقبها عن كثب عندما عمل كمراسل في الجزائر اثناء حرب التحرير لمدة ست سنوات ثم كمراسل لجريدة « كريستشين سينس مونيتور » منذ عام ١٩٦٥ .

وهذا الكتاب هو أحد أفضل الكتب التي صدرت عن المواجهة الفلسطينية الاسرائيلية ، ولا بد ان يكون مؤلفه أحد قلة ضئيلة من الصحافيين او الكتاب الغربيين الذين تجشموا مشقة محاولة فهم الجانب الفلسطيني دون الوقوع في شرك الدعاية الاسرائيلية . ويشعر المرء بموضوعية الكاتب وتجرده اثناء قراءته الكتاب ولو ان اراء السيد كولي ليست بالضرورة متطابقة مع تطلعات الفلسطينيين .

والكتاب موجه بشكل عام للقارىء الغربي غير المتخصص في امور الشرق الاوسط، وهو يجمع بين دقة التحليل وسعة الاطلاع من ناحية والسرد غير المعقد من ناحية اخرى، الامر الذي يجعله في متناول القارىء العادي . وبالرغم من ان عنوان الكتاب يشير الى انه يتناول « قصة الفلسطينيين العرب » فهو في الواقع ليس سردا تاريخيا بالمعنى المعهود بل من نوع الكتابة التي يمكن ان تسمى بالصحافة التحليلية او التفسيرية التي يتخصص بها الكاتب.

يتألف الكتاب من عشرة فصول وملحقين. ويستهل كولي الفصل الاول من كتابه بمعالجة سريعة لمشروع المملكة العربية المتحدة الذي طرحه الملك حسين في الخامس عشر من آذار (مارس) ١٩٧٢ مستهدفا توحيد ضفتي نهر الاردن في نظام فدرالي تحت علم واحد . وبعدما يتناول الكاتب ردود الفعل لهذا المشروع في العالم العربي واسرائيل والغرب فيقول ان ردة فعل الاسرائيليين للخطة كانت سلبية وذلك استنادا الى تصريحات بعض الرسميين الاسرائيليين . الا انه يؤكد بان هذه الخطة جاءت نتيجة لتفاهم مسبق الى حد ما بين الملك حسين والاسرائيليين (باستثناء مسألة القدس) ، ويدعم ذلك بقوله ان « مراسل الشرق الاوسط لاحدى مجلات الاخبار الاميركية حصل من مصادر موثوقة على اثبات الاتصال الاسرائيلي — الاردني من أجل تهيئة المسرح لمبادرة حسين . ويؤكد كولي ايضا بأن التحقيقات الخاصة التي قام هو بها كشفت النقاب عن ان الملك حسين عقد عشرة او اثني عشر اجتماعا مع الزعماء الاسرائيليين في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦٨ و١٩٧٢ .

أما بالنسبة لردة فعل الفلسطينيين لمشروع الملك حسين فيستنتج المؤلف انه كان من الصعب التحقق من ردود فعلهم « ان تشتتهم الجغرافي والانظمة السياسية المختلفة التي يخضعون لها قد ضاعفت من صعوبة [استشارتهم حول] هذا الامر » . غير ان الاكثرية الصامتة من الفلسطينيين كانت ، حسب رأي الكاتب ، تتأثر الى حد كبير بحركة الفدائيين بدرجات مختلفة . وبالتالي كان موقفهم من المشروع سلبيا اذ انه لم يكن من المرجح ابدا ان يقبل الفدائيون بأي حل يطرح من قبل الملك حسين. كما يرى المؤلف بأنه ليس بالامكان تحقيق سلام حقيقي بواسطة التسويات والحلول الجزئية القائمة بين الدول العربية واسرائيل ما لم يأخذ الفلسطينيون بعين الاعتبار اذ انهم اساس الخلاف.

ويفرد المؤلف الفصلين الثاني والثالث لبحث جذور القضية الفلسطينية من الناحية التاريخية وذلك تحت عنوان « شعب بلا ارض » و « تغريب فلسطين » ويبين هنا ، عكس ما تروجه الدعاية الصهيونية في الغرب ، استمرارية وجود الشعب الفلسطيني على ارض فلسطين من قبل الاحتلال الروماني بقرون حتى وقتنا الحاضر . ويبرز كذلك أهمية الاماكن المقدسة بالنسبة للمسلمين ، وهذا أمر يكاد يكون مجهولا بالنسبة للقارىء الغربي العادي .

ويعرض المؤلف بعد ذلك بايجاز بعض نواحي تاريخ فلسطين الحديث ابتداء من حملة نابوليون على مصر حتى حرب ١٩٦٧ وتشريد الفلسطينيين مرة اخرى خلال عشرين عاما . ومعالجة الكتاب لتاريخ فلسطين مقتضبة ، وبالضرورة انتقائية . الا ان الفصل الثالث اكثر عصرية والى حد ما

أكثر اثارة بكثير من القسم الثاني . ويلجح الكاتب هنا في ابراز بعض الحقائق المهمة مثل وعي الفلسطينيين في مطلع هذا القرن على الخطر الصهيوني وردة الفعل اليهودية قبل ١٩٤٨ والاسباب الكامنة وراءها . كما انه يلفت النظر الى فارق مهم بين النشاط الصهيوني والنشاط العربي من حيث ان « النشاط الصهيوني كان على نطاق دولي في حين كان النشاط العربي محليا ومحدودا » . ويعقب الكاتب على خلق دولة صهيونية في الخامس عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ واجلاء ٧٠٠،٠٠٠ فلسطيني بقوله : « هذا الخروج الاخر يكاد يجهله العالم الذي أضحت مآثر الصهيونية أعمال بطولة له » .

يخصص المؤلف الفصل الرابع وعنوانه«الاحتجاج والشعر والنثر الفلسطيني » للحديث عن انعكاسات تعلق الفلسطينيين بأرضهم في الادب والشعر والفن الذي ظهر قبل حرب حزيران وبعدها . وهذا الفصل هو أحد الفصول الاكبر قيمة في الكتاب . ففيه يتحدث الكاتب عن شعر الفلسطينيين الجميل وتوقهم الى الارض وتحديهم للاسر وحاجتهم الملحة للعودة . ويعطي الكاتب هذا الشعر بعدا عالميا بقوله ان بعض هذا الشعر المكتوب في ظل الاحتلال الاسرائيلي « يمكن مقارنته بأدب ما يسمى «الهجرات الداخلية » للكتاب الاوروبيين المناهضين للفاشية في الثلاثينات » . ويشير كولي الى شعراء وفنانين من داخل الارض المحتلة وخارجها أمثال توفيق زياد وسميح القاسم وغدوى طوقان ومحمود درويش . ويعرف بأعمال غسان كنفاني وكمال بلاطة وجمانة بايزيد الحسيني واسماعيل وتمام الشموط وفلاديمير تماري وغيرهم . كما يشير الى فنانين داخل الارض المحتلة امثال عبد العابدي وعبدالله قرة وغيرهم .

أما الفصل الخامس فهو يتحدث عن بعض أعمال المثقفين والعلماء الفلسطينيين ، خاصة المعروفين منهم في الغرب ومن بينهم موسى العلمي وابراهيم ابو اللغد وآخرين . ويشير الكاتب هنا الى حقيقة مهمة وهي ان الكثيرين من الفلسطينيين أفلحوا في بناء أعمال ناجحة وفي الاسهام في « العلوم والفن المهني في العالم الخارجي » رغم المشقات والعقبات التي واجهوها . ويستشهد المؤلف بالاستاذ انطوان زحلان من الجامعة الاميركية في بيروت الذي اجرى بحثا اوضح فيه ان الفلسطينيين بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٩ « بقليل من المعونة او بغير معونة نشروا واكتسبوا ثقافة أعلى من ثقافة الاسرائيلي الاوروبي وبمعدل أكبر » . فالفلسطينيون وبينهم ٥٠ الف خريج جامعة هم « بين الشعوب الاكثر ثقافة في العالم العربي » . ويدعم الكاتب هذه الحقيقه بذكر انجازات بعض الفلسطينيين .

وينتقل الكاتب بعد ذلك الى الحديث عن المقاومة الفلسطينية ويخصص لها فصلين من الكتاب ، السادس والسابع ، حيث يحاول اعطاء لمحة تاريخية عن نشوء كل حركة من خلال سيرة حياة أحد مؤسسيها او قادتها . ويعتمد هنا على مقابلات كان قد اجراها مع كل من ياسر عرفات وجورج حبش ونايف حواتمة وغيرهم. ويقدم الكاتب في الفصل السادس خلفية سيرة عرفات ونشاطه كما يتطرق الى انجازات فتح وأهمية وقفتها في معركة الكرامة ويشير الى ان منظمة فتح في عام ١٩٦٩ كانت تملك بنية تحتية من المستوصفات والمياتم لاولاد الفدائيين الذين قتلوا في المعركة ... ومدارس ومراكز تدريب حربي في مخيمات اللاجئين . وكان حجم هذه البنية ونطاقها هما اللذان اخذا يخيفان السلطات في الاردن مما ادى الى انفجار الموقف . ويعلق الكاتب على ذلك بأن المقاومة الفلسطينية أفلحت في البقاء على الرغم من وجود مجموعة قوية من الاعداء .

القسم الاول من الفصل السابع مخصص لتفحص الجبهة الشعبية واصولها وتطوراتها اللاحقة . ويبحث بقية الفصل انفصال أحمد جبريل ثم الانشقاق الاخطر لنايف حواتمة وبروز الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، ويشير الى بعض الفوارق بين الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية . ومع ان ما يأتي الكاتب به في الفصلين المخصصين لحركة المقاومة ليس بالجديد ، فان أهميتها تكمن في اعطاء صورة حقيقية وصادقة عن اهداف ودوافع المقاومة التي طالما شوهت في الغرب لمصلحة الدعاية الصهيونية . غير ان الكاتب يستنتج بأن الفعالية العسكرية للمقاومة « بعده ان كانت ضئيلة قبل وقف اطلاق النار عام ١٩٧٠ صارت معدومة بحلول عام ١٩٧٢ » . ولكن للاسف، ليس لدى الكاتب ما يقوله عن أهم تأثير سياسي لحركة المقاومة ، في هذا الفصل على الاقل .

وفي الفصل الثامن يتحدث كولي عن « الشيوعيين والاصدقاء الاخرين » فيشير الى ان الكرملين لن يتخطى ابدا التزاماته العلنية « بتأييد النضال العادل للشعب الفلسطيني » ويرى ان لهـذا الغموض أسبابه اذ ان المسألة الحاسمة من زاوية النظر السوفياتية تتلخص في الاتي : حسب رأي الكاتب : « كيف يمكنك ان ترفض حلا سلميا وقرار مجلس الامن التابع للامم المتحدة لعام ١٩٦٧ عندما تكون مرتبطا بالتزامات عميقة لحكومات كحكومة الجمهورية العربية المتحدة ، وهي الملتزمة بدعم الحل السلمي وقرار بعض جماعات الفدائيين الاكثر راديكالية التي تعمل من أجل ثورات اجتماعية وسياسية ضد حكومات عربية يدعمها السوفيات مثل سوريا ؟ ولا يقدم الكاتب أجوبة مباشرة عن هذين السؤالين .

وينتقل كولي الى النظرية التي كانت سائدة على نطاق واسع عام ١٩٦٧ عن عزم العرب على تدمير اسرائيل في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ويشير الى بطلان هذه النظرية مستشهدا بتصريحات الزعماء الاسرائيليين . كما يشدد على ان هذه الحقيقة لم تنقل الى الجمهور البريطاني والاميركي. ويستعرض المؤلف بعد ذلك الاسباب الكامنة وراء حرب ١٩٦٧ الا انه لا يزود القارىء بآراء نيرة وأصيلة .

وفي الفصل التاسع يبحث الكاتب مواقف الجماعات الاسرائيلية المختلفة من المسألة الفلسطينية ، فيشير الى عدم اعتراف ليفي اشكول وغولدا مئير بوجود الشعب الفلسطيني مستشهدا بتصاريحهما ثم يبحث في ماهية التجمعات اليسارية « ماكي » و « ركاح » ويتطرق الى ذكر حزب « ماتزبن » وجماعة « سياح » و « عصبة الحقوق الانسانية والمدنية » التي يتزعمها اددكتور شاهاك والتي تنادي باعطاء اللاجئين الفلسطينيين الحق الانساني الاساسي بالعودة الى بيوتهم . ثم يشير الكاتب الى اوري افنيري ويرى انه ، في النهاية ، « يدين بالولاء دون تحفظ لدولة اسرائيل وأمنها ».

يختتم السيد كولي كتابه ببحث امكانات السلام في الشرق الاوسط وينهي فقرته الاولى بالاستنتاج ان اسرائيل مدعومة برؤوس الاموال والمهارات والتكنولوجيا من يهود الشتات وهي بالتالي ستربح الحروب ضد العرب دائما . وهي آخذة بالتحول الى «الدولة المتفوقة الاقليمية في الشرق الاوسط». الا ان حرب تشرين وآثارها تقدم بعض الحجج المضادة ، على الاقل ، للفرضية المذكورة آنفا ، وفي الواقع نجد ان بقية استنتاجات هذا الفصل ، على قيمتها ، قد أبطلتها ، الى حد ما ، حرب تشرين وآثارها . ويرى السيد كولي في هذا الفصل أن أي حل مرض يجب ان يجمع امكانية التطبيق من ناحية واقعية وعملية وقبول اطراف النزاع به . وهذا القبول لا بد ان تصحبه تنازلات من قبل الفلسطينيين والعرب من جهة واسرائيل من جهة اخرى . فاسرائيل يجب ان تعترف بالفلسطينيين كشعب له حقوقه في ارض فلسطين والدول العربية يجب ان تعترف باسرائيل ضمن حدود ١٩٦٧ .

ولعل هذا الفصل من الكتاب أكثر مثارا للنقاش والجدل من غيره . فالمؤلف مثلا يرى ان الحل السلمي يجب ان يكون مصحوبا باقامة « دولة » بجانب اسرائيل يقبل بها جميع اطراف النزاع . ولكن عدم تعرض المؤلف لماهية او مصير هذه الدولة يترك في ذهن القارىء سؤالين مهمين : اولا ، هل ستقبل اسرائيل بوجود « دولة » مستقلة سياسيا واقتصاديا وعسكريا بجانبها . وثانيا ، هل ستصبح الدولة مجرد سوق او نقطة عبور للمنتجات والبضائع الاسرائيلية من جهة واستغلال الايدي العاملة والرخيصة من جهة اخرى كما يحدث الان في الضفة الغربية وقطاع غزة ؟

طالب يونس وجورج جقمان

نجيب محفوظ ، حب تحت المطر
(القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٧٣)

كعادته ، يرسم نجيب محفوظ لنا لوحة اخرى. الا ان هذه اللوحة تختلف عن اللوحات السابقة لانها من نتاج ما بعد هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ من جهة ، ولانها تعكس بصدق وواقعية فعل الهزيمة السياسي والاجتماعي في تركيبة وعلاقات الشعب المصري الانسانية من جهة ثانية .

« حب تحت المطر » هي ، بعبارة اخرى ، العلاقات الاجتماعية تحت الاحتلال . بطل الرواية هو الشعب المصري ، بجميع فئاته الشعبية وطبقاته الاجتماعية . الجميع متمثل في الرواية وبأدوار رئيسية ولكنها ليست متكافئة . نجيب محفوظ يحقق قفزة نوعية مذهلة في هذه الرواية . انه — وهذا ما يميزه عن الاخرين — يروي اوضاعا حاضرة ومنظورة ولا يصور نفسيات غيبية .

« حب تحت المطر » تطرح سؤالا كبيرا تتخبط جميع شخصيات الرواية تحت ثقله بدون ان يتوصلوا الى جواب له ، انه : « حرب أم سلام ؟ » . « الى اين تمضي الدنيا ، الى اين ؟ حرب أم سلام ؟ » انه سؤال مطروح في عمق أعماق مجتمع هادىء على السطح ، وفي داخله يتخذ الحب تحت الاحتلال الوان الحرب في الهزيمة. والواضح تماما في الرواية هو ان اصطدام شخصياتها — ابطال المجتمع — ، وابطالها في آن واحد ، بهذا السؤال الكبير ، اينما توجهوا واينما التجأوا ، يتسرب الى داخلهم كما تتسرب النار في كومة قش ، يحرك أعماقهم حتى في المسائل ذات الخصوصية البالغة ، حتى لو هربوا الى الحب .

وتتشابك شخصيات الرواية وتتداخل عبر شخصية مركزية اساسية ، الا انها ليست أكثر أهمية من غيرها من الشخصيات لان الجميع يتحركون تحت مظلة واحدة ، تحت الاحتلال ، حتى يكاد يبدو — وهذا هو الواقع — ان الاحتلال هو اكثر شخصيات الرواية أهمية ومركزية .

● عملية الفرز الطبقي واضحة ايضا في الرواية، وتبدو أكثر وضوحا عبر علاقات مجتمع يرزح تحت الاحتلال . فالاشد فقرا هم الاكثر عطاء ، ومنهم وقود المعركة وجنودها . والاشد فقرا هم الذين يقدمون الضحايا ، وهم المتحمسون « للقتال بلا قيد ولا شرط ، بلا خوف ... » . وهم الذين « لا يملكون الا الكرامة والاسطورة » ، والذين يؤمنون بالله ورسوله و « بالنص المكتوب » ! المسألة اذن ، طبقية ، حتى في الموت . لماذا تكون الطبقة الفقيرة المسحوقة هي المعطاءة دائما ؟ لانها ساذجة ؟ كونها ساذجة ، او واعية ، لا يؤخر او يقدم في شيء من مسألة وحجم عطائها ، انها حقيقة التاريخ وواقعه ، فهي دائما التي تضحي ، وهي في الوقت ذاته — تحت الاحتلال او بدون احتلال — التي تباع وتشرى ايضا .

● طبقة بقايا الاقطاع حاضرة وناشطة . تتمثل في الرواية بشخصية المحامي « حسني حموده » ذو السمعة الحميدة والشهرة الواسعة والمكانة المرموقة . الجماهير المسحوقة لا تزال تلجأ اليها وتطلب حمايتها والدفاع عنها (طلب « عليات » من المحامي « حموده » الدفاع عن ابيها) ، نظرا لنفوذها الواسع وقدرتها الكبيرة على المناورة والتحرك في ظل الاحتلال . انها طبقة ترحب علنا بالهزيمة طالما توفر لها « السلام والسعادة » ، وتنادي علنا « بحبها لاميركا » وهذا ما أعلنه « حسن حموده » بنفسه . وهي طبقة تتاح لها الفرص دائما في مثل هذا الواقع للمحافظة على تقاليدها العفنة الموروثة . انها لا تزال تحافظ على اسرارها وتخشى افتضاح امرها عندما توضع على المحك ، فهي تلجأ الى الهروب من المواجهة في مثل هذه الحالات كما حدث عندما رفض المحامي « حموده » الدفاع عن والد « عليات » قاتل « سمراء السحاتية » ، صديقة المحامي السابقة وابنة طبقته . هذا بالاضافة الى كون هذه الطبقة تسعى دائما لزيادة ثرائها وتوسيع ثروتها ولو تم ذلك على حساب عواطف واحاسيس ومصالح الاخرين . فحسن حموده يسعى جاهدا لاغواء « منى زهران » واقناعها بقبوله زوجا لها لانها فتاة « الاسرة ذات الدخل الوفير » .

● أما الطبقة البرجوازية المتوسطة ، فهي تتألق دائما في نعيم وافر وبحبوحة دائمة في مصر . وتتمثل في الرواية بشخصية المخرج السينمائي الذي

يتصيد النجوم ويتحين الفرص في الوقت ذاته . فهو يشجع الذكور ويغوي الاناث كما يتمنى ويرغب في ان تستمر « الاوضاع الداخلية على حالها » دون تغيير بغية تحقيق بعض المكاسب والمغانم الشخصية . انه يصور فيلما عن الجبهة المصرية ، أفرد دور البطولة فيه « لمرزوق انور » ، الطالب الجامعي المتخرج حديثا ، والذي أغواه بهذا الدور وكان من نتيجته ان دمر حياته وحطم أحلامه . والمخرج لا يرغب بتصاعد درجة سخونة الجبهة ، انه يريدها ان تبقى كما هي — لا حرب ولا سلم — والا فشل مشروع فيلمه التجاري . انه — والطبقة البرجوازية المتوسطة معه — يفضل الاثراء ونجاح فيلمه على عودة السخونة الى الجبهة وبدء القتال.

● أما البرجوازية الصغيرة المتمثلة خير تمثيل « بمنى زهران » المتمردة والتي تعاني من مصاعب حيرة شديدة ، لا تعرف ماذا تريد . هل تريد الزواج ؟ « منى زهران » تتخلى عن خطيبها تارة وتعود اليه تارة ، لتتركه ثانية وتفكر وتعتزم الهجرة . ولكنها تبقى في مصر وتطلب ود صديقاتها من بنات الشعب (عليات وسنية) وتتحدث عن مشاكلهن بحماس احيانا وبفرف وبرود وسخرية احيانا اخرى . انها الفتاة التي يطلب ودها المخرج السينمائي (البرجوازية المتوسطة) حينا ، والمحامي « حسن حمودة » (بقايا الاقطاع) حينا آخر . الا ان أيا منهما لم يفز بها . انها تتخبط ، كالطير المذبوح ، تحت وقع الهزيمة القاسي ، هذه الهزيمة التي وضعتها في ورطة مذهلة ، فباتت غير قادرة على الفهم وتركت مهمة التفكير لنزواتها الى ان ارتكب اخوها جريمة قتل ذهب ضحيتها المخرج السينمائي .

● « حسني حجازي » هو الشخصية المركزية في الرواية التي تحدثنا عنها آنفا . فهو عانس ومصور سينمائي للافلام الوثائقية. علاقاته مترامية الاطراف ، تبدأ من ماسح الاحذية « عشماوي » وتنتهي ببقايا الاقطاع (حسن حموده والسحاتية سمراء) . « حسني حجازي » ليس له اي دور في الرواية، بل ان كاميراته هي التي تصور وتروي العلاقات القائمة بين شخصيات الرواية دون ان يكون له اي دور مؤثر في طبيعة تلك العلاقات . وبعبارة اخرى ، هو الحيادي الوحيد ، بل هو الحياد بذاته . حيادي حيال شخصيات الرواية وعلاقاتها الاجتماعية والسياسية وحتى العاطفية ، وحيادي حيال قضية الاحتلال . الا ان حياده هذا يقوده الى طريق ممتلىء بالالام لانه يرى الواقع الفعلي لمجرى الامور ويدرك ان موقفه الحيادي ليس الا وهما . فالحياة بالنسبة اليه « عزيزة وحبها معقول » ، و « مصر عزيزة » ايضا ، الا ان حبها « لا معقول » . آه يا بلدي . أين انا من هذا كله ؟ لا همة ولا موقع يصلح للعمل ولا بقية من عمر ... » .

● أما الثورة وابناؤها ، فهي في واد ، وهم في واد آخر . الثورة حاضرة في الرواية ، ولكن احتضانها لشخصياتها — أي الشعب — يتم بشكل غير مباشر . ابناؤها هم (حامد) « المتهمون » بالشيوعية ، اما الثورة فهي التي لا تزال تحتفظ بعلاقات صداقة قديمة مع بقايا الاقطاع (علاقة « صفوت » القيادي بالاتحاد الاشتراكي مع « حسن حموده ») ، ولا يوضح نجيب محفوظ في روايته أصل هذه الصداقة ، او المصلحة التي تدفع اطرافها للحفاظ عليها ، ما عدا كون هذه الاطراف تلتقي كي تثرثر حول موائد الطعام والدعوات وتحتسي كؤوس الخمر .

● المأساة في الرواية هي عند الجنود ابناء الطبقة المسحوقة . فهم على خط النار ، والناس على خط آخر . « لا يشعر بنا سوى أهلنا » يقول « ابراهيم » العائد من الجبهة لاخته « عليات » خلال نزهة يقومان بها في احد شوارع القاهرة . ومأساتهم ايضا في انهم الوحيدون الذين يتعرضون للموت والتشويه ، اذ يفقد « ابراهيم » بصره ولا يبقى له من الدنيا الا حب « سنية » التي أقسمت ان لا تتخلى عنه . ومأساتهم ايضا في السؤال الكبير الذي لا جواب له : « الى اين تمضي الدنيا ، الى اين ؟ حرب أم سلام ؟ » ، ومأساتهم ايضا وايضا انهم الوحيدون الذين يغذون نار الحرب من اجسادهم وارواحهم ، وانهم ابناء الطبقة الفقيرة . فوالد « ابراهيم » المجند هو « العم بدران » ، عامل المقهى ، وصديق « عشماوي » ماسح الاحذية و « شارب دماء الانكليز » ايام العز والشباب ، الذي كان « لا ينام على ضيم » ، والذي يحدثه قلبه ان اولاد الاغنياء لا يرسلون الى الجبهة و « لا يكتوون بنارها » .

المأساة ايضا عند الطبقة المسحوقة لسذاجتها وغفلتها عما يدور حولها ويجري من امور . فهي غافلة ، مثلا ، عن استسلام « عليات » ابنة « بدران » وصديقتها « سنية » خطيبة اخيها « ابراهيم » لاغواء « حسني حجازي » لهما بدافع الحاجة . وغافلة ايضا عن « السياسة المرسومة: لا يريدون تعبئة الشعب للحرب الا قبيل دخول المعركة » !! غافلة عن مصيرها ... وعندما تصطدم بحقائق واقعية ترتكب حماقات وتقتل وترفض ذكر الاسباب والدوافع ، مثلما يفعل « السمع بدران » عندما يقتل السحاقية « سمراء » لانها اخبرته ان ابنته فقدت عذريتها وانها دبرت لها « عملية اجهاض » سرية . وتخبر « سمراء » بدران بذلك بعد ان رفضت ابنته « عليات » ممارسة السحاق معها . والسذاجة المطبقة واضحة تماما عند «عشماوي» الذي يلعن ويشتم دائما ويتساءل: « ماذا جرى في الدنيا ؟ نسوان عرايا في الشارع ، مساجين موظفين ، يهود غزاة »...

● المقاومة الفلسطينية حاضرة ايضا في الرواية. الا ان حضورها خاطف ولكنه فعال ومؤثر. ويلخص محفوظ حضورها في جملة واحدة وهي تعلق على قبول مصر لمبادرة روجرز الاميركية في صيف عام ١٩٧٠ . « ولكن للمسألة وجها آخر ، فالقضية ممتدة في الزمن وليست بقضية هذا الجيل وحده... الكلمة النهائية ستظل سدا مقدسا في طوايا الغيب، كما سيظل ميلادها رهنا بالارادة ، فاما نموت موتا غير مأسوف علينا ، واما نحيا حياة كريمة كما ينبغي لنا ... » ويتدفق الكلام « من فيه » ابي النصر الكبير ، ممثل المقاومة ، « هادرا كالموج ». وقد لا يغير حديث المقاومة الفلسطينية من واقع الاحتلال ، الا انه ولا شك سيؤثر ويفعل به افقيا.

● كلمة اخيرة لا بد من قولها ، وهي ان لوحة نجيب محفوظ « حب تحت المطر » يمكن ان نطلق عليها اسم (حرب تحت الاحتلال) وليس ضده ، وهنا تكمن المأساة ، او بوتقة الاصراع الذي سيتحول بالتأكيد الى حرب ضد الاحتلال . ان هذا هو منحى سير التاريخ . ولا بد ان نضيف ان نجيب محفوظ لا يكتب قصة بل يروي حقائق ، وهو لا يؤلف رواية بل يلتقط صورا فوتوغرافية لوقائع انسانية من حياة شعبنا .

مصطفى كركوتي

Sture Karlsson, **Det Förlorade Landet.** (Stockholm, 1974).

ظهر خلال الربع الاول من هذه السنة كتاب الميجر ستور كارلسون تحت عنوان « البلد المفقودة » . وتنبع أهمية هذا الكتاب من توقيت نشره من ناحية ومن شخصية مؤلف الكتاب من ناحية اخرى . ان الحقائق الجديدة التي ولدتها حرب اكتوبر جعلت من صراع الشرق الاوسط صراعا يدور بين اسرائيل ومصر وسوريا ، أصبح فيه دور الفلسطينيين دورا على جانب قليل من الاهمية . ان لم تكن هذه حقيقة الامر ، فعلى الاقل هذا ما تصوره الصحافة السويدية . لهذا السبب فان كتاب « البلد المفقودة » جاء ليؤكد للرأي العام السويدي المتحيز لاسرائيل الدور السياسي والعسكري لحركة المقاومة حيث يختتم المؤلف كتابه « بان حرب الشعب ستنتصر في جنوب شرق آسيا، افريقيا، امريكا اللاتينية، الاردن، لبنان وفلسطين. وهذه نتيجة وصل اليها كارلسون خلال احداث مايو ١٩٧٣ في لبنان حيث كان موجودا هناك .

اما فيما يتعلق بشخصية المؤلف الميجر والكاتب كارلسون فان وجهة نظره ودفاعه عن القضية الفلسطينية على جانب عظيم من الاهمية ليس نتيجة لتأييد الكاتب المطلق للفلسطينيين وتنديده باسرائيل والصهيونية والانظمة العربية ، بل نتيجة لمركزه ككاتب في السويد سبق له وحاز على جائزة ادبية وكذلك كمركزه كضابط في الجيش السويدي لفترة ٢٣ سنة، قرر بعدها الالتحاق بمراقبي الامم المتحدة في الشرق الاوسط ، وقد تم ذلك في سبتمبر ١٩٧٠

حيث وصل الى القدس يوم ٢٩ سبتمبر — وهو اليوم الذي رحل فيه الرئيس عبد الناصر — ليصف لنا شعور العرب الفلسطينيين في الارض المحتلة .

أمضى الميجر كارلسون ٩ أشهر في جبهة السويس على الجبهة المصرية وكذلك ١٥ شهرا على جبهة الجولان . لقد وصل الى منطقة الصراع مؤيدا الجانب الاسرائيلي ، الا ان وجهة نظره هذه تغيرت كليا حيث انه يكتب للقارىء « بضمير اشتراكي وبضمير فلسطيني » . ان وجهة نظره السياسية هذه جاءت بعد ان كان المؤلف عسكريا سويديا وجزءا لا يتجزأ من المحيط السياسي الذي يعيش فيه ، اي ان كارلسون كان بورجوازيا ومتعاطفا مع اسرائيل . وفجأة حدث التغيير الجذري فأصبح كارلسون اشتراكيا « وفلسطينيا » بعد عمر متقدم وبعد خبرة واسعة في حقلي الجيش وعالم الكتابة .

ان كتاب كارلسون هو الاخير في حلقة من الكتب التي نشرت في السويد بعد حرب يونيو ١٩٦٧ والتي تؤيد القضية الفلسطينية ، الا ان الكتاب يختلف عن أي كتاب ظهر قبله . ففي الوقت الذي حاول مؤلفو الكتب الاخرى ايضاح الحقائق التاريخية للقضية الفلسطينية والحق الشرعي للمقاومة الفلسطينية ، فان كارلسون ينطلق من هذا المفهوم ليسرد لنا مشكلة الشعب الفلسطيني العربي من خلال حياته وتجاربه في السويد والشرق الاوسط . انه يكتب نتيجة لحبه للانسان المضطهد ، للانسان العربي — الفلسطيني — منه بشكل خاص . وهذه في الواقع ميزة الكتاب وميزة الكاتب ، لا بل هنا تكمن قوة الكتاب والكاتب الذي أعطى الكثير من وقته « للمفقودين في الشرق الاوسط » .

يقع كتاب كارلسون في ٢٠٢ صفحة ، نجح المؤلف من خلال كتابته لهذه الصفحات ان يعكس للقارىء مشكلة الشرق الاوسط على مستوياته الثلاثة ، فلسطينيا وعربيا واسرائيليا . لقد كتب بأسلوبه القصصي التاريخي مأساة الشعب الفلسطيني من خلال شخصية « فاطمة » وهي المرأة التي كانت تعتني بتنظيف شقته في دمشق . لقد وصف لنا شعورها وحياتها وبلدتها طبرية التي انتقلت اليها من القدس حيث ولدت .

يقول كارلسون بأن فاطمة ترى بحيرة طفولتها (بحيرة طبرية) في مخيلتها . انها تختلف عن بحيرة « جنسرت » التي قرأ عنها في طفولته ، بحيرة المسيح . انها كذلك بحيرة تختلف عن البحيرة التي قرأ عنها في بروشيرات السياحة التي توزعها اسرائيل . انها بحيرة طبرية ، بحيرة الفلسطينيين. هناك في بيت مقابل الشاطىء عاشت فاطمة الفلسطينية « السوداء » — والدتها من دولة افريقية ووالدها فلسطيني — أما اليوم فالبحيرة لا تزال مكانها والبيت لا يزال مكانه ، ولكن النازلين فيه والذين قابلهم كارلسون لدى زيارته لبيت فاطمة سنة ١٩٧١ ، ليسوا بأهل فاطمة ، وليسوا بفلسطينيين ، انهم يهود سود . ان فاطمة وشعبها قد حرموا من جميع الحقوق ، حتى ان العالم الغربي يستعمل لغة اخرى عندما يتعلق الامر بالفلسطينيين .

أما فيما يتعلق بالمجتمع العربي المحيط بفلسطين والبيئة التي يعيش فيها الفلسطينيون خارج حدود منطقتهم المحتلة . يقدم الكاتب الصورة نقد سلبي لذلك المجتمع القائم على انظمة سياسية غير اشتراكية . ينتقد كارلسون بالدرجة الاولى البيروقراطية والطبقية في مصر ، ويقدم لذلك أمثلة كثيرة لا تدع مجالا للشك . كذلك ينتقد الميجر كارلسون حالة الاستعداد العسكري في مصر . ومن المعروف ان مدخله في النقد لوضع مصر العسكري قد تأثر الى حد ما بالوعود المتكررة للرئيس السادات بخوض المعركة ضد اسرائيل ولا سيما في قراره المشهور بعام الحسم . الا ان هذا الاستنتاج المنطقي لدى القارىء يجد رفضا من كارلسون الذي كتب كتابه وقدمه للنشر قبل حرب أكتوبر ، الا انه استطاع ان يدخل فيما بعد ملاحظة على تحليله العسكري لمصر نتيجة لحرب اكتوبر . يقول كارلسون بأن وجهة نظره للعسكرية المصرية لم تتغير . في الواقع ان هذه احدى نقاط الضعف والتحليل للعسكرية المصرية . لقد وصل كارلسون الى منطقة القنال بعيد وصول صواريخ سام ٢ وسام ٣ . وهذا لا يترك انطباعا لدى كارلسون الذي بنى تحليله للعسكرية المصرية انطلاقا من تحليله للنظام السياسي والاجتماعي لمصر . ان هذا التحليل سليم ، فالاثر الطبقي للمجتمع المصري يظهر واضحا في الجيش المصري . ومثال على ذلك فان كارلسون يذكر بأن جميع الضباط المصريين

بدون استثناء ، والذين كانوا على صلة بالمراقبين الدوليين ينتمون الى الطبقة العليا وليس هناك واحد منهم ينتمي الى طبقة الفلاحين والعمال. هذا بالاضافة الى أمثلة اخرى تصف الفروق بين الجنود والضباط في عامي ١٩٧٠ و١٩٧١ .

ومن الناحية العسكرية البحتة فيذكر كارلسون بأن الحكومة المصرية أصدرت في ربيع ١٩٧١ قرارا بمنع جميع الرعايا الاجانب من استعمال الطيران الداخلي في مصر . لقد حدث ذلك وقت كانت تقوم فيه طائرتا فانتوم وميراج اسرائيليتان بالتحليق الاسبوعي لالتقاط الصور ورصد تحركات الجيش المصري .

بالرغم من صحة التحليل وصحة الربط بين الحالة الاجتماعية والعسكرية ، الا ان نظرية كارلسون قد ثبت فشلها في حرب اكتوبر واستطاعت القوات المصرية من اقتحام خط بارليف الحصين والذي حاز على اعجاب كارلسون حيث انه قارن بين الخط والجبهة المصرية المقابلة ، والتي اعتقد كارلسون بعدم فعاليتها وعدم قدرة القوات المصرية على خوض معركة رابحة علما بأن القرار السياسي كان ولا بد ان يصدر يوما ما قرار معركة «خاسرة» مع اسرائيل .

أما فيما يتعلق باسرائيل فيقول الميجر كارلسون « بأنها دولة مريضة وعلى الفلسطينيين تحرير بلادهم » ص ١٣١ . وبأن « اسرائيل والمناطق المحتلة الان اشبه بغيتو محاط بالاسلاك الشائكة وابراج الحراسة » . لقد توسع الصهاينة وسوروا المناطق وبنوا ابراج مراقبة . لقد أشادوا «غيتو» في المدن وفي الريف . ان الصهاينة ينظرون الى الشعوب الاخرى بأنها « غير نظيفة » ، وزيادة على ذلك فان العرب أقل منزلة من هذه الشعوب. فأفضل عربي هو العربي الميت » . ص ١٨٠ .

ويتابع كارلسون تحليله ليشبه الاستعمار الصهيوني بالتوسع غربا داخل قارة امريكا الشمالية على حساب الهنود الحمر . فالتوسع غربا في امريكا مشابه لما حدث في فلسطين حيث احتل الصهيونيون الارض وطردوا أهلها وبنوا عليها المستعمرات وثم أقاموا « ديمقراطية ». ص ١٨١.

لقد ذكر الميجر كارلسون في حديث تلفزيوني معلقا على كتابه والحركة الصهيونية قائلا : « بأن الشعب السويدي متأثر بالدفاع عن اسرائيل لاسباب أربعة : الكتاب المقدس ، وضع اليهود في اوروبا ، عدم معرفة السويديين بالعرب ، الحركة الصهيونية العالمية وتأثيرها على الرأي العام » .

ان تأثر الميجر كارلسون بالحركة الصهيونية واسرائيل وتفهمه لهما بدأ يضطرب ويميل لوجهة النظر العربية . ويقول بأن عددا من الكتب التي نشرت في السويد والتي تؤيد حركة المقاومة الفلسطينية كان لها اثر مهم في تغيير وجهة نظره وتفهمه لحقوق الشعب الفلسطيني الشرعية وكذلك حقه المشروع بالمقاومة .

هذا ولقد وجه كارلسون نقدا شديدا لسلام المتحدة ودورها الضعيف والاعمال « القذرة » التي تقوم بها حفاظا على الوضع الراهن، وهذا بالضبط ما تريده الولايات المتحدة والتي ترغب في ايجاد « حزام من الامم المتحدة » حول اسرائيل لحمايتها.

لهذا فان الحل بنظره هو ضرورة ثورة اشتراكية على الجانبين . ان باستطاعة الشيوعية توحيد شعوب المنطقة . بالاضافة الى ذلك فمن الضروري نزع الصفة الصهيونية عن فلسطين المحتلة .

• • •

Col. B. K. Narayan (Rtd), The Fourth Arab - Israeli War (New Delhi, 1974).

يعد هذا الكتاب من اوائل الكتب التي عالجت الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة باللغة الانجليزية . كتب كريشنا منون مقدمة للكتاب ، بالاضافة الى تقديم الجنرال شودهري من الجيش الهندي . والكتاب عبارة عن شرح لاحداث الحرب وجوانبها العسكرية والسياسية اذ تعرض لما اسماه نصف انتصار عربي ، ونصف هزيمة اسرائيلية . ويقول في هذا الصدد ان مغزى الاحداث يكمن في ان عملية عبور القناة تمت في دهشة ، وان الاسرائيليين أخذوا على غرة نظرا للمفاجأة التي تميز بها الجانب العربي ، وشرح الكاتب بطولة القوات العربية ، واستعمال سلاح البترول بشكل فعال ، والتحول في موقف الدول الافريقية ، وتأييد دول عدم الانحياز .

وباعتباره رجلا عسكريا تعرض الكاتب للوقائع العسكرية على الجبهة المصرية ، والجبهة السورية. كما تعرض للاتصالات السرية قبل الحرب وموقف الدول المنتجة للبترول ، كما شرح الهجوم الاسرائيلي المضاد في الاسبوع الثالث والثغرة التي حدثت على الضفة الغربية للقناة .

وتحدث الكتاب عن القوات الجوية العربية والاسرائيلية وذلك بالتعرض لانواع الطائرات الاسرائيلية نقلا عن مصادر مركز الابحاث الفلسطينية في بيروت كالفانتوم والسكاي هوك والميراج وطائرات النقل والهليكوبتر وغيرها ، كما تناول انواع الطائرات العربية وتناول ايضا بعض الاسلحة ومدلولاتها كالصواريخ المضادة للطائرات والصواريخ المضادة للدبابات ، ودور البحرية العربية .

وفي جانب آخر من الكتاب تعرض المؤلف لباب المندب واحلام اسرائيل في البحر الاحمر ، وذلك بالحديث عن موافقة حكومة اليمن الجنوبية على فرض الحصار ، وعملية الحصار مما يدل على عدم صحة نظرية الامن الاسرائيلي من خلال الاحتفاظ بخليج العقبة والمضايق ، وتناول الكتاب شرحا لنجاح هذه العملية .

وتعرض الكاتب لدور الفلسطينيين في حرب اكتوبر ، ووصف مساهمتهم في الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة بانها فعالة .

وتناول الكتاب الاثار الاقتصادية التي ترتبت على اغلاق القناة ١٩٦٧ على الاقتصاد العالمي والتجارة الدولية ، وأهمية القناة الملاحية والاقتصادية . وفي تناوله لسلاح البترول تعرض لاستعماله ، وبين الدعاية المضادة لاستعمال هذا السلاح ، وفي النهاية توصل الى ان استعمال البترول ليس ابتزازا ، وقال ان العرب استعملوا هذا السلاح للدفاع عن النفس ، ولجأوا اليه بعد استنفاد كل الطرق الاخرى وبالتالي لم يكن أمامهم بديل غير ذلك . وفي فصل آخر من الكتاب تحدث المؤلف عن قطع الدول الافريقية لعلاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل متعرضا لهذه الدول ، واهمية الموقف الافريقي . وفي نهاية الكتاب تحدث المؤلف عن ابعاد السلام وفقا لتقييمه وآرائه الشخصية .

والكتاب في مجمله يعد مؤيدا لوجهة النظر العربية لا سيما ان مؤلفه احتك بالظاهرة عن قرب اذ كان ملحقا عسكريا بالسفارة الهندية بالقاهرة ، كما أهدى الرئيس السادات نسخة من هذا الكتاب عندما كان في زيارة الهند .

وقد أعد الكتاب بأسلوب صحفي سهل مما يجعله يخاطب قطاعات كبيرة ممن تتحدث الانجليزية، كما عالج الموضوعات معالجة سريعة ومختصرة ، وان كانت الموضوعات قد اتسمت بالكثرة العددية والتشعب .

ولا يعني هذا الموافقة على كل ما ورد في الكتاب، اذ انني ابدي بعض الملاحظات :

اولا : لم يعالج المؤلف أعمال الخطف التي قام بها الفدائيون ص ١٠ ، ص ١١ بشكل يبرز مبرراتها ، وكان من الافضل عدم التعرض لها بهذا الشكل .

ثانيا : اورد في ص ٣٠ الخسائر في الاسبوعين الاولين من القتال وفقا لتقديرات وزارة الدفاع الامريكية ، وكان من الافضل ابراز التقديرات الاخرى ، وتوضيح مدى قابليتها للتصديق .

ثالثا : عندما تحدث في الفصل السابع عشر عن ابعاد السلام تحدث عن وجهة نظره ، وكان من الافضل التعرض لوجهة النظر العربية والخطوط العامة التي تتسم بها ، لان معالجته اقتصرت على مقترحات مقبولة في كثير من بنودها ، وقد لا تكون مقبولة في بنود اخرى ولا سيما موضوع القدس .

وفي النهاية ان المعطيات الواردة في الكتاب الصادر عن مؤلف هندي تدعونا الى شكره وتقديره ، وتمنياتنا له بالاستمرار في خدمة القضايا التي تهم السلام والامن الدوليين ، والمصالح المشتركة للدول النامية والقضايا التي تواجهها .

محمد علي العويني

عنان العامري ، **التطور الزراعي والصناعي في فلسطين ١٩٠٠ — ١٩٧٠** ، (بيروت ، مركز الابحاث م. ت. ف. ، ١٩٧٤) .

صدر عن مركز الابحاث مؤخرا بحث احصائي للانسة عنان العامري الباحثة في المركز ، يتناول التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني في الفترة ما بين ١٩٠٠ — ١٩٧٠ . وترجع اهمية هذا البحث لما يأتي :

١ — تتناول الباحثة بالعرض وشيئا من التحليل الاحصائي قطاعين اساسيين من الاقتصاد الفلسطيني ، وتبين النشاط الانتاجي لشعب فلسطين في فترة كثرت فيها الاكاذيب والدعايات المضللة التي حاولت ان تصور هذا الشعب على انه مجموعة من القبائل الرحل لا عهد لها بأصول الحياة العصرية. وقد ساهم البحث في الرد على تلك الدعايات ردا علميا تدعمه الاحصاءات المستقاة من مصادر رسمية .

٢ — تتعرض الباحثة لفترة مصيرية من تاريخ فلسطين ، تميزت بكثرة ما وقع فيها من أحداث جسام ، ومتغيرات مختلفة خارجة عن ارادة شعب فلسطين وطاقته وكان لها جميعا فعلها في تعطيل نموه وتقدمه . ومن امثلة ذلك سوء ادارة البلاد تحت الحكم العثماني ، ومعاناتها من ويلاته التي لا تخفى على احد . ثم وقوعها فريسة للمؤامرة الاستعمارية — الصهيونية طيلة عهد الانتداب البريطاني وما سنه من قوانين معروفة للجميع ، هدفت الى اضعاف العرب لحساب المستوطنين الصهيونيين .

٣ — وقوع غالبية اجزاء الوطن الفلسطيني تحت الاحتلال الصهيوني منذ ١٩٤٨ ، وتشريد المواطنين العرب ، وما ترتب على ذلك من اختلال نظام الحياة الاقتصادية نتيجة للاوضاع الناجمة عن النكبة ، ورغم ذلك فان الاجزاء التي بقيت في أيدي ابناء فلسطين — الضفة الغربية وقطاع غزة — شهدت تطورا وتقدما اقتصاديا اكد حيوية هذا الشعب وخصائصه الانتاجية بالمعنى الاقتصادي من حيث ارتفاع نسبة العمالة بين أبنائه وكفاءة الانتاج وتقدم وسائله .

ورغم هذه العوامل فان البحث قدم صورة صادقة ومشرقة لعرب فلسطين ، تبرهن على تقدمهم وأخذهم بالوسائل العصرية . ولكن هناك بعض الملاحظات التي ترد على البحث نذكر هنا بعضها على سبيل المثال لا الحصر مع الاخذ بعين الاعتبار الصعوبات التي واجهتها الباحثة :

١ — وقوع بعض الاخطاء عند النقل عن المصادر ، وعدم ذكر المصادر الاصلية ونقدها ، وخاصة اذا كانت احصائية ومن وضع شخص لا يمثل جهة رسمية وجهد جماعي منظم وذلك في ميدان الاحصاءات الذي لا يصح فيه التخمين او الخواطر ، بل لا بد من الاعتماد على الملاحظة

المباشرة والمنظمة . فمثلا تذكر الباحثة في ص ١٥ جدولا يبين « التوزيع الجغرافي للاراضي المزروعة والقابلة للزراعة عام ١٨٩٥ » نقسلا عن مقالة الاستاذ خليل ابو رجيلي المنشورة في شؤون فلسطينية العدد ١١ ص ١٣٠ ، نبدي عليه الملاحظات التالية :

أ ــ لقد نقلت الباحثة الجدول مبتورا بشكل لا يخدم الغرض الذي سعى اليه فذكر مجموع الاراضي ثم اقتصر على ذكر ارقام الاراضي المزروعة والقابلة للزراعة دون ان يورد ارقام الانواع الاخرى المذكورة في الاصل .

ب ــ لم تذكر المصدر الاصلي الذي اخذ عنه ابو رجيلي وخاصة انه ليس احصاء رسميا والخطأ فيه محتمل بنسبة كبيرة .

ج ــ ذكرت الباحثة خطأ ان الجدول يقع في ص ١٣٠ والصحيح انه يقع في ص ١٣١ من شؤون فلسطينية العدد الذي سبق ذكره .

٢ ــ تكرر الباحثة في صفحات كثيرة من البحث ذكر قلة المصادر وعدم توفر المعلومات وتعلل بذلك جوانب النقص التي ظهرت في عدم شمول المعلومات جميع مناطق فلسطين الجغرافية علما بأن هناك مصادر اصولية هامة في مجال البحث لم تذكرها الباحثة نورد هنا بعضا منها :

أ ــ ولاية بيروت الجنوبية لمحمد رفيق التميمي وهو بحث ميداني شمل معلومات قيمة عن الوية نابلس وعكا .

ب ــ خطط الشام لمحمد كرد علي الذي تعرض فيه بالتحليل لشتى نواحي الحياة الاقتصادية مبينا جهود السكان لاحراز التقدم والعقبات التي كانت توضع في سبيلهم لعرقلة تقدمهم واحباط جهودهم .

ج ــ احصاءات الحكومة العثمانية التي تغطي فترة لا تقل عن عشرين عاما ابتداء من ١٩٠٠ ــ ١٩١٧ . وذلك ضمن نطاق البحث الزمني .

د ــ احصاءات وتقارير الوكالة اليهودية التي تغطي النشاط الاقتصادي الصهيوني في فلسطين وخاصة ابتداء من ١٩٢٢ ويبدو ان الباحثة لم تعتمد عليها في معلوماتها عن الزراعة والصناعة اليهودية.

٣ ــ لم تحاول الباحثة ان تدخل التحليل الاقتصادي على الاحصاءات والربط بين الاوضاع المختلفة واثرها في الاقتصاد القومي وانقسامه الى قطاعين أحدهما للاغلبية العربية والاخر للاقلية اليهودية وذلك حتى عام ١٩٤٨ ثم تمزق الاقتصاد الفلسطيني وفقدانه للوحدة الجغرافية والكثافة السكانية الدائمة فتوزع بين الضفة الغربية وقطاع غزة واسرائيل وبالتالي فقد كل من هذه الاجزاء القدرة على النحو الذاتي والاستقلال الاقتصادي ولو بقدر معين حتى اسرائيل التي تتلقى المعونات والتعويضات والخبرات من كل لون لم تستطع حتى الان ان تحقق درجة من درجات الاعتماد على النفس او حتى القدرة على مواجهة الازمات والهزات الاقتصادية .

ومع ذلك فالبحث محاولة جادة ، وان القصد من هذه الملاحظات هو التأكيد على اهميته واثره في معرفتنا بأنفسنا وتعريف العالم بنا وسيكون البحث اضافة جديدة لمعلومات الباحثين في هذا المضمار .

بكر مصباح تنيره

ثقافة

الياس خوري

الحلم ...
الذي لا يخون

في احدث كتاباته التأملية : « فك الارتباط مع الحلم » (مواقف — ٢٨ —) يؤشر محمود درويش الى مفاصل تجربته الفنية .

الغربة الواقعية ، التي لا تجد الانتماء الحقيقي الا لحظة الطلق ، حين يبدأ نزيف الدماء الذي يغطي وجه الارض . هنا يصبح العرس الحقيقي كل شيء ، ويتحول الانتماء الى توحد حلولي بأرض الوطن . ولحظة الطلق هي النقطة الفاصلة بين حالتين : اليأس والتحفز . وبين هاتين الحالتين ، تشحذ الكتابة اللحظة ، تسنن المواقف ولا تستسلم، تسأل نفسها عن الحلم ، لذلك تأتي نبرتها الفاجعة لتنتقل توتر العلاقة « ليس له وطن خارج هذا الوطن . ولكن ليس له وطن داخل هذا الوطن » .

فلسطين المستقبل ، التي تتحول الى رؤيا كاملة. انها رمز تتجمع داخله كل التناقضات . « على هذا المفترق ، يمثر كل عربي على فلسطينه الخاصة . ويدرك ان فلسطين ليست نقطة على خارطة . انها رؤيا كل عربي ، وصليب كل عربي . وانها امتحان ومستقبل » .

الحلم الذي يوحد فلسطين بالغربة ، ويقيم مقاييس جديدة ، تتجاوز اللحظة الراهنة ، لتستكشف مستقبلها . لذلك يصبح الانتماء الى الحلم ، انتماء الى المستقبل . ولا يتساقط الحلم ، بل يسقط الذين يعبثون به . « ولا نفك الارتباط مع الحلم » .

محمود درويش : **وداعا ايتها الحرب وداعا ايها السلام .**

مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية . الطبعة الاولى — ايار — ١٩٧٤ .

تضيء هذه المفاصل الكتاب النثري الجديد الذي حاول فيه درويش التقاط الدائرة الكاملة التي رسمتها الحرب في الوجدان العربي ، منطلقا من الحب لينتهي فيه ، حاضنا اللحظة الساخنة ، دون الغرق فيها ، فالشعر ليس انخطافا انه رؤيا . والكتابة تأتي لتعيد صياغة الحدث ، ضمن مواقع التحول والتغير . هكذا تتمايز التجربة الفنية عند محمود درويش في قدرتها على استيعاب الحلم داخل التحولات الواقعية ، دون التخلي عن الحلم او الغرق في التفاصيل المباشرة للممارسة .

الصوت الواحد

في القسم الاول من الكتاب — حصان بحب غزالة — يضع محمود درويش القاعدة التي ينطلق منها . واذا كانت « وطن بقلم رصاصة » تحاول ملامسة البناء القصصي المركب من الخارج . فانها تصب في اخر المطاف ، داخل الصوت الواحد المتلىء صراخا وجروحا . الاقتراب من الاصوات المتعددة ليس سوى الاطار الذي سوف ترتفع داخله التأملات المتوترة . هنا حيث فلسطين تعني الشروع في الغربة والموت . وحين تبدأ المسيرة يتحدد شكل الوطن «وكان الوطن كقدم طفل ، محبوسا في حذاء حديدي . وكان سرحان لا يعرف اكثر من ذلك . هذا يكفي — كان يقول . لان الاعتراف بما هو ابعد يفيد المحققين ويوسع العبارة » . هنا تبدأ رحلة خروج الوطن من الزنزانة . وكتمهيد لهذه الرحلة، يقيم درويش خطا من التوازنات التي تمسك بهذه اللحظة في نقطة ارتكازها . فتصبح اللغة الشعرية هادئة ، ويتمدد المنطق الداخلي للتركيب المعقلن . لذلك يأتي التقطيع الشعري داخل رؤية متكاملة تمهد للشعر دون ان تصبح شعرا :

الصوت الفلسطيني

في الذكرى السنوية الثانية لاستشهاد كنفاني ، وبعد مرور اكثر من سنة على استشهاد كمال ناصر ، منح اتحاد الصحفيين العالمي جائزته التقديرية الى كنفاني . كما منح اتحاد كتاب آسيا وافريقيا احدى جوائز اللوتس مناصفة بين كنفاني وناصر .

في هذه الذكرى ، نقف لنتذكر تجربة المجد الدموي ، الذي يكلل اقلامنا . حافة الموت هي الحياة التي تعطي للاعشاب النامية وسط الحصار ، نقاءها وخضرتها .

يأتي الصوت الفلسطيني ، داخل أدبنا العربي ، مليئا بالتوتر وبعد الممارسة . انه ينطلق من ذروة الفجيعة ، داخل العرس الدموي ، ليعطي للكتابة بعدا يتجاوز الالتزام بمعناه التقليدي الى أفق هذا الالتزام . أي الى مشارف جديدة ، تضيء تجربة الطليعة الثقافية ، التي تبحث عن علاقاتها داخل الفعل التاريخي .

هكذا يتميز الصوت الفلسطيني دون ان ينعزل . يعرف حدوده بوصفه جزءا داخل انتاج ثقافي ، لم يكن يوما ، في قلقه الداخلي ، سوى فلسطيني الفجيعة ــ اذا كان للفجيعة صفة ــ ويتوحد الصوت الفلسطيني داخل التوتر العربي الذي يبحث بالكلمات والممارسة النضالية عن طريق الدماء .

هنا ، يصبح لانتاجنا الثقافي تاريخ حقيقي ، تتحدد ضرورة الدراسة العلمية ، لمرحلة أدبية مليئة بالالام والحلم . لا يكفي الوقوف أمام ثقافتنا اعجابا او انتقادا او ملاحظات . ان مهمتنا هي محاولة استخلاص الدروس ، حتى نتجاوز المنزلق الذي يقودنا اليه وضع انحطاطي يحاصرنا . فالثقافة الثورية ، لا تتجاوز السائد ، الا ضده . ولا تصل الى هذا الضد خارج دروس تجربتها نفسها . هكذا يتحدد دورنا في مزيد من الايغال في التجربة ، مزيد من البحث عن صوت الكتابة التي تتجاوز . وهذا لن يستكمل خارج تاريخنا ، رغم ثغراته . فدراسة تاريخ البحث عن طليعية الممارسة الثقافية ، هو شرط استمرار البحث نفسه .

« حصان يحب غزالة

لا بد من ريح

ولا بد من حارس

للحيلولة دون الزفاف » .

بعد هذا تتفلت اللغة الشعرية . « محاولة رثاء بركان » هي افضل نثر يغتصب الشعر ، ويعيد للنثر الشعري بكارته التأسيسية . نحن أمام الانفعال الصافي الذي يخرج متمردا على جميع القواعد المسبقة . لكنه يقيم ايقاعه الداخلي الامتدادي ، حيث يسمح للتوتر بمدى اوسع من القدرة على التعبير . « ومن انت يا غسان كنفاني حملناك في كيس ، ووضعناك في جنازة بمصاحبة الاناشيد الرديئة ، تماما كما حملنا الوطن في كيس ووضعناه في جنازة لم تنته حتى الان ، وبمصاحبة الاناشيد الرديئة » . هذا الامتداد هو الذي يسمح للنبرة التأملية بالتكثف شعرا ، دون ان يستطيع حجب البناء النثري للقطعة الادبية . من هنا يقترب صوت درويش من ذلك النثر الذي كان في اساس الحركة الشعرية الجديدة : نثر جبران وفؤاد سليمان . لكنه لا يدعي في نثره اية حصانة شعرية . التركيب الداخلي للنثر هو الذي يكشف ابعاد الشعر . فتتدرج اللحظة الانفعالية من التأمل ، « اكتملت رؤياك ، ولن يكتمل جسدك » الى الحزن السكوني الشفاف ، « ولكني استأذنك الان في البكاء قليلا » . وبين هذين الحدين نكتشف التحريض من داخل الموقف ، لذلك يستبدل النص التشكيلية بالصور الشعرية المفاجئة ، « يئس الموت منك وانتحر » او « طوبى للجسد الذي يتناثر مدنا » . تتركب الصورة الشعرية من داخل الفعل وليس من الاستعارة العارية . انتحر ويتناثر هي الافعال التي تفجر الصورة . من هنا يستوي الشعر داخل المخاطبة النثرية . يدخل اليها دون ان يشل بنيتها الخاصة . فنحن امام شكل واضح من الكتابة . من هنا يأخذ النثر الشعري الانفعالي خصوصيته دون ان يختلط بالشعر عشوائيا . لكنه يبقى على اطراف لغة القصيدة امتداد حوار لا ينقطع ، حتى تتوصل الكتابة الى الغاء المسافات بين الاشكال ، ليتأسس الشكل الابداعي انطلاقا من الحالة نفسها . وعندما يتابع درويش مراثيه ليصل الى كمال ناصر ،

فانه يتعامل مع الموت بحنان بالغ . يكتب مرثية القصيدة التي سكنت رجلا ، لذلك يغلب الطابع التأملي على النص باسره . وينساب التوتر داخل هدوء الموت « ذهب الموت الى البحر ، وظل البحر ازرق . بلغ الموت سن الرشد في كمال ، فحمله وطار . وكان الرخام والمطر يتهمران بلا سبب . صار الموت هو الذي يلعب وبقي كمال ناصر فينا ، كما هو » .

عندما احب الحصان الغزالة ، ولد التحدي . لذلك جاءت نصوص القسم الاول من الكتاب ، بشارة للحرب ، من خلال الدم الذي لم يتوقف والالام العظيمة داخل العرس الفلسطيني ، الذي يحمل داخله مفتاح تناقضات الزمن العربي بأسره. ومن داخل لغة النثر الصافية كان الشعر يتوالد انفجارات تحمل خطابية انفعالية ، قادرة على نقل اللحظة من التأمل الى الفعل ، دون السقوط في شرك اللغة الجاهزة . فدرويش يعيد اكتشاف اللغة فيما يبحث عن فلسطين داخل الفجيعة . هكذا تبقى هذه التأملات جراحا داخل الجرح ، لانها تتواصل مع الحلم الذي يتجسد داخل الممارسة النضالية .

اللحظة الساخنة

القسم الثاني من الكتاب — صباح الخير ايها الفرح — هو مجموعة من الملاحظات والتأملات التي كتبت ايام حرب تشرين . لذلك تحمل قلق اللحظة وتوترها ، واهالها . لكنها لا تتوقف فقط عند ظواهر المعركة ، بل تنقل المشاعر الدفينة التي تغلغلت في المسام منذ بداية عصر الهزائم المتتالية والاحلام الكبيرة . فهي تخاطب العالم بلهجة تقترب من «ميونيخ» لكنها تأتي هذه المرة خالية من الحقد المدمر . تحمل الثقة بالنفس الى جانب الحلم الكبير . وعندما نصل الى عقدة اليوم السابع في الحرب ، ترتفع الابتسامة الواثقة الممزوجة بالدماء « نحن الان في اليوم السابع ، لا نرتاح من العمل ، ولكننا نرتاح من الهزيمة . اليوم عطلة الهزيمة » . داخل لحظات النثر هذه هنالك مكان واسع للشعر . فتأتي « بطاقة الى دمشق » لتحمل جميع خصائص بنية القصيدة . التداعي الذي يستجمع اللحظة الشعرية :

« ساعي البريد ينتظر
والفراشة تحارب
ولا تنتهي رسالتي اليك يا دمشق »

ثم تتداخل الكلمات في الشكل الشعري ، التشبيه الذي يتمركز على الفعل « كأن الاغاني أصيبت بحنجرة لا تغني » والصورة التي تنتقل من الوصف الخارجي لتضمنه توترا حادا ، يأتي من المسافة الظاهرة بين الصورة والانفعال . لذلك يتوتر النص في هدوئه الموضوعي ، ويأتي الشكل اللولبي ليدور المسافة بين بداية النص ونهايته . ثم ننتقل الى نصوص تحليلية . لكن التحليل هنا لا يهمه سوى استجماع مفاصل التجربة الصهيونية ليقوم بادانتها من داخل . ولعل محمود درويش هو اهم من كشف تناقضات « المجتمع الاسرائيلي » الجذرية . فهو لا يتوقف عند التحليل السوسيولوجي ، لكنه يتوقف اساسا عند الحلم الصهيوني وخيبة تحقيقه . يتعامل مع هذا الحلم من الخارج والداخل . فهو في الخارج ، داخل المعسكر الذي يحمل التناقض المركزي مع اسرائيل، وهو في الداخل يبحث عن التناقضات الداخلية في الفكرة الصهيونية وفي الممارسة السياسية والعسكرية الاسرائيلية . والتفاؤل التاريخي الذي تحمله هذه النصوص ليس تفاؤلا فنيا . انه تفاؤل سياسي — تاريخي ، اي واقعي مئة بالمئة . فحين تكون « هزيمة العدو في ذروة انتصاره » . فان التفاؤل التاريخي البعيد كل البعد عن الخطابية الجوفاء ، يؤشر الى حقيقة الوعي الثوري الذي حمله عرب الارض المحتلة عام ٤٨ . فتفاؤلهم التاريخي الذي انتج شعرا استطاعت الايديولوجيا العربية السائدة استيعابه (لاسباب تكوينية تتعلق بولادة الشعر في الارض المحتلة والطموح الايديولوجي الذي عبر عنه — المسألة القومية — هنا صب في الايديولوجيا العربية التي كانت تمر بمرحلة تطور متقدمة تختلف فيها الدلالات عن الدلالات في الارض المحتلة . لذلك استطاعت استيعابه شكلا ومضمونا دون ان تستطيع منع بذوره المستقبلية من التطور) . اثبت اصالتهم — ليست فقط زمن المعارك في تشرين . بل في مرحلة « الانتظار العائد » كذلك .

تستطيع الكتابة الساخنة ملامسة الجراح . لكنها تتوقف عند حدود هذه الملامسة . ورغم ان درويش يبتعد عن المباشرة ، وهن الكتابة الصحفية

البسيطة ، فان هذا الجزء من الكتاب ما عدا « بطاقة الى دمشق » ، يشير الى تفاوت بنيوي . اذ ان درويش يطور في القسم الاول مباشرته الشعرية . ويمزج في القسم الثالث الشعر بالبنية القصصية ، فانه هنا يتوقف عند حدود المقال ، الذي حين تتفجر لغته يعود سريعا الى الشعر . او يبقى شهادة حية ، على لحظات المغامرة الحقيقية التي اشر اليها المقاتل العربي في تشرين.

البناء المركب

عندما نصل الى القسم الثالث من الكتاب — ماذا فعلت بالخريف .. يا سرحان ! — نكتشف اسلوبية جديدة ، استطاعت ان تتطور من بذور الحوار والسرد في كتابه النثري السابق « يوميات الحزن العادي » . هنا نصل الى بنية شعرية تمزج ثلاثة عوامل : — السرد التأملي ، الرمز والحوار التجريدي تصب في بنية فنية تقترب من القصة القصيرة ، من خارج تاريخ القصة العربية القصيرة . أي اننا لسنا امام قصة سردية او قصة واقعية او قصة الدهشة ... نحن امام مزاوجة جديدة ، تجعل من هذا البناء خارج نماذج القصة العربية . وهو من جهة ثانية عصي على التصنيف كقصة قصيرة . لان الحوار التجريدي حين يمتزج بالرمز وبالسرد متمركزا حول نقطة واحدة ، يفقد القصة امتدادها المبدئي ويحيلها الى بناء لا يتسع سوى للشعر . هنا يصل درويش الى ذروة تطور اسلوبه النثري ، حيث يأخذ هذا الاسلوب شكلا واضحا ومحدد الملامح . يسمح هذا الشكل للخيبة بالتبلور ، انطلاقا من ضرورة تجاوزها . لذلك يأتي الحوار ، ويأتي النداء ، امتحانا لصنع الاجوبة من داخل الحالة نفسها .

الانتظار ومسافة الفرح

داخل هذا البناء يقع الانتظار الجديد في نهاية مسافة الفرح . « وفي كل حرب كان سرحان يجهض يكتب رسائل ويعلقها بمسامير الهواء على جدران الزنزانة . كانت رسائله تصل اليه ، فيتعلم المشي من جديد ، ويعود الى رحم الولادة من جديد » . هنا تأتي البنية الشعرية التي تقع على حافة القصة لتقوم عبر اشكاليتها نفسها ببلورة اللحظة داخل الحافة الخطرة . يأتي السرد التأملي ، ليبدأ اللحظة من موقع تزاوج الواقع والحلم الاسطوري، « بين يوم الغفران وليلة القدر ، تحول جسم سرحان الى جزيرة » . او يتحول السرد الى واقعية تتضمن تجاوز الواقع من داخله ، « لانه أحس ان الريح المجاورة لنافذة الزنزانة تعامل السقف بطريقة مختلفة » . ثم يأتي الحوار . والحوار ليس حوارا عاديا ، انه استنطاق ، يذكر باستنطاق السجناء ، لكنه هنا يصبح استنطاقا من الداخل . مسرورة لولبية للفكرة التي تتطور من داخلها . من هنا يأتي الحوار استكمالا للسرد من مواقع جديدة ، ويقوم بشحن النص بتوتر التحولات الداخلية على اعتاب الانتظار العربي . غير ان هذا الاستنطاق التتابعي يتوقف في بعض اللحظات التجريدية ليقيم لحظة ابتعاد عن الحركة ، او ليسمح للنفس الشعري باستعادة زمام المحاولة بأسرها . « هذه تربة المتاهة لا انعتاق الافق » . هذه التقريرية التي تلجأ الى الصور لتعطي مدا تجعل الحركة الداخلية في لحظة ابتعاد عن مجرى الفعل ، وتسمح للتأمل بأن يأخذ مداه . لكن التجريد حين يصل الى حوار الصوتين الاستنطاقي « حوار بين مسافرين لقتل السأم المشترك » ، فانه يتحول الى شكل فكري، يسمح للتعبير بالتحايل على الشكل الجاهز ، حتى نصل الى لحظة كشف للواقع بشكل كامل .

يلعب الرمز دورا خاصا في بلورة الشكل الفني . فسرحان ليس الشاعر فقط . انه محاولة لخلق شخصية جماعية ، من هنا تعدد النوازع في داخلها. فهي حين تحاول ان تتطابق مع الشاعر ، تسمح لنفسها بالابتعاد عن التجريد الفكري ، لتصل مباشرة الى الصورة الشعرية. « واذا كان شريدا، بحرية ، يطلب من القصيدة ان تحول حديثه الى حذاء للوصول الى الوطن » . أما حين يصبح سرحان التعبير الجماعي عن التجربة الثورية ، فان النص يضم التوتر الشعري الى الحوار المتوتر، فتأخذ الشخصية ابعادها المختلفة . غير ان الرمز ليس في شخصية سرحان المستقلة . انه في علاقات سرحان ، في ذلك المزج بين الرمز والبناء الاسطوري حتى تصبح لمداليل اللغة أبعاد التجاوز . السجان، الزنزانة ، الشجرة ، الغابة ... رموز تتشابك داخل بنية واحدة لتعطي النص ابتعادا عن المباشرة دون القطيعة معها . أي ان المباشرة التي نتعرف اليها في الجزء الاول من الكتاب تبقى هنا بعد تطعيمها بشبكة من العناصر المتداخلة . هكذا

يدخل الرمز ضمن معادلة البناء المثلثة الابعاد التي استطاع بها درويش تجاوز تأملاته الشعرية السابقة « ... لاني أضعت الحرب ، السلام لا يولد الا من نهاية الحرب . ولا يسكن الحالة الواقفة بين حربين ، رجل اضاع سلاما ، ماذا يفعل ؟ والحرب هاجرت . او وضعت في زنزانة يحرسها الخصمان ، يحرسها الخصمان ... ماذا نفعل ؟ » .

في المسيرة الطويلة من الانتظار الى الفرح ، يكتشف سرحان ان الانتظار ينتظره مرة ثانية في نهاية الرحلة . لذلك يرتفع الصراخ الخافت والتمزق الطويل النفس . ولذلك ايضا يتوتر الشكل ، حتى نكتشف تداعيه الى حوار فقط او الى محاولة جديدة للاقتراب مرة ثانية من التحليل ، او التعليق على الافكار الشائعة . هنا يلجأ درويش الى اللغة المباشرة نسبيا ليؤكد القناعات المبدئية التي من دونها لا معنى للكتابة . « الذهاب الى فلسطين ثورة وحلم امة . والهروب الى فلسطين تجريد وذريعة . فلسطين ليست جغرافيا فحسب ، انها عافية تاريخ ، وحيوية ثورة ، ومحالفة مستقبل . والهروب الى فلسطين استعادة ذكريات وبكائيات عاطلة عن الفعل » .

شكوى الشهيد الفصيح

حين تستكمل الدائرة جميع عناصرها ، يقف الشهيد وحيدا ليشكو ويشهد . من دون هذه الشهادة لا تتوحد العناصر . هنا تأتي الصرخة النهائية لتؤكد شدة الارتباط بالحلم وعمق هذا الارتباط . والحلم لا يأتي عاريا ، يجيء مجبولا بعرق الفقراء الذين يتوج دمهم هامة الوطن «شعرنا بثلج الخجل يا سيدي الوطن ، ورضينا ان لا يكون لنا من نصيب فيك الا بيوت من طين ، وموت جميل لا يأتي ، ومجاعة دائمة » . هكذا تأتي الشكوى مجبولة بالحب . وتستطيع اللحظة التسجيلية الاقتراب من شروط العلاقة الانسانية ، لتقيم داخل هذه الشروط اصواتا تحمل هموم المستقبل من داخل مشكلات الحاضر .

الدائرة الكاملة التي يقيمها درويش ، تعطي لكتابه « وداعا ايتها الحرب وداعا ايها السلام ». معنى **الشهادة** ، لانه يأتي من داخل الممارسة النضالية في مرحلة محددة ، ليشهد على ولادة الاحلام وهي تمتزج بالدماء . ومعنى **المستقبل** الذي تشير اليه الكتابة من موقع الارتباط بالمكان ، عبر اكتشاف العلاقة الجديدة بين الزمان والمكان . حين يقتل المكان الزمن الصهيوني ، بينما يقوم المكان نفسه باحياء الزمن العربي .

حول مسألة الشكل

لعل محمود درويش ، احد اكثر الشعراء والكتاب العرب ، ابتعادا عن مسألة الشكل . يأتيه الشكل عفوا او لنقل دون عناء شكلي خاص. هذا هو سبب ضآلة المسافة بين شكله ومضمونه . المسافة تبقى ، فهي ليست مسألة شاعر دون آخر انها مسألة اكثر عمومية وتعقيدا . لكنها هنا تضيق ، لان الرؤيا لا تزال قادرة على ان تتشكل داخل اصالة الصوت الشعري . واذا كان درويش بدأ في شعره الاخير اعارة مسألة الشكل اهتماما خاصا ، فانه هنا ، لا يزال داخل الشكل وخارجه في آن . من هنا تصبح قراءة نثره هذا عملية تسمح بالكشف عن مكونات التجربة عارية . وتصبح الكتابة نمط حياة ، تتقدم في البحث عن خصوصيتها داخل النهر وليس خارجه . تأتي تجربة الشكل هنا في عدم اكتمالها بالفة الخصوصية . انها حصيلة لحظة الفعالية استطاعت ان تمتد تحت لهب الصراع ، لتعطي النثر الشعري قدرة على التشكل ضمن خصوصية ، لا تسلب البنية الشعرية خصائصها ، بل تمدها بقدرة جديدة على الكشف والرؤيا .

هل يستكمل النثر تجربته ، ويقوم بالبحث عن شكله الخاص ، ضمن منطق البحث — التجاوز . أم لا نزال عند شاطىء الحلم ، والحلم يمتد كتاب يحمل الاحتمالات جميعها دفعة واحدة ؟ —

ليس الجواب غريبا . انه التجربة الفلسطينية الثورية ، التي تحفر في الحساسية العربية ، امتدادا جديدا ، ولا نزال أمام بداية التحولات .

الجديد في شعرنا الجديد

يأتي صوت فاضل العزاوي ، في قرادته ونبرته المأساوية ، دليلا على ان زمن الولادات الشعرية، يجدد نفسه . ويفتح منافذ جديدة تستطيع من خلال اتكالها على انجازات الحركة الشعرية الحديثة ، وضع هذه الانجازات في خدمة رؤيوية شعرية متجددة . فالعزاوي يحمل في شعره امكانيـــة التجاوز ، وان جاءت مجموعته الشعرية الاولى « سلاما ايتها الموجة سلاما ايها البحر » خاليـة من أفضل قصائده الاخيرة ومصرة على مزج الابداع بتاريخ هذا الابداع !!

يؤسس القسم الاول من المجموعة « الجزيرة العربية » الرؤيا الشعرية على قاعدة الهزيمة . فتؤخذ الهزيمة هنا بوصفها مأساة تاريخية ، تمتزج في داخلها الاصوات ، حتى يصبح صوت الشاعر لحظة تستوعب آلاف الاصداء الخارجة من افواه الجنود والفقراء والصعاليك ، لتعيد صياغتها داخل بناء شعري درامي يشحن اللحظة بفجائية الزمن المتعدد . داخل هذا التعدد تبني القصيدة خطتها ، تبدأ بالخارج الذي من شدة تفجره وغرابته يصبح حلقة في عالم داخلي بالغ الغنى ، لتتوقف عند الذات ، متجاوزة اياها داخل لحظة التوحـد المتعددة الاصوات ، حيث يعلو صوت الـــزمن المأساوي ليغطي العالم :

« ليعم العالم حبي

ليكن وطني نهرا يعبر أسوار المدن المبنية في الرمل

ليكن سيفا في عنقي في اطرافي انا الواقف بين الموجـة

والموجة ، بين القاتل والقتل . دخان الثورة في أكمامي » .

المرجع الثابت والاطار المرجعي

استطاع العزاوي في قصائده الاخيرة ، ان يشحن كلمة واحدة بالدلالات ، حتى أصبحت مرجعا ثابتا لفهم أبعاد القصيدة ، بوصفها تلخيصا مكثفا لمأساة جماعية . فهو حين يضع المفرد بلهجـة المخاطبة المباشرة وغير المباشرة ، فانه يذيبه بجماعية مستقرة خلف كلمة « جيلي » التي تلخص تجربة واقعية بنبرة مأساوية جديدة . هنا يصبح «الجيل» رمزا ثابتا يحدد تداعيات القصيدة ، فيما يتحدد داخل مناطق البنية اللغوية التي تحاول استخدام **النداءات** المتكررة . أي ان صيغة النداء التي تأتي في نهاية الجملة الشعرية مولدة الجملة التي تليها، تسمح للقصيدة بالتقدم الدائري علـى قاعـدة الاستمرار . فالنقطة المرجعية الواحدة ، تتوالد الى ما لا نهاية ، ويصبح الشعر لحظة تمتد وتلف الزمن . فالقصيدة هي مقياس العمل الشعري ، والوصول اليها ، هو هدف هذه الحظة التي تتوالى وتـدور محاور الصورة الغريبة .

« أنا ف. العزاوي جندي

او

مجنون يبحث عن قارات بيضاء » .

اذا كان المرجع الثابت يؤكد قدرة القصيدة على بناء نفسها ، فان دراسة الاطار المرجعي تسمح لنا باكتشاف مناطق تركيز القصيدة ، ضمن تاريخ الشعر الجديد . **فالغنائية التأملية** ، تأتي هنـا لتعيد شحن اللغة الشعرية بالبعد الواقعي مـن جهة ، فيما هي تدنيها من اللحظة الرومانسية التي تتوقف عند التفجع لتقوم بتجاوزه . أي ان اللحظة الغنائية هنا ، لا تؤخذ وحدها ، انها جزء عضوي يقوم بكبح التوتر لمصلحة الراحة التي تقوم في الذاكرة الشعرية . هذه الراحة تضرب التوتر المتصاعد في القصيدة ، وتسمح للغة الايقاع القديمة بالتسلل اليها .

« وطني من حرب الايام الستة لم يرجع

عادت اوطان الناس ولكن حبيبي لم يرجع »

تأتي هذه الغنائية ، داخل بحر **الصور الغريبة**، الغرابة التي يبحث عنها العزاوي داخل الرؤيا الادونيسية ، تجعل للحلم مدى واقعيا . فالحلم

---

* فاضل العزاوي : **سلاما ايتها الموجة ، سلاما ايها البحر .**
دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٤ .

هو الواقع الداخلي الذي يتحدد من خارجه ويحدد هذا الخارج . العالم الموضوعي ليس لحظة ثابتة. انه عالم الحركة والتحول . من هنا تأتي الغرابة لتبني ارض القصيدة ، انها نقطة الاساس التي تسمح « للجندي العائد من حزيران » بأن يهتف للموجة والبحر ، ويحمل تاريخه وصولا الى «جيش الفقراء» :

« في هذا البحر الواقف بين الساحل والانسان

قلت اتركني يا وطني » .

غير ان منزلق الغرابة الاساسي ، هو الوقوع في **المجانية** المفتعلة . فالغرابة التي تصنع عالم الحلم ، تصبح في بعض اللحظات مجرد لعبة مجانية تبحث عن الغرابة لذاتها . أي عن الغرابة خارج الحلم ، الغرابة المفتعلة . هنا يدخل الشعر داخل لعبة ليست من طبيعته . « هل أحلق لحية افعالي » . هذه ليست كتابة اوتوماتيكية — عدا عن ان زمن الكتابة الاوتوماتيكية انتهى — انها لعبة واعية تسقط على اطراف العمل الابداعي . من هنا خطورتها على القصيدة نفسها ، لانها تأتي لتقيم حلما قصريا ، فينعكس هذا الحلم على بنية القصيدة نفسها ويفقدها أعظم ما فيها .

تسمح لنا لغة العزاوي ، باكتشاف الجديد الذي ينبع من المعاناة التاريخية . لحظة الهزيمة الحزيرانية ، تصبح مكانا لمحاكمة الواقع العربي تاريخيا . فلا مكان لرومانسية بكائية . والامل لا يأتي مجانا . انه في نقطة البداية ، حين يبدأ جيش الفقراء توحيد الحلم بالواقع . هنا الشعر الذي يلتقط الفجيعة داخل هذه المسيرة الطويلة ، ويؤسس رؤيا المستقبل من داخل هاتين النقطتين ، حيث سالت وتسيل دماء آلاف المناضلين من أجل الوصول الى نقطة الوحدة هذه .

صوت الفجيعة

ماذا يريد الشعر ؟ حين تعلو الفجيعة وتمتزج بالبحر . يصبح الشعر موجة . يلتقط العزاوي هذه الموجة ويعيد صياغتها . هنا تصبح الفجيعة احساسا تاريخيا حادا . تتلون بتداعيات اللغة ، وتترك المكان فسيحا للحلم . فيبني الشعر اسطورته الخاصة انطلاقا من رموزه الخاصة . هكذا تتوحد اللحظة بمستقبلها ، وتصبح الغنائية المأساوية ، صدى جماعيا . غير ان لغة التكثيف الشعرية تحمل مخاطرة اهمال المكونات الاساسية . فالانا الفردية والجماعية ليست مجرد لحظة. انها تاريخ وممارسة فحين تأتي الفجيعة عارية فانها تلتقط التوتر وتفجره ، لكنها لاتعايشه زمنا كافيا داخل الحلم . هكذا تنفجر لغة العزاوي الشعرية دون ان تبني اللحظة المتكاملة . تستجمع اللحظة ، ولا تتوقف عند عالم الدلالات . هكذا تختلط الدلالات في اللحظة الشعرية ، وتصبح عملية اكتشاف عناصرها بالغة الصعوبة . فعالم الدلالات حين لا يقيم رابطة التطور في الفرق بين لحظة واخرى ، فانه لا يترك للايصال مجالا سوى الحلم ، وهو دائرة ايصال شديدة الصعوبة .

حين يتوقف الشعر عند الفجيعة ، فانه يقدم بداية للتجاوز . وأهمية العزاوي الاساسية ، هي في كونه قادرا على التأشير لهذا التجاوز عبر لغته الشعرية الخاصة ، وقدرته على تلمس الالم من داخل الالم نفسه .

تاريخ الابداع

في الاقسام الاخرى من المجموعة الشعرية «كتاب الرؤيا» ، « الرحلة الصعبة » ، « مدارات » ، « عشاق من ازمنة اخرى » و « طيور في معطف الليل » ، نكتشف التاريخ الشعري للعزاوي . نتوقف عند البدايات الاولى التي تقف بشكل كامل تحت مظلة الشعر الجديد . هنا ، تصبح القصائد في اغلبيتها الساحقة مجرد محاولات ، تسمح للغة الشعرية بالتبلور . نكتشف داخل هذه المحاولات هاجس التجديد الذي يصل الى المجانية في بعض الاحيان او الى محاولات هامة . ففي « القصيدة التي تأكل نفسها » نكتشف الجملة الشعرية التي تتآكل مخلفة وراءها شكلا جديدا ومحاولة استخدام علاقة اللغة بالشكل دون الوقوع في التنميط الشكلي المبتذل . فالشعر ليس فقط شكلا داخليا ، انه شكل خارجي ايضا . وعدا ذلك ، نكتشف كيف تتكون اللغة الشعرية الخاصة وصعوبات هذا التكون . حيث يطغي البحث الجدي على بقية العناصر . بين الاهمية التاريخية — الذاتية لاغلب هذه النصوص وبين نشرها مسافة لست ادري كيف قدر العزاوي قطعها ، دون ان يتنبه لمزالق النشر الان ، بعد ان تبلور صوته الشعري ؟

يتشكل الشعر العربي الجديد بأسره تحت

السقف الفلسطيني . فالهزيمة أصبحت أحد المحاور الاساسية للايديولوجيا العربية . واصبح للصدام التاريخي طعم البحث عن الجديد ، في سبيل التعبير عن التجربة الجماعية . فبدأت الفواصل تنعدم ، واصبح عالم الدلالات الجديدة ، هو النقطة التي يتوقف عندها الابداع الفني ، ليعيد اكتشاف نفسه. أهمية تجربة العزاوي الشعرية ، في كونها تقع هنا . عند هذه النقطة المحددة ، وتشارك في البحث عن دلالات جديدة .

بين الرواية ونقيضها

حين يطرح العمل الروائي على نفسه مهمة تسجيل لحظة سياسية ساخنة ، فانه يضع نفسه ، داخل ميدان لا تستقيم علاقة عناصره ببعضها الا من خلال تتابعية نمطية تسلب الشخصية الروائية قدرتها على الاقناع . او يتم ذلك عبر انفجار الشكل الروائي بشكل جزئي او كامل، هذا الانفجار الذي يحول دون الوصول الى التسجيل المراد ، بل يقوم بتجاوزه عبر مزاوجة البنية الروائية ببنية القصيدة . فيأتي المدى الشعري استيعابا للتسجيل داخل مشروع رؤيا متكاملة . بين هذين الحدين ، تقع الرواية العربية في انعطافاتها غير المفاجئة ، حيث يختلط الشعر بالنثر ، بل تعلو النبرة الشعرية لتقوم بمحاولة أولية لاعادة انتاج الرواية بشكل جديد . بينما يتابع النثر المحفوظي سيره في منخفض متعرج حيث يفقد تدريجيا عناصر لحمته الاجتماعية فيتعلق بالشكل القديم خلف مهارة كبيرة في بناء اللوحات المتقاطعة التي تحل مكان المدى الاجتماعي السابق . ويدخل النثر كاملا ، ليعطل كل امكانية امتداد خارج تزاوجية مفتعلة بين الرمز والتسجيل الصحفي .

من المرايا الى الكرنك

حاول محفوظ في قصصه القصيرة ، التقاط لحظة الهزيمة في لا معقوليتها المأساوية . فنراه يحاول بناء لوحته القصصية ضمن خطين مستقلين .

الخط الاول تمثله قصة « تحت المظلة » بشكل صارخ . هنا يتم لقاء عناصر القصة ضمن **صدفة موضوعية** ، اي ان الشكل شبه السريالي الذي تسير فيه القصة هو التعبير المباشر عن حالة عدم القدرة على التحليل . **فهو يأتي بشكل صدفة** موضوعية تتوحد من خارجها . لذلك يأتي الشرطي من خارج لعبة الشارع ليقوم بقتل الشهود . دون ان توضح علاقات القصة ، دور عناصرها المكونة. لذلك يتراجع الوعي امام انفعالية لا واعية ، هي الصيغة المقلوبة للواقعية . اي ان محفوظ لا يتخلى عن واقعيته ، بل يؤكدها عبر اللجوء الى تفتيتها في لحظة انفعالية ، تجمد الانفعال داخل نبرة موضوعية .

الخط الثاني يكمن في اللجوء الى القصص الحوارية ، حيث يحتل السرد حيزا ضيقا يضيء بعض النقاط الغامضة . ويأتي الحوار ، ليفتت اللحظة الاجتماعية الى عناصر صغيرة . فالحوار الذي يشكل العمود الفقري للعديد من قصص محفوظ القصيرة ، هو هروب الى الامام . محاولة للتحايل على العلاقات الاجتماعية عبر الاحتماء خلف شكل ممسرح . لذلك فسرت بعض قصصه القصيرة بأنها مسرحيات او ما يشبه ذلك . والواقع انها تبتعد عن المسرح بقدر ابتعادها عن الحركة . انها مجال لحوار استيطاني يتحايل على الضياع بمحاولة تفسيره بشكل جزئي .

لقد حافظ هذان الخطان على توازيهما في جميع مجموعات محفوظ القصصية . ورغم ان « الجريمة » تحمل محاولة للانتقال الى الواقعية الاجتماعية ، فانها بقيت تحمل هذين الخطين في محاولة لتوحيدهما داخل احتجاجية لا تلامس سوى الظواهر ، مغفلة تحليل الجذور .

اذا كان الهاجس الاساسي للقصة القصيرة عند

نجيب محفوظ : **الكرنك** ، كتبة مصر ، ١٩٧٤ .

محفوظ هو محاولة التقاط الهزيمة في لوحات انفعالية معقلنة ، فانه حاول في عمله الروائي العودة الى توازنه الواقعي القديم . لذلك كان لا بد من « المرايا » كمحطة انتقالية تسمح بالوصول الى محاكمة الهزيمة داخل الآلية الاجتماعية . حملت « المرايا » في شخصياتها الكثيرة العدد ، هم التقاط لحظات محددة في حياة مجموعة هائلة من البشر ، لكي تقدم لنا صورة شبه شاملة عن المجتمع المصري الحديث . لذلك جاءت الاقاصيص العديدة مجرد لوحات قصيرة لا تحمل توتر القصة القصيرة ، وهي في مجموعها لا تشكل عملا روائيا متكاملا . فقد اكتفت بالتسجيل الهادىء الذي يصل حد وعظية خجولة في بعض الاحيان ، وبنت حولها عملا وثائقيا فيه الكثير من قدرة محفوظ على شد القارىء واثارة اهتمامه ، لكنها بقيت مجرد استراحة تحمل الخلفيات الفكرية التي كونت جزءا كبيرا من حياتنا الثقافية . اما الوحدة التي تشد هذه اللوحات ، فهي شخصية المؤلف التي لا تظهر الا من خلال الآخرين . فهي لا تتطور الا سلبا ، وتلخص تطورها باختصار حيوات الآخرين ضمن لوحات شديدة التوتر الخارجي ، لكنها لا تحمل آلية تطور خاصة بها . ثم نشرت رواية « حب تحت المطر » التي حاولت العودة الى الشكل المحفوظي القديم . بناء كلاسيكي ، وحدة السياق الحدثي . نقاط تقاطع موضوعية تضم الشخصيات اليها . وموقف واضح يحاول المؤلف بلورته من خلال تبلور ابطاله . غير ان الشكل المحفوظي القديم يخون هذه المرة . فلعبة التقاطع الاجتماعية تتجمع حول القدر ، الذي يصبح المحور والموحد . ويتلاشى البناء الواقعي امام تواطؤ مكشوف بين القارىء والمؤلف . لذلك تأتي اللوحة التي رسمها محفوظ في « حب تحت المطر » خالية من التوتر التصاعدي الذي يميز عمله الروائي بشكل عام ، فانهار المضمون امام الشكل . اي ان الشكل المحفوظي القديم ، الهدوء النثري ، التتابعية السردية التي يقطعها الحوار الى لحظات بالغة الغنى . لكننا هنا لسنا سوى امام عجز الشكل عن شد لحمة حركته ، لذلك تلجأ الرواية الى العناصر الخارجية ، وتتوقف عندها طويلا . فيصبح القدر هو البطل الرئيسي ، ونتابع مشوائيته من خلال اكتشاف امكانيات جديدة .

ان هذا الخط البياني الذي حاولنا رسمه بسرعة ، يسمح لنا باكتشاف التركيب الداخلي للرواية الجديدة التي أصدرها محفوظ . (كتبت هذه الرواية عام ١٩٧١ ، ويبدو انه لم يسمح بنشرها سوى الآن) .

النقطة الايديولوجية والتمفصل الاجتماعي

تنطلق « الكرنك » من نقطة ايديولوجية محددة . انها صرخة ضد الظلم . ضد غياب الديمقراطية الحقيقية . تنطلق من **الهزيمة** ، لتعيد على أساسها تقييم جانب هام من التجربة السياسية في مصر . النقطة الايديولوجية مشروعة . لان اي عمل فني لا يستطيع الانطلاق من فراغ . لكن مشروعية هذا المنطلق الايديولوجي ، تخضع للتجربة داخل البناء الفني . أي أن قدرتها على التمفصل داخل اطار العلاقات التي يحددها البناء الفني ، هو محك قدرتها على الاقناع الابداعي . لذلك فان شكل تداخل المنطلق الايديولوجي مع الحركة الداخلية للعمل الابداعي (خاصة في الرواية الواقعية ، حيث تنطلق هذه الحركة من العلاقات الاجتماعية) هو الذي يحول العمل الابداعي من مجرد نقطة انطلاق ايديولوجية الى حقل صراع . وهنا تكمن احدى اهم خصائص الممارسة الابداعية . لذلك فاننا في قراءتنا لرواية محفوظ ، سنحاول دراسة العلاقة بين هذين العاملين .

أ ــ **الخط الواحد** : تسير رواية محفوظ ضمن خط واحد من العلاقات ، فتطور الحدث الروائي يخدم نقطة واحدة ، دون الالتفات الى مكوناتها غير الظاهرة . فنتعرف على **صدفتين** أساسيتين : ذهاب المؤلف الى الكرنك بطريق الصدفة . ومجيء خالد صفوان الى الكرنك حتى تكتمل دائرة الصدفة الاولى . وبين الصدفتين يتوقف الزمن ، ويسير الحدث الروائي في زمن موضوعي تماما . وببطء شديد . مجموعة من الشخصيات الواقعية تلتقي في مقهى قرنفلة . الشباب الذين يحلمون بالمستقبل والشيوخ الذين ينتظرون نهاية دورهم . وبين هاتين المجموعتين يقف المؤلف ليراقب بعقله . فهو مجرد بطل سلبي . بطولته تأتي من خلال علاقة المراقبة السلبية . وعبر العلاقة بين هاتين المجموعتين نكتشف عالم الارهاب والقمع البوليسي ، ونكتشف أيضا ان قرنفلة ليست مجرد بطل واقعي . بل تتحول الى رمز لمصر التي يتجدد شبابها مع كل جيل جديد . يضع محفوظ هذه الظاهرات جميعا

داخل خط مستقيم . فهناك بداية وهناك نهاية . وبين هذين الحدين تتطور الشخصيات للوصول الى نقطة اساسية : فالهزيمة كشفت تهافت البناء . والسكوت عن القمع كان أحد أسبابها الرئيسية . وتتحول هذه النقطة الى بشارة جديدة . فموت حلمي حماده ، وعلاقة اسماعيل الشيخ بالفدائيين، لا يحجبان الحقيقة الجديدة . التي تتجلى في منير أحمد ، رمز الجيل الجديد . انه عودة الى الوحدة القديمة ، التي تبحث عن الاصالة دون الوقوع في السلفية ، والتي لا تتحجر عند عقيدة جامدة !

ب ــ القمر الاجتماعي : في تطويره للخط الروائي الواحد ، لا يهمل محفوظ اضاءة بعض الجوانب الاجتماعية التي تشكل خلفية ابطاله . فالضحايا هم طلاب . اثنان منهم ابراهيم وزينب من بيئة شعبية . والثالث الشيوعي من بيئة برجوازية صغيرة . يواجهون قمعا غير متوقع . فالارهاب الذي يسقط عليهم فيقتل احدهم ويدمر زينب واسماعيل هو ارهاب غير متوقع وغير مبرر . غير أن عدم اهمال الخلفية الاجتماعية ، لا يؤدي دائما الى الوصول الى القدرة على تضمينها داخل البنية الروائية . فنحن أساسا امام لوحة مجتزأة . محفوظ يحدد بشكل صارم **مكان** حركة روايته . فنحن اما في المقهى او في زمن التذكر خارجه . اما **الزمن الموضوعي** البارد الذي يفرض صرامته على مجمل العمل الروائي فانه لا يفسح مجالا حتى لحظة الذكريات لاي تراجع عن وجهه الثابت . فلا مكان لتلك اللحظات التي تستطيع أن تلخص حركة اجتماعية متكاملة . لذلك تبقى أمام مجموعة من الاحتمالات التي لا تستجمع نفسها داخل الحركة . بل تتجمد لتقمع اي حقل صراعي حقيقي. مؤكدة ابعاد الحركة الاجتماعية عن مسار الرواية ، حتى لا يختل الخيط الايديولوجي الموحد حول نقطة ثابتة .

البنية التقاطعية : يمزج محفوظ في روايته الجديدة ، بين التقطيع المتحرك الذي عرفناه في «ميرامار» والتقطيع التسجيلي الذي يميز «المرايا» . والواقع ان خفوت الحركة الاجتماعية في الرواية ، يجعلنا نكتشف صلاتها الكبيرة « بالمرايا » . فالطابع التسجيلي الذي يقترب من لغة الصحافة يهيمن على العمل الروائي بأسره ، يقسم الكتاب الى قسمين :

في **القسم الاول** يغلب الطابع السردي هناك على شخصية المؤلف الطاغية ، التي نرى من خلالها الواقع . فساعة المؤلف تعطلت وكان عليه انتظار اصلاحها .. من هنا يهتدي الى مقهى الكرنك وتبدأ قصته معه . هنا نتعرف على جميع شخصيات الرواية . لكن معرفتنا بهم تبقى ناقصة . فالراوي يقتطع المعلومات والاحداث ، يضغطها حتى نصل الى النقطة الاساسية ، ظاهرة اختفاء الشبان من المقهى . في القسم الاول تتدخل ثلاثة عوامل في بناء حركة الرواية :

السرد التدخلي . هدف السرد ليس الوصف ، أو الوقوف عند الظاهرات . انه سرد تدخلي سيكولوجي . فلا يكتفي الراوي بوصف الحالات ، بل يقوم بتفسيرها بشكل واضح . « ومن ركن الشباب انبعث الحماس فوارا كالهدير . عند أكثريتهم يبدأ التاريخ بالثورة مخلفا وراءه جاهلية مرذولة غامضة . انهم ابناؤها الحقيقيون ولولاها لتشرد اكثرهم في الازقة والحواري والضياع » . يلعب تدخل الراوي في هذا السرد دورا مزدوجا ، فهو يغطي الحيز الذي يتركه محفوظ عادة لسرده الموضوعي ، الذي يقوم بوضع الخلفية الموضوعية للرواية . كما يسمح بالمقابل بعملية ضغط لهذا الحيز تسقط عليه نقطة المنطلق ، فتكون بذلك قد شلت الخلفية الموضوعية ، دون ان تمسها ظاهريا .

الذكريات الموضوعية . تأتي الذكريات الموضوعية في بداية الرواية ، لتضع المسافة الحاسمة مع المشاعر الشخصية المتناقضة عادة . فالذكريات تصف من الخارج ، لا تدخل اللاوعي أو العوالم الخفية . تبقى عند حدود الظاهرات ، بل وتشترك مع هذه الظاهرات في وضع الحدود الحاسمة . « سمعت عزفا وطبلا ، شممت بخورا ، رأيت جسدا يتموج . راقصة، نجمة عمادالدين، الراقصة قرنفلة ، حلم الاربعينات الوردي » . وحين نصل الى الذكريات القريبة جدا ، والتي تساهم في صنع الحدث الروائي . فالذكريات الموضوعية تأتي بصيغة جديدة ، لتساهم من داخل السرد التدخلي نفسه ، ولتشكل سدا منيعا في وجه التلوين غير الواضح ، الذي يسمح للعمل الروائي بقدرة على الحركة .

الحوار . يأتي الحوار غالبا ، داخل السرد . فهو لا يتمتع باستقلال نسبي . يصبح الحوار هنا

تقليعا سرديا ثابتا . لا يتلون ولا يفاجيء . انه في نقطة ثابتة . يلقي أضواء جديدة على تطور الاحداث ، لكنه لا يشارك في صنع هذا التطور او في التأثير اليه . فهو مجرد لوحة انعكاسية تتقاطع فيها الاصوات من موقع الثبات . ولولا الحوار الذي جرى بين زين العابدين وقرنفلة ، والذي حمل بشكل خاص توترا حقيقيا ، لكان الحوار بشكل عام مجرد صدى للاحداث ، لا يحدث فيها اي التواء ، ولا يشكل ، بوصفه تبادلا انسانيا ، نقطة تحول في البناء الحدثي للرواية .

الصوت التأملي . داخل السرد ، يرتفع صوت الراوي من حين الى آخر ، ليؤكد مراكز الانطلاق الفكرية التي يتأسس عليها العمل الروائي بأسره. هذا الصوت التأملي هو بوصلة العمل . لانه يؤشر الى مسار الحركة في داخله . وداخل نبرة رصينة وحيادية في الظاهر ، يشير محفوظ الى نقاط الضعف والخلل : « وعجبت لحال وطني . انه رغم انحرافاته يتضخم ويعظم ويتعملق . يملك القوة والنفوذ ، يصنع الاشياء من الابرة حتى الصاروخ ، يبشر باتجاه انساني عظيم ، ولكن ما بال الانسان فيه قد تضاءل وتهافت حتى صار في تفاهة بعوضة ... » .

صيغة الماضي . حين تغلب صيغة الماضي في الرواية ، فانها لا تأتي عبثا . انها جزء اساسي من زمن لا يتحرك . زمن الحركة في تاريخها . أي في وضعية ثابتة نسبيا ، تعيد تصوير حكاية انتهت. المغامرة الحركية ليست هنا . ففي « الكرنك » ، ثبات تام . انتقال بين نقطتين واضحتين . لذلك تنتفي التوقعات ، وتتكرر الحكاية نفسها حتى تأتي الهزيمة التي تسمح بصياغة جديدة .

يبدأ **القسم الثاني** من الرواية مع الهزيمة . فكأن سياق القسم الاول يأتي ليؤكد ان نهاية هذا النمط من العلاقات السياسية هو الهزيمة . فعمليات اعتقال الشبان وتدمير حياتهم تصل ذروتها بعد الهزيمة حين يموت حلمي حمادة . ويتحول اسماعيل الشيخ الى سجين ابدي بعد ان تحول في الاعتقال السابق الى مخبر . وتحول زينب دياب الى مومس. هنا في القسم الثاني يضيء محفوظ الجوانب الغامضة في عمله عبر اللجوء الى تقنيتين :

الاعترافات . تأخذ الاعترافات هنا ، المعنى الحقيقي للكلمة . فاسماعيل وزينب ، يعترفان مباشرة للراوي . هنا يأخذ الراوي معنى الثبات المنفتح ، فهو يبلسم الجراح ، ويحاول تفهم المشكلات الاساسية التي تعصف بتكوين جيل الطلبة . غير ان هذه الاعترافات وان تخللها الحوار والسرد ، فانها لا تكشف سوى نقطة واحدة : القمع . كل شيء يصب داخل هذه النقطة . فعوض ان يتحول القمع الى نقطة تفجر وضعا بأكمله ، وتسمح روائيا ، للبنية الفنية بالانفتاح على مكوناتها الاساسية ، فان الاعترافات تقوم بعملية عكسية تماما . تقنن الحركة الاجتماعية بأسرها داخل القمع ، وتلخص تجربة جيل كامل بشيء من العمومية وعدم التوقف عند الفوارق . هكذا لا تضيف الاعترافات ، سوى القليل على الحركة داخل الرواية . بل تجمدها عند انهيارية يصاحبها امل ما ، لا يسمح له المؤلف بالتبلور ؛ بل يقوم بقمعه عبر شخصية جديدة تدخل الرواية وتمثل نزعة محفوظ الليبرالية التوفيقية . انها شخصية منير أحمد الذي يمثل جيلا جديدا ، يقع مرة اخرى في حب قرنفلة (مصر) .

لحظة المفاجأة . طيلة الرواية ، لا نتعرف على خالد صفوان الا بشكل غير مباشر . فهو يحمل جميع سمات رجل المخابرات . لكنه لا يظهر على مسرح الفعل الروائي المباشر الا بعد الهزيمة ، يخرج من السجن حيث امضى ثلاث سنوات ، ويأتي بطريق الصدفة الى « الكرنك » حيث يلتقي اسماعيل وزينب ، وشلة « الكرنك » التي تتجدد . وهناك نتعرف على الوجه الآخر من شخصيته حيث يقول كلاما غامضا بالغ الوضوح : « براءة في القرية ، وطنية في المدينة ، ثورة في الظلام ، كرسي يشع قوة غير محدودة ، عين سحرية تعري الحقائق ، عضو حي يموت » . هكذا يلخص تجربته فيما يردد « كلنا مجرمون وكلنا ضحايا ، من لم يفهم ذلك فلن يفهم شيئا على الاطلاق » . هذا اللقاء المفاجيء بين الجلاد والضحايا ، لا يبرره سوى المستوى الرمزي الذي تشير اليه الرواية . فيتحول الكرنك من مجرد مقهى الى اطار اجتماعي كبير . الى «عوامة» الذين يسحقون . وتصبح قرنفلة مصر القادرة على التجدد ويصبح صوت الراوي هو صوت الوعي الجديد .

تمزق البنية الروائية

استطاع محفوظ في « الكرنك » ان

يحافظ على توازنه الاجتماعي ، فشخصيات روايته تنتمي الى جميع الطبقات من مدير العلاقات العامة مرورا بالطلبة وحتى نصل الى الجرسون وماسح الاحذية . واستطاعت الكلمات القليلة التي نطق بها هؤلاء اعطاء صورة شبه متكاملة عن تعددية في الرأي انطلاقا من الموقع الطبقي . غير ان الركيزة الاساسية لهذا العمل كانت الطلبة وروحيتهم النضالية التي ضربتها الهزيمة . واذا كان محفوظ يتوقف عند الهزيمة ، فانه لا يقبل بالظلام ، بل يكتشف الروحية المتجددة من خلال اسقاط شخصية الطالب الشاب المتفائل. غير ان الملاحظة الرئيسية التي تطبع هذا العمل وتظهر من خلال البنية الاسقاطيه للرواية هي عجز الشكل وانهيار المضمون القديم . هل وصل محفوظ الى رواية **الموقف** ؟ الواقع ان « الكرنك » ليست سوى موقف وحيد الجانب ، غير انها تختلف عن رواية الموقف العربية في نثريتها المفرطة ، وفخامتها الكلاسيكية التي تخون هذه المرة . فمحفوظ يقف على عتبة الرواية العربية الجديدة ، لكنه لا يزال اسير لغته واسير أشكاله . لذلك تتحول اللحظة التي يكثفها الى مجرد موقف يمكن ان يصاغ بلغة صحافية أو سياسية مباشرة ، ولا يحتاج الى هذه الشبكة التي ينحتها محفوظ ، او الى هذا الافتعال الروائي الذي يحاول حجب الموقف الوحيد الجانب، لكن محفوظ عبر اصراره على تاريخه الفني ، أو لانه أسير هذا التاريخ يمزق بنفسه هالة الكلاسيكية الروائية التي تضمر اليوم لحظة التغييرات العنيفة، وتفسح عبر سقوطها ، مجال تجاوزها .

ان الاهمية الرئيسية لهذه الرواية هي قدرتها على التعبير عن خط ايديولوجي متماسك ، يلعب اليوم دورا هاما في تكوين وبلورة الايديولوجيا المصرية والعربية . فهي تشير الى ثلاث مؤشرات :

١ — التأكيد على القيم الديمقراطية الليبرالية ، بوصفها افضل اشكال الممارسة السياسية .

٢ — اعادة الاعتبار جزئيا الى الماضي ، « لم يكن الماضي شرا خالصا » كما يقول محفوظ على لسان الشيوخ في روايته .

٣ — الوقوف طويلا امام قدرة مصر على التجدد.

هذه المؤشرات الثلاثة ، ليست حيادية على المستوى السياسي . فهي داخل البنية الايديولوجية وتعبر عن اطرافها المتقدمة . غير انها تقف بعيدة عن توترات الولادة التي لن تكون في استعادة لحظة انتهت تاريخيا ، بل في التجاوز الثوري الذي تؤشر له الحركة الجماهيرية عبر آفاق تحركها .

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب

تجربة البحث عن افق

مقدمة لدراسة الرواية العربية بعد الهزيمة

بقلم : الياس خوري

وهو مقدمة تحليلية ، تدرس اهم الاتجاهات في الرواية العربية المعاصرة ، عبر العلاقة بانتحدي الذي فرضه منطق الصراع مع الغرب الرأسمالي ، والذي يشكل الصراع العربي الاسرائيلي احد منعطفاته الاساسية . دراسة تركز على قلق البنية الروائية في بحثها عن افق تعبيري يحمل تحولات الشكل الرؤيوي .

١١٢ صفحة بثلاث ليرات لبنانية ، تضاف اليها اجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل في العالم العربي ، ١ ل.ل. في اوروبا ، ٢٥٠ ق.ل في سائر الدول .

اطلب نسختك من : قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت .

ببليوغرافيا الفولكلور العربي الفلسطيني

نمر سرحان

ليست اعمال ابراز ملامح الحياة الشعبية العربية الفلسطينية جزءا من دراسة انتروبولوجية فحسب ، بل هي محاولة في التأريخ الشعبي ودراسة ثقافة شعب عربي ارضه محتلة ، ويدعي المحتلون ملكيتهم للارض والتراث ، ويعملون جاهدين على طمس وازالة شخصيته الوطنية تمهيدا لابتلاع الارض وانكار حقوق اهلها فيها — بل ازالة اسم فلسطين العربية عن خارطة العالم.

والان وبعد ان أخذت اعمال جمع ودراسة الفولكلور الفلسطيني تتخذ الاسلوب العلمي المنظم وتصدر في مطبوعات حادة تتخذ مكانها في المكتبة العربية والاجنبية ، فانه يصبح من الضروري تأجيل ملامح هذا التحرك العلمي ذي الطابع الوطني وذلك بالتأكيد على ناحيتين :

الاولى : تثبيت تفرعات البحث الفولكلوري بوحي مما تكشف عنه الدراسات في الوسط الشعبي الفلسطيني ، سواء كان ذلك عن طريق العمل المكتبي او الميداني ، وسواء كان ذلك في الارض المحتلة او في مخيمات المنفى والاحياء في القرى والمدن العربية التي يقيم فيها الفلسطينيون .

والثانية : دراسة هذه التفرعات بعد ترتيبها ترتيبا أبجديا وموضوعيا في نفس الوقت وضمن عمل موسوعي يبرز الى الوجود « موسوعة الفولكلور العربي الفلسطيني » والتي تشتمل على دراسة وصفية — وظيفية توضح ملامح حياة الشعب المنكوب وتخلق الصلة بينه وبين أرضه المحتلة ، على اعتبار ان الثقافة الشعبية — موضوع الموسوعة — هي صدى لتفاعل الانسان مع أرضه .

ونظرا للظروف القائمة والمحن المتواصلة التي يمر بها الشعب ، فان اعمال الجمع الميداني تظل ذات مردود ضئيل ومحفوف بالصعاب . ومع ذلك فان هذه الكوة المطلة على حياة الشعب تظل مهمة وأساسية . وفوق ذلك كان لا بد من اللجوء للمراجع الاجنبية وما تجود به الملاحظات والدراسات العارضة في الكتب العربية من أمثال كتب السير ، التاريخ ، المذكرات ... الخ والتي تعطي اشارات هنا وهناك تضيء جانبا او اخر من الحياة الشعبية الفلسطينية .

وفي خضم هذا البحث المستديم برزت أسماء المقالات والكتب بالعربية وباللغات الاجنبية التي تتناول بأسلوب متفاوت ملامح الحياة الشعبية . وكان لا بد من تنظيم هذه المراجع بشكل ببليوغرافيا تعرف بالدراسات هذه وتكون مرجعا لكل الباحثين في الفولكلور الفلسطيني .

وضمن القدرة اللغوية المتوفرة لدى الباحث فان هذه الببليوغرافيا تشمل ما أمكن جمعه من قوائم أسماء الابحاث المعدة بالعربية ، الانجليزية والالمانية . هذا فضلا عن ان اللغتين الاخيرتين تشملان دراسات مستفيضة وجادة عن الحياة الشعبية في فلسطين . ومع الاعتراف بعدم توفر الدراسات التي أعدها الباحثون العرب في الارض المحتلة عام ١٩٤٨ وكذلك التي أعدها باحثون اسرائيليون عن فولكلور « العرب في اسرائيل » ، فانه تظل هناك ثغرات اخرى ابرزها الافتقار الى المراجع الفرنسية والاوروبية عموما والتي كتبت بلغات محلية .

وربما أمكن في المستقبل وبالاستعانة بدارسين متحمسين في هذا المجال اضافة تلك النواقص . وبالطبع فان هذه الببليوغرافيا ستظل مفتوحة لاستيعاب ما يمكن ان يستجد من أسماء كتب ومقالات بالعربية واللغات الاخرى . وكذلك فان أي تصويب او اضافة لهذه الببليوغرافيا سيكون موضع الترحيب والعرفان بالجميل لان في ذلك خطوة على درب الحفاظ على ملامح حياة شعبنا وصلته بأرضه المحتلة .

وفي هذه المحاولة بدىء بذكر المراجع العربية، ثم صنفت بعد ذلك المراجع الانجليزية والالمانية . واتخذ مبدأ الاسم الاخير للمؤلف أساسا للفهرست، وهكذا أصبحت هذه الببليوغرافيا : ببليوغرافيا المؤلف .

المختصرات

P E. Q: Palestine Exploration Quarterly,

JPOS: Journal of Palestine Oriental Society.

ZDPV: Zeitschrift des Dentschen Palastina - Vereins.

ZDMG: Zeitschrift der Deut-schen Morgenlandischen Gessellschaft.

PJB: Palastina Jahr Buch.

JAOS: Journal of American Oriental Society.

JMLT: Journal of Missionary Labours in the City of Jerusalem.

ZS: Zeitschrift Fur simitistik und verwandte Gebiete.

* تشير الارقام التي تلي P.E.Q. الى رقم العدد من هذه المجلة ثم رقم الصفحة مفصولا بينهما بنقطتين احداهما فوق الاخرى .

* صنفت الكتب والمقالات الالمانية حسب ترتيب الحروف الابجدية الانكليزية وأثبتت اسماؤهـا بنصها الالماني وترجمة مختصرة توضح موضوع الكتاب .

المراجع العربية

ابراهيم ، فرح ، **مجموعة قصائـد فلسطين المجاهدة** ، يافا ١٣٥٥ .

ابراهيم ، نبيلة ، هيلما جرانكفيست والفولكلور الفلسطيني ، **مجلة الفنون الشعبيـة** القاهرية ، العدد التاسع ، يونيو ١٩٦٩ .

ابو عرقوب ، احمد حسن ، **الاغنية الشعبية في جنوب فلسطين** ، مخطوط اشتر ، القس مسعيد عبود ، **كتاب الطرفة الباهجة في الامثال والحكم العربية الدارجة** ، القدس ١٩٣٣ ، مطبعة دار الايتام السورية .

البرغوثي عبد اللطيف : أطروحة دكتوراه من جامعة لندن عن الاغنية الشعبية الفلسطينية . لم تنشر .

البرغوثي ، عمر الصالح ، أنظر فيما بعد هذا الاسم في « المطبوعات الانجليزية والالمانية » . [وقد لاحظت ان توفيق كنعان (انظر فيما بعد) قد نقل الكثير عن عمر الصالح البرغوثي واشار الى كتبه ومخطوطاته . وانني آمل في المستقبل ان اتمكن من الحصول على مخطوطات هذا الرجل التي تبدو من خلال اشارات توفيق كنعان تتناول جوانب عدة من الحياة الشعبية] .

التميمي ، رفيق وبهجت ، محمد ، **ولاية بيروت (القسم الجنوبي)** ، بيروت ١٣٣٥ هـ (١٩١٥ م).

حجاب ، نمر حسن ، ـــ الزخرفة الشعبية ، **دراسات فولكلورية** (رقم ١) آذار ١٩٧٣ عمان ، دائرة الثقافة والفنون (مخطوط) .

ـــ **الاغنية الشعبية في شمال فلسطين**. مخطوط.

حمام ، عبد الحميد ، في الموسيقى الشعبية ، **دراسات فولكلورية** (رقم ١) آذار ١٩٧٣ ، عمان، دائرة الثقافة والفنون . (مخطوط) .

الساريسي ، عمر ، **الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني** ، اطروحة نال عليها درجة الماجستير من جامعة القاهرة عام ١٩٧٢ . (مخطوط) .

سرحان ، نمر ، حكايات الخوارق ، **دراسات فولكلورية** (رقم ١) آذار ١٩٧٣ ، عمان ، دائرة الثقافة والفنون (مخطوط) .

ـــ الختان في قرية فلسطينية مسلمة (مترجم) مجلة **التراث الشعبي** البغدادية ، العددان الثاني والثالث، السنة الثانية تشرين الاول وتشرين الثاني ١٩٧٠ .

ـــ ملامح الحياة الشعبية الفلسطينية ، مجلة **التراث الشعبي** البغدادية ، حزيران ١٩٧١ .

ـــ توفيق كنعان والفولكلور الفلسطيني : مجلة **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٦ .

ـــ هيلما جرانكفيست والفولكلور الفلسطيني : مجلة **شؤون فلسطينية** ، العدد ٩ .

ـــ الزي الشعبي للمرأة العربية في فلسطين (مترجم) مجلة **التراث الشعبي** البغدادية ، في العددين السابع والثامن ، السنة الثانية ، آذار ونيسان ١٩٧٢ .

ـــ الازياء الشعبية الفلسطينية ، مجلة **الفنون الشعبية** القاهرية ، العدد ١٢ .

ـــ ملامح اغانينا الشعبية ، مجلة **افكار** ، العدد الثامن . عمان ، كانون الثاني ١٩٦٧ .

ـــ افراحنا الشعبية تقاليدها ودلالاتها ، مجلة

افكار في العددين العاشر والحادي عشر ، عمان ، آذار ١٩٦٧ .

— المسرح المكشوف في الريف الاردني : مجلة **افكار** العدد الخامس ، عمان ، تشرين اول عام ١٩٦٦ .

— **اغانينا الشعبية في الضفة الغربية من الاردن**، عمان ، دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٦٨، ٣١٢ ص.

— الفولكلور في الضفة الغربية ضمن كتاب **ثقافتنا في خمسين عاما** ، عمان ، دائرة الثقافة والفنون ١٩٧٢ .

— خمسون سنة من المقاومة في الفولكلور الفلسطيني ، مجلة **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٨.

— الاغنية الشعبية الفلسطينية ، مجلة **شؤون فلسطينية** ، عدد ٢١ .

السواحري ، خليل : البطل في الحكاية الشعبية مجلة **افكار** ، العدد التاسع ، عمان ، شباط ١٩٦٧ .

العارف ، عارف ، **القضاء بين البدو** ، القدس ١٩٣٤ .

— **الموجز في تاريخ عسقلان** ، القدس ١٩٤٣ .

— **تاريخ بئر السبع وقبائلها** ، بيت المقدس ١٩٣٤ .

— **تاريخ غزة** ، القدس ١٩٤٣ .

عمر ، عبد الرحيم ، الفن الشعبي في الضفة الغربية ، **دراسات فولكلورية** ، (رقم ١) عمان، دائرة الثقافة والفنون ، آذار ١٩٧٣ . (مخطوط).

فوده ، علي : النشاط الفولكلوري في الاردن ، **دراسات فولكلورية** (رقم ١) آذار ١٩٧٣ ، عمان، دائرة الثقافة والفنون . (مخطوط) .

قعوار ، وداد ، اوجه الشبه بين الملابس القروية الفلسطينية ، **دراسات فولكلورية** (رقم ١) آذار ١٩٧٣ ، عمان ، دائرة الثقافة والفنون . (مخطوط) .

عيسى ، عبد الكاظم ، عن الشعر الشعبي الفلسطيني ، العدد الاول ، مجلة **التراث الشعبي** البغدادي ، السنة الثانية ، ايلول ١٩٧٠ .

المصو ، عيسى ، اطروحة عن الفولكلور الديني في قضاء بيت لحم .

الغول ، فايز علي ، القصة في التراث الشعبي الاردني ، مجلة **افكار** ، العدد السابع ، عمان ، كانون الاول عام ١٩٦٦ .

— **الدنيا حكايات** .

— **من سواليف السلف** .

— **اساطير من بلادي** .

[ثلاث مجموعات من الحكايات الشعبية محولة من العامية الى الفصحى] .

فاسيلوا ، أوه [مؤلفة روسية] ، أمثال من الناصرة ، موسكو ١٩٦٣ ، من « **مجموعة مقالات لغوية سامية** » (المعلومات عن المقال مترجمة عن الروسية) .

مصطفى ، حسن ، **خطرات ريفية** ، المطبعة العصرية ، القدس .

منصور ، القس اسعد، **تاريخ الناصرة** ، مطبعة الهلال ، مصر ، ١٩٢٤ .

النمر ، احسان ، **تاريخ جبل نابلس والبلقاء** ، الجزء الاول ، دمشق ١٩٣٧ الجزء الثاني ، نابلس ١٩٦١ [وعد المؤلف باصدار جزء ثالث . هذا ويشمل الجزء الاول من كتاب النمر ما يمكن ان يسمى بالتاريخ الشعبي للعائلات والحمائل وامجادها و« حراباتها » فيما بينها وصراعها مع ولاة الدولة العثمانية ورجالاتها . وفي الجزء الثاني يستمر النمر في تاريخه الشعبي ولكنه هنا يتحدث عن الحياة الشعبية في المدينة (بما يمكن ان يسمى فولكسكندة المدينة) .]

يحيى ، حسب الله ، عن الادب والادب الشعبي الفلسطيني في العددين الخامس والسادس من مجلة **التراث الشعبي** السنة الثانية ، كانون الثاني وشباط ١٩٧١ .

اليعقوبي ، محمود عبدالله ، باقة مختارة من الامثال الشعبية الفلسطينية ، مجلة **التراث الشعبي** البغدادية في العددين الخامس والسادس السنة الثانية ، كانون الثاني وشباط ١٩٧١ .

المراجع الانجليزية والالمانية

Abela, Eiub; Beitraege Zum kenntniss aberglaubischer Gebrauche im syrien. ZDPV, 1884.

[عن العادات الخرافية في سوريا]

Ap-Thomas, D.R., Elejah on Mount Carmel, P.E.Q., 60-146.

Arden - Close, Col. Sir Charles F., Haifa Harbour. P.E.Q : 34:99.

Agriculture and Forestry in Palestine. P.E.Q: 34; 149.

The Survey of Palestine. P.E.Q. 35.38

The Rainfall of Palestine. P.E.Q. 41: 122

Ashkenazi, Tovia; Les Semi-Nomades du Nahr el-Auga. Tel Aviv 1930.

[بدو العوجا]

Baldensperger, Miss L., and Mrs. Crowfoot: Hyssop, 31:89. P.E.Q.

Birth, Marriage and Death among the Fellaheen of Palestine. P.E.Q, London 1894. P. 127.

Baldensperger, Philip J.; The immovable East. P.E.Q. 12:8, 57; 31:124; 15:10; 66, 165; 16:19, 71, 165; 17:12, 159; 18:20, 119; 19:118, 159; 20:161; 22:23, 63, 161;23:173; 25:80; 26:93; 29: 183.

The Identification of Ain Himmon with Ain Urtas (Artas), 12:209; P.E.Q.

Banse, E., Das Beduinenbuch Von karawan - enfuehrern, Derwischen, Schechen und Blutraechern, Berlin, 1938, XI, 356 S.

[كتاب البدو ، عن سائقي القوافل ، والدروايش والشيوخ والاخذ بالثأر] .

Barbour, Violet, Muslim Embroideries. From: (Traditional Embroideries from the Holy Land and Norway Oxford 1954).

Barguthi. Omar; Judical Courts among the Bedouin of Palestine. (Jerusalem 1922) JPOS.

BASOR, Bulletin of the American Schools of Oriental Research.

Bauer, L. Bemerkungen Zur Dr. T. Canaan, Der Kalender des Palästinensischen Fellachen, ZDPV, 36.

Kleidung und Shmuck der Araber Palastinas. ZDPV, 24, Leipzig, 1901.

[الملابس والحلي العربية الفلسطينية] .

Vdksleben im lande der Bibel. Leipzig (1903)

[الحياة الشعبية في الاراضي المقدسة] .

Das Palastininsche Arabisch, Dialekte des stadtes und des Fellachen, 1898

[اللهجة المحلية في المدن والقرى] .

Baumann, and Dschirus, Jusif, Volkswisheit aus Palastina ZDPV, 1916,

[حكم من فلسطين . مرفق بنص عربي] .

Bergstrasser, Sprachatlas, 1915

[جمع مادة من الجبار ، حيفا ، الناصرة ، صفد ، عين الزيتون ، طبريا حطين] .

Board, Barbara, Newsgirl in Palestine, London. 1937.

Brightwen, Sidelights on the Bible.

Scripture and Eastern Life, Illustrated From « My Collection of Oriental Curiosities ».

Buecher, Karl, Arbeit und Rhythmus.

[العمل والايقاع] .

Burck hardt, J.L., Travels in Syria and the Holy Land. London 1822.

Burton, Toabel, The Inner Life of Syria, Palestine and the Holy Land, London, Paul, 1884, 520.

Canaan, T., The Decipherment of Arabic Talismans, Jerusalem Syrian Orphanage Press, 1939, P. 53.

Names of Animals MGJV 1. A 90.

Mohammedan Saints and Sancturaries in Palestine, London, 1927, PP. 234 ff, and in Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. IV, PP. 184; Vol. V. PP. 162-203; Vol. VI, PP. 1-69, 117-158; Vol. VII, PP. 1-88.

« Modern Palestinian Beliefs and Practices Relating to God, » Journal of the Palestine Oriental Society; Vol. 15. PP. (59-92).

«Light and Darkness in Palestine Folklore, Journal of the Palestine

[تقويم الفلاح الفلسطيني]

Waters and the Waters of Life in Palestinian Superstition, Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. IX, PP. 57-69.

«Additional Matter for Dalman's 'Arbirt und Sitte'», Vol. V, Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. XIX, PP. 213-244.

«The Child in Palestinian Arab Superstition,» Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. VII, PP. 159-186. 1927.

«Unwritten Laws Affecting Arab Women in Palestine, Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. XI, PP. 172-203.

Christie, W. Der Dialect der Landbevolkerung des mittleren Galilâa, Leipzig, ZDPV, XXIV.

[جمع مادته من قرى الجش ، البرية ، كفر ياسيف ، شفا عمرو ، عربية ، طرعان، صفورية، ويافة الناصرة] .

Clifford, J.R. S., Homes and Home Life in Bible Lands, London 1877, 202.

Cookburn, Jacqeline, The Gates of Jerusalem, London, 1937, 300.

Conder, Lieutenant R.E. : Heth and Moab.

Tent Work in Palestine.

Crowfoot, Mrs, Grace M., Handicraft in Palestine : Jerusalem Hammock, Cradles and Hebron Rugs 44: 121. P.E.Q.

Handicraft in Palestine: Primitive Weaving, 43:75 P.E.Q.

Some censer types from Palestine 40:150 P.E.Q.

The Tent Beautiful, 45:34. P.E.Q.

Folk Tales of Artas. 51:156; 52:15 P.E.Q.

Crowfoot - Baldensperger, From Cedar to Hyssop.

Crowfoot, G. and Sutton, P. Ramallah Embroidery London, March, 1935.

Bethlehem Embroidary from : Embroidery London, December 1936.

Oriental Society, Vol. XI, PP. 15-36.

Die Wintersaat, ZDMG, Vol. 71, Leipzig, 1916.

[البذور الشتوية في فلسطين] .

Die Witwen in Heiligen Lande Der Armen und krankenfreund.

[الارامل الفقراء في الاراضي المقدسة] .

Aberglaube und Volksmidizin in lande der Bibel.

«The Saqr Bedouin of Beisan,» Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. XVI, PP. 235-279.

«Arabic Magic Bowls, » Jerusalem 1935, Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. XVI, PP. 79-127. (1963).

«Tasit er-Radgfeh (Fear Cup)», A Contribution to Arab Superstition, Journal of the Palestine Oriental Society, Vol, III, PP. 122-131. 1923.

«Folklore of the Seasons in Palestine.» Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. III, PP. 21-35.

«Haunted Springs and Water Demons in Palestine, Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. I, PP. 153-170.

«The Palestine Arab House, Its Architecture and Folklore,» Journal of the Palestine Oriental Society, Vol, XII, PP. 223-247: Vol, XIII, PP. 1-83.

Vom Arabisch - Palastinischen Familienleben, Studia Orientalia No: XXV; 2

[من الحياة الشعبية للعائلة العربية الفلسطينية] .

Plant-lore in Palestinian Superstition, JPOS, Vol, 8.

«The Curse in Palestinian Folklore,» Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. XV, PP. 235-279.

Die Neugebornen in der Palastininschen Volksitte, Neueste Nachrichten aus dem Morgenlande

[عن المواليد الجدد]

The Child in Palestinian Superstition JPOS, VII, 164.

Dâmonenglaube im Lande der Bibel. Leipzig. 1929.

[معتقدات الاشباح في أرض التوراة]

Der Kalender des Palastinensischen Fellachen ZDPV, XXXVI, 1913

[المعتقدات المتعلقة بالاشباح] .

Mosaik aus dem heiligen Lande. Schilderung einiger Gelrauche und Anschaungen der arabischen Bevolkerung Palastinas. Jerusalem 1898

[موزاييك من الارض المقدسة ، وصف لبعض التقاليد والمفاهيم للشعب العربي في فلسطين] .

Entwistle, Mary, Little Children of Missions Lands, New York, 1925, 199.

Mary, Habeeb, A Boy of Palestine, London, 1924.

Fensham, F. Charles, An Ancient Tradition of the Fertility of Palestine P.E.Q., July - December 1966.

Finn, Mrs., A Third Year in Jerusalem, A Tale Illustrating.

Customs and Incidents of Modern Jerusalem, London, 1877, 340.

Stirring Times or Records from Jerusalem Consular Chronicles of 1853-1856. London : 1878.

Palestine Peasantry: Notes on Their Clans, Warfare, Religion and Laws, London, 1923, 95.

Fitch, Florence Mary, The Daughter of Abd Salam: The Story of a Peasant Woman of Palestine, Boston, 1930, 75.

Foley, Rolla, Songs of the Arabs, New York, 1953.

Forder, A., Daily, Daily life in Palestine, London, 1912, 148.

Frazer, Folklore in the Old Testament.

Gidoon, Weigert, Days in old city. Tel-Aviv, Feuchtwanger.

Goodrich-Freer, A (Mrs. H. H. Spoer), Things Seen in Palestine London, 1913, XII, PP. 13-254.

Arabs in Tent and Town, An Intimate Account of the Family Life of the Arabs of Syria, Their Manner of living in Desert and Town, Their Hospitality Customs, and Mental Attitude, with Descriptions of the Birds, Flowers and Animals of their Country, London, 1924, 325.

Syrian Saddle.

Curtis, W. E., Today in Syria and Palestine, London, 1903, 529.

Dalman, Gustav H., Arabische Vogelnamen von Palastina and syrien ZDPV 36 Leipzig 1913.

Einst und Jetzt in Palastina.

[الماضي والحاضر في فلسطين] .

Der Palastinische Islam. PJB XIII

Palastinischen Diwan, Leipzig 1901.

[ديوان الشعر الشعبي الفلسطيني] .

Arbeit und sitte in Palâstina, 7 Vols. (Gutersloh, 1928-1935). Reprint Hildesheim 1964)

[العمل والعادات في فلسطين] .

Daniel - Rops. Henry, Daily life in Palestine at the time of christ, London. Weidenfeld and Nicolson, 1962.

Davis, G. Henton, An approach to the Problem of Old Testament Mythology. 56: 83. P.E.Q.

Dowling, Archd-eacon, The Georgian Church in Jerusalem, 11:181. P.E.Q.

Notes on Gaza Coins : 12:98. P.E.Q.

The Town of Haifa 14: 184 P.E.Q.

Driver, Sir Godefry, Water in the Mountains. P.E.Q., July-December 1970.

Grammar of the Colloquial Arabic of Syria and Palestine. 1925.

Einszler, Lydia, Das Toepferhandwerk bei Bauernfrauen Von Ramallah Und Umgebung. ZDPV, No 37, 1914

[الصناعة اليدوية للاواني الفخارية لدى نساء رام الله وجوارها] .

Arabishe Sprichworter. ZDPV, XIX. Leipzig. 1896.

[امثال عربية] .

Mar Eljas, el-Chader und Mar Dschirjis ZDPV XVII Leipzig, 1894.

Das bose Auge. ZDPV, 12, Leipzig, 1889 ZDPV XII Leipzig, 1889

[العين الحاسدة] .

Der Name Gottes und die bosen Geisternin Aberglauben der Araber Palastina's ZDPV X. Leipzig, 1887

Tales told in Palestine edited by : H.G. Mitchell (Cincinnati: Jennings and Graham; New York : Eaton and Mains).

Hardy, Edward John, Unvarying East, Modern Scenes and Ancient Scriptures, New York, 1912, 287.

Hillelson, S., Notes on the Bedouin Tribes of Beersheba District, 37: 242; 38:55, 117. P.E.Q.

Hunt, W. Hohman (Mrs.): Children at Jerusalem, A Sketsh of Modern Life in Syria, London 1881, 190.

Hyamson, A. M., A note on food production in Palestine, 44:169. P.E.Q.

Isserlin, B.S.J., Israelite and pre Israelite Place Names in Palestine. P.E.Q., 44: 169.

Jacob, Altarabisches Beduinenleben.

Jeager, Karl, Das Bauernhaus in Palastina mit Rucksicht auf das biblische wohnhaus. Goettingen 1912.

(المنزل القروي في فلسطين).

JAOS, Journal of American Oriental Society. 329 Sterling Memorial Library. Yale Station. New Haven, Connecticut. U.S.A.

Jarvis, Major C.S., The Desert Yesterday and To-day 37:116. P.E.Q.

Jaussen, Coutumes des Arabes au pays de Moab, Paris 1908.

Naplouse et son district. Paris (1927).

Jewetl, Arabic Proverbs. JAOS XV, No. 171.

Jouin, Jeane, Le Costume Feminin dans L'Islam Syro-Palestinien. Revue des Etudes Islamiques, Vol. VIII. Paris 1934.

Journal of Missionary Labours in the City of Jerusalem , London 1864.

Journal of Palestine Oriental Society JPOS 1920-38. اسسها American Assyriologist Albert T. Clay.

Graf, Beitrage zur kennetnis des karmeis. ZDPV. XXX.

[عن منطقة الكرمل بفلسطين] .

Grangvist, Dr. Hilma Natalia, Marriage Conditions in a Palestinian Village 1-11.

1966 (1919) Skolan och religionen (School and Religion).

1935 (1921) (Det religiosa problemet i nutiden (The religious problem of today).

1939 Arabiskt familjeliv (Family life among the Arabs) Third prize, divided in Scandinavian Competition.

1947 Birth and childhood among the Arabs.

1950 Child Problems among the Arabs.

(1965) Muslim Death and Burial, Arab customs and traditions.

Aus dem Erzahlungsschalz Palastinincher Bauern frauen.

Bruderschaft und frauenehre,

[حكايات الفلاحة] .

Palastinajarbuch des Deutschen evangelische Institute fur Altertumswissenchaft des Hei-ligen Landes Zu Jerusalem (Berlin 1927).

Grant, Elihie, The People of Palestine and enc. ed. of «The Peasantry of Palestine Life, Manners and Customs of the Village, » Philadelphia, London, 1921.

Gray, A. F, The Land and the Life Sketches and Studies in Palestine, New York, 1877, 192.

Haddad, Blood Revenge Among the Arabs.

Folklore of el-Qubebe near Jerusalem. Z. S., VI, Leipzig, 1927.

Haefili, Leo, Sprichweisheit und Volksleben in Palastina. Luzern. 1939.

[الامثال والحياة الشعبية في فلسطين] .

Harris. L. George, Jordan, its people, its society, New York. George Press, 1958.

E.J. Hanauer, Folklore of the Holy Land (London 1907).

Beduinenerzahlungen. (حكايات البدو).

Month of Thursdays (شهر الخميس).

Enno, Neuarabische Volkapoesie, gesammelt und uebersetzt Von E. Littman. Kcenigliche Gesellschaft der Wissenschaften zu Gaettingen, Abhandlungen der philologisch-historischen Klasse, I.S. Bd. 5. No. 3. Berlin 1902, 1588. (أغان عربية حديثة).

Folktale «Jager und Prinzessin» (حكاية : الصياد والاميرة).

Lohr, Max, Der Vulgarhische Dialect Von Jerusalem. Gieszen, 1905.

Volksleben im lande der Bible. Leipzig 1907. (الحياة الشعبية في ارض التوراة).

Lutfiyya A.M., A Jordanian Village, the Hauge; 1966.

Merrill Selah, East of the Jordan, New York Charles Scribners and Sons, 1881.

Meyonhas, I., Bible Tales in Arab Folklore, translated from the Hebrew by V. N. Levi, London 1930, 240.

Macalister, Occasional Papers on the modern inhabitants of Palestine. P.E.Q. XXXVI 1904, P. 150-160.

A Day in a Fellah Village. P.E.Q. : 15. 29.

Mohammanden & Jewish Names from Various Places, P.E.Q. : 1905. XXXVII. P. 48-61.

MacDonald, Jan, Palestinian Dress. P.E.Q. London 1950 - 51.

Marcoff, Michael and D.J. Chitty, Notes on Manastic Research in the Judean Wilderness 1928 - 1929, 29: 167, P.E.Q.

Masterman, Dr. E.W.G., Safed, 14: 169. P.E.Q.

Matthews, Mishkat.

Mankin, J.H., Survey of the Old City of Jerusalem. 1865 and 1935. P.E.Q., January - June - 1969.

Montgomery, James. Some Early Amulets from Palestine, JAOS, 31.

Kahle, P., zur Herkunft der Ataba Lieder ZDPV, XXXLV Leibzig, 1911. (أصل اغاني العتابا).

Kitchener, Lord, Our ride from Gaza to Jerusalem with a description of the Greek Holy Fire, 17: 66. P.E.Q.

Bethlehem, 37:97. P.E.Q.

Kirk, G.E., The Negev, or southern Desert of Palestine 41:57. P.E.Q.

Klein, F.A., Mittheilungen uber leben, Sitten und Gebrauche der Fellachen in Palestina. ZDPV IV, Leibzig. 1881. (حياة وعادات الفلاحين الفلسطينيين).

Klein, Mittheilungen über leben, sitten und Gebraucher der Fellachen in Palestina ZDPV, VI.

Knight, Rev. O.H., Notes on Caesarea and Neighbourhood, 20:79. P.E.Q.

Larsson, T., A Visit to the Mat-Makers of Huleh. P.E.Q. 63:231.

Lees, G. Robinson: Village Life in Palestine, London 1905.

Lees, The Witness of the Wilderness. London 1909.

Lee, G.R., Village Life in Palestine: A Description of the Religion, Home life, Manners, Customs, Characteristics, and Superstitions of the Peasants of the Holy Land, with Reference to the Bible, London 1897, London 1905, X, 236.

Linder, Sven, Palestinen sische Volksgesaenge. Upsulla 1952. (أغان شعبية فلسطينية).

Linder, Arabische Lieder aus Ramallah. (أغان عربية من رام الله).

S. Linder, Ein Sommerziet im lande Ephraim PJB XII. (في وقت الصيف ، في ارض افرايم).

Littman, Enno, Modern Arabic Tales (leyden 1905)

ثم ترجمت النصوص الى الالمانية تحت اسم :
Arabische Marchen. Leipzig (1957)

Rothstein, Gustav: Moslimische Hochzeitsgebrauche in Lifta bei Jerusalem in PJB.

(عادات الزواج عند مسلمي لفتا بالقرب من القدس)

Saarisalo, Aapeli, The Turkish Waqf. Studia Orientalia XIX : 10. Helsinki, 1953.

Songs of Druzes, Translations & Commenis. Helsinki, 1932.

Arabic Tradition and Topographical Research. Studia Orientalia, (XVII) 3.

Sachsse, Curt, Palaestinensizche Musikinstrumente, Materialien zur Palaestinensischen Musikkunde und Musikgeschichte. Zeitschrift des Deutschen Palaestina - Vereins, Ed. 50 (1927) S. 19-66, 117-172.

(الآلات الموسيقية الفلسطينية مواد لدراسة علم وتاريخ الموسيقى الفلسطينية).

Scherer. G.H., The Eastern Colour of the Bible, London, 1929.

Schick, C., Namenliste und Erlauterungen zu Baurath Dr. Schickis karte der weiteren umgebung von Jerusalem.

Zur Einwohnerzahl des Bezirks, Jerusalem. ZDPV XIX Leipzig, 1896.

(سكان القدس).

Sessions, Some Syrian Folklore Notes.

Shmidt & Kahle, Volkserzahlungen aus Palastina 2 Vols. (Gottingen, 1918-1930).

Singer, Arabic Proverbs.

Smith, Sidney, The Threshing Floor at the City Gate. P.E.Q.: 46:5.

Smith, Animal Worship and Animal Tribes among the Arabs and in the Old Testament.

Spitaler, Anton, Deutsch Arabisches worterbuch Der umgangssprache. In Palastina und im libanon 2. Auflage.

(قاموس المفردات الدارجة في فلسطين ولبنان).

Spoer, Hans. H, Bloody Sacrifice in Palestine, JAOS 25, 1904.

Das Nebi - Musa - Fest ZDPV, XXXII Leipzig 1909.

(موسم النبي موسى).

Mi Heilungen und Nachrichten des Deutschen Palastina Verenis.

Neil, James, Peeps into Palestine. Everyday life in the Holy Land. London 1900.

Nelson, William S., Habeeb the Beloved, A Tale of Life in Modern Syria, Philadelphia, 1913, XI, 102.

Palastinajarbuch des Deutschen evangelischen Instituts fur Alter tums - wissenshaft des heiligen landes zu Bozlin Jerusalem.

(الكتاب السنوي للمعهد البروتستانتي الالماني لابحاث الاراضي المقدسة).

Palestine Exploration Fund: A society for the accurate and systematic invistigation of the Archaeology, the photography, the manners and customs of the Holy land for Bibilical illustration. Founded on 1865. Patron: Her Majesty the Queen (of England). President : His Grace the Archbishap of Canterbury.

Palmer, P., Das Jetzige Bethlehem. ZDPV. XVII, Leipzig. 1894.

(بيت لحم الحالية).

Palva, Heikki, Lower Galilean Arabic, Studia Orientalic, Vol. XXXII Helsinki 1966.

Parker, H.L., Notes on Fiery Serpents 29:58.

Pilcher, E.J., Weights of Ancient Palestine. P.E.Q. 12:133. 64:178.

A Mother in Israel. P.E.Q. 22:38. P.E.Q.

Pierotti, Customs & Traditions of Palestine, Cambridge 1864.

P.J.B., Palastinajahrbuch.

Post: G.E., Flora of Syria, Palestine and Sinai. Beirut, 1932-1933.

Rice, E. W., Orientalismus in Bible Lands, Giving Light from Customs, Habits, Manners, Imagery, Thought, and Life in the East for Bible Students, Philadelphia, 1910, 300.

Rost, On the Vegetation of Palestine. PJB, 1931.

Eastern Customs in Bible lands, London 1894.

The Faung and Flora of Palestine: London 1884.

The Land of Israel London, 1865.

Tsing, Walter K., Among the Arabs in Bible Lands. Mountain View, California, 1924, 313.

Turkowski, Tucian, Peasant Agriculture in the Judean Hills. P.E.Q. 1969.

Ulmer, Friedrich, Sudpalastinensische Kopfbed-eckungen.
(زي الرأس لجنوب فلسطين).

ZDPV XLI, Leipzig. 1918.

Arabische stickmuster, ZDPV XLIV. Leipzig 1921.
(نماذج التطريز العربي).

Vester, Bertha, Our Jerusalem, Beirut, 1950.

Vollers, Karl, Was ein Fischer in Haifa Fangt. ZDPV No: XIII, Leipzig, 1890.

Watson, Col. Sirc. M, Measures of Distance in Palestine, P.E.Q.: 15. 179.

Weir, Shelagh, Palestinian Embroidery British Museum, 1970.

The Traditional Costumes of the Arab Women in Palestine Costume, 3, London : 1969.

Wilson, C.T., Peasant life in the Holy Land. London 1906.

Winsinok, Early Mahammadan Traelition.

Winkler, H.A., Salomo und die Karinq.

Wooley, Sir C. leonard, The Desert of the Wanderings, P.E.Q.: 14: 58.

Zwemer, Samuel, Die Moslem-ische frauenwelt, Guetersloh, 1933.
(عالم المرأة المسلمة).

Spoer & Haddad, Volkskundliches aus El-Qubebe, ZS, 5. 1927, ZS, 7 1929, ZS, 9 1933.

Poems by Nimr Ibn Adwan ZDMG, 66. 1912.

Five Poems by Nimr Ibn Adwan JAOS, 43, 65, 66.

Manual of Palestinian Arabic Jerusalem 1909.

Floklore & Songs from El-Qubeibe, JAOS, 50.

Stéphan, Palestinian Nursery Rhymes and Songs. JPOS XII.

Palestinian Animal Stories and Fables JPOS III.

Animals in Palestinian Superstition JPOS IX.

The Number forty in Palestine, JPOS VIII.

Animals in Palestinian Folklore JPOS. VOL. V & VII.

Studies in Palestinian customs and Folklore JPOS, VOL VIII, No 4.

Modern Palestinian Parallels to the song of songs JPOS. VOL. II.

The division of the year in Palestine JPOS, VOL III.

Miscellena stephanian, Jerusalem 1921-1939.

Stephen, Major F.W. Notes on Jerusalem Water Supply. P.E.Q.: 19:15.

Thilo, Martin, Funftausend Sprichworter aus Palastina, (Berlin, 1937).
(خمسة آلاف مثل من فلسطين).

Thurnwald, Die Menschliche Gesellschaft. (عن الحياة الاجتماعية).

Thomson, William Mclure, The land and the book or Biblical illustrations Drawn from the manners and customs, the Scenes and Scenery of the Holy Land. 3 Vols. New York, 1908.

Tristram, H.B., The Land of Israel. London 1865.

الفلسطينيون كما يبدون في الذهنية الاسرائيلية

عبد الحفيظ محارب

يتابع الاخ عبد الحفيظ محارب في هذا العدد معالجة موضوع « الفلسطينيون كما يبدون في الذهنية الاسرائيلية » الذي بدأه منذ العدد ٣٤ .

(٦)

لا زال الكتاب والمعلقون وكذلك الرسميون في اسرائيل يعالجون بشيء من المعاناة والتناقض ، قضية الشعب الفلسطيني ، لب الصراع في المنطقة . وقبل الخوض في وجهات النظر الاسرائيلية المختلفة تجاه الموضوع، استكمالا للحلقات السابقة، تجدر الاشارة الى بعض الملاحظات :

١ — ان الموقف الاسرائيلي الرسمي بعد فرض القضية ذاتها بقوة على أطراف النزاع في المنطقة وخاصة الطرف الاسرائيلي عقب حرب اكتوبر ووسط أجواء التسوية ، لا زال حتى الان يتسم تجاه القضية الفلسطينية بالغموض وعدم الاعتراف بالشعب الفلسطيني ، مع الاعتراف بالشخصية الفلسطينية ، عدم الاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني ، مع اعتراف من قبل بعض المسؤولين بـ « المصالح الحيوية » للفلسطينيين . وهو الان يقف على مفترق طرق ، فاما ان يبقى كما هو دون اتخاذ أية مبادرة جديدة تنم عن وضوح أكثر ، او ان يقوم بهذه المبادرة للانتقال من موقع الدفاع الى موقع الهجوم . واذا ما حدثت نقلة في الموقف الاسرائيلي خلال المدة القريبة القادمة ، وهذا امر محتمل وخطير في نفس الوقت فلا بد الا ان تصب في احد الاتجاهين السائدين في اسرائيل ، الاول اعتبار الحل يكمن في التفاوض مع الاردن اخذا في الحسبان ان معظم السكان الفلسطينيين هم « مواطنون » اردنيون ، وهذا يعني الاستمرار في الخط الرسمي السابق ولكن بشكل أكثر وضوحا وحسما ، الثاني اعتبار ان الحل يكمن في الشعب الفلسطيني والتفاوض معه باعتباره صاحب القضية وكلا الامرين يشكلان معضلة لاسرائيل لا تقل عنها معضلة عدم اتخاذ موقف واضح وحاسم .

٢ — ان اي تبدل في الموقف الاسرائيلي ، سواء اتجه نحو النظام الاردني او الشعب الفلسطيني ، لن يتأتى عنه تبدل جوهري في الخط الاستراتيجي العام ، فاذا سارت اسرائيل بالفعل نحو النظام الاردني فانها ستحاول الحصول على حل تقتطع بموجبه اراض فلسطينية جديدة بشكل رسمي ، اما اذا اتجهت نحو الشعب الفلسطيني ، فانها ستحاول تفريغ الدولة الفلسطينية المقترحة من مقوماتها الاساسية .

٣ — ان كتابات وتحليلات الكتاب والمعلقين الاسرائيليين تجاه هذا الموضوع أقرب بكثير الى واقع وتفكير الجمهور الاسرائيلي من وجهة النظر الرسمية . وهذه الكتابات تصب في ثلاث وجهات نظر اساسية (١) التفاوض مع الاردن (٢) ضرورة الاعتراف بالشعب الفلسطيني . وهنا نجد من يطالب بالتفاوض مع الزعامات الفلسطينية التقليدية في الضفة والقطاع ونجد أيضا من يطالب بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية والتفاوض معها لايجاد حل للقضية الفلسطينية بواسطة اقامة دولة في الضفة والقطاع على ان ترتبط باسرائيل بعلاقات

سـلام . (٣) الاعتراف بالشعب الفلسطيني الذي يقطن « ارض اسرائيل الكبرى » (فلسطين وشرق الاردن) والتفاوض معه على اقامة دولة فلسطينية في معظم الضفة الغربية وقطاع غزة وشرق الاردن ، ترتبط باسرائيل بعلاقات سلام ووئام .

٤ ـ لقد واجه أصحاب وجهتي النظر الثانية والثالثة في الاونة الاخيرة بعض الحرج في الترويج لوجهة نظرهم بسبب تزايد نشاط المقاومة الفلسطينية ومع ذلك فقد ظهر من بينهم من يقول بأن تجاهل الشعب الفلسطيني يؤدي الى تزايد الاعمال الفدائية .

*

قبل أن نخوض في استعراض اراء مجموعة مختلفة من الكتاب والمعلقين الاسرائيليين ، والوقوف على كنه تفكيرهم ، لكي يتأتى لنا استشفاف الاتجاه الذي يمكن أن يسير فيه الموقف الاسرائيلي في المستقبل القريب تجدر الاشارة هنا الى أن الحلول التي يحاول طرحها الكتاب الاسرائيليون تتفاوت وتتناقض حتى ضمن التنظيم الواحد الملتزم بحل معين، وكأن القضية الفلسطينية أصبحت بمثابة معضلة مفروضة يحاول كل واحد اشغال تفكيره لايجاد حل لتلك المعضلة حتى ولو ناقضت الحل الذي يطرحه الحزب المنتمي اليه . والحقيقة ان الصراع العربي الاسرائيلي لم يشهد فترة كالفترة الراهنة من حيث شدة الاهتمام المشفوع بالمعاناة للتفتيش عن حل ، ولعل ذلك يفسر لنا مدى التناقض والتخبط بالنسبة لهذا الموضوع بين صفوف الحزب الواحد أكثر مما تفسره ليبرالية الحزب . وعلى سبيل المثال ، موقف حزب مبام (يسار صهيوني) ومواقف بعض كتابه البارزين المغايرة ، فعلى الرغم من ان الحزب اتخذ قرارا في مؤتمره الاخير ينص : « بين البحر والصحراء هنالك مكان لدولتين اسرائيل ودولة عربية واحدة . واذا ما دعيت هذه الدولة الاردن او فلسطين واذا ما حكمت على يد ملك او غدت جمهورية فان ذلك ليس من شأن اسرائيل . وفي هذه الدولة العربية ستوجد الحلول للتطلعات الوطنية للشعب الفلسطيني ، وفيها يجدون حلا لقضية اللاجئين » على الرغم من ذلك نجد أن هنالك من يروج لفكرة اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ويدعو اسرائيل الى الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية (للاستزادة انظر الحلقة الخامسة من الدراسة) اما زميله في الحزب زئيف فاركر ، فيختلف اختلافا كليا مع نفتالي بن موشيه ، ويعتبر الدولة الفلسطينية اذا ما أقيمت في الضفة الغربية بأنها بمثابة « خنجر مصوب نحو اسرائيل» ففي مقالة له تحت عنوان «لا لدولة فلسطينية اخرى » (عل همشمار ٧٤/٥/٢٤) يرى فاركر « ان نفتالي بن موشيه يحلم احلام اليقظة اذا ما اعتقد بأننا نستطيع التوصل الى اتفاق مع دولة فلسطينية حول التجريد وبقية المطالب التي طرحها . ان المفاوضات مع الفلسطينيين ستكون صعبة ومشحونة بالتوتر . سيطلبون تغيير الحدود لصالحهم ، وهنالك شك كبير اذا كنا سنتوصل معهم الى أي اتفاق » ثم يذكر بأن « مندوبي فتح » سبق وأعلنوا أنهم يسعون الى دولة مستقلة استقلالا تاما ، وما يترتب على ذلك من اقامة جيش ، لكي تتحول الضفة الغربية الى قاعدة ضد النظام الملكي الاردني لاسقاطه ، ومن ثم « ومن هذه القاعدة تدار المعركة ايضا ضد اسرائيل بغرض تحقيق هدفهم الاساسي ، وتصفية دولة اسرائيل » الى ان يصل الى القول « أن الدولة الفلسطينية ستكون بمثابة خنجر موجه نحو اسرائيل » .

نعود الان للوقوف على اراء مجموعة مختلفة من المهتمين في قضايا الصراع العربي الاسرائيلي تجاه حل القضية ـ المعضلة ، مبتدئين بـ « دوف رونين» المحاضر في كلية العلوم السياسية في الجامعة العبرية ، يرى المحاضر في مقال له تحت عنوان « ينبغي الاعتراف بالشخصية الفلسطينية » (يديعوت احرونوت ٧٤/٦/٢٦) ان الفلسطينيين يشكلون القضية الاصعب بين مجموعة قضايا الصراع العربي الاسرائيلي لاسباب عدة ، أهمها حسب اعتقاده ان اسرائيل والدول العربية تواجه في صراعها جملة من القضايا مثل شكل وطبيعة التسوية ، ولكن ليس جوهر وجود كل منها ، بينما الامر مع الفلسطينيين يختلف ، فهم لا يملكون دولة قائمة « ولذا فان السؤال ليس اذا ما كانت على استعداد للتوصل معنا على اتفاق بل هل يتطلب الامر الاعتراف بقيامها » . ومن هنا يرى المحاضر ان الموضوع الفلسطيني سيبر في سياق

يتشكل من ثلاث مراحل : الاعتراف او عدم الاعتراف في حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، مكان الدولة الفلسطينية حجمها وطابعها ، تحديد طبيعة العلاقة بين اسرائيل والدولة الفلسطينية في حال قيامها . وفيما يتعلق بهوية الشعب الفلسطيني لا يرى دوف رونين ان القضية تتمثل في وجود او عدم وجود هذه الهوية ، ذلك لانها قائمة ولان الفلسطينيين يؤمنون بها ويعتقد « أن لا فائدة من التغاضي عن ظاهرة قائمة في الواقع . ان الهوية الفلسطينية قائمة وينبغي على اسرائيل ان تعترف بوجودها ، ومن المؤكد ان التغاضي عن الواقع لا يؤدي الى حل للقضية » الا انه يشترط مقابل اعتراف اسرائيل بالشخصية الفلسطينية ، باعتراف فلسطيني بالشخصية الاسرائيلية . لينتقل بعد ذلك الى حجم الدولة الفلسطينية وطبيعة نظامها ، حيث يتدارس الطرفان الفلسطيني والاسرائيلي بعد الاعتراف المتبادل قضية الحدود و «التعديلات الطفيفة عليها»، ويرى ان هذه المرحلة شبيهة بالمرحلة القائمة الان بين كل من مصر وسوريا واسرائيل ، مرحلة فصل القوات ، وهي « تستلزم وقف أعمال الارهاب للتنظيمات المتطرفة » بالاضافة الى وضع حد لحالة العداء والكراهية والغضب والاحساس بالاحباط ، وبذلك توضع الاسس للتوصل الى المرحلة الثانية — اقامة الدولة الفلسطينية . وتلي ذلك المرحلة الثالثة : طبيعة العلاقات بين الطرفين وطبيعة نظام الدولة الفلسطينية وكذلك تعيين الحدود .

لقد تفاءل المحاضر في مقالته التطرق الى قضية تمثيل الفلسطينيين ، بل اعتمد اسلوب الشمولية والتعميم ، ولم يفصح عن الهيئات الفلسطينية المرشحة لتمثيل الفلسطينيين . اما الدكتور متياهو بيلد الذي يرى هو الاخر ضرورة الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني وكذلك اقامة دولة فلسطينية الى جانب اسرائيل فانه لا يرى في مقالة له تحت عنوان « من يمثل الفلسطينيين » (معاريف ٧٤/٥/٢٤) على خلاف عدد من كبار المعلقين مثل هركابي، ضرورة اعتراف اسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية ، بالرغم من انه من اوائل الداعين الى اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة . فهو يرى ان الممثلين الحقيقيين للشعب الفلسطيني ينبغي ان يظهروا من بين صفوف الزعامة التقليدية في المناطق المحتلة ، وينحي باللائمة على اسرائيل لانها لم تعمل على تقوية هذه الزعامة وتنميتها لتغدو ممثلة للفلسطينيين . ويعترف بيلد بأن اجراء انتخابات لخلق زعامات تمثل الفلسطينيين في المناطق المحتلة بمثابة عمل مستحوم حوله الظنون والشكوك ولن يؤدي الى اعتراف اية هيئة به . ولذا يقدم اقتراحا غريبا وهو ان تجري الانتخابات تحت الحكم الاسرائيلي ولكن باشراف هيئات محايدة في محاولة منه لازالة الشكوك والظنون ، الا انه لم يتطرق الى الموقف الاسرائيلي اذا ما جاءت نتيجة الانتخابات الحرة — وهذا على سبيل الافتراض — لصالح موقف منظمة التحرير الفلسطينية ، وكأنه مقتنع سلفا بأن النتيجة ستكون لصالح اسرائيل وليس لمنظمة التحرير ولا حتى لصالح النظام الاردني « فالفلسطينيون لن يقبلوا الملك ثانية » . ولذا فانه يدعو المسؤولين الى خلق زعامة في المناطق المحتلة والعمل على ايجاد حل معهم بالتعاون مع مصر « ان حلا يقبله السكان الفلسطينيون في المناطق ، ويلاقي تأييدا من قبل مصر ، من شأنه بالفعل ان يثير حفيظة حسين ، بيد أن اي واحد لن ينفعل من ذلك ليس فقط لانه يشكل عنصرا هامشيا في العالم العربي وفي المنطقة كلها ، بل خاصة ، لان الحل الذي تقبله اسرائيل ومصر والفلسطينيون — المقصود الشعب وليس منظمات الارهاب — سيكون حلا يمكن ان يؤدي الى احلال السلام في منطقتنا ، وعندئذ أمل بأنه اذا ما تم تمثيل السكان الفلسطينيين بواسطة مندوبين منتخبين داخل المناطق ، فان ذلك سيكون مقبولا لدى مصر وعناصر اخرى ذات وزن » .

واذا كان بيلد يقلل من وزن منظمة التحرير ويستبعدها عن تمثيل الشعب الفلسطيني ، فان الكاتب دوف يوسفي يرى الواقع بمنظور آخر ، ويصل دعوة تختلف قليلا فبدلا من التوجه من خلال سكان المناطق المحتلة نحو مصر كما يريد بيلد ، يتوجه يوسفي من خلالهم نحو الاردن ، ففي مقالة له « الاردن والفلسطينيون » (معاريف ٧٤/٦/٩) يدعو الى رؤية الواقع كما هو ، اذ انه « من الافضل ان لا ندفن رؤوسنا في الرمال كما تفعل النعامة ، ونرى الواقع كما هو ، ونتنبه الى عدد من الوقائع غير المريحة » . ويحدد الوقائع « غير المريحة » بالتالي : (١) « تعاظم الاعتراف بحركات

المخربين وخاصة منظمة التحرير كممثلة معتمدة للكيان الفسطيني » . ثم يتطرق الى المكاسب التي حصلت عليها منظمة التحرير في مؤتمر الجزائر والمؤتمر الاسلامي في لاهور وكذلك في الساحة الدولية . (٢) « غير عرفات وحواشيه زعيم « الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين » الاسلوب المتمثل في « رفض كل اتصال مع العدو الصهيوني » وقبلا «نظرية المراحل » الخاصة بالرئيس السادات (بنصيحة من قبل بورقيبة) ، اي : في المرحلة الاولى ينبغي الحصول من اسرائيل على كل ما يمكن الحصول عليه بالوسائل السياسية ، وفي المرحلة الثانية ينبغي اخذ ما تبقى بالقوة » . (٣) « هنالك ميل عام في العالم ، سواء في الشرق او الغرب ، لاقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ... » ليخرج بعد ذلك بمطالبة المسؤولين باتخاذ مبادرة من جانبهم « ازاء تصاعد هيبة منظمات التخريب » تعتمد على التفاوض مع الفلسطينيين والاردن ، « ان تصاعد هيبة منظمات التخريب يستلزم من اسرائيل تجسيد مشروع سلام شامل مع الاردن والفسطينيين ، بدل السياسة الراهنة المتمثلة في انسحاب بدون سلام ، ان ظهور اسرائيل كمبادرة لتسوية ينطوي على اهمية كبيرة من الناحية السياسية العالمية » . ومن الواضح ان المشروع الذي يقدمه دوف يوسفي أبقى قضية التمثيل الفلسطيني يتسم بالشمولية والغموض فقد اكتفى بذكر اجراء مفاوضات مع « الفلسطينيين » والاردن دون تحديد الفئة الفلسطينية التي يسعى للتفاوض معها .

اما شموئيل شنايتسر المعلق السياسي في صحيفة معاريف ، فلا يرى امكانية تتعايش فيها اسرائيل مع جار فلسطيني على صورة دولة في الضفة الغربية والقطاع ، لاعتقاده بأن مثل هذه الدولة ستكون ركيزة سوفييتية في المنطقة كما وستكون بمثابة قلعة عسكرية ، ويعبر عن ذلك في مقالة تحت عنوان « الخط الفلسطيني » (معاريف ٧٤/٦/١٤) حين يذكر بأنهم « سيأخذونها لكي يكون بمقدورهم ضرب كل طائرة تقلع وتهبط في مطار اللد، انهم سيأخذونها لانها تجعل جميع مراكز التحشدات السكانية ضمن مدى اصابتهم » . ولذا فانه يخرج من مقاله الطويل والمبني أساسا على ابراز خطورة الفلسطينيين بأن اقامة دولة فلسطينية غرب الاردن لا تنطوي ابدا على حل للقضية الفلسطينية وللتعايش بين اليهود والعرب ، اما الحل حسب رأيه فيكمن شرق النهر ، حول ذلك يقول : « ان الحل ، اذا كان بالفعل قد حان وقته ، يمكن ان يوجد شرقي نهر الاردن ، فهنالك منطقة شاسعة الاطراف تبلغ ١٦ ضعف الضفة الغربية ، وتشمل الى جانب مناطق صحراوية، اراض طيبة منأخصب اراضي المنطقة بأسرها . ان نسبة كثافة السكان هناك تبلغ ٢٠ نسمة لكل كيلومتر مربع ، ومعظم السكان من الفلسطينيين ... حتى المتطرفين من بين المخربين لن يروا فيها بلدا غريبا : ان هدفهم المعلن طرد الملك حسين (الذي لا يعتبر من أصل أردني بل حجازي) ليقيموا هناك سلطة فلسطينية الى جانب « القوى الوطنية المحلية » . » ويرى شنايتسر ان هذا الحل هو ضمن اطار الممكن ، ويعتقد انه ينطوي على امرين مفيدين بالنسبة لاسرائيل ، الاول تفريغ ما سماه بالحوافز العسكرية الكامنة في نفوس الفلسطينيين ، والثاني صعوبة ضرب الاماكن الحساسة في اسرائيل ومع ذلك يعتقد بأن الملك لن يتنازل عن عرشه بسهولة ، كما وان الاميركيين لن يرحبوا بامتداد النفوذ السوفييتي في شرق الاردن ليصل بعد ذلك الى القول « اذا كان اي شخص لا يريد جيرانا سيئين كهؤلاء ، لماذا ينبغي علينا نحن ان نريدهم ؟ »

لا نعرف اذا كانت حرارة « الخطر الفلسطيني » هي التي أنست المعلق السياسي المعروف شموئيل شنايتسر عن الافصاح عن مصير الضفة الغربية وقطاع غزة ، او ان شهوة التوسع هي التي أملت عليه ذلك .

خلافا للمنظور السابق الذي يركز على شرق الاردن كوطن بديل للفلسطينيين بحجة حماية التجمعات السكانية في اسرائيل من خطرهم ، يرى كاتب آخر مردخاي بن طوف ، ان الحل الافضل بالنسبة لاسرائيل يكمن في التوصل الى تسوية مع سكان المناطق المحتلة ، وليس مع السلطة الاردنية او منظمة التحرير . ولكنه يتفق مع الكثير من المعلقين والكتاب على ضرورة قيام اسرائيل بمبادرة جديدة ، ففي مقاله «الفلسطينيون: اربعة خيارات» (هآرتس ٧٤/٦/٢٨) يعتقد بوجود اربعة خيارات امام اسرائيل (١) تسوية مع الملك حسين (٢) تسوية مع منظمة التحرير (٣) تسوية مع

سكان المناطق « المحتفظ بها » (٤) عدم القيام بأي عمل . لا يبدي الكاتب تحفظات كبيرة امام الخيارات الثلاثة الاولى ، الا انه يرى في الخيار الرابع أمرا خطرا بالنسبة لاسرائيل . اما الخيار الافضل بالنسبة اليه ، فهو الخيار الثالث ، ذلك ان الخيار الاول من شأنه ، ضمن الاوضاع الراهنة المعقدة جعل الملك حسين ، حسب رأيه ، يحتل موقع المتطرف في المطالبة ، لكي يبدو امام الكثيرين من منتقديه بأنه « يحصل منا اكثر مما يحصل عليه أي عنصر آخر » . اما بالنسبة للخيار الثاني ، فلا يرى امالا كبيرة تشير الى ان المنظمات الفلسطينية ستتخلى عن ميثاقها المعروف ، ويبقى الخيار الافضل بالنسبة له : « ان الخيار الثالث حسب رأيي هو الافضل بالنسبة لنا ، فهو محاولة للتوصل الى تسوية مع الفلسطينيين في المناطق المحتفظ بها، لان الفلسطينيين في هذه المناطق يشكلون التجمع الاكبر والاهم للشعب الفلسطيني . وهذا الخيار ينطوي على ميزتين بالنسبة لنا : فهؤلاء يعرفوننا بشكل واقعي ، ويدركون بأننا لسنا مخلوقات شيطانية ، ويدركون ايضا بأن قرارات الحسم بالنسبة للمناطق المحتفظ بها تمسهم بقدر أكبر مما تمس اي عنصر آخر » لينتقل بعد ذلك لمطالبة الحكومة بما يطالب به معظم الكتاب والمعلقين الاسرائيليين بضرورة اتخاذ مبادرة : « الزمن يضغط ، وينبغي على الحكومة اختيار احدى الخيارات ، والشروع بنشاط مبادر في الاتجاه الذي يتم اقراره ، ولكن ينبغي ان لا ننجر الى الوضع الاسوأ ، وضع « اجلس ولا تعمل » . »

نقلة تكتيكية في الموقف الاسرائيلي : يتضح لنا من استعراضنا لاراء مجموعة من الكتاب والمعلقين الاسرائيليين ، بأن القاسم المشترك بين هؤلاء بالرغم من أختلاف توجهاتهم ومشاربهم يتمثل في ضرورة قيام اسرائيل باتخاذ مبادرة جديدة ، تنقلها من موقع المدافع الى موقع المهاجم، تستهدف امرين، الاول، تطويق الانجازات التي حققتها فصائل المقاومة الفلسطينية ممثلة في منظمة التحرير ، على الصعيد السياسي ، وخاصة تجاه قضية تمثيل الشعب الفلسطيني ، والثاني ، احداث انشقاق بين فصائل المقاومة . أن عملية الانتقال هذه لا تمس جوهر الخط العام للسياسة الاسرائيلية بقدر ما تمس التكتيك الذي يخدم تلك السياسة . وكان خير من عبر عن هذا الاتجاه ، المعلق السياسي والعسكري المشهور هايم هرتسوغ في مقال له تحت عنوان « الفلسطينيون : سياسة وتكتيك » (هآرتس ٧٤/٦/٢١) .

يرى هرتسوغ ان الكرة اصبحت بيد الفلسطينيين على الصعيد العالمي ، ويقرر بأن اسرائيل « أصبحت بالنسبة للرأي العام العالمي بمثابة مدافع يجذب اليه ضغوطات من كل اتجاه » ... ويعتقد بأن الصورة في اذهان الرأي العام العالمي لاسرائيل المتعنتة والتي ترفض مبدئيا التفاوض مع الفلسطينيين ، وتحول دون تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، تعود الى طريقة معالجة اسرائيل للقضية الفلسطينية ، وعدم التمييز تجاه هذا الموضوع بين الخط السياسي والخط التكتيكي « علينا ان نعي دائما وأبدا ضرورة الفصل بين السياسة والتكتيك . اننا نتخذ سياسة كقاعدة موجهة للاجراءات السياسية المختلفة الخاصة بنا ، ومن ناحية اخرى ، فان التكتيك يعتبر جزءا من المناورة السياسية التي تمكننا من احراز تفوق اعلامي والتي تحاول الزام الطرف الاخر اتخاذ اجراءات ليست حسب تخطيطه المسبق » .

ثم يضرب مثلا على التمييز بين السياسة والتكتيك ، فيستشهد بمقررات المؤتمر الوطني الفلسطيني الذي عقد مؤخرا في القاهرة قائلا : « ان المجلس الوطني الفلسطيني ... لم يتنازل على سبيل المثال عن الميثاق الوطني لعام ١٩٦٨ والذي ينفي في الفقرة ١٩ حق اسرائيل في الوجود، وفي الفقرة ٢٠ الرابطة التاريخية والدينية بين اليهود وارض اسرائيل ، ولم يضم بين قراراته فقرة تنفي مبدأ المفاوضات والتسوية السياسية بالنسبة لقضية الحرب مع اسرائيل . ان ذلك اجراء تكتيكي يستوجبه الواقع ، على خلاف الخط السياسي » ثم يأخذ هرتسوغ ينحي باللائمة على المسؤولين الاسرائيليين لعدم نجاحهم في احداث فصل بين السياسة والتكتيك والتلاعب من خلاله لاحداث هوة بين المقاومة الفلسطينية وسكان المناطق المحتلة ، الامر الذي ساعد كما يقول على دفع الشعب الفلسطيني نحو منظمة التحرير . حول ذلك يقول : « ان القضية القومية الحيوية بالنسبة لنا كانت ولا تزال عدم السماح لتنظيمات التخريب لتمثيل الشعب الفلسطيني ، وبالنسبة

لهذا الموضوع ، وبالرغم من ان نسبة كبيرة من الشعب الفلسطيني تعيش تحت سيطرتنا ، لم نفلح في استغلال هذا الواقع . ان البيانات المختلفة والمتكررة والقائلة باننا لا نعترف بالفلسطينيين ، لان الفلسطينيين ليسوا شعبا ، واننا لن نتفاوض مع فلسطينيين ، قد عززت بمقدار لا بأس به ظهر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، ودفعت بالفعل الشعب الفلسطيني الى اذرعها » ومن هنا تأتي دعوة هرتسوغ الى اتباع تكتيك جديد يخدم الخط السياسي العام ، فبدل طريقة « اجلس ولا تعمل» والنظرة السلبية تجاه الشعب الفلسطيني يقترح: « بدل ذلك ينبغي على النظرة الاسرائيلية ان تنص على اننا لن نتفاوض مع كل عنصر فلسطيني ينفي حق دولة اسرائيل في الوجود ، ذلك يعني : ان اسرائيل لا تعارض التفاوض مع فلسطينيين ، انها تعارض التفاوض مع كل عنصر فلسطيني يسير في سياسة وفق الميثاق الوطني الفلسطيني لعام ١٩٦٨ والفقرات التي تنفي حقنا في الوجود . ان تصريحا كهذا يلقي بالفعل الكرة باتجاه الفلسطينيين ، ويحول الضغط الدولي من اسرائيل الى الفلسطينيين عندما يطلب منهم التنازل عن ميثاقهم الاساسي بالنسبة لمصير اسرائيل » . من الواضح ان هرتسوغ يسعى من وراء النقلة التكتيكية في الموقف الاسرائيلي الى حشر المقاومة الفلسطينية واحداث انقسام بين صفوفها ، وبالتالي تصم ظهر منظمة التحرير لكي يكون بمقدور اسرائيل حينئذ توجيه الكرة باتجاه اناس لا يحسنون استخدامها . ويعبر عن مراميه هذه بقوله : « لقد اخطأنا في الماضي ، ولكن لا زال الوقت غير متأخر لكيل الصاع صاعين ، والزام التنظيمات الفلسطينية باتخاذ قرارات تنسف القاعدة التي يعتمد عليها الميثاق الفلسطيني ، وتؤدي من خلال ذلك لحدوث انقسام بين صفوفها ، او ان تستمر امام انظار العالم في انتقاد حق اسرائيل في العيش ، حينذاك ستغدو القضية التي تواجهها اسرائيل على الصعيدين الاعلامي والسياسي اسهل ومقبولة أكثر في ارجاء العالم » .

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب

احصاءات فلسطينية

اعداد

الياس خوري

لاول مرة يصدر كتاب شبه شامل عن احصاءات الفلسطينيين في جميع البلاد العربية وفي فلسطين المحتلة ... وهي من النواحي الاجتماعية والسكانية والديمغرافية والاقتصادية والتعليمية للفلسطينيين في كل قطر عربي . وهناك احصاء عن الفلسطينيين المستفيدين من خدمات الاونروا من النواحي التعليمية والوظيفية والخدمات الاجتماعية .

نحو ٤٠٠ صفحة من الجداول بعشر ليرات لبنانية . يضاف اليها اجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في اوروبا ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

اطلبه من : مركز الابحاث ـ قسم التوزيع .
ص ب ١٦٩١ ـ بيروت .

تقارير

حول مهرجان لايبزغ السنوي للافلام الوثائقية والقصيرة

ينعقد ما بين تشرين الاول وتشرين الثاني هذا العام مهرجان لايبزغ السنوي للافلام الوثائقية والقصيرة ، تحت شعار (افلام العالم من أجل سلام العالم) . ويعتبر المهرجان تظاهرة سياسية للفيلم السينمائي النضالي ، اذ تشارك فيه غالبية دول العالم على صعيدين رسمي وشعبي . رسمي بالنسبة للاقطار التي تقف في الخط التقدمي في مناهضة الامبريالية ، وشعبي بالنسبة لتجمعات السينمائيين الشباب الذين يناضلون في نتاجاتهم ضد الاحتكارات السينمائية انتاجا وتوزيعا . ومنذ سبعة عشر عاما والمهرجان يدرس تجربته ويحقق تعديلات في نظامه ولجانه ، ومن ضمن الملابسات التي غالبا ما يقع فيها المهرجان هو العلاقة الدبلوماسية وانتقاء الافلام النضالية ، فكثيرا ما تقدم تجمعات السينما والشباب التقدمي اشرطة تعبر عن معاناة شعوبهم من تسلط واضطهاد للحريات ، ويقع المهرجان في عرض الفيلم في موقف محرج مع هذا النظام او ذاك ، ويتطور الامر لمستوى الاحتجاج الدبلوماسي باعتبار المهرجان يمثل المانيا الديمقراطية تمثيلا رسميا نظرا للاشراف المباشر من قبل وزارة الثقافة . لهذا السبب فقد حصلت في السنة الماضية تعديلات جذرية حيث وضع المهرجان تحت اشراف شعبي وفصل عن الاشراف الوزاري المباشر ، وعلى اثره تبدلت اللجان كاملة ، واسندت ادارته الى (تريش) بدلا من (هركنتال) . لذلك وجدنا نسبة الافلام الواضحة والتي تتناول موضوعات حركات التحرر والثورات في العالم ، اكثر من السنوات السابقة. كما وان شروطا جديدة ستعلن في القريب تحدد مواصفات الافلام التي تقبل في المسابقة . وعلى الصعيد الفلسطيني ، ونظرا للنجاح الذي حققه الوفد في المهرجان السابق (١٩٧٣) ، فقد اختير الفنان الفلسطيني « اسماعيل شموط » عضوا في لجنة التحكيم . وكان شموط في المهرجان السابق يرأس الوفد السينمائي الفلسطيني الذي شارك بشكل موحد لاول مرة ، حيث كانت اول مساهمة فلسطينية عام ١٩٧١ من قبل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . بهذه المناسبة نجد من الضروري الكتابة عن المهرجان السابق وعن الافلام المشاركة، وكذلك عن محاورة السينمائي الشيوعي مانفريد فوس الذي يقدم افلامه عن القضية الفلسطينية كل عام ممثلا لجماعة ميونيخ التقدمية — ليستفاد من التجربة للمهرجان القادم .

من بين الافلام التي قدمهاالوفد الفلسطيني تم انتقاء خمسة منها . ثلاثة في مسابقة السينما واثنين في مسابقة التلفزيون . وهذا العدد هو أكثر من أية مشاركة عربية اضافة الى النوعية كوثيقة وبناء ورؤية . واذا ما عرفنا بأن مؤسسات القطاع العام العربية تملك امكانات متقدمة وكبيرة لانتاج الافلام ، وتكاد الامكانات تنعدم في مجال السينما الفلسطينية ، يتأكد لنا الشوط الذي قطعته السينما الفلسطينية واهميته على مستوى النوعية والاستمرار ، وهذا ما أكده مهرجان لايبزغ بلجانه ومخرجيه ونقاده وجمهوره .

جائزة فلسطين : قبل الحديث عن الافلام المشاركة لا بد من معرفة « جائزة فلسطين » لان المهرجان ، ومنذ خمسة عشر عاما يمنح الجوائز على مستويين ، الاول ، مستوى لجنة التحكيم ، والثاني مستوى المنظمات والاتحادات العالمية وبتوصية من لجنة التحكيم ايضا . وهو لم يقبل منذ تأسيسه حتى الان جوائز من الاقطار المشاركة، لانه في هذه الحالة سيضيف عددا كبيرا من الجوائز تفقد اهمية الاختيار والفرز لاكثر الافلام، انسجاما مع هدف المهرجان وشعاره ، لهذا السبب ،

والمهرجان في عامه السادس عشر ، عندما اعلن عن اضافة جائزة جديدة الى جوائزه هي (جائزة فلسطين) ، كان مثار اهتمام كبير بعد أن اعلن الخبر في المؤتمر الصحفي الذي عقده (تريش) مدير المهرجان ، في اليوم الاول . وكان شرط منح الجائزة هو (أفضل فيلم يصور نضال شعب من الشعوب ضد الامبريالية) . وبعد مشاهدة افلام المهرجان ، وبعد مداولة مع لجنة التحكيم تم الاتفاق على منح جائزة فلسطين الى فيلم (موزامبيق، ثورة مستمرة) ، من اخراج (اوليزخ ماكوش وهانز اندرسون) ، انتاج المانيا الديمقراطية . ومنحت هذه الجائزة بعد أن وجد الوفد الفلسطيني، وبعد مداولة مع لجنة التحكيم ، ان هذا الفيلم يصور ، وبتقنية متقدمة ، نضال شعب موزامبيق في ظروف قاسية ، مؤكدا اصرار هذا الشعب على تجاوز كل المعوقات من أجل استمرار ثورته لتحقيق النصر . تمثل الجائزة ، اضافة الى الدبلوم الذي أعده المهرجان ووقعه رئيس الوفد الفلسطيني (اسماعيل شموط) ، تمثل خارطة فلسطين وعليها اسماء المدن الفلسطينية ، وكذلك شعار المهرجان (حمامة بيكاسو) مع جملة (أفلام العالم من أجل سلام العالم) بالعربية والالمانية .. كل هذا مصمم بشكل بارز على خلفية حمراء مؤطرة بالخشب بواجهة زجاجية . وقد تقرر ان تكون هذه الجائزة سنوية ، اضيفت رسميا الى جوائز المهرجان .

الافلام الفلسطينية في المهرجان

في اليوم الثاني للمهرجان عرض اول فيلم فلسطيني (ضمن المسابقة) هو فيلم ذكريات ونار من اخراج اسماعيل شموط وتصويره ومونتاج ابراهيم بشير . كان هذا الفيلم قد صور بالاسود والابيض ، واشترك في مهرجان بغداد الذي انعقد تحت شعار (تحرير فلسطين ركيزة للسلام العالمي)، وحاز على الجائزة الفضية لافضل فيلم قصير . ثم اعاد المخرج تنفيذه بالالوان بعد أن توفرت لديه فرصة تحقيقه بالالوان، ولاهمية ان يكون الفيلم ملونا كونه يعتمد على مجموعة من اللوحات التي تعطي الوانها قيمة تعبيرية في الفيلم . اساس هذا الفيلم لوحة (ذكريات ونار) التي منها تتداعى عند شخصية فلسطينية كهلة ذكريات الحياة في فلسطين ، ربيع الحياة فيها ، وانتفاضات الشعب الفلسطيني منذ اوائل هذا القرن حتى مأساة الهجرة وما بعدها عندما تفجرت حركة المقاومة الفلسطينية . ولم يعتمد المخرج اللوحات المرسومة فقط ، انما اعتمد ايضا الوثيقة الجامدة (الصور الفوتوغرافية) مانحا اياها قيما تعبيرية في اللون ، فمشاهد الهجرة والتشرد ظهرت بلون واحد هو الازرق دلالة الحزن، في حين منح وثائق المقاومة اللون الاحمر دلالة الثورة . ولقد فضل المخرج ان تكون الوثيقة جامدة وليست متحركة ، بغية توحيد اسلوبية الفيلم المبني على مجموعة من اللوحات التي هي اعمال المخرج نفسه .

النداء الملح لاسماعيل شموط ايضا ، هو الفيلم الثاني ضمن مسابقة السينما ، عرض في يوم مهم من أيام المهرجان هو يوم التضامن ، وفي هذا اليوم قدمت نشاطات على المسرح اضافة الى الافلام ، نشاطات فلسطينية ، وفيتنامية وافريقية مع أفلام عن فلسطين ، فيتنام وموزامبيق . فيلم النداء الملح هو اغنية بخمس دقائق لزينب شعث تتحدث عن فلسطين ، في احدى مقاطعها يقطع المخرج على صورة الشهيد كمال ناصر وتعرفنا بشخصه كلمات تكتب فوق الصورة ، ثم نسمع الشهيد وهو يتحدث عن استراتيجية الثورة الفلسطينية ليوضح بأننا نناضل من اجل كيان ديمقراطي ، وايضا نحن نناضل كي نخلص اليهود من الصهيونية ، وحال انهاء رأيه تجمد صورته على الشاشة لنسمع صوت اطلاق الرصاص مع كلمات مكتوبة على صورته توضح لنا عملية اغتيال كمال ناصر في بيروت ، بعدها نسمع تتمة المقطع الاخير من الاغنية (وهل تسمع نداء فلسطين الملح ... الخ المقطع) . والمخرج في هذا الفيلم لم يكتف بالمغنية وهي تردد مقاطع الاغنية ، بل انه ضمن الاغنية رسومات ووثائق فوتوغرافية تدلل على معانيها .

لماذا نزرع الورد .. لماذا نحمل السلاح :

الفيلم الثالث في مسابقة السينما ، هو لماذا نزرع الورد ، لماذا نحمل السلاح لقاسم حول وهو فيلم انتج مشاركة بين الاعلام الموحد في منظمة التحرير الفلسطينية ، وتلفزيون جمهورية المانيا الديمقراطية ، عن مهرجان برلين العاشر للشبيبة والطلبة الذي انعقد في برلين في العام (١٩٧٣) ومن خلاله لغرض مشاركة وفود العالم

مركزين على مشاركة وفد فلسطين ، ومن شعار المهرجان والتضامن ، الصداقة ، والحرية لجميع الشعوب ، يوضح الفيلم بالوثيقة بأن الشعوب المتضامنة في هذا المهرجان انما مرت ولا زالت تمر عبر نضالات مسلحة حققت لها الانتصار ، وهناك شعوب اخرى لا زالت تواصل مسيرة النضال حتى تحقق هي الاخرى ، الانتصار ، ومن هذه الشعوب ، الشعب الفلسطيني . وان ما عرض في الفيلم بالوثيقة عن مقاومة الشعب السوفياتي للغزو النازي لستالينغراد ، او مقارنة الشعب الفيتنامي للامبريالية الامريكية ، وما عرض عن الاضطهاد الفاشي في المانيا ، كل هذا جاء ليؤكد الكفاح المسلح الفلسطيني ضد الصهيونية ، الشكل الجديد للفاشية . حاز الفيلم على جائزة اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي مشاركة مع مشاهد من الاحتلال في غزة . كما حاز في العام ١٩٧٣ على جائزة اتحاد السينمائيين في ازبكستان في مهرجان طشقند مشاركة مع فيلم (وصية ام) .

مشاهد من الاحتلال في غزة :

الفيلم الاول في مسابقة التلفزيون ، هو مشاهد من الاحتلال في غزة لمصطفى ابو علي ، وهو من انتاج جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث (المنحلة حاليا) . وكان قد حاز على الجائزة الذهبية في مهرجان بغداد . الفيلم مجموعة وثائق حققها سينمائيون من التلفزيون الفرنسي في فيلم سينمائي استفاد منها المخرج واضاف لها تعليقا جديدا . والفيلم بمجمله يؤكد ما يعانيه أهالي غزة من تسلط العدو المحتل على الناس الذين نشاهدهم في الوثيقة وهم يتفجرون غضبا .

الارهاب الصهيوني :

الفيلم الثاني في مسابقة التلفزيون ، هو الارهاب الصهيوني لسمير نمر . في هذا الفيلم يعرض لنا المخرج القرى الوديعة في جنوب لبنان ، والتي يعيش فيها اللبنانيون والفلسطينيون ، وكيف تتعرض الحياة الجميلة في قرى جنوب لبنان الى عدوان ارهابي صهيوني يدمر الحياة ويقتل الاطفال . لقد استطاع المخرج ان يسجل وثائق مهمة عن الارهاب من عدوانه المستمر . وما اخذ على الوثيقة في المهرجان ، ان مشاهد الاطفال القتلى كانت طويلة زمنيا في الفيلم ، ولانها حادة في مأساويتها فقد تركت أثرا أنهك عاطفة المشاهد كونها تستعرض اكثر من مرة في اكثر من زاوية مجموعة اطفال مقطعي الاوصال بعد العدوان ، وعدا هذه الملاحظة فان الفيلم تمكن من تأكيد فاشية العدو وارهابه .

في نهاية المهرجان أعلن عن منح فيلم (لماذا نزرع الورد ، لماذا نحمل السلاح — وفيلم مشاهد من الاحتلال في غزة) جائزة اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي . هذا اضافة الى ما تركته بقية الافلام من انطباع غير عادي بين جمهور المهرجان ، نقادا ومخرجين ومشاهدين ، وعرضت مشاهد من هذه الافلام في التلفزيون خلال المهرجان . كما وان الوفد الفلسطيني قد حقق في مشاركته هذه انجازات تعدت حدود عرض الافلام ، ومحاورة الوفود وتسجيل تجاربها ، فقد حققت مجالا للتعاون لاسناد السينما الفلسطينية على مستوى التعاون الفني والتقني ، في توفير اجهزة ومعدات سينمائية للسينما الفلسطينية ، وتوفير دورات تدريبية وزمالات في هذا المجال . ومما يؤسف له ان الوفود العربية لم تقدم ضمن مشاركاتها افلاما عن القضية الفلسطينية ، ولا حتى عن الحرب الاخيرة ، عدا سوريا التي قدمت فيلمين هما عن نتائج الحرب وانعكاساتها ، اعني ان هذين الشريطين قد جاءا دونما وثيقة عن المعركة ، في حين قدمت جماعة ميونيخ فيلمين عن القضية الفلسطينية .

فمن هي جماعة ميونيخ ؟

تمثل جماعة ميونيخ للسينما التي شكلها (مانفريد فوس ، المت هيلشر ، هانزيوكن ڤيبر) تجمعا سينمائيا متقدما جدا وسط عالم الدعاية الصهيونية في المانيا الغربية . وكان الثلاثة قد أنتجوا من قبل فيلما سينمائيا بعنوان (فلسطين) عرض في مهرجان لايبزيغ عام ١٩٧١ وحاز على جائزة (الفيريسي) ، وترك صدى كبيرا بين اوساط النقاد والمهتمين بشؤون السينما . تضمن هذا الفيلم وجهة نظر المقاومة الفلسطينية ، ورؤيتها الى فلسطين الديمقراطية ، واستراتيجيتها في حرب الشعب الطويلة الامد . وفي هذا العام ، وفي مهرجان لايبزيغ ايضا عرض التجمع فيلمين الاول (لانه فلسطيني) ، والثاني (أرض الميعاد ، الحلم والحقيقة) . فيلم لانه فلسطيني ، يرصد مواطنا فلسطينيا يعيش مع زوجته وطفلته في المانيا الغربية.

تحقق لنا الكاميرا مراقبة كاملة لرجال المخابرات وهم يلاحقون هذا المواطن ، يرصدهم المخرج من أمكنة بعيدة بعدسات مقربة لنلاحظهم في سياراتهم وهم يتناوبون لمراقبة هذا الانسان لا لشيء الا (لانه فلسطيني) . وبعد رصد كامل لتحرك رجال المخابرات ، تدخل الكاميرا الى بيت الفلسطيني ويسأل ان كان يشعر بأنه مراقب ، فنعرف من خلال حديثه ، انه لا ينتمي الى اي فصيل من فصائل حركة المقاومة ، ويطل مع السينمائيين من نافذة بيته مشيرا الى سيارات رجال المخابرات . بعدها يذهب المخرج مع المصور الى رجال المخابرات ويسألونهم (لماذا تراقبون هذا الرجل) . طبيعي ليس من السهل ان يتقبل رجل مخابرات اسئلة تكشف هويته ومهمته ، ولكن المخرج يصر ، على انه قد راقبهم مثلما هم يراقبون الرجل ، وانه صورهم ، وعليهم ان يكفوا عن مراقبة الناس ومتابعتهم بهذه الطريقة المضجرة ، وكلما حاول رجل المخابرات ان يفلت من الاجابة ، نلاحظ الكاميرا تدور حول سيارته ، والمخرج يسأله ويقترب الميكرفون منه محاولا ان يحصل منه على اية جملة .. الاسئلة تكثر وتتنوع ، (اليوم عطلة .. عليك ان تأخذ قسطا من الراحة .. اذهب الى بيتك .. كن مع زوجتك واطفالك) والاجوبة تبقى مترددة (انها الاوامر .. هكذا طلبوا مني ..)

ان هذا الفيلم (لانه فلسطيني) ، لا يمثل قدرة متقدمة فقط في رصد حياة انسان فلسطيني ، ولا في تعرية عالم المخابرات المنظمة لاستلاب حريات الناس في المجتمعات الاستغلالية ، فقط ، بل يوضح لنا ويرد بهدوء وبمنطق على كل الادعاءات التي تعلنها أجهزة الاعلام الامبريالية في المانيا الغربية والتي تحركها وتوجهها الحركة الصهيونية هناك . قال لنا (فوس) ، لقد نشروا (كاريكاتيرا) في مجلة المانية غربية لرجل فلسطيني ملثم بالكوفية وبعينين حاقدتين ، وكتبوا على الصورة (لا نريد ان يعكر علينا هذا النموذج ايام عيد الميلاد) .اذن نحن بحاجة الى مثل هذه الاشرطة لتكون الى جانبنا ، وبحاجة ايضا الى توطيد العلاقةواسهاما في تعميم انتاج جماعة ميونيخ . اما الفيلم الثاني، والذي كان مثار نقاش طويل هو (ارض الميعاد ، الحلم والحقيقة) . صور هذا الفيلم كاملا داخل الارض المحتلة ، وفيه يطلعنا المخرج على كل وجهات النظر سواء في داخل الاحزاب الموالية للحكم العسكري الاسرائيلي او الاحزاب المعارضة لهذا الحكم . تدخل الكاميرا الى (الكنيست) ، وتصور لنا (مائير) وهي تتحدث عن اليهود في اوروبا وامريكا وفي الاتحاد السوفياتي ، وهي تريد نضالا من اجل تأكيد هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي ، لانهم كما تقول ، يعانون حصارا ونحن بحاجة الى طاقاتهم ، اما يهود امريكا واوروبا ، فمائير تفضل بقاءهم هناك ، لانهميمثلون الواجهة التي تدعم الوجود الاسرائيلي وتسنده . والمخرج في كل هذه اللقاءات، وفي كل هذهالعروض يتخذ موقف المعلق ، ليرد على وجهات نظر العدو بوجهات نظر متقدمة .. ولان الفيلم يمثل حالات كاملة في داخل الارض المحتلة للحكم العسكري ، اضافة الى وجهات نظر الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، فان وجهات النظر هذه كثيرا ما تستفز الانسان العربي ، لانه يسمع حديثا اسرائيليا يجرح شعوره ازاء الارض المغتصبة .. اسئلة كثيرة جدا تطرح حول الفيلم ، لماذا الفيلم ؟ لماذا يخلو الفيلم من وجهة نظر المقاومة الفلسطينية لترد على اراء العدو . هذه الاسئلة جعلت الوفود العربية تطلب اجتماعا مع مانفريد فوس لمحاورته ، وقد تم الاجتماع في غرفة الوفود العربية بعد عرض الفيلم مباشرة . ولاهمية ما دار في النقاش ننقله للقارىء العربي . بدأ الحديث (سلام السلطان) من الوفد العراقي ، (ماذا يريد ان يقول المخرج من خلال الفيلم) ، اجاب (فوس) : في المانيا الغربية لا توجد اشياء معروفة بشكل جيد عن اسرائيل — وان منظمات التلفزيون الرسمية تقف بوضوح الى جانب اسرائيل ، هذا هو الشيء الوحيد الذي يعرفه شعبنا . من الضروري لنا ان نوضح هذه الامور في بلادنا حول واقع السلطة التي تمارس التطبيق الصهيوني على الناس هناك. لذلك بالنسبة لنا هو البحث عن تلك القوى التي تطرح افضل الشعارات . وهم بالنسبة الى رأيي، كل القوى التقدمية ، الاحزاب الشيوعية ، الدول الديمقراطية والاشتراكية ، والحركات التحررية في العالم الثالث ، التي تقف بوضوح تام وراء تطبيق قرار (٢٤٢) ونحن ننطلق من الخطوة الاولى لتحقيق الحل (اعادة المناطق المحتلة) . اما ما سيحدث بعد ذلك في المناطق المحررة او المحتلة من تطورات ، فذلك ما تقرره الشغيلة والفلاحون.

ونحن علينا باستمرار ان نوضح الى جماهيرنا في المانيا الاتحادية ، اي شكل من العسكرية ، واي شكل من الفاشية يمارس على الناس في فلسطين المحتلة . وعلينا ان نوضح الدور الذي تلعبه اسرائيل في المنطقة كراس حربة للامبريالية الامريكية . (يعترض هنا سعيد السعدي من الوفد العراقي ايضا — ولكن قرار ٢٤٢ لا علاقة له بالقضية الفلسطينية . انه قرار يتعلق بالاراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧) . ويجيب فوس — نحن نقول ، اننا يجب ان نتجاوز الصهيونية . وهذا التجاوز يتحقق من عدة جوانب . واحد هذه الجوانب النضال في داخل فلسطين المحتلة . بالنسبة لي ، الاخ الطبقي هو ذلك اليهودي الذي أتى الى داخل فلسطين ، والشيوعي الذي يناضل ضد النظام العسكري وضد التعصب الشوفيني ، مثله مثل العربي الذي يناضل ضد هذا النظام . هذا وذاك ، الاثنان هما اللذان يمكن ان يتجاوزا الواقع الصهيوني ويتجاوزا النظام في اسرائيل . ويقيموا دولة ديمقراطية ، مثلما في المانيا الغربية توجد دولة احتكارية امبريالية ، سنتخطى نحن القوى التقدمية نظامها ونتخلص منه . ولكن القضية تبقى دائما قضية توازن قوى سواء على الصعيد المحلي او العالمي . مثلا الحزب الشيوعي في المانيا الغربية ، كان ممنوعا ، ولكن حدثت تغييرات كثيرة ادت الى وجود الحزب العلني في عام ١٩٦٨ . لا شك ان هذا نصر واضح للقوى التقدمية في المانيا الغربية . (قاسم حول ، من الوفد الفلسطيني — لقد شاهدنا في الفيلم وجهات نظر مختلف القوى داخل فلسطين المحتلة . ولما كان من المتعذر ، اخذ وجهة نظر المقاومة الفلسطينية في الداخل ، أما كان الاجدى لو طرحت في هذا الفيلم وجهة نظر المقاومة الفلسطينية التي تناضل على حدود فلسطين المحتلة ؟) (فوس — يجب ان ننظر الى هذا الفيلم وعلاقته بالفيلم الاول فلسطين . الفيلم الاول طرح كل ما يتعلق بوجهة نظر المقاومة واستراتيجيتها . أما هذا الفيلم فيتناول الوضع السياسي بالتحليل في الداخل . وهناك فيلم ثالث يتناول المصالح الامبريالية في الشرق الاوسط وبشكل خاص قضية البترول — وعندما سيكتمل الفيلم الثالث ، سأجمع الثلاثة في فيلم واحد تسجيلي طويل ، يمكن ان يكون تحليلا كاملا للمنطقة نشاهد فيه طرحا كاملا للواقع الفلسطيني والواقع العربي ، ومصالح الامبريالية في المنطقة كاملة . (سلام السلطان ، الوفد العراقي — هل تعتقد في امكانية عرض هذا الفيلم في المنطقة العربية بشكل جماهيري) (فوس — لا أعتقد ذلك ، ولكن يمكن تقديم عروض خاصة لرجال السياسة والاعلام والمثقفين عندكم ومناقشة ما جاء فيه من اراء) . (قاسم حول — من الوفد الفلسطيني — هل ستقوم بعرض هذا الفيلم ، اقصد ما اسميته بالحلقة الثانية ، بعروض عامة او خاصة قبل ان تكتمل الحلقة الاخيرة لتشكل فيلما واحدا ؟ (فوس — بالنسبة لهذه الحلقة ، لن تعرض غير هذا العرض الذي تم في مهرجان لايبزيغ ، وانا بصدد انجاز القسم الثالث حتى يشاهد المتفرج وجهات نظر كاملة ، وتحليلا كاملا للواقع . (عمر اميرالاي — من الوفد السوري — لقد اظهرت في الفيلم وجهة نظر الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، راكاح ، لماذا لم نشاهد وجهة نظر ماتسبن والجبهة الحمراء اللتان تناضلان ضد الوجود الصهيوني في المنطقة ، وقد ترجمتا وجهات نظرهما بشكل عملي ؟) . (فوس — ان ماتسبن ، شق الحزب الشيوعي الاسرائيلي ليس بسبب تقدمي ، وهم قد اتخذوا مواقف لا ضد الصهيونية بل لصالحها ولصالح الامبريالية الامريكية ، فكيف يمكنني ان اظهر — الوعل على انه صاحب الحقل) . (صلاح التهامي — وفد مصر — الا تعتقد ان مشاهد العسكرية الاسرائيلية التي تضطهد المواطنين كان ضعيفا ، وغير مجسد للاضطهاد الفاشي ؟) . (فوس — الواقع اننا عملنا تجارب كثيرة بشأن كل المشاهد ، وبشأن هذا المشهد بالذات ، لقد استدعينا عدة مشاهدين ، واستطلعنا آراءهم . سألناهم مثلا عن الموسيقى التي رافقت المشاهد العسكرية — هل استطعتم ان تعرفوا ان هذه الموسيقى هي موسيقى نازية ؟ — فأكد لنا الجميع ان ما شاهدوه في الصور مع الموسيقى قد اعطاهم هذا الاحساس ، واعطاهم احساسا واضحا بان الرجل الذي يفتشه البوليس الاسرائيلي بأنه مصمم على المقاومة من خلال نظراته وتعابير وجهه) . (صلاح التهامي — انا لا زلت اختلف في الرأي في ان المشهد بالنسبة لي لم يعط التأثير المطلوب . ثم هناك مشهد آخر هو مشهد التمثال الذي يمثل المقاومة في بولونيا ، اعتقد ان التمثال ووجوده الذي يصور مقاومة اليهود في بولونيا للنازية ،

وظهوره في الفيلم يأتي لصالح العدو وليس لصالحنا) . (فوس — الواقع يجب ان تعرف النص بدقة . ان هذا المناضل المعادي للفاشية هو ملكنا ، ولكن الصهيونية قد عملت الحيلة التالية . لقد وضعوا هذا التمثال لمقارنته بالحرب الحديثة ، تشاهده يقاوم ، وايضا حوله جنود مصريون قادمون باتجاهه . يريدون ان يقولوا ، ان اليهود قاوموا النازية ، وهم الان يقاومون الغزو العربي . لكننا بعد المشهد ننتقل الى متحف مردخاي لنسور ، ان ما تعمله اسرائيل هو شبيه بما عملته الفاشية سابقا . وفي التعليق نقول ، لا يمكن ان يكون سلام في اسرائيل طالما ان هناك شعوبا عربية مضطهدة ، وهذا التعليق مأخوذ عن مقولة لانجلس، ان شعبا يضطهد شعوبا اخرى لا يمكن ان يكون حرا) . (صلاح التهامي — مصر — الا تعتقد ان التعليق والحوار كان كثيرا في الفيلم ؟) ، (فوس — هذا هو رأيي ايضا ، ولكننا مضطرون لذلك ، لان الاراء التي يطرحها المسؤولون في الحكومة الاسرائيلية تضطرنا لتعقيبها باراء تمثل وجهة نظرنا كرد وتحليل للواقع المطروح) . (صلاح التهامي — انا لم احب لقطة دايان في الفيلم ، فلقد اغاظني كونه ظهر متبخترا). (اعضاء الوفود العربية — ناقضوا رأي التهامي، في ان المشهد الذي ظهر فيه دايان كان جيدا ، وقالوا انه أظهره كريها ، وهذا ما يجب ان يكون) — هنا لا بد من ان نوضح بان اللقطة التي أخذت لدايان ، كانت من زاوية عالية ، اي انها اظهرته واطيا ، وهذه الزاوية السينمائية قد عبرت عن وجهة نظر المخرج في شخص دايان ، اضافة الى انه ظهر بجلوسه المهمل لكل الموجودين في الكنيست واثناء ما كانت مائير تلقي كلمتها عن اليهود خارج اسرائيل ، نلاحظ خلال كل هذا ان دايان كان نموذجا للفاشي . (هنا طلب احد الحاضرين الحديث قال : لست سينمائيا ، ولكنني مواطن من الارض المحتلة . اريد ان انبه الى شخص ظهر في الفيلم ، هو — اوري اوفرينش — كان يتحدث عن اقرت وكفر برعم . هذا الشخص اعرفه واتابعه جيدا . ليس شخصا تقدميا ولا شيوعيا ، وان الصهيونية تستفيد منه كثيرا هذه الايام . وفي الحرب الاخيرة بين العرب واسرائيل اتخذ مواقف مؤيدة للصهيونية) . (فوس — سأقطع هذا المشهد من الفيلم حالا ، وبعد تأكدي من الموضوع ، سأهتم بالموضوع كثيرا ، اذ ليس لي علم بمواقفه الاخيرة) .

قاسم حول

صدر عن مركز الابحاث كتاب

« الضمير »

قصة الشهيد كمال ناصر

بقلم : هالة سلام وسلوى الخالدي

٣٢ صفحة باللغة الانجليزية مقرونة بالصور عن الشهيد كمال ناصر : الانسان ، المناضل ، والشاعر .

سعر النسخة ٢ ل.ل. يضاف اليها أجور البريد الجوي :
٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١ ل.ل. في اوروبا ، ٢١/٢ ل.ل. في سائر الدول .

أطلب نسخك من : مركز الابحاث / قسم التوزيع
ص.ب ١٦٩١ — بيروت

مؤامرة الصمت ... مشكلة نشر الحقيقة حول فلسطين

كتبت المؤلفة البريطانية باميلا فيرغوسون هذا العرض للمشاكل التي واجهتها في نشر كتابها « المشكلة الفلسطينية » ، مما يعطي قارىء شؤون فلسطينية صورة حقيقية عن التجارب المرة التي يتعرض لها الكتاب الاجانب الذين يحاولون خرق جدار التحامل الاعلامي ضد الفلسطينيين .

خلال كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ نشرت كتابي « المشكلة الفلسطينية » ، اخيرا ، شركة شجاعة في لندن ذات ميول راديكالية تدعى مارتن بريان اند اوكيف . وقصة هذا الكتاب قبل صدوره محفورة في ذهني كمثل ، كانذار ، لجميع الصحافيين الغربيين امثالي الذين يختارون كتابة الحقيقة حول المشكلة الفلسطينية ، فيجدون أنفسهم عرضة لمختلف أشكال الرقابة .

كانت في الاصل شركة روبرت هارت — ديفيز ، وهي قسم من دار غرانادا للنشر التي يرأس مجلس ادارتها اللورد بيرنشتاين ، قد كلفتني بتأليف الكتاب وتخلت الشركة عن الكتاب في خريف ١٩٧٢ — بعد سنتين تقريبا من تكليفي بتأليفه ، وفي غضون بضعة أشهر فقط من تاريخ الصدور كما اعلن عنه في اعلان نشرته الشركة في المجلة الرئيسية لقوائم المنشورات ، « ذا بوكسيلر » ، (١٢ آب/اغسطس ١٩٧٢) .

ثمة أسباب عدة لفرض هذا النوع من أنواع الرقابة على الكتاب والصحافيين . وليس هناك تفسير بسيط له . وربما كانت نقطة الانطلاق الاكثر منطقية هي الشعور الغربي الهائل بالذنب حول المذابح اليهودية . وتنبثق من هذا الشعور بالذنب حاجة لاشعورية للمغالاة في التعويض ، وبالتالي لتفسير او تسويغ افعال اسرائيل . وثمة جانب اخر يرفض رفضا مباشرا صريحا ، القبول بحقيقة أن شعبا اسيئت معاملته الى هذا الحد قادر ، هو نفسه ، على اساءة معاملة الغير . وهذا كله يخلق عائقا عاطفيا وفكريا تزيده حدة مجموعة من الضغوط الصهيونية . وهناك ، ايضا ، خوف من أن يوصم المرء بـ « اللاسامية » . وبالفعل ، فان نصف المعركة في الغرب يتألف من اقناع الناس بأن انتقاد الصهيونية لا يجب ان يلصق بهم ، بصورة اوتوماتيكية ، تهمة « اللاسامية » . وليس هذا بالامر السهل .

قبل أن ابحث المشكلات التي اعترضتني مع غرانادا ، أود ان اوجز حالة أحدث من حالات الرقابة . خلال اواسط ايار (مايو) ١٩٧٤ ، زارت لندن لمدة اسبوع ابرز محامية للحقوق المدنية في اسرائيل ، فليسيا لانغر . وحملت معها تفاصيل حول المعاملة الاسرائيلية السيئة للسجناء السياسيين ، وعدم السماح للمحامين ولممثلي الصليب الاحمر بالوصول اليهم ، وأدلة على التعذيب وعمليات الضرب الشديد ، ومخالفات القوانين القاسية المفروضة على الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال العسكري ، ومخالفات اسرائيل المتكررة لقرارات مؤتمر جنيف الرابع لعام ١٩٤٩ . ودعي الى مؤتمرها ١٠٠ مندوب من الصحافة والتلفزيون والراديو — فحضره اقل من عشرة . ونشرت صحيفتا **الغارديان** و **المورننغ ستار** جزءا معدنا فقط من معلوماتها ، وربما اذيع أيضا نبأ او نبآن صغيران في محطتي الراديو التجاريتين بلندن (كابيتال والاذاعة البريطانية) وبرامج الاذاعة البريطانية الموجهة الى الخارج .

وكنت قبل وصولها قد رتبت الامر لاعطي صحيفة **الصنداي تايمز** اللندنية مقالة متصلة حول السيدة لانغر وعملها . ومن عادة صحفنا الليبرالية ان ترحب بكلمات المحامين الراديكاليين . ومما لا ريب فيه ان مقالتي حول الامور التي أماطت اللثام عنها كانت بشكل صارم واقعية ، دقيقة ، وقد راجعتها السيدة لانغر بعناية ، قبل عودتها الى اسرائيل عن طريق باريس . وسلمت مقالين **للصنداي تايمز** يوم الجمعة السابع عشر من ايار (مايو) ، وما زلت انتظر نشرها . ففي بداية الامر ، كان لا بد من « التثبت من تفاصيلها بواسطة مراسلنا في اسرائيل » ... ثم ، كان بعض ما جاء فيها سيستعمل كأساس لتحليل قوانين اسرائيل الادارية (التي تستطيع السلطات العسكرية بموجبها أن تقدم على اعتقالات احتياطية وتسجن

دون محاكمة لمدة غير محددة) . ثم قررت **الصنداي تايمز** أن تركز على دراسة قضية من أحدث قضايا السجن الكيفي دون محاكمة ، والتعذيب . ومع كل قرار جديد كانت مقالتي الخاصة حول السيدة لانغر ، التي رحبت بها الصحيفة في اول الامر ، تدفع الى الخلفية اكثر فأكثر . وكنت اقبل بحاجتهم الى التثبت من الحقائق وفي الوقت نفسه احاول أن ارى اذا كانوا يطبقون القاعدة نفسها على الجانب الاخر . لكني اكتشفت ان الاجراءات تطبق على فقط . فبعد تسليمي القطعة بيومين ، نشرت **الصنداي تايمز** تقريرا كبيرا في التاسع عشر من أيار ، وعلى الصفحة الاولى ، عن تعذيب اسرى الحرب الاسرائيليين في سوريا ، « على ايدي محققين روس » . وركزت الصحيفة بشكل مبالغ فيه على استعمال « عقار الحقيقة » على الاسرائيليين . وجدير بالملاحظة ان ما من صحيفة اخرى نشرت التقرير او أشارت اليه ، علما بأن **الصنداي تايمز** قالت ان « مصدرا عربيا عاليا » قد أكده (من ؟؟) . وبعد ثلاثة اسابيع كذبت الحقائق ذلك التقرير . فعندما اعيد اسرى الحرب الاسرائيليون ، لم يصرح احد منهم بأن التحقيقات قام بها الروس ، ولتأكيد هذا الامر صرح وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيريز بصورة صريحة بأنه لم تكن ثمة أدلة تؤيد الزعم القائل بأن التحقيقات كانت تنطوي على اشتراك السوفييت او استعمال « عقار الحقيقة » . وأيدت هذه الحقيقة مقابلات ، اذيعت على محطات التلفزيون البريطانية ، مع بعض اسرى الحرب الذين قالوا بوضوح ان السوريين والمصريين كانوا هم الذين قاموا بالتحقيقات .

في ذلك العدد نفسه (١٩ ايار — مايو) حملت **الصنداي تايمز** رواية مفصلة لحادث معلوت — ونشرت الاكذوبة ، التي فضحتها فيما بعد الصحف الاسرائيلية نفسها ، بأن السفير الفرنسي اشترك في المفاوضات المخادعة وبأن الاسرائيليين كانوا يعتزمون اطلاق سراح السجناء السياسيين (مع انه لم يكن في نيتهم فعل ذلك ابدا . فجميع الذين ادرجت اسماؤهم وضعوا في الحبس الانفرادي لدى اذاعة الاعلان) . وقد استخدمت صحفتان كاملتان لهذه الرواية المفصلة — ولم تأت على ذكر أية اشارة الى الغارات الانتقامية الوحشية التي يقوم بها سلاح الجو الاسرائيلي على المخيمات والمدنيين في لبنان الا في نهاية التحقيق كله (في فقرتين او ثلاث فقرات) .

وفيما بعد ، في التاسع من حزيران (يونيو) نشرت الصحيفة مقالة حول عودة الاسرى الاسرائيليين من سوريا ، وفصلت مزاعم التعذيب من جديد . ومع هذا فانهم ، حتى لمصلحة « نظرة متوازنة » للامور ، لم يعتبروا انه من الضروري نشر مواد حول معاملة الاسرائيليين السيئة للفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال العسكري .

ما زلت اعيش على أمل انهم قد ينشرون شيئا ، وقد ينقذون شيئا من مقالتي ، ويستعملوه مع أي دليل قد يرسله مراسلكم ، او قد لا يرسله ، لهم في لندن بواسطة التليكس . وعندما استعلمت عن مصير مقالتي هذا الاسبوع ، قيل لي أنها « جدلية أكثر من اللازم » ، وان مراسلهم في اسرائيل لم يستطع العثور على أية ادلة تؤكد التعذيب . وكان مراسلهم هذا ، اريك مارزدن ، قد ارسل الى صحيفة **التايمز** ؛ وهي شقيقة **الصنداي تايمز** ، في الثاني عشر من حزيران (يونيو) تقريرا يروي فيه بتفصيل تعذيب الاسرى الاسرائيليين على يد السوريين (ودليله الوحيد على هذا هو قول الحكومة الاسرائيلية) . وفي نهاية تقريره اشار بصورة غير مباشرة الى ما قاله بيريز : « رفض الوزير مزاعم التعذيب التي اوردها الاسرى السوريون العائدون بوصفها محاولات ملفقة لاضعاف قضية اسرائيل » .

عندما أخبرتني **الصنداي تايمز** في لندن انهم لم يتمكنوا من العثور على أية أدلة على أن الاسرائيليين قاموا بالتعذيب ، اقترحت عليهم ان يتحدثوا الى نوزي الاسمر ، الموجود في لندن حاليا . وكانت الصحيفة دوما قد شددت على الصعوبات التي تجدها في « تعقب » الذين عذبهم الاسرائيليون ، ولهذا السبب اعتقدت انه ينبغي عليهم التحدث الى الاسمر ، في لندن ، فورا . ومع انني بعثت لهم بتفاصيل حول كيفية الاتصال به (رغم هاتفه وعنوانه الكامل) وبعثت لهم بمعلومات اخرى ، فانهم لم يحاولوا التحدث اليه .

ويبدو ان لا نهاية هناك لكمية الادلة الواقعية التي يمكن للمرء ان يعثر عليها لدعم قضية من

القضايا ، او حجة ما ، او شجب قضية او حجة . وأعلم تمام العلم ان من واجب كل صحافي أن يكون نزاعا الى الشك والريبة ، وان يراجع، وأن يستقصي ، وان يزن الادلة التي يقدمها المتورطون في جدل سياسي . وبالفعل ، هذه هي مهمتنا ، وهذا هو عملنا . بيد أن **الصنداي تايمز** اكدت لي أنهم يراجعون ويدققون ، مثنى وثلاثا ، في المعالم المماثلة ، والاتهامات المماثلة الموجهة ضد البريطانيين في ايرلندا الشمالية ، ونظام الحكم اليوناني ، ونظام جنوب افريقيا ، على سبيل المثال لا الحصر . ولكن مما لا ريب فيه أن الادلة الواقعية للروايات التي ينشرونها (والتي أوجزتها أنا) لا تؤيد هذا الزعم . فالتهمة الموجهة ضد فيليسيا لانغر ، هنا ، هي انه كان لا بد من موازنة ادلتها ضد حقيقة كونها « موالية للفلسطينيين » ، « شيوعية » ، و« متورطة في القضية » . وما زلت انتظر سماع الحجج نفسها تطبق لضبط او معادلة ادلة المحامي الجنوب افريقي او اليوناني او التركي الذي يصل الى لندن وهو يحمل معلومات مماثلة تتعلق بنظام بلاده .

هذا الوضع يضع الصحافة المسماة ليبرالية على محك شديد . مثال ذلك أن **الغارديان** تعتز بارائها اليسارية ، وبقرائها الراديكاليين ، وبتقليدها في الصحافة الاستقصائية . ومع هذا فيوم الاثنين العاشر من حزيران (يونيو) ١٩٧٤ نشرت افتتاحية، لا تكتفي بتأييد مزاعم الراقصين اليهوديين الروسيين ، الزوجين بانوف ، بالكلمات الاستهلالية « ان سنتين هما مدة طويلة جدا لينتظر أي شخص السماح له بمغادرة بلاده » ، ولكنها انتقلت لتقترح على كل من يختار حضور موسم باليه البولشوي الحالي في لندن ، وجوب ارسال تبرع « للجنة دعم اليهود السوفيات » في « مجلس ممثلي اليهود » في لندن . فكتبت للصحيفة واقترحت عليها ، بالنظر الى تقليدها الليبرالي ، وجوب اعادة التعبير عن محتوى افتتاحيتها مع التذكير بالفلسطينيين واقترحت عليها القول : « ان ستا وعشرين سنة هي مدة طويلة جدا لينتظر أي شخص السماح له بالعودة الى بلاده » ، واضفت : « على جميع الذين يحضرون النشاطات الثقافية الاسرائيلية ان يرسلوا تبرعا الى منظمة التحرير الفلسطينية ، في شارع هاي هيل في ماي فير بلندن » .

انني اضع غرانادا في نفس الفئة مع **الغارديان** و**الصنداي تايمز**، بوصفها مؤسسات تعتز بتقاليدها الراديكالية والليبرالية . وترعى غرانادا باعتزاز سلسلة من المحاضرات كل سنة في لندن تحت العنوان العام « حرية الصحافة » . ويعلن عن المحاضرات على نطاق واسع ويثنى عليها للمتكلمين البارزين فيها ولمواضيعها المحركة للفكر .

لقد شنت **الصنداي تايمز** حملات من اجل قضايا مختلفة (مثل ضحايا حبوب منع الحمل المشوهين ، والاولاد والزوجات الذين يتعرضون للضرب الشديد الوحشي) وصمدت في وجه اشد الضغوط القانونية وغير القانونية . وبالفعل ، فان الصحيفة هي في طليعة الصحافة الاستقصائية وقد كسبت الشهرة لكونها تغامر لتغيير القوانين وفضح نواقص النظام ونشره التفاصيل التي تشجب الانظمة القمعية حول العالم . وانني انوه بهذا الامر لانه يزيد من صعوبة وتقبل سلوكهم تجاه مقالتي والمعلومات المؤيدة لها . ان اثنين من أشهر مراسلي صحيفة **الغارديان** ، وهما آدم رفائيل (الذي كشف عن الاجور المتدنية المريعة التي تدفعها الشركات البريطانية في جنوب افريقيا للعمال السود) وبيتر نيزواند (الذي سجن في روديسيا لفترة من الوقت) قد فازا بجائزتين لاعمالهما الاستقصائية وشجاعتهما . ففي المجموعة الاخيرة من الجوائز المطلوبة التي تقدمها « شركة النشر الدولية » سمي رفائيل ، بحق ، صحافي السنة ، لعمله على فضح الاجور الزهيدة التي تدفعها الشركات البريطانية للعمال السود في جنوب افريقيا ، وسمي بيتر نيزواند مراسل السنة الدولي . انني معجبة بعملهما وشجاعتهما . لكن من المحزن ان الصحيفة التي تستخدمهما ، **الغارديان** ، لا تطبق الاحكام والمقاييس المتنورة نفسها بصورة جذرية على التحقيق في السياسات الاسرائيلية .

ان سلسلة « العالم في العمل » التي تنتجها شركة غرانادا عينها على التلفزيون التجاري في بريطانيا ، هي السلسلة الاثيرة المعززة لدى الجماعات الراديكالية . وقد انتجت بعض التحقيقات المرتكزة الى ابحاث ممتازة حول التعذيب في تركيا والبرازيل والتشيلي والفيتنام الجنوبية

وايرلندا الشمالية ، وقد حضرت أنا حفلة خاصة (اقامتها منظمة امنستي Amnesty) **حيث** عرضت هذه الافلام الواحد تو الاخر . وقد عرض الفريق نفسه لاخطار لا تعد ولا تحصى لجمع هذه المواد ، وكثيرا ما كان اعضاؤه يفعلون ذلك منتحلين صفة السياح ومستخدمين كاميرات ٨ ميلمتر الصغيرة . لكن لفرانادا ، كما **للفارديان وللصنداي تايمز** ، مجموعة مختلفة من القواعد والمقاييس للمشكلة الفلسطينية .

أود أن يكون من الواضح تماما انني اتكلم بصفتي صحافية مستقلة . لقد عملت في هيئة محرري صحيفة **التايمز** (الاخبار التجارية) لمدة سنة ، وعملت ، كذلك ، في مجلات شهرية واسبوعية . وقد حدث تورطي في الشرق الاوسط بمحض الصدفة . فانا غير مرتبطة بأي من الجماعات الضاغطة المختلفة التي تؤيد القضية في بريطانيا ، اذ أشعر أنه من الضروري للصحافي ان يكون مستقلا ، ولا اريد ان أبشر للمهتدين. وشأني شأن الكثيرين من زملائي ، قاومت الانهامات التي وجهتها تلك الجماعات الضاغطة حول الرقابة المزعومة على المواد التي اما تنتقد السياسات الاسرائيلية أو تكشف عن المحنة الفلسطينية ، طولا وعرضا . فقد وجدت هذا الانتقاد مائعا ، وتذمرا تتقاسمه الجماعات الضاغطة جميعا ، الى ان حدث الامر معي .

لأكن صريحة حول تورطي في حالة الشرق الاوسط . لقد ابتدأت بأوهى المعلومات عنها ، وكنت مليئة بالاعتقادات والافكار الخاطئة التي تمثل النظرة الغربية الكلاسيكية . وليس لعائلتي اية صلات (عرقية او عسكرية او دبلوماسية) بالشرق الاوسط ، لذا ابتدأت حول الموضوع من الصفر . غزرت اولا اسرائيل عام ١٩٦٦ عندما كنت في الثانية والعشرين، سريعة التأثر، وأقاوم تربية غربية تربط الاستكشاف والمدنية والثقافة بالانسان الابيض . وصورة اسرائيل قوية في الغرب ، ولكننا لا نعلم شيئا عن الفلسطينيين . وقد زرت اسرائيل كالكثيرين غيري من الجوالين الشبان ذوي الميول الاشتراكية.

اعتقدنا (وكم كنا مخدوعين !) ان اسرائيل تقدم اشتراكية حقيقية ، ارضا يعيش عليها الناس قريبين من التراب ، وتتمتع فيها النساء بالمساواة ، ويشعر فيها القوم من خلفيات عديدة بأنهم جزء من مجتمع نشيط وراديكالي . ولم يطل بي الوقت حتى أدركت ان هذه الصورة مضللة خادعة الى حد مبئوس منه . فذلك المزيج المعلب من ضوء الشمس والصحة والنشاط والغريزة الصرفة وهلم جرا كان غطاء منظما بصورة بارعة ماكرة يهدف عن طريق الخداع ، الى كسب التأييد والدعم من اليهودية العالمية ، اروع ابنائها ، والاهم من ذلك : جيوبها. وكان لذلك الغطاء هدف اضافي . فهو يخدع المفكرين في الغرب . والامر الادهى من ذلك هو انه يطمس صرخة فلسطين وفي الوقت ذاته يقدم ملصقات زاهية الالوان لصناعة اسرائيل السياحية.

وكانت حرب ١٩٦٧ هي التي جعلت الكثيرين منا في الغرب يقفون وجها لوجه امام الحقيقة البشعة للقضية الفلسطينية . فبين ليلة وضحاها جعلتنا الحرب نعي شعبا منسيا . وقمت بأول زيارة الى المناطق المحتلة عام ١٩٦٨ ، وتساءلت كيف نستطيع نحن ، في الغرب ، ان نرفع رؤوسنا بوجود مثل الاوضاع السائدة في غزة . لقد اختبرت الفقر والخزي في جنوبي افريقيا ، ولكن لا يوجد شيء تمكن مقارنته بهذه المعضلة الفلسطينية . فالتمزيق الجوهري لامة من الناس بأسرها يجعل هذه القضية أكثر من مجرد مشكلة لاجئين ، او نتيجة بشعة من نتائج الحرب . واعلم أن غزة ، ومنظر بلدة الاشباح التي كانت ذات يوم مخيم لاجئي أريحا ، روع الكثيرين من اليهود الاسرائيليين الشبان وأبعد الضباب عن أعين الكثيرين من الصهاينة المكرسين . ولم يكن منظر مخيم اللاجئين ورائحته هما اللذان حطما الوهم ، بقدر ما كان الادراك بأن هذه الحقائق لطالما قللت اكتب المدرسية والمؤسسة الصحافية الاسرائيلية من شأنها او طمستها ، كما انها كثيرا ما لقيت الاهمال والتجاهل في الغرب .

وقمت بزيارة المناطق المحتلة ثانية عام ١٩٦٩ وعام ١٩٧٠ وعام ١٩٧١ ، وكانت آخر مرة عام ١٩٧٢ ، قبل حرب تشرين (اكتوبر) بأقل من شهرين . والكتاب الذي كلفتني غرانادا بتأليفه يشمل ويرمز الى تورطي النامي في الحالة وتنوري المتزايد . ونتيجة لذلك ستكون طبعتي الثانية اقوى واكثر صرامة . لقد وجه الي نقد شديد لكوني معتدلة اكثر من اللازم في كتابي ، ومعنية اكثر من اللازم في عرض امتداد واسع من الاراء المتعارضة . وانتقدني صهاينة متحمسون انتقادا

شرسا (في الصحف ، وفي رسائل الى صحيفة **جويش كرونيكل** ، وفي سلسلة من الرسائل المرسلة الى عنوان بيتي) ، كما انني تعرضت لهجوم شنه علي اعضاء جماعات ضاغطة في بريطانيا ، مكرسة للقضية العربية الاوسع .

اني اذكر كل هذا لانه يجعل رفض غرانادا لكتابي اكثر غرابة وغموضا . فكتابي في آخر الامر مؤيد للعرب ، ولكنه في الوقت ذاته يهاجم **ايـة** مؤسسة تعمل ضد مصالح الشعب الفلسطيني بوجه عام . فهو ينتقد البريطانيين والصهاينة والمؤسسة العربية ، وهذه النقطة الاخيرة اثارت أشد الانتقادات من الجماعات الضاغطة. فانا أعتبر الشعب الفلسطيني ضحية خطأ مريع هائل ، وانحو باللوم على استغلالات البريطانيين والصهاينة والاميركيين ، كما انحو باللوم على حكومات عربية معينة لاساءتها الفادحة ادارة المشكلة واساءتها معاملة الجاليات الفلسطينية الموضوعة تحت رحمتها . وانا ضد قوة الطبقات الحاكمة وأحسن العائلات والنخبة في الشرق الاوسط ، والمازق المريع الذي يواجه من هم اقل حظا . وان ادراكي لوجود حرب طبقية حادة في الشرق الاوسط ، وادراكي لمحنة اليهود الشرقيين في اسرائيل ، وجهودي لفضح نفاق حكومات عربية معينة قد زجني في نزاع مع الذين يفضلون تجاهل هذه الامور وينتقدونني للسماح لهذه الحقائق بأن تصرف انتباه غير المطلعين عن اعتراضاتنا الاساسية على الصهيونية .

ان كتابي هو ابعد ما يكون عن كونه قطعة من الدعاوة للقضية . لقد حاولت أن أشرح المأزق من وجهات نظر عديدة بقدر الامكان ، لاعطاء اوسع نظرة لغير المطلعين . فالدعاوة المتملقة لا توصلك الى هدفك ، بسرعة ، وكثيرا ما تؤدي الى عكس ما يبتغيه المرء . لقد كلفتني غرانادا بتأليف الكتاب وشددت على رغبتها في الحصول على رواية تفسيرية للمشكلة الفلسطينية . ويسرني ، بطريقة ما ، ان تكون معرفتي بحالة الشرق الاوسط قد ابتدأت من نقطة الوهم الجسيم الذي سرعان ما تحطم ، ثم توصلت الى الحقيقة . انني اعرف بعض الشيء الآن عن كيفية النفاذ عبر طبقات الاعتقادات والافكار الخاطئة في الغرب .

لقد جربت معرفتي هذه في كتابي « المشكلة الفلسطينية » . لم يكن الان بروك ، المحرر الشاب في دار روبرت هارت — ديفيز ، يعرف عن حالة الشرق الاوسط الا النزر الضئيل ، ولذا لم استطع اقامة حوار مرض معه وكان هذا امرا مزعجا . وكان يعترض على أية تعليقات أضيفها الى المحتوى الواقعي للفصول ... ويقول : « الزمي نفسك بالحقائق فحسب ... اشرحي كل شيء بأكثر ما تستطيعين من التفاصيل ... ودعي هذه التفاصيل تروي القصة » . كان هذا طلبا عادلا . وبعد بداية متسرعة ومترددة ، وضعت اول مسودة . وفي اواخر ١٩٧١ ، قدمت المسودة لمايكل آدمز في « مجلس تحسين التفاهم العربي البريطاني » لمراجعتها ، وحرصت على ان اضم كل اقتراحاته وتعديلاته وتصحيحاته في مسودة ثانية . ثم قدمت دار هارت — ديفيز المخطوطة لمحرر مخطوطاتها الخارجي . ولم يسمح لي قط بمعرفة هوية هذا المحرر ، وكل ما علمته هو انها كانت امرأة و « خبيرة » في الشرق الاوسط . ومن انتقاداتها ادركت ان معرفتها لم تكن محدودة الى حد محزن فحسب ، ولكنها صهيونية مئة بالمئة ايضا . وقد لفت نظر المحرر الان بروك الى هذا الامر فحاول ان ينكر تحيزها الى ان اثبته له بمساعدة حقيقة قوية . لقد كانت انتقاداتها للنصوص عديدة ولا يمكن ذكرها هنا بالتفصيل ، باستثناء نقطتين او ثلاث توضح مدى معرفتها . ففي فصل يحمل العنوان « الهجرة + الاستيطان = الاضطرابات » فصلت المشكلات التي واجهتها تلك العائلات الفلسطينية التي تشردت حينما بيعت الارض التي كانت تقيم عليها الى اليهود (منذ الايام الاولى للانتداب) . وقد اصرت المحررة ان مثل هذا التشريد لم يحدث . فلفت نظر محرري الى ان البريطانيين اصدروا قانونين وقائيين ، هما **قانون نقل الاراضي** الذي يؤمن التعويض عن المستأجرين او الابقاء عليهم ، **وقانون حماية المزارعين** لعام ١٩٢٩ الذي يؤمن تعويض انذار سنة . وكان علي ايضا ان ألفت النظر الى ان هذه الحقيقة ، وهي بلا ريب قلب مشكلة تكاثرت بمعدل مفزع ، وقد اوجزها وبحثها آرثر روبن في كتابه « الاستعمار الزراعي للمنظمة الصهيونية في فلسطين » ، الصادر في لندن عام ١٩٤٧ .

واعترضت المحررة بعنف ، كذلك ، على ما كشفت عنه من حقائق فظة حول ممارسة التمييز

ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل — حتى انهـا اعترضت على الحقيقة المعروفة بان اكثر من نصف الاسرائيليين هم من شمال افريقيا وخلفيات شرقية ! فقد شددت على ان اسرائيل مجتمع « مسـاواة » في حين ان ما يزيد على نصف كتابي اثبت العكس بشكل قاطع . وفي ردي المكتوب على انتقاداتها الحامية أشرت الى مثال صديق لي ، وهو عالم اجتماع وعضو « لجنة العمل الثوري الاسرائيلي في الخارج » (ازراكا) ويهودي شرقي . فقد قام صديقي ببعض الابحاث لاحد تقارير وزارة الاسكان الاسرائيلية واكتشف ان احدى سياسات الوزارة هي اسكان الشرقيين في شقق تضم عددا من الغرف اقل بكثير من تلك المخصصة لليهود الغربيين الاوفر حظا ، وذلك **لمحاولة ثني الشرقيين عن انجاب عدد كبير من الاولاد .**

كذلك كانت المحررة مشوشة الى حد يائس حول تاريخ الشعب الفلسطيني وحول تاريخ الحركة الوطنية في فلسطين . واعترضت المحررة ، ايضا ، على اشاراتي المتكررة الى الاسباب الحقيقية التي ادت الى هجر هذه الالوف العديدة من الفلسطينيين لبيوتهم واراضيهم **قبـل** حرب ١٩٤٨ . فقـد اتهمتني « بالضرب على وتر » افعال رجال شتيرن ! كما انها تحدت اعتراضي على الحجة الاسرائيلية — الصهيونية الكلاسيكية بان لا وجود للفلسطينيين . وفي ردي المكتوب عليها استشهدت بمقابلة غولدا مئير في عدد **الصنداي تايمز** الصادر في ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٩ حيث صرحت بأن لا وجود لشعب فلسطيني . واضفت ايضا بضع ملاحظات ادلى بها الي شخصيا دبلومـاسي اسرائيلي « كانت فلسطين سوريا الجنوبية لذا فالفلسطينيون هم في الواقع سوريون » ، وصحافي اسرائيلي « العرب في غزة هم الفلسطينيون الحقيقيون الوحيدون » ، وصحافي اسرائيلي آخر « لم يكن احد هنا عندما وصل اليهود الى فلسطين » . واني اذكر هذه التعليقات الثلاثة التي ادلي بها عام ١٩٦٩ — آملة ان يكون معظم الاسرائيليين أقل جهلا حول تحديداتهم للفلسطينيين اليوم .

وتوجت المحررة قائمتها التي تضم نحـو ٦٤ اعتراضا على الحقائق المعروضة في الكتاب ، بتقرير مجمل . ويستحق هذا التقرير قراءة كاملة ، واني اورده هنا بأكمله : « اذا كان المقصود من هذا الكتاب ان يكون مادة دعاوية لحركة التحرير الفلسطينية بوجه عام — وبخاصة — لوجهة النظر القائلة بأن الحل لن يأتي الا من خلال انشاء شرق اوسط اشتراكي خالص ومستقل، دون اية نزاعات وعداءات قومية او دينية ، فانه يؤدي غايته على الارجح . (هذا هو موقف ماتزبن ، وهي جماعة اسرائيلية تذكرها المؤلفة) . ولكن اذا كان المقصود منه ان يكون رواية واقعية ومتزنة للحالة — فانه يفتقر الى الوضوح ، وكثيرا ما يتصف اسلوبـه بالسطحية والعاطفية الانفعالية ، واني اتوقع من مراجع منصف (ومن مراجع مؤيد لاسرائيل من غير ريب) ان يقع على نقاط عديدة تقلل من قيمة الكتاب . لقد أشرت الى بعض التفاصيل التي لفتني اليها كونها اما غير صحيحة تماما ، او معبر عنها بطريقة تجعلها مضللة . ولكن اذا كان الكتاب يستهدف قراء اليسار الجديد ، فانه لا يهم ، على الارجح ، ما اذا كانت النقاط صحيحة تماما ام لا ، طالما انها تستقر في الخط السياسي المتفق عليه . فمن هم القراء الذين يستهدفهم الكتاب ؟» .

أضيف تعليقين آخرين على رأي المحررة . اولا، ان محرري في هارت — ديفيز شدد على ان السيدة هي خبيرة في شؤون الشرق الاوسط وغير متحيزة ، وثانيا ، انني قدمت الحقيقة الجديدة تلو الحقيقة لدعم تلك النقاط التي اعترضت عليها بشدة ، واقتنع المحرر اخيرا بوجهة نظري وطلب مني ان اضم بعض المعلومات الاضافية في النص الرئيسي . وفي نهاية المطاف تم اخيرا تحرير النص ، بكل ما احتوى عليه من نتف وقطع اضافية ، وحقائق وتعديلات وتصحيحات .

وتلقيت فاتورة بمبلغ ٣٥ جنيها استرلينيا خلال حزيران (يونيو) ١٩٧٢ لاعادة طبع المخطوطة على الالة الكاتبة ، للتنضيد ، ولم اكد أصدق عيني عندما تبين لي ان الضاربة على الالة الكاتبة اختارت ان تطبع نسخة واحدة فقط ، لذا كان علي ان ادفع من جيبي ١٣ جنيها استرلينيا اضافيا لانتاج نسخ طبق الاصل عن النص على آلـة كسيروكس ، ولتقديم نسخة اضافية الى قسم لكتب الجيب تابع لغرانادا كان مهتما باصـدار الكتاب بعد ظهور طبعة الكتاب الرئيسية .

وعندما قرأت النص المنقح اخيرا من البداية الى النهاية ، لفتت نظري قطعة من الرقـابة بنـوع

خاص . كنت قد كتبت عدة جمل أشرح فيها قضية لانون ، والمحاولة الاسرائيلية لتمزيق العلاقات المصرية — الاميركية ، بمؤامرة تخريب منظمة بدقة وعناية لنسف السفارة الاميركية في القاهرة ، بحيث يبدو الامر وكأنه نشاط مصري تخريبي ، وقد أختصر محرري هذا الشرح الى بضعة أسطر ، ثم شطبه بأكمله ، الى ان أصريت على وجوب تركه بكامله .

وعلى أية حال ، فبعد ان تم التعليم على الكتاب للتنضيد (مع تعليمات الطباع وهلم جرا) استرحت طوال الصيف بانتظار التصحيحات الطباعية ، كنت أعلم ان محرري قد قام شخصيا بزيارة مكاتب الجامعة العربية لاختيار صورة فوتوغرافية مناسبة للغلاف الامامي ولذا ارتحت الى كون الكتاب قد صار اخيرا في طريقه الى النشر . على انه قيل لي لما اتصلت هاتفيا بمحرري في وقت لاحق من الصيف ان الكتاب « سحب موقتا » نزولا عند طلب سيدني برنشتاين (اللورد برنشتاين ، رئيس مجلس ادارة غرانادا) . وقد قال محرري لكل من وكيلي ولي، في مكالمتين هاتفيتين منفصلتين، ان برنشتاين قد طلب ان يقرأ الكتاب مدير النشر العام للمجموعة ، واعتقد ان المخطوطة ذهبت مع هذا السيد في العطلة .

انتظرت حتى اوائل الخريف ، واجريت مكالمة هاتفية اخرى ، وقال لي محرري ان قرارا قد اتخذ بعدم نشر كتابي . وفي ذلك الوقت لم يكن الكتاب قد وصل الى مرحلة تصحيح الطباعة والغلاف فحسب ، بل ان اعلانا كان قد ظهر قبل ذلك ببضعة اسابيع في طبعة الخريف من**ذا بوكسيلر** بتاريخ الثاني عشر من آب (اغسطس) ١٩٧٢ ، يعلن سعر الكتاب وعدد صفحاته وتاريخ الصدور (على انه كانون الثاني — يناير ١٩٧٣) . وجاء في الاعلان : « استقصاء غير متحيز حول واقع الشرق الاوسط ورواية موضوعية تدعو اليها الحاجة الماسة لتاريخ واسباب محنة عرب فلسطين » .

وحتى هذا اليوم لم أتلق أي تفسير لقرار غرانادا غير العذر الواهي بوقوع « تغيير في السياسة التحريرية » . وقد حاولت انا ووكيلي في مكالمات هاتفية عدة مع محرري ومع مدير تحرير المجموعة (وكان مايكل دمبسي آنذاك) ، ان نكتشف السبب الحقيقي لقرارهم . وكان محرري عاقد العزم على عدم التحدث الي على الهاتف الى حد انني اضطررت في النهاية الى ان ارسل برقية له لترتيب وقت ملائم لاستعيد مخطوطتي. وبالطبع انكروا جميعا ان يكون أي دافع سياسي قد اثر في قرارهم بالتخلي عن كتابي .

وسمعت فيما بعد ان موظفي دار النشر تلقوا **اوامر بعدم التكلم الي مهما كان الامر** ، ويفسر هذا محاولاتي غير المثمرة للحصول على تفسير عاقل منهم . كذلك علمت ان برنشتاين طلب سحب الكتاب ، عندما علم لاول مرة بوجوده ، من الاعلان في **ذا بوكسيلر** (١٢ آب — اغسطس) ومما لا ريب فيه ان توقيت المضاعفات المختلفة يؤيد هذا الامر .

أما تيم اوكيف ، رئيس دار النشر مارتن بريان أند اوكيف ، التي نشرت كتابي في نهاية المطاف ، فهو موظف سابق في غرانادا ، وعلى وجه الدقة ، رئيس تحرير سابق لاحد فروع النشر فيها ، وهو يتذكر اجتماعا بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، عندما اثيرت المسألة حول تكليف شخص بوضع كتاب مماثل للكتاب الذي كلفت أنا بتأليفه في نهاية ١٩٧٠ . في ذلك الاجتماع قال برنشتاين لاوكيف انه لن يكرر الاختبار الذي واجهه حينما نشر كتاب ايرسكين تشيلدرز « الطريق الى السويس » في اوائل الستينات ، عندما اضطر الى الدفاع عن الكتاب سياسيا ضد هجوم انتقادي .

استنادا الى هذه الخلفية ، من الصعب علي ان أفهم لماذا كلفت بتأليف كتابي بالدرجة الاولى ، حتى انه أصعب علي ان افهم لماذا استمر حتى الساعة الاخيرة السابقة للنشر ، قبل ان يسمع برنشتاين بوجوده . هذه هي حقيقة حياة مجموعة كبيرة من الشركات العاملة في بنية شبه مستقلة.

المعركة القضائية مع الشركة تستمر حتى هذا التاريخ ، وهي الان في سنتها الثانية . لقد كانت معركة بشعة وكريهة . فمحامو غرانادا يصرون على القول انهم تخلوا عن كتابي بعد مشاورات مع خبراء في الحقل ، وهو قول هراء ، لان كل المشاورات والتعديلات تمت **بعد** اعادة طبع النص على الالة الكاتبة (على نفقتي) واكتمال تصحيحها وتهيئتها للتنضيد ، ومما لا ريب فيه ان كل الحقائق تؤيد اعتقادي بان قرارا متسرعا

قد اتخذ في اللحظة الاخيرة .

لبضعة أشهر خلت ، عندما ادركت غرانادا ان « الاتحاد الوطني للصحافيين » لم يكن مستعدا للتخلي عن القضية (لمصلحتي) ، اقترحت الشركة اننا يجب ان نطلب من محكم ان يحكم في المسألة بدل السماح لها في التحول الى قضية قضائية طويلة وباهظة التكاليف . واقترحت ، كمحكم لها ، رئيس « اتحاد النشر » . وكان هذا غير منصف لي في رأيي ، ولكني قلت انني على استعداد للموافقة على ذلك اذا ما قبلت الشركة ايضا بالمحكم الذي اخترته انا ، الامين العام « للاتحاد الوطني للصحافيين » . وسيصل المرء الى نتيجة عادلة ما بين « اتحاد النشر » و « الاتحاد الوطني للصحافيين » . ثم اقترحت غرانادا ان يكون رئيس التحرير المنسحب **للتايمز ليترالري سابليمانت** ، آرثر كروك ، بمثابة حكم بيننا . غير انني بطبيعة الحال ، ومن حيث المبدأ ، لن أكون مستعدة للقبول بالحكم الذي اختارته الشركة . وهكذا تستمر المعركة .

بعدما تخلت غرانادا عن مخطوطتي في خريف ١٩٧٢ ، صرت حرة في ان اعرضها على ناشر آخر . ولم يكن هذا بالامر الهين لاسباب عديدة مختلفة . اولا ، ان قلة ضئيلة من الناشرين تثق في مخطوطة « مرفوضة » ، وبخاصة مخطوطة ذات محتوى سياسي . ثانيا ، من الصعب جدا بيع شيء كان قد **فصل تفصيلا** ليلائم قائمة الكتب المقبلة لذلك الناشر المعين . فلكل دار اسلوبها وقائمتها ونوعها الخاص من النتاج .

ارسل وكيلي المخطوطة الى الناشر طوم ستيسي ، والامر الذي لا يصدق هو ان المحرر الاداري للدار روبن رايت اعترف في رسالة بأنه سيكون « مربكا » لهم ان ينشروا الكتاب . وفيما يلي النص الكامل لرسالته الموجهة الى وكيلي : « انني أعيد بأسف شديد « المشكلة الفلسطينية » لباميلا فيرغوسون . والمشكلة هي ان هذا الكتاب الممتاز والمتزن والممتع يتبنى نظرة مناهضة للصهيونية تتناقض ، لسوء الحظ ، مع مشروع كبير نوشك ان نباشر فيه وتتألف هيئة محرريه المستشارين الى حد كبير من صهاينة بارزين . وكما انك ستقدر ، فقد تصير الامور مربكة لنا اذا ما قررت هذه الهيئة ان الشركة التي يعملون معها تقوم بنشر كتاب يتبنى خطا مضادا لاعتقاداتهم ، مع الاعتراف بانه خطر غير عنيف . وانني آسف جدا لهذا الامر ولكني على يقين من انك ستجد شخصا ما يسره ان يأخذ الكتاب . أشكرك جزيل الشكر على السماح لنا في النظر به » . انها رسالة لطيفة وصادقة وهذا ما يجعلها محطمة الى هذا الحد .

لقد نشر كل من قرار غرانادا ، ومواد من هذه الرسالة ، في مقالتين صدرتا ضمن قسم «يوميات لندني» في **الايفننغ ستاندارد** (السابع والعشرين من أيلول — سبتمبر ١٩٧٢ ، والرابع عشر من آذار — مارس ١٩٧٣) . والغريب انني عندما وجهت رسالة ، بعد ذلك ببضعة أشهر ، الى محرر اليوميات لاخبره ان الناشرين مارتن بريان وأوكيف قد قبلوا كتابي ، فانه لم ينشر هذا النبأ السعيد (على ما جرت عليه العادة في القصص المماثلة التي فيها مرارة وعذوبة) ولم يشعرني بوصول الكتاب الذي ارسلته له شخصيا او يشكرني عليه . لقد كانت لديه اسباب خاصة منعته من الاتصال بي — ومهما كانت هذه الاسباب ، فان النبذتين اللتين نشرهما حول الكتاب ساعدتا ، من غير شك ، في لفت نظر تيم اوكيف اليه .

ولم أكد أصدق حظي السعيد عندما صدر الكتاب اخيرا في كانون الاول (ديسمبر) ٧٣ . وكنت قد عدلته مرتين لاضمنه التطورات الجديدة منذ قرار غرانادا ، وعدت الى الشرق الاوسط في تموز وآب (يوليو واغسطس) ١٩٧٣ لاجمع **معلومات** وحقائق وارقام جديدة .

والان ، بعد ستة أشهر ، يمكنني ان اروي مجموعة جديدة من الاختبارات حول الكتاب ، الامر الذي قد يبدو مستغربا في أعقاب السنتين الماضيتين . ومع انني أعطيت نص كتابي (المسودة الاولى والبروفة النهائية) « للجنة تحسين التفاهم العربي البريطاني » (كابو) للمراجعة والقراءة والتعليق عليه (وقد جرى تدوين وتسجيل ذلك كله) ، فقد تعرضت لانتقاد شديد من جون ريداواي في مراجعة نشرتها **ميدل ايست انترنشنال** ، « لاخطاء في الحقائق وما يزيد على اثني عشر خطأ طباعيا وفي التهجئة » . وبعث السير ريداواي الي بقائمة من الحقائق التي اعتبرها خاطئة او مضللة . فتقبلت بعض تعليقاته العالمة والبناءة ولكني شعرت انه يمكنني دحض التعليقات الاخرى . بيد انني

دهشت بوجه عام لان النقاط التي اثارها لم يستعلم عنها عندما كان النص في مكاتب « اللجنة » في مناسبتين منفصلتين .

في الاساس اعتقد ان اعتراض «اللجنة» الرئيسي على كتابي هو شجبي لمختلف اشكال الضغط الممارسة على الجاليات الفلسطينية في جميع انحاء الشرق الاوسط . فانا انتقد اللبنانيين والاردنيين والمصريين ومن الواضح ان « اللجنة » اعترضت بشدة على هذا الانتقاد . ولا يجب ان يفاجئني او يدهشني .

والغريب ان « اللجنة » ، لدى عودتي من الشرق الاوسط في الخريف الماضي ، كانت شديدة الحماس حول بعض المعلومات الاستثنائية التي حملتها معي — قائمة مفصلة بالفلسطينيين الذين ابعدهم الاسرائيليون ما بين عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٢ ، على سبيل المثال ، ١٤٨٢ اسما مع التواريخ واسماء بلداتهم — قائمة مفصلة بالبيوت التي دمرت والاراضي التي صودرت ، منطقة منطقة ، وقرية قرية ، واخيرا خريطة ظهرت في الصحف الاسرائيلية تدرج المستوطنات المختلفة وتطلب دعم التثمير لمستوطنات جديدة . وكانت الخريطة ، التي ادرجها « الصندوق المتحد في اسرائيل » ، تظهر ٤٩ مستوطنة قائمة . وقد جاء في النص المترجم : « ساعدوا بتبرعاتكم في تأسيس مستوطنات الحدود وتعزيزها » . وقد نشرت هذه الخريطة (كما ظهرت في صحيفة معاريف الاسرائيلية في التاسع من ايلول — سبتمبر ١٩٧٢) في كتابي ، واعتقد ان اللجنة ، التي روعتها الخريطة بقدر ما روعتني أنا ، عرضت الخريطة على موظفي وزارة الخارجية في لندن . غير ان « اللجنة » ، على ما يبدو ، لم تجد هذه الحقائق من الاهمية بحيث تعلق عليها في المراجعة ، علما بانني نشرتها جميعا في كتابي ، وقد سمعت فيما بعد بان قرارا قد اتخذ بعدم اختزان كتابي ، علما بان « اللجنة » ستوصي عليه للاعضاء ، بناء على طلبهم .

أما الانتقاد الذي وجهه الي لويس ايكس محرر **غري بالستاين** فقد كان قاسيا الى حد **غريب** . فهو يعترف بانه لم يقرأ غير « فصلين او ثلاثة » ، ومع هذا يتهمني « بتكديس الاساطير الصهيونية في النص » . ان سجلي الماضي مع الكتاب لا يؤيد هذا الاتهام ، وكون ايكس أصدر حكما متسرعا وسطحيا يرتكز على نظرة اعتباطية الى « فصلين او ثلاثة » لا يشجعني على أخذ آرائه على محمل الجد .

مما لا ريب فيه انني رحبت بالانتقاد من خبراء استطيع احترامهم ، وادرك تمام الادراك ان الكلمة المطبوعة يمكن ان تحمل مختلف المعاني لمختلف الناس . لقد كلفت بتأليف الكتاب في الاصل كشرح مفصل للمشكلة لفائدة الذين تحيرهم مجموعة الكتب حول الموضوع ، ولديهم نتف من المعلومات حول المشكلة ولكنهم حقا متحيرون من كل ما يسمعونه ويعيشون في جهل سعيد لكل ما يجري وراء الستار . وفي الواقع فان العديدين من الاشخاص الذين قرأوا الكتاب وجهوا الي رسائل يشكرونني فيها على عرض جانب « لم تكشف الصحف عنه ابدا » ولشرح محنة الفلسطينيين . واعترف الكثيرون قائلين « لم نكن ندري ان كل هذا كان يحدث » .

لقد اثبت هذا رأيي حول الافكار الخاطئة الفادحة في النظرة الغربية الى الشرق الاوسط ، والحاجة الى النفاذ الى هذه الافكار الخاطئة بألف باء بسيطة تحليلية .

ولا يدعي كتابي بالكشف عن أية حقائق جديدة مذهلة . كما انه لن يدخل التاريخ لنثره البديع . وبدل ذلك يصف الكتاب الوجوه التاريخية والحديثة للمشكلة ، بما امكن من البساطة والوضوح ، لتقديم مدخل ودليل لقراءات اخرى . لقد اعتمدت الى حد كبير على اختباراتي الصحافية الخاصة وعلى استقصاءاتي وملاحظاتي . واني ارحب بالنقد الذي لا يرتكز على التحيز الشديد .

والغريب هو انني اواجه شكلا جديدا من أشكال الضغط على عملي . فقد تجشمت بضع مكتبات في بريطانيا (في غلاسغو واوكسفورد ولندن) مشقة الاتصال هاتفيا بتيم أوكيف لاكتشاف ما اذا كان من الصحيح ان كتابي « غير متيسر » كما سمعت . وهذا الامر ازعج تيم اوكيف وأقلقه الى حد انه نشر اعلانا في **ذا بوكسيلر** في اوائل حزيران (يونيو) ، يقول فيه : « على الرغم مما يشاع فان دار مارتن بريان اند أوكيف ترغب بان توضح ان كتاب باميلا فيرغوسون « المشكلة الفلسطينية » متوافر » . واننا نتساءل عن عدد المكتبات التي لم تعبأ في التثبت من الامر .

باميلا فيرغوسون

الصين الشعبية والقضية الفلسطينية

شهدت السنينات نشاطا واسعا للصين في العالم العربي لم تعهده المنطقة قبلا خاصة وان صلات الصين بالمنطقة لم تتعد القرن الواحد. والغريب في كل هذا بان جميع الحكومات العربية ناصبت الصين الجديدة العداء ولم يعترف بها أي من تلك العهود بل العكس فانها شددت الخناق على الجمهورية الفتية ووثقت علاقاتها مع فرموزا والدول الغربية ورغم كل ذلك فعندما تقدمت اسرائيل عام ١٩٤٩ بالاعتراف بالصين الشعبية فان الصين رفضت او تجاهلت هذه البادرة . وفي بادىء الامر كانت الصين مشغولة باعبائها الداخلية ولذلك لم تول القضية الفلسطينية أي اهتمام واضح ولكن انعقاد مؤتمر باندونج في ابريل عام ١٩٥٥ ومحاولة الصين الخروج من عزلتها ودخولها حلبة الدبلوماسية الاسيوية — الافريقية جعل الصين تبدي اهتماما بالقضية الفلسطينية ، ففي ١٦ ابريل (نيسان) ١٩٥٥ عندما وصل الرئيس المصري جمال عبد الناصر الى مطار رانجون ببرما في طريقه الى باندونج باندونيسيا كان في استقباله في المطار الرئيس الصيني السيد شو ان لاي وبعد خمس دقائق من اللقاء وجه الرئيس الصيني الدعوة للرئيس المصري لزيارة الصين(١). ولكن اجابة الرئيس المصري كانت غير واضحة . وفي ذلك الاجتماع القصير ظهرت رغبة الصين الواضحة في تعزيز علاقاتها(٢) مع العالم العربي ورغبتها في تطوير تلك العلاقات وفي هذا الاجتماع أبدى شو ان لاي رغبته في زيادة استيرادات الصين من الاقطان المصرية وقد افترقا على أمل اللقاء قريبا في باندونج . وكان هذا اول لقاء للرئيس الصيني باي مسؤول من أفريقيا(٣) واسيا . وفي المؤتمر اعلنت الصين مساندتها لكل حركات التحرر الوطني وعلى رأسها القضية الفلسطينية وقد كانت حجة الصين بان « فرموزا » ومشكلتها شبيهة(٤) بالقضية الفلسطينية وان اسرائيل لا تختلف عن « فرموزا » وذلك لان الاثنتين خلقتا بتدخل اجنبي وعلى راسه (الامبريالية الامريكية) . وأكد بان «المأساة الفلسطينية » ستنتهي عند اختفاء التدخل الاجنبي . وبالطبع عرج الرئيس الصيني في خطابه على قضية « اللاجئين الفلسطينيين ، ودعا الى حل عادل لها . ولكن مصر لم تعترف بالصين الا بعد عام كامل اي الى منتصف مايس ١٩٥٦ . وقد حلل السيد انور السادات هذه الخطوة في افتتاحية لجريدة الجمهورية — وكان السادات انذاك رئيس تحرير الجريدة المذكورة ووزيرا للدولة — بانها اجراء قصد منه صفع وجه الغرب وان عدم الاعتراف بالصين قبل ذلك الاوان كان مجاملة من مصر للغرب . وكانت مصر اول دولة افريقية وعربية تعترف(٥) بالصين الشعبية . واثناء عدوان السويس عام ١٩٥٦ اعلن السفير المصري في بكين بان ربع مليون صيني تطوعوا للقتال مع المصريين على الارض المصرية ، ولكن مصر رفضت العرض وقبلت هدية من الصين(٦) قيمتها خمسة ملايين دولار اميركي . ومنذ ذلك الحين والصين تنشط في المجال الاسيوي الافريقي وقد ساندت مصر مساندة فعالة في انشاء مجلس التضامن الاسيوي — الافريقي واصبحت الصين عضوا في مكتب السكرتارية الدائم وبذلك تكون على اتصال دائم ولاول مرة في تاريخها الدبلوماسي تجد طريقا وتنظيما يساعداها على توثيق علاقاتها مع الحركات التحررية الاسيوية الافريقية . وقد كانت الصين في كل مناسبة تؤكد صداقتها للعرب وتؤكد مساندتها لقضايا العرب وتعلن في كل مناسبة وبصراحة عن اهتمامها بالقضية الفلسطينية وتشدد في المطالبة بحقوق الشعب الفلسطيني . وقد كانت النظرة الصينية للقضية الفلسطينية تتلخص بما يلي(٧) :

١ — ان السبب الرئيسي لخلق اسرائيل هو لافساح المجال للامبريالية للتدخل في الشؤون الداخلية للعالم العربي .

٢ — وان بناء الكيان الاسرائيلي سببه الحفاظ على المصالح الامبريالية الغربية بصورة خاصة .

٣ — ان اسرائيل هي قاعدة لتهديد آسيا وافريقيا والتغلغل فيها .

٤ — شددوا على دور « الامبريالية الامريكية » ووصفوا اسرائيل بانها « آلة » في يد الامبريالية الامريكية .

وما ساعد الصين على اختيار الطريق الذي تريده في العلاقات الدولية هو انها

ليست دولة كبرى لها التزامات استراتيجية هذا بالاضافة الى انها ليست عضوا في المجتمع الدولي التقليدي ناهيك عن ثوريتها التي تعتز بهاواعتقادها الايديولوجي بان دول العالم الثالث سوف تنهض وتقاوم وتنتصر على العالم الصناعي المتمثل في الدول الكبرى المستغلة ولهذا تجد الصين وفي كل مناسبة تؤكد حرصها على مساندة القضية الفلسطينية وكل حركات التحرر في العالم الثالث . وكان عام ١٩٦٤ عاما مهما في العلاقات الفلسطينية — الصينية ، ففي اثناء جولة الرئيس شو ان لاي في افريقيا في نهاية عام ١٩٦٣ واوائل سنة ١٩٦٤ اعلن مؤكدا « تأييده لحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة في عودته الى وطنه » وعندما عقد اول مؤتمر قمة عربي في كانون الثاني (يناير)(٨) ١٩٦٤ كانت الصين اول دولة عنات المؤتمرين وتمنت لهم النجاح فجاءت برقية الرئيس الصيني ليوشاوشي متمنيا « لهم التوفيق في تقوية التضامن العربي لتأمين تحقيق الظفر العربي في كفاحه ضد المؤامرة الصهيونية »(٩) وفي الوقت ذاته صرح شو ان لاي بان الصين الشعبية « تساند بعزم واخلاص موقف الدول العربية في قضية تحويل مجرى نهر الاردن » . وكانت الصين الدولة غير العربية الوحيدة التي اعلنت ونادت بمساندتها للعرب في كل الخطوات التي قد يتخذونها تجاه اسرائيل ، واصرت على الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني في كل مناسبة . وعقد اجتماع جماهيري في بكين ليؤكد تأييد الصين « ومساندتها للشعب الفلسطيني وكفاحه من اجل حقوقه المشروعة في العودة الى وطنهم » وقد اصبح الموقف موقفا رسميا في البيان المشترك(١١) للرئيسين ليوشاوشي وابراهيم عبود عند زيارة الاخيرة للصين في شهر مارس ١٩٦٤ . وفي نفس الوقت قررت الحكومة الصينية(١٢) تطبيق مقررات مكتب مقاطعة اسرائيل التابع للجامعة العربية ومنع اية سفينة تتعامل مع اسرائيل والتي هي في القائمة السوداء العربية من الدخول الى المياه الصينية !!. وفي الوقت نفسه أعلن الحاج محمد علي جانج ، الشخصية الاسلامية الصينية المهمة والذي كان في زيارة الى مخيم خان الشيخ للاجئين الفلسطينيين ، (ولا بد ان يخضع تصريحه للتمحيص قبل اعلانه لانه جاء بزيارة رسمية ولا بد ان يكون مطابقا لراي حكومته) اذ قال « ان الشعب الصيني وحكومته على استعداد لمساعدة الشعب على استرداد وطنه ». وفي شهر سبتمبر ١٩٦٤ عندما أيد مشروع انشاء منظمة التحرير الفلسطينية هللت الصين بالخطوة ورحبت بها واعتبرته دفعا بالقضية الفلسطينية الى « مصاف عليا »(١٤). وفي ذلك العام قامت الصين بمد يد العون الى حركة فتح يوم كانت تلك الحركة في بداية نموها قبل المد الشعبي العربي بعد هزيمة ١٩٦٧ . وقد سجل الكتاب السنوي (١٥) للقضية الفلسطينية ، ان جمهورية الصين الشعبية في عام ١٩٦٤ ، ولاول مرة ، اوضحت « الحقوق المشروعة » « للشعب الفلسطيني » وأكدت حقه في « استعادة اراضيه المسلوبة(١٦)، والاهم من كل هذا العون الصادق الذي حظيت به منظمة التحرير الفلسطينية من لدن المسؤولين الصينيين . ويحدثنا السيد احمد الشقيري في مذكراته عن الصدر الرحب لكبار المسؤولين الصينيين وثقتهم بالمنظمة الجديدة فيقول انه ذهب الى السفارة الصينية في القاهرة في فبراير (شباط) ١٩٦٥ وأعلن رغبته بزيارة الصين وفي غضون اربعة ايام من اعلان هذه الرغبة زار السفير الصيني مقر المنظمة لينقل الى الشقيري ترحيب الرفيق شو ان لاي بالزيارة ويترك اختيار الموعد والوفد له وان الدعوة هي لشخص الشقيري في منصبه كرئيس للمنظمة !!. وقد قوبل الوفد الفلسطيني بالترحاب والتقدير وعومل وكأنه وفد رسمي لدولة مستقلة(١٧). وعند الكتابة عن الوفد ونشاطاته وصفت المجلة الرسمية بكين رفيو الشقيري باستمرار « الرئيس الشقيري »(١٨)، وعند مقابلة الشقيري لشو ان لاي بعيد وصوله بقليل انصت الرئيس الصيني بامعان لمدة « ساعتين متواليتين » وفي نهاية الجلسة وافق بترحاب على كل طلبات رئيس المنظمة الفلسطينية فعاد الوفد الفلسطيني محملا بوعود المساعدة وبواخر السلاح في طريقها الى الفلسطينيين والاذن بارسال من يتدرب من جيش التحرير في المدارس العسكرية الصينية . وترك الوفد الصين وسط أعلى مراتب الشرف والحفاوة مما كان له بالغ الاثر في نفوس ومعنويات اعضاء الوفد الفلسطيني. كما منح الرئيس الصيني المنظمة بناية لتبدأ عملها فورا(١٩).

وفي عشية حرب حزيران ١٩٦٧ ، في ١٥ مايس في اجتماع دعت اليه المنظمة الدائمة للكتاب الافريقيين ــ الاسيويين ومنظمة الصحفيين الافريقيين ــ الاسيويين في بكين لمساندة الشعب الفلسطيني ، خطب السيد رشيد جربوع ممثل منظمة التحرير الفلسطينية واشاد بالعون المادي والمعنوي الذي تقدمه الصين للشعب الفلسطيني(٢٠).

ترى ما هو السبب الذي يدعو هذه الدولة العظيمة الى مساندة حركة من هذا النوع لا تزال في مهدها ولم يكن بامكانها ان تحبو بعد ومع ذلك فان الصين تضع تحت تصرفها ومن دون مقابل كل ما ارادته رغم ان الصين هي بلد نام وصغير وفي وسط مشاكل في غنى عن التدخل في شؤون الاخرين ؟ ترى هل أعطى الصينيون الحركة أكثر مما تستحق . أم ماذا ؟

ان الجواب بسيط فان ماوتسي تونغ عندما بدأ زحفه الكبير ووصل بعد مشقة الى النصر بعد ان مشى ورفقاءه ٦٤٠٠٠ ميل ودام كفاحه عشرين عاما رغم كل النصائح بالكف عن كفاحه والقبول بالتوفيق، ليس من المعقول الا ان يساند هذا الرجل وشعبه اناسا يشبهون في قضيتهم آمال الصينيين حين بدأوا كفاحهم !! هذا وقد ساعدت الصين قبل عشر سنوات حركة تحرير الجزائر التي اعتبرها معظم العالم غير واقعية وهي الآن دولة مستقلة بكل ما للكلمة من معنى . وماذا عن تضامنهم الايديولوجي ؟ ان هذه الاسباب وغيرها بالطبع كانت وراء نيات الصينيين رغم ان هناك اسبابا اخرى قد تكمن وراء ما ذكرناه . المهم انهم كانوا من اولى الدول ــ ان لم يكونوا الدولة الوحيدة ــ التي وثقت بالمقاومة ومدتها بالعون والمساعدة.وقد حاول بعض المهتمين بشؤون الشرق الاوسط (ومن القلائل من صحفيي الغرب الذين لا يناصبون العمل الفدائي العداء) باحصاء المنظمات الفدائية التي تعتمد كليا في تسليحها على الصين وقال ان خمسا من المنظمات الفدائية أعلنت رسميا بأنها تستلم معظم أسلحتها من الصين(٢١).

وعندما أعلنت الامم المتحدة اعادة حق الصين الشرعي في مقعدها بمجلس الامن وفي مكانها في المنظمة الدولية وطردت فرموزا كتبت مجلة « صوت فتح » معلقة على هذا الحدث قائلة : « المقاومة الفلسطينية ترحب استعادة الصين حقها الشرعي في الامم المتحدة لان الصين هي أقرب دولة للمقاومة في اتجاهاتها نحو التحرير في الاستراتيجية والتطبيق »(٢٢) وفعلا عمت المقاومة الفلسطينية موجة من الفرح والاستبشار لان الصين سوف لن تكون الا عونا لهم في هذا المنبر الدولي خاصة وانها تعلن في كل مناسبة تأييدها المطلق للشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة فحينما احتلت مقعدها في الامم المتحدة وفي اول مناقشة لقضية فلسطين والشرق الاوسط وقف رئيس الوفد الصيني السيد جياو كوان هاو ونائب وزير خارجيتها في الثامن من شهر ديسمبر (كانون الاول) في الامم المتحدة وهاجم الولايات المتحدة لمساندتها اسرائيل وأعلن رئيس الوفد الصيني بأن « الحكومة ، ووراءها الشعب الصيني ، يقفون دوما مع الشعب الفلسطيني والشعب العربي ، وجميع المعتدى عليهم ، ونساندهم باصرار في كفاحهم ونقدم لهم المساعدة الى أقصى امكانياتنا »(٢٣). وطالب بأن يقوم العرب بتقرير مصيرهم ورفض الحلول الخارجية التي تريد فرضها محادثات الدول الاربع الكبرى ، فقال : « ان مصير الفلسطينيين وغيرهم من الشعوب العربية يجب ان تقرره هذه الشعوب ، شؤونهم يجب ان يديروها بأنفسهم . اننا نعارض كل الطرق التآمرية للعدوان والتخريب والسيطرة والتدخل الذي تمارسه الدول الكبرى على الشعوب والاقطار العربية »(٢٤).

وقد استمرت سياسة التأييد هذه للقضية الفلسطينية الى يومنا هذا ففي مؤتمر عدم الانحياز الذي عقد في الجزائر في ايلول ١٩٧٣ تقدم الوفد الصيني بالاشتراك مع الوفد الموريتاني والجزائري بمشروع خاص بفلسطين والذي يدعو الى اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية « هي الممثلة الشرعية الوحيدة للشعب الفلسطيني »(٢٥).

وضعت الخطوط العريضة للسياسة الصينية تجاه القضية الفلسطينية نتيجة الظروف الموضوعية والايديولوجية ومن تجارب الصين الدبلوماسية وخاصة في تاريخها الحديث . وان هذه السياسة دعت باستمرار الى مساندة الشعب الفلسطيني والاشادة بكفاحه بكل قوة رغم ان هذه الحركات التحررية الفلسطينية لم تلتزم بالخط الصيني الايديولوجي وفي معظم الاحيان حاولت تجنب الخوض فيه .

ترى لماذا التجأت الحركات التحررية الفلسطينية الى الصين دون غيرها من دول العالم ؟ ولماذا احتضنتها الصين ؟! لقد قبلت الحركة الفلسطينية مساندة الشعب الصيني وحكومته لعدة اسباب على رأسها التأكيدات الايديولوجية التي اطلقتها الحكومة الصينية بمساندة الحركات التحررية في العالم والامثلة الحية على ذلك في العالم العربي هي الجزائر وقد قاسى شعب الصين من الاضطهاد الاستعماري نفسه وبذلك يكون اكثر تفهما لامال الشعوب المضطهدة هذا بالاضافة الى انه جابه حرب تحرير شعبية طويلة فهو شعب ملم بآلام تلك الحروب ... وينظر معظم الفلسطينيين الى الصين بأنها جزء من العالم الثالث وليس لها ولم يكن لها مطمع استعماري في المنطقة ولهذا زادت ثقة المنظمات الفلسطينية بالصين الشعبية .

أما لماذا تساعد الصين الحركات التحررية في العالم العربي بصورة عامة والحركة الفلسطينية فأسباب ذلك اولا ايديولوجية وانسانية ، فالصين ترى ان الحرب الشعبية والكفاح المسلح هي الطريقة الوحيدة للخلاص من القوى الاستعمارية وبالتالي تخليص العالم من كارثة حرب عالمية هذا بالاضافة الى ان ايديولوجيتهم تؤكد بأن الامبريالية هي فريق حرب وان أية ضربات تسدد الى الامبريالية انما تقوي فريق السلام الذي هو المعسكر الاشتراكي وتضعف بالطبع فريق الحرب الامبريالي(٢٦). وبذلك قد يعيش العالم سعيدا اذا ما سددت ضربات للامبريالية العالمية في كل مكان . والمقاومة في وقتها الحاضر تدعو الى نظام ضد الامبريالية العالمية ولا بد لها ان تقوي كتلة المعسكر المعادي للغرب بصورة خاصة والامبريالية العالمية وهي بطريق غير مباشر ترجح كفة فريق السلام الذي تكون الصين جزءا منه .

الدكتور طارق يوسف اسماعيل

١ — **الاهرام** ، ١٦ ابريل ١٩٥٥ .

٢ — *New York Times*, April 16, 1955

٣ — *New York Times*, April 22, 1955

٤ — *Documents on International Affairs, The Bandung Conference* (London: Oxford University Press, 1955), p. 428.

٥ — **الجمهورية** ، القاهرة ، ١٧ مايو ١٩٥٦ .

٦ — **الاهرام** ، ٨ نوفمبر ١٩٥٦ .

٧ — Randa Farra, «The Chinese People's Republic and the Arab World,» *Middle East Forum*, Vol. XLII, Vo. 1, Winter 1966, p. 45.

٨ — *Ibid.*

٩ — *Ibid.*

١٠ — *Ibid.*

١١ — *Peking Review*, No. 13, March 27, 1964, p. 12.

١٢ — *Peking Review*, No. 21, May 22, 1964, p. 7.

١٣ — Farra, *op. cit.*, p. 47.

١٤ — *Peking Review*, No. 38, September 18, 1964, p. 9.

١٥ — See Tareq Y. Ismael, *The Middle East in World Politics* (Syracuse: Syracuse University Press, 1973), Chapter 6.

١٦ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٤** ، (بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٦٦) ص ٢١٨ .

١٧ — احمد الشقيري ، **من القمة الى الهزيمة ، مع الملوك والرؤساء** ، (بيروت ، دار العودة ١٩٧١) ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

١٨ — *The Peking Review*, No. 13, March 26, 1965, pp. 5-6.

١٩ — الشقيري ص ٢٢٤ ، ص ٢٢٩ — ٢٣٢ .

٢٠ — السكرتارية العامة للصحفيين الافريقيين — الاسيويين ، **تأييد حازم لنضال الشعب الفلسطيني** ، (بكين ، ١٩٦٧) ص ٧ .

٢١ — John Cooley, *Christian Science Monitor*, August 1970.

٢٢ — *Free Palestine* (London), December 1971-January 1972, Vol. 4, No. 12 and Vol. 5, No. 1.

٢٣ — American Consulate General, Hong Kong, *Survey of China*, Mainland Press, No. 5037-5040, December 20-23, 1971, pp. 32-33.

٢٤ — *Ibid.*

٢٥ — **النهار** ، ٥ ايلول ١٩٧٣ .

٢٦ — G.H. Jansen, *Non-Alignment and the Afro-Asian States* (New York: Praeger, 1966), pp. 168-171.

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

عندما أقر المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشرة البرنامج المرحلي لمنظمة التحرير الفلسطينية نشأ ادراك مواز بأن تحقيق هذا البرنامج مرهون بمسألتين : الاولى تصعيد الكفاح المسلح والثانية المحافظة على الوحدة الداخلية لحركة المقاومة . فالنقاط العشر ليست هي، بحال، الحل الناجز الجاهز للتنفيذ ، وانما هي في الاساس **برنامج نضالي** ، برنامج مطروح للنضال ، يتطلب تحقيقه ان تكون **القدرة الذاتية الفلسطينية** أكثر حسما في دائرة الفعل ، واوقع تأثيرا في موازين القوى الراهنة ، لتتمكن بالتالي من ترجيح الكفة الى جانب مصلحة الشعب الفلسطيني راهنا وفي المدى التاريخي . فاذا كان التحرك السياسي الموصوف بالنضال السياسي هو أحد مظاهر هذه القدرة ، فانها تكشف عن مكوناتها الحقيقية بالكفاح المسلح الذي احال الوجود الفلسطيني من كم هامشي التأثير او تبعي الفعل قبل انطلاق الثورة الفلسطينية الى كم ذي هوية وكيف صانع في الاحداث بعد انطلاقتها ، بحيث صار في الامكان ترداد ما أكده الاخ ابو عمار (في حديث لاذاعة الثورة الفلسطينية — وفا ٦/١٨) من « ان احدا لا يستطيع ان يتجاهل شعبنا، وان احدا لا يستطيع ان يحل مشكلة المنطقة ويتجاهل الشعب الفلسطيني » . بجانب ذلك فاذا كان الكفاح المسلح هو اداة كشف القدرة الفلسطينية فان مسبار **مصداقيتها** هو الوحدة الداخلية لحركة المقاومة : وحدة كل فصيل منها على حدة ، ووحدة فصائلها ضمن اطارها الجبهوي ، ووحدة تماسكها مع جماهيرها . ودون هذه الوحدة فان كل حديث عن برنامج نضالي يصبح قبض ريح ما دامت حركة المقاومة غير قادرة على تجاوز تعارضاتها الثانوية واخضاعها لمصلحة التناقض الرئيسي بينها كمجموع وبين اعدائها الوطنيين والقوميين . كما ان مسألة التمثيل الفلسطيني (وهي مسألة مركزية في النضال الفلسطيني متعلقة بالوجود نفسه) تصبح قابلة للاختراق والنقض دون ضمان وحدة الموقف ازاء القضايا المطروحة .

وبالتأكيد ، فان عملية نهاريا في ٦/٢٥ كانت تجسيدا لهذا المعنى ، معنى الكشف عن القدرة الذاتية الفلسطينية ومدى تأثيرها في تشكيل مسار الاحداث في المنطقة . وعملية نهاريا كانت واحدة من سلسلة عمليات متشابهة تمت في الفترة الماضية، نظر اليها ، اعلاميا وتعبويا ، من منظارين مختلفين: الاول يراها طريقا الى السلطة الوطنية والثاني يراها تجسيدا للرفض ، غير ان نتائجها العملية — وهو ما ادركته اسرائيل — انها في سبيل تغيير موازين القوى لغير مصلحتها ، سواء على صعيد العلائق الصراعية المباشرة (الفلسطينية — الاسرائيلية) أم انعكاسات هذه العلائق دوليا . ومردود كل ذلك على جهود التسوية المبذولة حاليا. وقد عبر شمعون بيريز ، وزير الدفاع الاسرائيلي ، عن هذا الادراك للدكتور كيسنجر عندما اقتحمت انباء عملية نهاريا غرفة اجتماعهما فشرح له «التأثير السلبي» للعمليات الفدائية على مساعي التسوية السلمية في الشرق الاوسط (وكالات الانباء ٦/٢٥). وبطبيعة الحال فان هذا التأثير **سلبي** من وجهة النظر الاسرائيلية بمقدار ما يعطل التسوية بمفهومها الاسرائيلي ، وهو **ايجابي** من منظور فلسطيني بمقدار ما يقحم العنصر الفلسطيني في عملية تكوين ملامح الاحداث ويجعله انشط فعلا في المحصلة .

وينبغي الا يفهم من هذا ان مسألة اقحام العنصر الفلسطيني جاءت فقط من خلال هذه العمليات

الاخيرة ، فان استمرار الكفاح المسلح طوال الاعوام الماضية والتصميم الفلسطيني على هذا الكفاح هما اللذان خلقا « حالة في العالم » فرضت الوجود الفلسطيني ليس على مسار الاحداث فحسب وانما في تصميم نتائجها القادمة في المدى المنظور . ويجب هنا ان نستدرك بأن نتائج حرب تشرين العسكرية والسياسية في اسرائيل كانت عاملا ايجابيا في تسريع توليد هذه الحالة ، التي ظهرت ابرز ملامحها في الشهر الفائت في البيان السوفياتي — الاميركي المشترك اثر زيارة نيكسون الى الاتحاد السوفياتي والذي صدر في ٧/٣ ينص يؤكد انه « ينبغي ان تؤخذ ابان هذه التسوية في الاعتبار المصالح المشروعة لجميع شعوب الشرق الاوسط بما في ذلك الشعب الفلسطيني وحق جميع دول هذه المنطقة في الوجود » . وعلى الرغم من هذه الموازاة بين « المصالح المشروعة » للشعب الفلسطيني و « حق جميع دول هذه المنطقة في الوجود» التي قصد بها «حق اسرائيل في الوجود»، على الرغم من هذه الموازاة بين موضوعتين متنافيتين فانها تشير بوضوح الى ان الوجود الفلسطيني أصبح كثيفا قادرا على خلق التعادل بين طرفي الصراع بعد ان كان الطرف الفلسطيني في المعادلة منسحقا طوال السنوات التي سبقت الثـــورة الفلسطينية أمام وطأة التفوق الاسرائيلي .

لقد فرضت هذه الحالة نفسها حتى على معسكر الاعداء انفسهم وقد تأكد ذلك في الجدل الـذي يدور حاليا بين صانعي القرار الاسرائيلي وفي الرأي العام الاسرائيلي حول القضية الفلسطينية وضرورة حلها والاعتراف بالكيان الفلسطيني . فقد انتهت الى الابد مرحلة عبرت عنها جولدا مئير بقولها : « الفلسطينيون ؟ أين هم ؟ » وبدأت مرحلة جديدة فرض فيها الفلسطينيون أنفسهم بقوة السلاح على العقل الاسرائيلي في عملية اختراق ان كانت بطيئة فعلا (استمرت من ١٩٦٥ حتى الان) فهي مثابرة مصممة ، استطاعت بتصميمها احتلال جيب ستظهر نتائجه فيما بعد من حيث انه استطاع ان يمزق ولاول مرة « الصمود » الاسرائيلي الذي اراده بناة الدولة الا يقهر .

وكما تمكنت هذه الحالة من فرض نفسها عـلى اسرائيل فقد تمكنت من ان تفعل الشيء ذاته بالنسبة لاميركه . سئل جوزيف سيسكو امام اللجنـــة الخارجية في مجلس النواب الاميركي (٦/١٣) عن دور الفلسطينيين المحتمل في مؤتمر جنيف فاجاب انه لن يكون هناك سلام **مضمون** اذا « لم نأخذ المصالح المشروعة للفلسطينيين بعين الاعتبار » . وعندما سئل عن معنى المصالح المشروعة اعترف بأن هذه تسمية لتجنب استعمال عبارة « الحقوق المشروعة » للشعب الفلسطيني .

اذن فان ابرز معالم هذه الحالة التي فرضتها القدرة الذاتية الفلسطينية هي كما يلي : هنـاك قضية فلسطينية ، وان السلام في المنطقة مرهون بحل هذه القضية الذي يعتمد على اشباع الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . غير ان الاعتراف بهذه الحالة ، حتى من جانب المعسكر الاميركي — الاسرائيلي ، لا يعني انها وصلت الى عتبة الحل العملي الذي ينسجم مع عناصر هذه الحالة ، كما لا يعني ان المعسكر الاميركي — الاسرائيلي على استعداد **طوعي** للتسليم بنتائجهـا المتمثلة **مرحليا** ببرنامج النقاط العشر الذي أعلنه المجلس الوطني والذي محوره الاساسي النضال من أجل قيـــام السلطة الوطنية على الاجزاء التي تتحرر مـــن فلسطين . فاسرائيل تدرك معنى قيام كيان فلسطيني مجسد بواقع جغرافي ومسلح بتراث نضالي طويل الى جوارها . أعلن بريز امام عدد من الصحافيين الاميركيين في القدس (٦/١٠) انه « لا يمكن أي مسؤول اسرائيلي واقعي ان يتصور اقامة دولة على ابوابنا هدفها المعلن تدمير دولة اسرائيل ولو على مراحل ... علينا الا ننسى ان هذه الدولة ستكون من دون شك مسلحة بواسطة الاتحـاد السوفياتي ، وان مدننا ستكون في هذه الحـالة ضمن مجال المدافع السوفياتية التي يسيطر عليها رجال لم يتخلوا مطلقا عن فكرة القضاء علينا » .

بجانب ذلك فان استذكار ان استراتيجية اميركه في المنطقة لم تنحرف عن احد اساساتها الدائمة وهو وجود « اسرائيل قوية » يولد القناعة الواعية بأن اميركه ان اعترفت **بوجود حقوق** للشـــعب الفلسطيني فان تفسيرها للحقوق — التي هي في صلبها **نفي** لوجود اسرائيل نفسها — سـيكون منطلقا ضمن أفق تعهيري مهمته اضعاف الشعب صاحب الحق من جانب ، وتقزيم الحقوق نفسـها من جانب آخر . ويؤكد هذا الامر ان الهجمـة الاميركية (السياسية — الاقتصادية) التي أعقبت

حرب تشرين والتي تكاد تصبح نكسة في مسار النضال العربي الذي خرج من الحرب وهو في اوج انتصاراته ، هذه الهجمة هدفها الحقيقي اعادة ترتيب اوضاع المنطقة العربية بما يخدم استمرار النفوذ الاميركي في المرحلة القادمة ، وهو امر يتناقض جذريا مع بقاء الحالة الثورية الفلسطينية ويتناقض كذلك مع طموحاتها ، حتى المرحلية منها ، وتفسيراتها للحقوق الفلسطينية . وهكذا فان الاستخلاص الوحيد هنا هو ان اجهاض الحالة الثورية الفلسطينية يصبح احدى المهام الرئيسية في استراتيجية معسكر العدو التي تنهج ضمن مسارين اضعاف صاحب الحق وتقزيم الحق نفسه. وخلال الشهر الفائت ظهرت بعض الملامح التكتيكية لهذا المسار في المحور الاميركي — الاسرائيلي ، يمكن ان ترصد كما يلي :

ان اقوى عناصر المعادلة الفلسطينية ان الهوية « الكيانية » الفلسطينية توحدت مع الهوية النضالية الفلسطينية واصبحتا وجهين لعملة واحدة (عبر عنها احيانا بكل فلسطيني فدائي ، كل فلسطيني مخرب) .

وقد نتج ذلك عن حقيقة واحدة هي التحام المقاتل الفلسطيني بجماهيره الفلسطينية العريضة والتفاف هذه الجماهير حول المقاتل الفلسطيني وتمسكها به . وقد أعطت هذه الحقيقة مسألة التمثيل الفلسطيني معناها النضالي بحيث أصبحت المقاومة الفلسطينية هي المعبرة عن ارادة الفلسطينيين ، بعد ان تجلت هذه الارادة — من منظور آخر — بالمقاومة نفسها . اذن فان فصم الالتحام بين المقاومة وجماهيرها الفلسطينية يعتبر **غرضا** تجدر المراهنة عليه ضمن المحور الاميركي — الاسرائيلي ، لتحقيق **هدف** أبعد من ذلك هو تجميد الرغائبية الاسرائيلية بألا تكون منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة للفلسطينيين . (رابين « حكم » في مؤتمر الاممية الاشتراكية بأن منظمات « الارهاب » لا تمثل الفلسطينيين ، وبيرس « أكد » لمجلة تايم ان منظمة التحرير الفلسطينية لا تمثل الفلسطينيين فهي مجموعة صغيرة فرضت نفسها على الشعب الفلسطيني (ر.أ.ا. ٧/١) . ان محاولة فصم هذا الالتحام بين المقاومة وجماهيرها اتخذت لها أكثر من شكل أبرزها «الاقناع الدموي» لسكان المخيمات بالتخلي عن المقاتل الفلسطيني .

وكان ابرز ملامح هذا « الاقناع » في الشهر الماضي قصف مخيمات الفلسطينيين (في ٦/٢٠ الغارات الابادية على مخيمات عين الحلوة والبرج الشمالي والرشيدية) في محاولة واضحة لعزل المقاتل الفلسطيني عن صفوف الجماهير وبذلك تتحول المقاومة الى مجرد عصابات مسلحة خارجة عن حماية الجماهير ومنسلخة عنها فتسهل تصفيتها ، او نزع الصفة **التمثيلية النضالية** عنها . ويمكن استكمال صورة « العصابات المطاردة » هذه المكروهة المعزولة غير ذات الجذور ، في تأليب الجماهير العربية على المقاومة ووضع مصالحها في تناقض مع وجود المقاومة نفسه . في ٦/١٨ اغارت ٣٨ طائرة اسرائيلية على قرى الجنوب اللبناني ، ايضا في عملية « اقناع دموي » بأن الثمن الذي يدفعه المواطن العربي مقابل رضاه بوجود المقاومة الى جانب بيته او في بيته هو ابنه او زوجه او والده . وفي ٧/٨ قامت الضفادع الاسرائيلية بنسف زوارق الصيادين في بعض موانىء الصيد في جنوب لبنان في عملية « اقناع اقتصادي » هذه المرة بأن مصلحة المواطن العربي هي ان يمتنع عن منح حمايته لرجال المقاومة ، بل أكثر من ذلك بأن يحاصرهم ويعزلهم . وبطبيعة الحال فان « خط » الدول العربية المعنية هنا على اتخاذ اجراءات ضد حركة المقاومة تدخل ضمن أبعاد الصورة .

ان التنسيق الاميركي — الاسرائيلي هنا واضح، وكان دليله المعلن ما ورد في البيان الذي صدر في ٦/١٧ عن محادثات نيكسون في اسرائيل ، فقد نص البيان على ان الطرفين « اتفقا على ان الدول التي عاشت في سلام يجب ان تقيم علاقات تنسجم مع مبادىء ميثاق الامم المتحدة ومبادىء القانون الدولي الذي ينص على **ان من واجب كل دولة ان تمتنع عن تشجيع تنظيم قوات غير نظامية او جماعات مسلحة من ضمنها مرتزقة بهدف التسلل الى أراضي دولة اخرى** » . وكان هذا البيان ضوءا أخضر امام اسرائيل مارست بدءا من اليوم التالي لصدوره قصفها قرى الجنوب اللبناني ومخيمات الفلسطينيين .

باجمال فان القصد هنا واضح هو اضعاف القدرة الفلسطينية عن طريق عزلها عن الجماهير ومحاصرتها . ومن اسف اننا اسهمنا ، بغير وعي ،

في هذا القصد. فبغض النظر عن الاسباب والدوافع التي ادت الى الاشتباكات التي حصلت بين فصيلين من فصائل المقاومة في ٦/٢٨ في بعض المخيمات الفلسطينية في لبنان ، فان نتائجها ، ان تكررت ، ستصب الماء في طاحونة زعزعة الثقة بين الجماهير وفصائلها المقاتلة .

ان اضعاف القدرة الذاتية الفلسطينية اتخذ له الى جانب ذلك وسائل اخرى لخصها اسحق رابين الى مجلة « نيوزويك » الاميركية بقوله « في هذه المرحلة نحاول اغلاق الحدود بزرع الالغام واقامة الاسوار وبواسطة معدات الكترونية . وسوف نضرب المخربين في كل مكان وزمان ، في مراكز تجمعهم وقياداتهم وفي المخيمات » (ر.١.١. ٧/١) أي الخطة الشاملة المبادرة التي لا تنتظر قيام المقاومة بعملية كي ترد عليها انتقاميا وانما نقل الحرب الى الجانب الفلسطيني نفسه . وقد ترددت في الشهر الماضي انباء عن تفصيلات هذه الخطة الشاملة منها ما اوردته صحيفة «معاريف» الاسرائيلية عن الدعوة الى تشكيل فرق انتحارية من الاعضاء السابقين للقوات الخاصة للعمل على تصفية الفدائيين وقواعدهم في جنوب لبنان بطريقة سرية . (وكالات الانباء ٧/٨) . ومنها كذلك الحوار الذي دار في اسرائيل حول تشكيل هيئة خاصة لمحاربة الفدائيين ، فقد اوردت الاذاعة الاسرائيلية (٦/٢٩) ما يلي : « علمنا ان الحكومة ستجري نقاشا شاملا حول هذا الموضوع ، ونعلم ايضا ان ثمة نقاشا بين وجهتي نظر ، الاولى ان على الحكومة بكاملها ان تعالج قضية مكافحة الارهاب وتحديد سياسة لكل عملية ، وفي المقابل هناك وجهة نظر اخرى ترى تحديد سياسة معينة من قبل الحكومة على ان يترك التنفيذ لهيئة خاصة جديدة تركز جهودها لمحاربة الارهاب » .

ان اضعاف صاحب الحق الفلسطيني يوازيه خط آخر يسعى الى تقزيم الحقوق الفلسطينية وتعهيرها . والمحور الاساسي الذي يدور حوله هذا الخط هو ادخال النظام الاردني طرفا رئيسيا وربما وحيدا في معالجة القضية الفلسطينية . أكد اسحق رابين ذلك في مؤتمر قطري لزعماء الكتل وسكرتاري مجالس العمال وفروع حزب العمل في اسرائيل بقوله « انني مقتنع بأنه في ضوء ضرورة حل المشكلة [المشكلة الفلسطينية] وفي ضوء ضرورة اقامة اساس سياسي متين لمطالب اسرائيل ، فان الشريك الوحيد ، على الاقل الذي يمكن التوصل معه لحل هذه القضية ، هو النظام الاردني » (ر.١.١. ٧/١٥) كما أكد كيسنجر هذا الاتجاه قبل ذلك في مؤتمر صحافي عقده في القدس (٦/١٧) سئل فيه عن كيفية « حمل » الفلسطينيين على المفاوضات فأجاب « ان هناك خطوات عدة والخطوة الاولى هي عن طريق المفاوضات بين اسرائيل والاردن **بوصفه صاحب الخلفية التاريخية في القضية الفلسطينية** ، وموافقة مبدئية من جانب اسرائيل على البحث مع الاردن » . ان استحضار تاريخ علاقة النظام الاردني بالقضية الفلسطينية بجعل هدف تركيز القضية الفلسطينية بين ايدي هذا النظام معروفا كما ان النتائج تغدو متوقعة . ويبدو ان الولايات المتحدة مصممة حتى الان على هذا الاتجاه ، فالنظام الاردني لم يستنفد اغراضه بعد ضمن السياسة الاميركية في المنطقة ، وبالتأكيد فان الولايات المتحدة ستلعب ورقة هذا النظام حتى الشوط الاخير ، ولكي تكون الورقة رابحة فان الدعم الاميركي للنظام الاردني سيتخذ مجالات شتى عبر عنها البيان المشترك الاميركي ـ الاردني الذي صدر في ٦/١٨ في ختام زيارة نيكسون الى الاردن بالنص على انه « تم الاتفاق على تشكيل **لجنة اردنية ـ اميركية وعلى مستوى عال** لتتابع بصورة منتظمة ، وتشرف على مختلف مجالات التعاون بين الاردن والولايات المتحدة **في حقول التنمية الاقتصادية والتجارة والاستثمار والمساعدات العسكرية والشؤون العلمية والاجتماعية والثقافية** » .

ولقد حددت « فلسطين الثورة » (٦/١٩) احدى المهام الاساسية المطروحة امام القيادة الفلسطينية الجديدة بأنها « التصدي للمسألة الاردنية بوضوح وشجاعة ، فالنظام الاردني العميل لا زال يدعي تمثيله للشعب الفلسطيني ، ولا زال يقف بصلابة في وجه تنفيذ اتفاقيتي القاهرة وعمان ، ولا زال يزج بمناضلينا في سجونه ويمارس كل اصناف القمع والعنف ضد شعبنا ، وهذه قضايا لا بد من حسمها قبل الدخول في التفاصيل الاخرى الخاصة بالمسألة الاردنية » ، غير انه لا بد من ان يضاف الى ذلك ايضا انه ينبغي **فهم الدور الوظيفي للكيان الاردني** وتحديد موقف حاسم

ازاءه ومعالجة القضايا المطروحة من خـــلاله استنادا الى وعي ابعاد هذا الدور في المنطقـــة **وعيا فاعلا** يدخل في حسابه انهاء هذا الدور بانهاء الاسس الموضوعية والذاتية التي يقوم عليها ، وهي بالاضافة الى انها مهمة وطنية اردنية فانها ايضا احدى التحديات التي تواجه الحركة الوطنية الفلسطينية ما دام البعد الرئيسي للدور الوظيفي للكيان الاردني موجها الى القضية الفلسطينية في الاساس .

باجمال ، ان اثبات القدرة الذاتية الفلسطينية هي التحدي الكبير الذي يواجه حركة المقاومـــة والشعب الفلسطيني ، كما ان تحييد هذه القدرة او ابطال مفعولها هو الهدف المرحلي في المحـور المعادي ، وربما يجوز التأكيد ان ملامح الصراع في المنطقة محكومة بهذه المسألة ، كما ان النتائج القادمة في المدى المنظور المترتبة على هذا الصراع ستكون مرهونة ايضا بهذا الاثبات او نفيه .

عصام سخنيني

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

وصل التحرك السياسي الامريكي الامبريالي الذي بدأ بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ في منطقتنا الى ذروته في الجولة التي قام بها الرئيس نيكسون الى الشرق الاوسط في منتصف شهر حزيران حيث زار كلا من مصر والعربية السعودية وسوريا واسرائيل والاردن . وقد أكد هذه الحقيقة ناطق باسم البيت الابيض حين صرح عشية الجولة بأن هدفها هـو تأكيد الجو الجديد الذي طرأ على المنطقة بعد الحرب وتعزيزه على أعلى المستويات . كما أكد ذلك الرئيس نيكسون نفسه في رسالة رسمية بعث بها الى الرئيس فرنجيه اعتذر فيها عن زيارة لبنان وقال فيها ان بلاده أصبحت ملزمة بمتابعة جهودها « في سبيل سلام عادل ودائم في المنطقة » بعـد فصل القوات الذي جرى في الجبهتين المصريـة والسورية . كذلك أعرب نيكسون عن افتخـار امريكا بدورها في تحقيق فصل القوات هذا وعن كون هدف جولته هو تأكيد دعم بلاده للمبادرات السلمية القائمة في المنطقة في تصريح له في النمسا حيث حط لفترة قصيرة قبل وصوله الى مصر .

وصل الرئيس الامريكي الى القاهرة في ١٢ حزيران حيث لقي استقبالا رسميا وشعبيا حافلا لم تر مصر شبيهه منذ فترة طويلة . واستقل سيارة مكشوفة مع الرئيس السادات من المطـار الى مقر اقامته الرسمية . وكان الجانب الامريكي قد أعلن ان الزيارة تمت بناء على دعوة الرئيس السادات وان هدفها هو المزيد من تدعيم العلاقات بين البلدين وتقوية التفاهم المتبادل بينهما وتقوية الصداقة بين شعبيهما . وبالمقابل أعلن الطرف المصري ان هدف الزيارة هو زيادة العلاقـات بين مصر والولايات المتحدة قوة وتنمية التفاهم والصداقة المتبادلين بين شعبيهما .

ومن مظاهر التكريم التي حظي بها نيكسون في مصر تقليده قلادة النيل وهي أرفع وسام مصري موجود . ولا شـك ان منح سياسية هامة تترتب على مظاهر الحفاوة والترحيب التي حفلت بها زيارة نيكسون لمصر لها علاقة وثيقة بالتحالف السعودي المصري الامريكي الذي أخذ يهيمن عربيا منذ انتهاء حرب اكتوبر .

وقد اشار الرئيس السادات في خطابه الترحيبي الى هذه الامور بقوله ان زيارة نيكسون لمصر تعني فتح صفحة جديدة في تاريخ العلاقات بين البلدين وتكشف التغيير الذي حدث في استراتيجية نيكسون خاصة والاستراتيجية الامريكية عامة . كما اشار الى ان المنطقة تمر لاول مرة في تاريخها المعاصر بنقطة تحول بحيث أصبح المناخ مؤاتيا أكثر من أي وقت مضى لاحلال سلام دائم بها . وشدد الرئيس السادات في خطابه على أهمية القضية الفلسطينية وعلى كونها المصدر الاساسي لمتاعب المنطقـــة والمعضلة التي لا يمكن احلال السلام بدون حلها ، اذ ان السبب الحقيقي للازمة ، على حد قول السادات ، هو العدوان الذي ارتكب ضد الشعب الفلسطيني وحرمانه بقوة السلاح من وطنـــه وممتكاته وتحويله الى الحياة في الخيام حيث يقاسي الاغتراب . مما يعني ان الحل السياسي واحترام

الاماني الوطنية للفلسطينيين هما جوهر المشكلة كلها . وليس هناك من طريق اخر ولا حل آخر يؤديان الى سلام دائم بدون ايجاد حل سياسي للمشكلة الفلسطينية . أوضح السادات ان هذا لا يعني بأي حال من الاحوال تصفية اسرائيل كما يدعي الاسرائيليون لتبرير مخططاتهم التوسعية . كما اوضح انه تعمد الحديث عن هذه المشكلة لان حلها امر لا غنى عنه لتحقيق السلام العادل والدائم . واشاد السادات بالتغير الذي احدثته حرب اكتوبر في السياسة الامريكية معتبرا ذلك من الانجازات الهامة والايجابية للحرب .

أما رد نيكسون على خطاب السادات فقد شدد على تأثره بالاستقبال الشعبي الكبير الذي لقيه في شوارع القاهرة ، وعلى ان تحقيق اتفاقيات فصل القوات قد ارسى الاساس لمزيد من التقدم في المستقبل ، ولكنه تجاهل ما طرحه السادات حول القضية الفلسطينية واهميتها ولم يشر اليها الا مداورة وبشكل عام جدا حيث قال ان الرئيس المصري اشار الى « بعض القضايا الصعبة والمعقدة التي لا تزال قائمة في المنطقة » مضيفا الى ذلك بانه لم يأت لا هو ولا الدكتور كيسنجر بأية حلول جاهزة لهذه القضايا المعقدة . وان ايجاد حل عادل ومنصف لها سيتطلب قدرا كبيرا من الدبلوماسية من جانب جميع الاطراف المعنية .

زار الرئيس نيكسون الاسكندرية حيث لقي ايضا استقبالا شعبيا ضخما اثناء مروره في شوارع المدينة في سيارة مكشوفة ايضا . وفي مؤتمر صحفي عقده هناك شدد على ارتياحه الكبير لهذا الاستقبال قائلا بأن « الجماهير أظهرت شعورا عميقا من الود والصداقة لامريكا على الرغم من ٢٥ عاما من سوء التفاهم بين البلدين » . وانه بحث مع الرئيس السادات طويلا في الطريقة التي يمكن بواسطتها تحقيق اماني هذه الجماهير بصورة فعالة وبدون تخييب آمالها . واضاف انه ليس بالامكان تحقيق كل شيء في زيارة واحدة وان الرئيس السادات يعرف تماما انه لا يمكن تسوية قضية الشرق الاوسط الا على مراحل .

وفي الخطب التوديعية التي القيت عاد الرئيس السادات الى التشديد على ان اتفاقات الفصل بين القوات على أهميتها الكبرى في تغيير المناخ العام ليست الا تسوية لمشكلة عسكرية ، وان محور القضية كلها في الشرق الاوسط هو تحقيق « المطالب المشروعة » للشعب الفلسطيني وانه ما لم يتم ذلك فستتضاءل فرص السلام الحقيقي والدائم في المنطقة . كما رحب من جديد « ومن أعماق القلوب » بالموقف الامريكي الجديد وعبر عن تطلعه بكل رضى وترحيب الى استمرار هذه الروح الجديدة وهذه السياسة الايجابية بين البلدين . أما الرئيس نيكسون فقد عاد الى التعبير عن رضاه في خطابه الختامي عن الاستقبال الشعبي الذي لقيه واعتبره تأييدا شعبيا لمبادىء العلاقات والتعاون بين مصر والولايات المتحدة كما أكد ان البيانات والاتفاقات والوثائق التي تم توقيعها خلال الزيارة لن تكون حبرا على ورق لان الطرفين المعنيين مصممان على تنفيذها . الا ان نيكسون تجاهل مرة اخرى ما ورد في خطاب الرئيس السادات حول القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني و « مطالبه المشروعة » مكتفيا بالاشارة الى انه بعد التقدم الذي تم احرازه حتى الان ما زالت الطريق طويلة امام امريكا وبلدان المنطقة في الوصول الى السلام المنشود وان بلاده تتطلع الى العمل مع حكومات هذه البلدان للوصول الى حلول للمشكلات القائمة اذ ان لها كل مصلحة جوهرية في احلال السلام .

ومع انتهاء الزيارة صدر بيان مطول وعلى قدر كبير من الاهمية عنوانه « مبادىء العلاقات والتعاون بين مصر والولايات المتحدة الامريكية » . ونص البيان على المبادىء التي تم الاتفاق عليها بين الرئيسين بحيث تحكم العلاقات بين مصر والولايات المتحدة . وفيما يلي أهم ما احتواه البيان :

١) ان السلام العادل والدائم في الشرق الاوسط يعني التنفيذ الكامل لقرار مجلس الامن رقم٢٤٢ بحيث يأخذ بعين الاعتبار المصالح المشروعة لكل شعوب الشرق الاوسط بما في ذلك الشعب الفلسطيني وحق كل دولة من دول المنطقة في الوجود .

٢) يمكن تحقيق السلام عن طريق المفاوضات طبقا لقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ الصادر في ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ وذلك ضمن اطار مؤتمر جنيف للسلام .

٣) ان المهمات المطروحة حاليا على حكومتي

مصر والولايات المتحدة هي : (أ) تكثيف المشاورات على كل المستويات بما فيها رئيسي البلدين وتدعيم تعاونهما الثنائي في خدمة قضية السلام في العالم. (ب) مواصلة السعي الدائب من اجل تحقيق السلام في الشرق الاوسط . (ج) تشجيع المزيد من الاتصالات بين المسؤولين في الحكومتين على المستويات التنفيذية والتشريعية والقضائية بهدف تحسين التفاهم المتبادل بين مؤسسات البلدين وتحقيق اغراضهما وأهدافهما المشتركة. (د) التحرك نحو تحقيق علاقات صداقة وتعاون واسعة بين البلدين تكون فيها التنمية الاقتصادية والعلاقات التجارية بمثابة العنصر الجوهري . (هـ) تسهيل قيام المشروعات المشتركة والتعاونية بين المؤسسات الحكومية والخاصة في البلدين وزيادة التجارة بينهما . (و) تشجيع التبادل المشترك في المجالات العلمية والفنية باعتبار هذا يشكل هدفا مشتركا بين البلدين . وسيجري تحقيق خطوات ملموسة على هذا الصعيد عن طريق تبادل العلماء والطلبة وغيرهم من رجال الثقافة لتعميق الروابط الثقافية بينهما . (ز) بذل جهود خاصة لزيادة السياحة بين البلدين وزيادة الاتصالات الشخصية بين مواطني كل منهما وتحسين المواصلات الجوية والبحرية بينهما .

٤) اعتبار اجتماعات الرئيسين بمثابة اول اجتماع للجنة التعاون المشترك المصرية الامريكية التي تم انشاؤها في ٣١ ايار ١٩٧١ . وستستمر هذه اللجنة برئاسة وزيري خارجية البلدين في مشاوراتها على جناح السرعة من أجل تحديد البرامج المشتركة التي يتفق عليها ومن أجل تنفيذها وذلك في الميادين العلمية والثقافية والاقتصادية .

٥) موافقة الولايات المتحدة على المساهمة في دعم هيكل مصر المالي على ان يقوم وزير المالية الامريكي بزيارة مصر في القريب العاجل لاجراء مباحثات من أجل تنفيذ ذلك .

٦) البدء بالمحادثات بين الطرفين لعقد اتفاق حول التعاون في مجال الطاقة النووية بضمانات يتفق عليها بحيث تقوم الولايات المتحدة ببيع مصر مفاعلات نووية ووقود نووي ، كي تتمكن مصر من توليد كميات اضافية كبيرة من الكهرباء لسد حاجاتها . وسيتم عقد اتفاق مؤقت هذا الشهر بين لجنة الطاقة الذرية الامريكية ووزارة الكهرباء المصرية لبيع الوقود النووي لمصر .

٧) الاتفاق على اقامة مجموعات عمل مشتركة تجتمع في المستقبل القريب لاعداد مشروعات محددة ومقترحات تعرض على اللجنة المشتركة بحيث تشمل ما يلي : (أ) مجموعة عمل مشتركة لتعميق قناة السويس وتطويرها تبحث موضوع اعادة فتح القناة وتعمير المدن على امتدادها ودور الولايات المتحدة في هذا المجال . (ب) مجموعة عمل مشتركة تبحث وتوصي بالاجراءات اللازمة لفتح المجال أمام الاستثمارات الامريكية الخاصة وامام المشروعات المشتركة في مصر وأمام تنمية التجارة بين البلدين وستراعي مجموعة العمل هذه حاجة مصر الى الدعم المالي والفني والمادي وزيادة تنميتها الاقتصادية كما تأخذ بعين الاعتبار رضى الولايات المتحدة وتأييدها للمشروعات التي تقوم بها المؤسسات الامريكية في مصر . كذلك تأخذ بعين الاعتبار ان المشروعات التي يجري التفاوض في شأنها حاليا تتعلق بميادين الصناعات البتروكيمائية والنقل ومعدات الاغذية والزراعة واستصلاح الاراضي وتحسينها ، والسياحة والبنوك وقطاعات اقتصادية اخرى بحيث تبلغ القيمة التصديرية للمشروعات قيد البحث ما يفوق ٢ بليون دولار . كما تأخذ اللجنة بعين الاعتبار أهمية التكنولوجيا الامريكية والرأسمال الامريكي من جهة وطاقة مصر على الاستيعاب وقواها العاملة الماهرة وفرص الاستثمار المنتجة فيها من جهة اخرى بما يسهم بصورة فعالة في دعم الاقتصاد المصري وتطويره علما بأن البلدين سيتفاوضان على الفور لعقد اتفاق حول ضمان هذه الاستثمارات . (ج) مجموعة عمل مشتركة في مجال الزراعة تدرس وتوصي بالاجراءات اللازمة لزيادة الانتاج الزراعي المصري عن طريق استخدام أحدث الاساليب التكنولوجية الزراعية . (د) مجموعة عمل مشتركة في مجال التكنولوجيا والبحث العلمي بما في ذلك ابحاث الفضاء مع التركيز على تبادل العلماء . (هـ) مجموعة عمل مشتركة للتعاون الطبي لمعاونة الحكومة المصرية في تطوير البحث الطبي وتدعيم وسائل العلاج والتدريب . (و) مجموعة عمل مشتركة للتبادل الثقافي هدفها تشجيع المعارض والزيارات وغيرها من الاعمال الثقافية وتسهيلها بالاضافة الى تشجيع تفهم أكبر لكلتي الثقافتين من جانب شعبي مصر

والولايات المتحدة .

٨) اتفاق الحكومتين على تكوين مجلس اقتصادي مشترك يضم ممثلين عن القطاع الخاص في كل من البلدين للتعاون فيما بينهما واعداد ترتيبات اقتصادية وتعاونية ذات فائدة مشتركة للطرفين .

٩) تعهد الولايات المتحدة بتقديم اقصى مساهمة ممكنة للتنمية الاقتصادية في مصر بما في ذلك تطهير قناة السويس ومشاريع التعمير وتطوير التجارة المصرية مع ايلاء أهمية خاصة لاحتياجات مصر من السلع الزراعية .

١٠) موافقة الولايات المتحدة على معاونة مصر في اعادة بناء دار الاوبرا في القاهرة (التي دمرتها النار منذ فترة غير بعيدة) .

١١) تأكيد عزم الحكومتين على القيام بكل ما هو ممكن لتوثيق اواصر الصداقة والتعاون بينهما بما يتفق مع مصالحهما المشتركة ، وقد وقع هذا البيان التفصيلي والموسع الرئيسان نيكسون والسادات في ١٤ حزيران ١٩٧٤ . وواضح ان البيان يشكل نوعا من معاهدة تعاون وصداقة مع الولايات المتحدة .

وفي اليوم التالي على توقيع البيان أكدت مصادر وزارة الخارجية الامريكية ان الاتفاق النووي بين مصر وامريكا مرتبط بضمانات خاصة ستلزم مصر بقبول مراقبة دولية وامريكية مباشرة على النشاطات في حقل الطاقة النووية كما أكدت ان الولايات المتحدة ستصر على ممارسة حق الفيتو في حال قيام مصر باستخدام الوقود النووي بصورة تخرج عن نطاق الاستخدام السلمي كي لا تقتفي مصر خطوات الهند في هذا المجال . (فجرت الهند جهازا نوويا) . كما اعلن نائب الرئيس نيكسون انه اذا استخدمت مصر الطاقة النووية لاغراض غير سلمية « فستتوقف المساعدة الامريكية في ثوان » . كذلك اشارت الصحافة المصرية في حينه الى ان الخبراء يقدرون المعونة التي ستقدمها امريكا الى مصر قبل نهاية ١٩٧٤ بأكثر من مليار دولار . وهذا لا يشمل المشروعات التي تنوي الشركات والمؤسسات الامريكية تنفيذها وتقدر قيمتها بـ ٢٠٠٠ مليون دولار .

وجدير بالذكر هنا انه اثناء زيارة نيكسون لمصر كان جوزيف سيسكو يوضح النقاط التالية الهامة أمام لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الامريكي :

(١) ان الضمانات التي أعطتها حكومة بلاده لاسرائيل فيما يتعلق بمقاومة الفدائيين لا تشكل « كارت بلانش » للقيام بأعمال انتقامية بدون حساب .

(٢) ان الولايات المتحدة تعتبر العمل الفدائي المنطلق من سوريا خرقا لاتفاقية فصل القوات .

(٣) ان قوى الاعتدال قد اصبحت هي المسيطرة في الشرق الاوسط في كل مكان وان هذه القوى في الجانب الاسرائيلي كما في الجانب العربي تبحث عن طرق للتعايش . كما ان فئة كبيرة من الحركة الفلسطينية أخذت تتحول ايضا الى الدبلوماسية بدلا من الحرب ، على حد قوله .

(٤) انه لن يكون هناك سلام مضمون « بدون أخذ المصالح المشروعة للفلسطينيين بعين الاعتبار». وان حكومة بلاده تستخدم عبارة « المصالح المشروعة » عمدا لكي تتجنب استخدام عبارة « الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » .

(٥) ان انطباعه هو ان الفلسطينيين يريدون الاشتراك في مؤتمر جنيف الا انه على الفرقاء « المعنيين بالمؤتمر والدولتين اللتين تتقاسمان رئاسته ان يقرروا كيفية اشتراك الفلسطينيين فيه.

(٦) أن الولايات المتحدة استجابت لرغبة اسرائيل في ان تكون المساعدات العسكرية الامريكية مبرمجة على عدة سنوات دفعة واحدة بدلا من برمجتها سنويا كما جرت العادة .

(٧) ان مساعدة بلاده المقدمة الى مصر وخاصة من أجل بناء مدنها في منطقة قناة السويس ستساعد في تحويل الافكار عن الحرب باتجاه سد حاجات الشعب المصري .

في منتصف شهر حزيران بدأت زيارة الرئيس نيكسون للمملكة العربية السعودية وقد أعلن الجانب الامريكي بأن هدف الزيارة هو « تدعيم علاقات الصداقة مع الملك فيصل وتبادل الافكار ووجهات النظر حول المصالح المشتركة للبلدين » . أما الجانب السعودي فقد أعلن في بيان رسمي ان هدف الزيارة هو « توثيق عرى الصداقة بين البلدين » . واقتصر الاستقبال السعودي للرئيس

الامريكي على المراسم الرسمية على خلاف ما جرى في مصر . وقد ذكر الناطق الرسمي باسم الوفد الامريكي ان المباحثات مع الملك فيصل ستشمل العلاقات الثنائية بين البلدين والوضع العام في الشرق الاوسط وموضوع النفط . كذلك صرح مصدر رسمي سعودي قائلا بأن امريكا غيرت موقفها من نزاع الشرق الاوسط وان كيسينجر يبدي تفهما كاملا لمصالح الشعب الفلسطيني . أشاد المصدر بالسياسة الامريكية بقوله انها « لا تستند فقط الى النفط ورؤوس الاموال العربية بل الى الاحترام المخلص للقضايا الامريكية — العربية ، والامريكية — السعودية المشتركة » . وجدير بالذكر هنا ان الملك فيصل شدد في خطابه الترحيبي على انه لن يكون هناك سلام حقيقي ودائم في المنطقة ما لم تتحرر القدس وتعود الى السيادة العربية . وقد اشارت انباء صحفية الى ان الملك فيصل اثار في محادثاته مع نيكسون موضوع القدس هذا وموضوع حقوق الشعب الفلسطيني مؤكدا ان الوقت قد حان كي تتوقف الولايات المتحدة عن وصف الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني « بالمصالح الفلسطينية » . كذلك أكد ان اي حل للنزاع العربي الاسرائيلي لا يأخذ في اعتباره حقوق الشعب الفلسطيني هو حل مرتجل ولا يمكن ان يؤدي الى السلام العادل والدائم الذي تطلبه السعودية والولايات المتحدة . وقد تجاهلت ردود الفعل الصادرة عن الوفد الامريكي الموضوعين الحساسين اللذين تمت اثارتهما . فقد قال الناطق الرسمي باسم الوفد الامريكي حول موضوع القدس ان دور الولايات المتحدة يقتصر على الوساطة في المفاوضات التي تسير خطوة خطوة . وان بلاده عازمة على الاستمرار في القيام بهذا الدور ، اذ بامكانها ان تقدم خدمة أكبر الى حل مشاكل الشرق الاوسط بعدم تحديد الاهداف التي يتوجب بلوغها في الوقت الحاضر . كما اوضح ان الوقت لم يحن بعد لتتصدى الدبلوماسية الامريكية الى معالجة القضية الفلسطينية . وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده نيكسون قبل انتهاء زيارته تجاهل ايضا الموضوعات الفلسطينية الحساسة واقتصر في كلامه على الاشادة بالملك فيصل والمملكة العربية السعودية وعلى العبارات العامة حول عزم بلاده مواصلة جهودها لمساعدة العرب واسرائيل على الوصول الى سلام عادل . وكشف نيكسون ان المباحثات في السعودية تناولت موضوع المساعدات الامريكية العسكرية « بحيث تكون العربية السعودية في مستوى من القوة والامن يتماشى مع دورها كزعيمة في هذا الجزء من العالم » .

أما زيارة نيكسون لسوريا فلم يحدد لها الجانب الامريكي أي هدف رسمي بأكثر من القول « بأن نيكسون سيزور هذا البلد الذي تمهد الولايات المتحدة لاستئناف العلاقات الدبلوماسية معه ، كضيف على الرئيس الاسد » . واقتصر الجانب السوري كذلك على القول بأن الرئيس نيكسون « سيزور سوريا بدعوة من حكومتها وانه سيحل ضيفا على الرئيس الاسد » . ولم يجر لنيكسون أي استقبال شعبي او حزبي في دمشق بل اقتصر الترحيب على المراسم الحكومية الرسمية. وتلخص اهم ما اثاره الرئيس الاسد في خطابه الترحيبي في قوله « ان السلام القادر على البقاء والاستمرار هو السلام العادل الذي ينهي الاحتلال الاسرائيلي ويعيد الارض الى أهلها ويزيل الظلم الواقع على الشعب الفلسطيني ويؤمن له حقوقه الوطنية المشروعة » . بالاضافة الى ذلك أكد الرئيس الاسد ان السلام العالمي يكاد ان يكون مستحيلا بدون السلام العادل في هذه المنطقة وعبر عن تمنيه في ان تشكل هذه الزيارة بداية عهد جديد في العلاقات بين الولايات المتحدة وسوريا . ومما يلفت الانتباه هنا ان نيكسون أشار في خطاب الرد لاول مرة خلال رحلته الى القضية الفلسطينية وان اتسمت اشارته بطابع الحذر الشديد . قال في رده موجها كلامه الى الرئيس الاسد « كما سردتم ان ما يشغل بالكم هو قضية الفلسطينيين وهذا امر نتفهمه » . الا ان نيكسون شدد على انه لا يحمل معه اية حلول سريعة او آنية لهذه القضية وعاد الى القول مجددا بأن السياسة الامريكية مبنية على المرحلية في الوصول الى السلام . فأشار الى انه بعد اتفاقيات فصل القوات يجب التقدم خطوة خطوة وبشيء من الحذر المدروس بحيث يجري تناول قضية محددة وتسويتها وفقا لما تسمح به الظروف الى ان تبلغ هدف السلام العادل والشامل الذي ننشده . وتم اختتام الزيارة بمؤتمر صحفي مشترك عقده الرئيسان وقد عبر الرئيس الاسد خلال المؤتمر

عن استعداد سوريا للحوار من أجل توثيق الصداقة والتعاون بين شعبي البلدين واقامة علاقات تعاون في المجالات التعليمية والاقتصادية بما يخدم مصالح الطرفين . كما وجه الشكر الى نيكسون على الجهود البناءة التي بذلتها الحكومة الامريكية من أجل التوصل الى اتفاق فصل القوات في الجولان مؤكدا ان هذا الاتفاق ليس الا خطوة اولى من الحل العادل والشامل للقضية والذي لا يمكن ان يقوم من دون انسحاب اسرائيل من كل الاراضي العربية المحتلة وتأمين الحقوق القومية للشعب الفلسطيني وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ . وأعلن الرئيس الاسد رسميا قرار سوريا اعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في مستوى السفارة . أما نيكسون فقد أكد ان بلاده ستعمل جنبا الى جنب مع سوريا في سبيل تحقيق العدل والسلام الدائم على اساس تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ ، وانه يعتبر مع الرئيس الاسد اتفاق فصل القوات خطوة اولى نحو تحقيق العدل والسلام الدائم في المنطقة .

وجدير بالانتباه هنا ان زيارة نيكسون للسعودية وسوريا لم تسفر عن اصدار أية بيانات مشتركة كما حدث في مصر . ويبدو ان السبب وراء ذلك هو عدم توصل الطرفين الى اتفاق حقيقي حول عدد من الموضوعات الحساسة مما منع صدور البيانين المشتركين اذ ان مثل هذه البيانات تلزم الطرفين الموقعين بموقف موحد من القضايا التي يتناولها البيان . ولا شك ان القضايا التي لم يجر الاتفاق حولها منعت صدور أي بيان مشترك في السعودية وسوريا هي : (١) قضية القدس والاصرار العربي على عودة السيادة العربية عليها. (٢) مسألة حقوق الشعب الفلسطيني التي لا تشير اليها المصادر الامريكية الرسمية الا بعبارة « المصالح المشروعة » وهناك فارق شاسع بين الحقوق والمصالح . (٣) مسألة الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة وهو ما يصر عليه الجانب السوري في حين ان الولايات المتحدة لا تفسر قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بأنه دعوة للانسحاب من الاراضي المحتلة بكاملها . لذلك جاء البيان المصري — الامريكي المشترك خلو من أية اشارة الى ضرورة الانسحاب الاسرائيلي الكامل واستعاض عنها بالتأكيد على تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بكامله ، كما تبنى الصيغة الامريكية القائلة « بالمصالح المشروعة للشعب الفلسطيني » بدلا من حقوقه .

بعد دمشق زار نيكسون اسرائيل . أشار الجانب الامريكي الى ان الزيارة ستتيح الفرصة أمام نيكسون للاجتماع بالرئيس كانزير وتجديد صداقته القديمة مع رئيس الوزراء رابين . وكان اول ما حرص الرئيس الامريكي على فعله لدى وصوله الى اسرائيل هو تأكيده للمسؤولين هناك ان اتفاق التعاون النووي مع مصر لن تكون له أية انعكاسات عسكرية وان امريكا ستواصل دعمها لامن اسرائيل . ومن أهم ما انطوت عليه هذه الزيارة المؤتمر الصحفي الذي عقده كيسينجر في القدس المحتلة حيث أكد النقاط التالية :

(١) الخطة الامريكية القائمة على تجزئة مشكلة الشرق الاوسط وحلها بصورة تدريجية .

(٢) انه بعد حرب تشرين تمكنت الولايات المتحدة من الانتقال من الموقع الاستقطابي حيث كان تأييدها يذهب الى اسرائيل مقابل التأييد السوفياتي للجانب العربي ، الى موقع يمكنها من مساعدة جميع الفرقاء بدون التخلي عن دعم اسرائيل .

(٣) ان الخطوة الاولى في حل الفلسطينيين على التفاوض هي في عقد مفاوضات بين اسرائيل والاردن باعتبار الاخير « هو صاحب الخلفية التاريخية في القضية الفلسطينية » .

(٤) انه من السابق للاوان الدخول في مناقشة مسألة المفاوضات مع الفلسطينيين لان مواضيع مهمة أخرى مطروحة الان على جدول الاعمال مثل تحديد خط الحدود بين اسرائيل وجاراتها .

(٥) ان الدول العربية باتت بصورة عامة « بما فيها الدول الراديكالية مثل سوريا » تتحدث عن استمرار دولة اسرائيل وان بعض العرب قد اتخذوا القرار الصعب حول ايجاد طرق للتعايش مع اسرائيل .

(٦) ان بلاده واثقة من ان الضمانات المفروضة على التعاون النووي الامريكي — المصري كافية لمنع تحويله الى الاغراض العسكرية .

أما النقطة البارزة الاخرى في زيارة نيكسون لاسرائيل فكانت البيان المشترك الذي صدر عن

الزيارة . وفيما يلي أهم النقاط التي تضمنها البيان :

(١) اتفاق نيكسون ورابين على ضرورة العمل لتحقيق السلام بين اسرائيل والدول العربية . وهذا يعني انه من واجب كل دولة معنية « ان تمتنع عن تشجيع تنظيم قوات غير نظامية او جماعات مسلحة من ضمنها مرتزقة ، بهدف التسلل الى اراضي دولة اخرى. ان الطرفين يدينان أعمال العنف والرعب التي تؤدي الى وفاة الابرياء » . وواضح ان هذه الفقرة من البيان تعني العمل الفدائي الفلسطيني صراحة .

(٢) تأكيد الرئيس نيكسون على الطبيعة المستمرة والطويلة الامد لعلاقات التسلح بين البلدين وعلى ان تعزيز قدرة اسرائيل الدفاعية ضروري لمنع قيام حروب جديدة وللمحافظة على الظروف المؤدية نحو السلام .

(٣) ان وفدا من وزارة الدفاع الاسرائيلية سيزور واشنطن قريبا لمناقشة التفاصيل المتعلقة بالامدادات العسكرية على المدى البعيد .

(٤) استمرار الولايات المتحدة في دعمها الاقتصادي لاسرائيل على اساس مخططات طويلة الامد تسمح لاسرائيل بتعويض النفقات الاضافية التي تحملتها للدفاع عن نفسها . وستستمر امريكا بتزويد اسرائيل بمساعدات اقتصادية كبيرة كما ستشجع المؤسسات واصحاب رؤوس الاموال على استثمار اموالهم في اسرائيل .

(٥) تعهد نيكسون بأن تقوم الولايات المتحدة باجراء مفاوضات مع اسرائيل حول تقديم المساعدات اللازمة لانتاج الطاقة النووية فيها . وستشمل هذه المفاوضات بالاضافة الى التعاون في ميدان الطاقة النووية ميادين التكنولوجيا والتزود بالمحروقات وغيرها . كما يأخذ هذا التعهد بعين الاعتبار عزم اسرائيل على شراء مفاعلات نووية من امريكا لتأمين الطاقة الكهربائية للبلاد .

وقد علق رابين على الزيارة والبيان المشترك بقوله انه من الاهمية بمكان ان تكون هذه الزيارة قد تمت في القدس « عاصمة اسرائيل الابدية ومركز البرلمان الاسرائيلي » . وان الرئيس نيكسون شدد على التزام امريكا بأمن اسرائيل على المدى الطويل وحقها في الحصول على حدود آمنة وعلى ضرورة كونها قوية وقادرة على الدفاع عن نفسها . كما أشار رابين الى ان البيان المشترك « أدان بوضوح أعمال العنف والارهاب وأكد ان من واجب كل بلد منع القوات غير النظامية من التمركز في اراضيها بهدف التسلل الى البلدان المجاورة ».

وذكرت مصادر صحفية اسرائيلية ان رابين ونيكسون اتفقا اولا على ان تكون المرحلة المقبلة من المفاوضات مرحلة التوصل تدريجيا الى اتفاق شامل بين مصر واسرائيل . ثانيا ، على ان يتأجل البحث في المشكلتين الاردنية والفلسطينية لان في ذلك مواجهة لعدد كبير من الصعوبات التي قد تهدد بنسف كل ما تم تحقيقه حتى الان . ثالثا ، على ان تكون محادثات جنيف للسلام الاطار الشكلي لتسوية القضايا العالقة بين مصر واسرائيل اذ ينبغي اجراء المفاوضات الحقيقية في مكان آخر وبعيدا عن الضجة الاعلامية .

اختتم نيكسون جولته الشرق أوسطية بزيارة الاردن . وقد ذكر الجانب الامريكي ان الزيارة ستتيح الفرصة امام نيكسون لتجديد صداقته القديمة مع الملك حسين . أما الجانب الاردني فقد أعلن ان الزيارة ستقوي روابط الصداقة والتعاون بين البلدين . وجدير بالانتباه هنا الى ان الملك حسين كان قد بعث برسالة الى نيكسون في اوائل حزيران وبعد انجاز اتفاقية فصل القوات في الجولان ناقش فيها الخطوط العريضة « لفصل القوات في الجبهة الاردنية » . وطلب الملك حسين من نيكسون ان يبذل جهوده خلال جولته في المنطقة لدعم هذا المشروع الاردني كجزء من مراحل تسوية النزاع . وقد تصدر هذا الموضوع على ما يبدو ما طرحه الجانب الاردني في مباحثاته مع نيكسون . اذ أكد الملك حسين في خطابه الترحيبي بأن فصل القوات بين الاردن واسرائيل يشكل شرطا مسبقا لاية تسوية دائمة في المنطقة على اعتبار ان الاتفاقات المشابهة التي تمت مع مصر وسوريا من المعالم البارزة على طريق السلام. وشدد على ان المرحلة المقبلة هي بطبيعة الحال مرحلة فصل القوات بين الاردن واسرائيل. وألمح الى انه بدون تحقيق هذه الخطوة لن يتمكن الاردن من ممارسة دوره كاملا في الجهود المبذولة لتحقيق السلام في المنطقة . كذلك عاد الملك حسين الى

طرح مشروع المملكة العربية المتحدة مجددا امام الرئيس نيكسون قائلا انه ليس بالامكان تحقيق السلام المنشود بدون الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني واستعادة هذه الحقوق . وقد شرح مفهومه لهذه الحقوق بقوله انه عندما تنسحب اسرائيل من الاراضي المحتلة لن يكون لغير الفلسطينيين الحق في تقرير مستقبل ارضهم وسيكون في امكانهم الاختيار بين استمرار الوحدة مع الاردن ، او قيام شكل من أشكال الاتحاد الفدرالي معه ، او اقامة دولة منفصلة عنه. ومن خلال طرحه لمشروع المملكة العربية المتحدة تطرق الملك حسين الى مشكلة القدس وضرورة عودتها الى السيادة العربية لان لا العالم العربي ولا الاسلامي يمكن ان يسمحا ببقائها تحت السيطرة الاسرائيلية . أما نيكسون فقد عاد الى التأكيد في خطابه الجوابي على انه لم يحضر معه أية حلول جاهزة للمشكلات الصعبة وان غياب مثل هذه الحلول الفورية لمشكلتي الفلسطينيين والقدس لا يجب ان يكون داعيا لليأس . واكتفى بهذا الكلام بالنسبة للقضايا الحساسة التي كان يواجهها في كل عاصمة عربية زارها . لكنه من ناحية اخرى أكد ان جولته في الشرق الاوسط قد أزالت سوء التفاهم الذي كان قائما في العلاقات العربية — الامريكية وان الوجود الامريكي الجديد في المنطقة هو التعبير عن الرغبة في مساعدة الاسرائيليين والعرب على التحرك نحو تسوية دائمة . ومما يلفت الانتباه ان خطاب نيكسون تجاهل الاشارة الى موضوع ما يسمى بفصل القوات على الجبهة الاردنية .

صدر بيان مشترك على اثر الزيارة كان اهم ما جاء فيه :

(١) تأكيد الولايات المتحدة دعمها المتواصل والفعال للاردن وخاصة زيادة المساعدات العسكرية والاقتصادية الامريكية زيادة كبيرة .

(٢) الاتفاق على تشكيل لجنة امريكية اردنية على مستوى رفيع تتابع بصورة منتظمة وتشرف على مختلف مجالات التعاون بين البلدين في حقول التنمية الاقتصادية والتجارة والاستثمار والمساعدات العسكرية والشؤون العلمية والاجتماعية والثقافية.

(٣) البحث في استراتيجية الجهود المقبلة لتحقيق السلام مع تعهد الرئيس نيكسون بالدعم الفعال للتوصل الى اتفاق بين الاردن واسرائيل من أجل تحقيق سلام عادل ودائم وفقا لقراري مجلس الامن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ .

ومما يلفت النظر ان البيان لم يتطرق الى موضوع القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني ولم يشر الى ان المرحلة المقبلة ستكون مرحلة فصل القوات على الجبهة الاردنية . مع ذلك افادت مصادر دبلوماسية مطلعة ان الجانب الامريكي عهد الى تطمين الاردن الى ان شيئا لم يتغير في علاقاتهما القديمة في حين أكد الجانب الاردني ان دعوته منذ مدة طويلة الى اتباع سياسة عربية منفتحة على الولايات المتحدة لان بيدها مفتاح حل مشكلة الشرق الاوسط قد اثبتت صحتها وسلامتها .

وعلى اثر انتهاء جولة الرئيس نيكسون حدثت التطورات التالية :

١) لخص نيكسون لدى عودته الى واشنطن انطباعاته عن الجولة بقوله « ان تغييرا عميقا ودائما قد حدث في المنطقة » لصالح السلام ولصالح حلول الصداقة مع امريكا محل العداء لها » . لذلك تكلم نيكسون بهذا الصدد عن مقابلته «أصدقاء امريكا الجدد في مصر وسوريا » وعن « تطمينه أصدقاءها القدامى في اسرائيل والعربية السعودية والاردن » . واوضح ايضا ان ترحيب الجماهير به يعني ان البلدان التي زارها تريد السلام وان أهلها يؤمنون بأن امريكا تريد السلام والتقدم ليس لنفسها فقط بل لهم ايضا ، وان هذه الجماهير تؤمن بأن امريكا ستساعد على تحقيق السلام والتقدم بدون السيطرة . أي رجع نيكسون بانطباع لخصه بقوله انه وجد في العالم العربي « ثقة بامريكا واحترام ومحبة قوية جدا لها » . وأكد بانه يجب على الولايات المتحدة الا تخذل هذه الجماهير اذ عليها ان تقوم بالدور الحاسم في استمرار التقدم نحو السلام .

٢) دعوة كل من السادات والاسد ورابين لزيارة واشنطن في المستقبل القريب وقد وافق الرؤساء الثلاثة على تلبية هذه الدعوة كما تحدد الوقت الذي ستجري فيه زيارة السادات لامريكا بشهر تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل .

٣) بدء المباحثات النووية بين مصر والولايات المتحدة في واشنطن حيث اجتمعت البعثة المصرية المختصة في شؤون الطاقة الذرية بلجنة الطاقة الذرية الامريكية . ودارت المحادثات حول تزويد مصر بالوقود النووي وبمفاعل نووي امريكي قوته ٦٠٠ ميغاواط . وقد جاء وزير الطاقة المصري الى واشنطن لتوقيع الاتفاق .

٤) زيارة وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيريز لواشنطن حيث قابل نيكسون ووزير الدفاع الامريكي واجرى محادثات معهما حول شحنات الاسلحة الامريكية لاسرائيل .

كان التطور الدولي الهام الاخر هو لقاء القمة في موسكو بين الرئيس نيكسون والزعامة السوفياتية في اواخر شهر حزيران . وقد تبين من المحادثات ان مشكلة الشرق الاوسط لم تحتل مقاما رفيعا على جدول أعمال المؤتمر اذ تركزت المباحثات على مشكلات تحديد الاسلحة الذرية والعلاقات الثنائية بين البلدين بما في ذلك مجالات التجارة والاقتصاد والتبادل العلمي الخ . وقد ذكر الناطق الرسمي بلسان الوفد الامريكي ان القمة تناولت موضوع الشرق الاوسط في جلساتها الاولى بشكل عام فقط وعلى سبيل تبادل المعلومات والاراء بين الطرفين وبدون الدخول في تفاصيل النزاع . اما البيان المشترك الذي صدر عن القمة فقد اشار بشيء من التفصيل الى الوضع القائم في الشرق الاوسط . فعبر عن تصميم البلدين على درء خطر الحرب والتوتر في المنطقة معتبرا ذلك مهمة من الدرجة الاولى من حيث أهميتها . كما أكد انه لا بديل عن التوصل الى تسوية سلمية عادلة على اساس قرار مجلس الامن الرقم ٣٣٨ مع الاخذ بعين الاعتبار « المصالح المشروعة لجميع شعوب الشرق الاوسط بما في ذلك الشعب الفلسطيني وحق جميع دول المنطقة في الوجود » كذلك أشار البيان مداورة الى موضوع التمثيل الفلسطيني في مؤتمر جنيف للسلام بقوله ان البلدين يعتبران انه من الضرورة بمكان ان يستأنف هذا المؤتمر أعماله في أسرع وقت « على ان تناقش فيه مسألة المشاركين الاخرين من منطقة الشرق الاوسط » . اخيرا اشار البيان الى اتفاق الطرفين على ضرورة استمرار الاتصالات الوثيقة بينهما من أجل تنسيق جهودهما بهدف الوصول الى التسوية السلمية في الشرق الاوسط .

صادق جلال العظم

(٣) المناطق المحتلة

عبر كل الاحداث والوقائع السياسية ، الدولية منها والمحلية ، تاكد جوهر الصراع في المنطقة بوجهه الفلسطيني . ويعتبر هذا الامر في حد ذاته انجازا سياسيا مهما للنضال الوطني الفلسطيني . فبعد ان حاولت جبهة الاعداء المتعددة الاطراف ، ان تغيب عن الصراع ، الحقيقة الفلسطينية الراسخة ، استطاع الكفاح المرير الطويل للشعب الفلسطيني ، ان يبرز حضورا وطنيا لهذا الشعب، فوق حيز الصراع المباشر .

ونستطيع تلمس هذه الحقيقة من خلال كافة الوقائع والاحداث التي شغلت اهتمام الضفة الغربية المحتلة عبر الفترة القصيرة الماضية .

زيارة نيكسون

لقيت زيارة الرئيس الاميركي نيكسون لعدد من دول المنطقة اهتماما واسعا لدى صحف الضفة الغربية . فيوم وصوله الى القاهرة وصفت صحيفة القدس رحلته بأنها رحلة « تاريخية بلا شك ، بغض النظر عن دوافعها وما قد تسفر عنه من نتائج » . واستنتجت الصحيفة ان نيكسون « يطمح في ان يدخل التاريخ العالمي كرجل سلام » . ولهذا السبب فقد سحب الجيش الاميركي من فيتنام وزار الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية . ولهذا السبب ايضا فان زيارته للشرق العربي « ليست زيارة مجاملة او احتمالات ، بل انها زيارة عمل ووضع الاساسات لمستقبل المنطقة » . واضافت الصحيفة ان زيارة الرئيس الاميركي هي احدى نتائج حرب تشرين الاول (اكتوبر) وصمود ووحدة الصف العربي « واستعمال جيد لسلاح النفط » . وفي ختام تعليقها على الزيارة دعت « القدس » العرب لاستقبال نيكسون ليس كصديق « بل ندعوهم لاستقباله على اعتبار انه رجل شعر بخطأ اقترفه وجاء ليتحسس الطريق لاصلاح هذا الخطأ » (القدس ٧٤/٦/١٢) .

وفي اليوم التالي تابعت « القدس » عبر افتتاحيتها الرئيسية التعليق على زيارة نيكسون ، من جانب ما يتعلق منها بالقضية الفلسطينية . فقالت : « لا نملك نحن الفلسطينيين ازاء هذه الزيارة الا الترقب لنرى ما اذا كانت هذه الزيارة التي يصفها صاحبها برحلة السلام ستحقق السلام العادل الدائم الذي ننشده نحن وترتضي به كافة الاطراف » . واضافت الصحيفة قائلة ان « ثقل الرئاسة الاميركية » يستطيع ان يمارس « ضغوطا على مختلف اطراف النزاع وبوجه اخص في اسرائيل والاردن » . وفي هذا المجال تنبأت الصحيفة ان الرئيس الاميركي « يعلم بلا ريب أن أية معالجة لازمة الشرق الاوسط لا بد ان تأخذ بالحسبان قضية الفلسطينيين كقضية شعب فقد ارضه وحقوقه لا كقضية شعب لاجيء يبحث عن مأوى » . وقد دفع هذا التوقع بالصحيفة الى المطالبة ببحث هذه القضية « كقضية وطنية » . بمعنى ان يكون لهذا الشعب « حرية مطلقة في تقرير مصيره بنفسه ، كما تعني ان ينال هذا الشعب حقوقه التي نصت عليها قرارات الامم المتحدة ، وهذا يستدعي اتاحة الفرصة لهذا الشعب كي يشترك في محادثات جنيف كطرف مستقل يتمتع بالحقوق الكاملة لاي عضو مشترك في المؤتمر » . لذلك ترى « القدس » ان تعديل قرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ هو أمر ضروري ، يجب ان يقنع به نيكسون اسرائيل « حتى يستطيع ممثلو هذا الشعب [الفلسطيني] ان يشاركوا في مناقشات مؤتمر جنيف » (القدس ٧٤/٦/١٣) .

أما الصحيفة الاسرائيلية التي تصدر باللغة العربية في القدس ، وهي صحيفة الانباء اليومية التي تشرف عليها وتوجهها توجيها خاصا ، الحكومة الاسرائيلية ، فقد قالت في معرض ترحيبها بوصول الرئيس الاميركي للقدس ان « الشعب الاسرائيلي لم ينس يوما اولئك الذين ساعدوه وآزروه في محنه ، والرئيس نيكسون آزر اسرائيل في أقسى محنها » . واعربت « الانباء » عن ارتياحها لتقدم العلاقات العربية الاميركية وقالت انها « ترى في توثيق علاقات اميركا بالدول العربية خطوة اخرى نحو تحقيق السلام في هذا الجزء من العالم » (الانباء ٧٤/٦/١٧) .

غير ان ما كتبته صحيفة القدس وما حملته صفحتها الاولى من كتب مفتوحة الى الرئيس نيكسون ، يوم وصوله الى مدينة القدس ، عبر بشكل خاص عن اهتمام اوساط واسعة بزيارة

الرئيس الاميركي لارض فلسطين . وقد وضح ذلك من خلال عنوان افتتاحية الصحيفة — « نيكسون اليوم في ارض فلسطين » — ومن خلال ما تضمنته افتتاحيتها تلك ، من تأكيد على ان « فلسطين هي أم القضية أصلا وفصلا ، وهي خالقة المشكلة جملة وتفصيلا ، مشكلة اطلقوا عليها خطأ وطمسا للحقائق اسم مشكلة الشرق الاوسط » . ولم تنس « القدس » ان تغتنم فرصة وجود الرئيس الاميركي في ارض فلسطين ، لتذكيره « بالدور الظالم وغير النظيف ... الذي لعبه البيت الابيض في الحاق الاذى والالم بهذا الوطن وأهل هذا الوطن » . وبعد ان سردت الصحيفة جملة من الحقائق التاريخية عن الدور الاميركي هذا ، خاطبت نيكسون قائلة : « وانت الان على أرض فلسطين ، ولعلك تقوم بجولة في سماء فلسطين لترى المدن الفلسطينية وترى المروج الفلسطينية وترى الشواطىء الفلسطينية ولكن لا ترى الشعب الفلسطيني » . ويخلص من كل ذلك الى القول : « ان القضية الفلسطينية ، وشعبها فلسطينيون والى حل مشاكلهم يجب ان تتجه جميع الجهود » (القدس ٧٤/٦/١٦) .

وفي العدد نفسه من الصحيفة المقدسية وجه الدكتور عيسى السلطي رسالة مفتوحة الى الرئيس نيكسون قال فيها : « الا فاعلموا ياسيادة الرئيس ان جذور هذا الشعب في بلاده أقوى من ان يقتلعها مستوطن غريب ، جاء لتغيير جغرافية فلسطين ومحو معالمها ، وهو لا تربطه بها سوى روابط اسطورية » . وفي ختام رسالته الطويلة قال الدكتور السلطي : « وأملنا عظيم في أن تسهم زيارتكم هذه عن تصحيح للاوضاع من احقاق للحق ، وازهاق الباطل واعادة الحرية والكرامة الى الشعب الفلسطيني » (القدس ٧٤/٦/١٦) .

أما الدكتور خليل البديري فقد وجه بدوره كتابا مفتوحا الى الرئيس نيكسون جاء فيه دعوة للاخير بان يعلن على رؤوس الاشهاد ان الحل المنشود يقوم على مجموعة من الاسس هي :

١ — ان فلسطين عربية وانها جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير وان صاحبها هو الشعب العربي الفلسطيني . ولذلك يجب الاعتراف لهذا الشعب « بحقه في تقرير مصيره في وطنه وفوق ارضه ، واقامة دولته المستقلة ذات السيادة » .

٢ — ان على اسرائيل ان تنسحب من كل الاراضي التي احتلتها عقب قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ « مع العلم بان هذا القرار نفسه باطل ولاغ ، لانه يتناقض مع ميثاق هيئة الامم المتحدة نفسها وحق الشعوب في تقرير مصائرها وحكم نفسها » .

٣ — على اسرائيل ان تؤمن عودة اللاجئين الفلسطينيين الى اماكن سكناهم الاصلية في فلسطين .

٤ — ان يعلن المسؤولون الاسرائيليون عن تخليهم عن الفكرة الصهيونية العرقية التوسعية وتهجير اليهود الى فلسطين ، « وانطلاقا من هذه الرغبة ان يسعوا للدخول في مفاوضات مع الشعب العربي الفلسطيني ممثلا بمنظمة التحرير الفلسطينية » .

٥ — ان يعلن الشعب الفلسطيني عن طريق منظمة التحرير الفلسطينية بالمقابل ، عن الموافقة « على منح الشعب اليهودي المتواجد الان في فلسطين حكما ذاتيا واستقلالا ثقافيا ، اذا رغب في ذلك ، ضمن اطار الدولة الفلسطينية المستقلة وذات السيادة » (القدس ٧٤/٦/١٦) .

الغارات الاسرائيلية على لبنان والمخيمات

لم تمض غير ساعات قليلة على انتهاء زيارة الرئيس الاميركي لمنطقة الشرق الاوسط ، حتى قامت الطائرات الاسرائيلية بغارات واسعة على جنوب لبنان والمخيمات الفلسطينية . وقد اعتبرت المقاومة الفلسطينية هذه الغارات ، نتيجة للتحريض الاميركي ضد الشعب الفلسطيني ، وهو الامر الذي تضمنه البيان الاميركي — الاسرائيلي المشترك . فعلقت صحيفة « الشعب» على هذه الغارات قائلة : « في ختام الجولة التآمرية الاخيرة التي قام بها الرئيس الاميركي للمنطقة » ، عادت اسرائيل الى تجديد غاراتها وهجماتها البربرية . واضافت الصحيفة ان سياسة اسرائيل المعلنة ، سابقا ولاحقا « والتي كرسها البيان الاميركي — الاسرائيلي والاحاديث التي جرت مع نيكسون هي السياسة التي اطلقوا عليها (مطاردة المنظمات في كل مكان) كهدف اساسي لتصفية القضية الفلسطينية ، عبر التصفية الجسدية لاصحابها وممثليها وحاملي لواء المقاومة الوطنية والشرعية

في سبيلها » . ورأت « الشعب » في طابع الغارات الاسرائيلية هذه ، تحريضا لبعض الجهات والقوى العربية المضادة لضرب الثورة الفلسطينية على غرار ما حدث في ايلول ١٩٧٠ بالاردن وايار ١٩٧٣ في لبنان » (الشعب ٧٤/٦/٢٠) .

أما صحيفة « الانباء » فقد كتبت حول نفس الموضوع ، وتعليقا على شكوى لبنان الى مجلس الامن الدولي احتجاجا على الغارات الاسرائيلية ، قائلة ان لبنان يحاول ان يوهم العالم ان اعمال المقاومة الفلسطينية ضد كريات شمونة ومعالوت وشامير انما يقوم بها « فلسطينيون عاملون في الاراضي المحتلة » . واضافت ، ان حكومة لبنان « تحاول بمثل هذه السهولة التحلل من مسؤولياتها الدولية والظهور بمظهر البريء المفترى عليه او بمظهر « كبش الفداء » ... وقد فات حكومة لبنان ان اسرائيل وهي الطرف الذي يتعرض لعمليات المنظمات الارهابية العاملة في جنوب لبنان ، لا تستطيع التخلي عن واجبها في حماية ارواح مواطنيها ... ما دامت السلطة الشرعية في لبنان تتخلى عن واجبها وعن مسؤولياتها الدولية ، ولا تضع حدا لهذا النشاط الذي تمارسه المنظمات انطلاقا من الاراضي اللبنانية » (الانباء ٧٤/٦/٢٠).

وعادت « الانباء » مرة اخرى الى التعليق على موضوع الغارات الاسرائيلية على جنوب لبنان ، فكتبت افتتاحية تحت عنوان « التقصير اللبناني » تقول فيها : « من دلائل الواقعية والتعقل في المنطقة كلها ان الدول المختلفة التي آوت المنظمات الفلسطينية المسلحة اخذت تتحرر بخطوات وئيدة ومدروسة من تبعيتها . اذ رغم التصريحات الحماسية وبيانات التأييد واحيانا الايمان المغلظة قام الرئيس السادات للمرة الاولى في تاريخ القضية الفلسطينية بتقديم سلسلة من الوعود والنصائح تختلف جملة وتفصيلا عن كل ما يدلي به الزعماء العرب في موضوع النزاع ... وان سوريا تسير في هذا الموضوع بتردد ما وراء مصر . ومع ذلك فهناك نفاق شديد يغلف التصريحات العربية عامة تجاه لبنان » . وتخلص الصحيفة من ذلك الى القول بأن لبنان « مقصر » بحق نفسه وان عليه ان يأخذ زمام نفسه بيده . وبعد ذلك تدعو الصحيفة الاسرائيلية لبنان صراحة الى ضرب حركة المقاومة الفلسطينية ، اذ تقول « ان كل شيء يدعو لبنان الى أخذ مقاديره بيده والتحرك نحو شاطيء السلامة وذلك بالتحرر من تبعية المنظمات الى الابد » (الانباء ٧٤/٦/٢٣) .

مقررات المجلس الوطني الفلسطيني

بقدر ما اثار انعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشرة اهتماما واسعا في الضفة الغربية ، اثارت قرارات المؤتمر ارتياحا بالغا لدى عموم الاوساط الفلسطينية داخل الوطن المحتل وخارجه . ففي مدينة القدس قالت صحيفة الشعب: « أقر المجلس الوطني الفلسطيني بعد جلسات ومناقشات ديمقراطية طويلة وصريحة ، خطة العمل السياسية للمرحلة القادمة بنقاطها العشر التي تنطلق في مجموعها من قاعدة واحدة ، تحمل شعارا واحدا هو : استعادة الشعب الفلسطيني لكامل حقه الوطني ، وفي المقدمة عودته الى وطنه وتقرير مصيره على كامل التراب الفلسطيني ، بحيث لم تترك هذه الخطة لاحد ما ، مجالا للتشكيك او التأويل أو أي منفذ ، ربما حلم به ، أو طمع فيه ، فرسان الاستسلام ، والمرونة ، والعقلانية » . وبعد هذا الفهم للبرنامج المرحلي شددت الصحيفة « على الضرورة الملحة للوحدة الوطنية الفلسطينية مع الارتفاع بها الى المستوى الذي يتفق مع خطورة القضية المصيرية ، وبوجوب اقامة (سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة) على كل جزء يتم تحريره ، كخطوة في حلقة متابعة استراتيجية المنظمة لاقامة الدولة الديمقراطية ، الى جانب مقاومة أي مشروع كياني هزيل يكون ثمنه الاعتراف والصلح والحدود الامنة ، ووضع التكتيك اللازم من قبل القيادة الفلسطينية لتحقيق ذلك » . وانتقلت الصحيفة باشارة واضحة الى مشروع المملكة العربية المتحدة مؤكدة على « حتمية وأد البديل الضاغط المطروح في سوق المساومة ، ونعني به الحكم الاردني الذي كشفته حرب تشرين ليس محاربا وحسب ، وانما يمنع المقاتلين من الحرب فيأسرهم ويقاومهم وهو يرفع شعار مشروع المملكة المتحدة الذي رفضته جماهير شعبنا ، وأوصى المجلس بالبديل الوطني المضاد وهو النضال لاقامة جبهة وطنية اردنية — فلسطينية هدفها ايجاد حكم وطني ديمقراطي يتلاحم مع الكيان الفلسطيني ويجعل من الشعبين وحدة نضالية مع كافة قوى التحرر العربي المؤيدة لهذا البرنامج الوطني » (الشعب ٧٤/٦/٩) .

أما صحيفة القدس التي تصدر هي الاخرى في المدينة المقدسة ، فقد اهتمت من بين قرارات المجلس الوطني بقرار رفض قرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ . وعلقت على ذلك بالقول « لقد جاء قرار المجلس الوطني الفلسطيني متجاوبا مع رغبة الشعب الفلسطيني بأكثريته المؤمنة بأن قضيتهم ليست قضية لاجئين وتعويضات فقط ، والمؤمنة بضرورة وجود الفلسطينيين في مؤتمر جنيف، كوفد مستقل توجه له الدعوة رسميا بذلك، والبحث في قضية فلسطين جذريا » . واضافت الصحيفة ان المجتمعين في القاهرة أحسنوا صنعا « بحسم الموقف ووضع حد للتردد أمام مختلف الاجتهادات بالرغم من انهم اختاروا المركب الخشن والطريق الوعر وفضلوه على الطريق المؤدية الى الراحة والاستكانة ونعومة العيش » (القدس ١٩٧٤/٦/٩) .

وعلى العكس من موقف هاتين الصحيفتين العربيتين ، جاء موقف صحيفة الانباء الاسرائيلية ، واصفا مقررات المجلس الوطني بانها « متطرفة ». فقالت ان من «بطالع البيانات الاخيرة التي اصدرتها المنظمات في مؤتمرها الاخير وفي المؤتمرات التي انعقدت تحت رعايتها ، يجد أن التطرف الشديد كان الصفة الاولى فيها . وحتى من يقول بأن المنظمات لا مكان لها في أي نشاط سلمي تشهده المنطقة لا يستطيع الا ان ينظر بعين القلق الى الاحتمالات التي قد تنمو بسبب الايغال في التطرف الذي يهدد الان مساعي السلام في الشرق الاوسط » . وتضيف الصحيفة الاسرائيلية مشددة على طابع « التطرف » الذي اتسمت به مقررات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الاخيرة قائلة: « ونظرة واحدة الى هذه المقررات تطلعنا على ان المنظمات لا تعترف بحكومة الاردن ولا تعترف باسرائيل ولا تريد حضور مؤتمر جنيف وتستنكر قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، ولا توافق على اعادة أي قسم من الضفة الغربية للاردن ، بل تعلن مع كل هذه الامور ورغم كل هذه الامور أنها ستقيم كيانا حربيا فوق كل قسم من الضفة الغربية قد تخليه اسرائيل » . ثم تدعو الدول العربية وخاصة دول المواجهة منها ، الى العمل مع اسرائيل سوية لحراسة احتمالات السلام « في مواجهة التطرف » الذي تمثله المنظمات الفدائية الفلسطينية (الانباء ١٩٧٤/٦/١٢) .

محاولة الاستيطان قرب نابلس

في الذكرى السابعة لحرب حزيران ، قام نحو مئة شخص يهودي بالاستيلاء على اراضي قرية عقربة ونصبوا عليها عددا من الخيام ، واعلنوا عن عزمهم على اقامة مستعمرة هناك . وكان من بين افراد هذه المجموعة الجنرال المتقاعد اريك شارون عضو الكنيست ، والحاخام يهودا كوك ، وعضو الكنيست جئولا كوهين المعروفة بتطرفها الشديد . وما ان انتشر النبأ بين المواطنين حتى توافدت جماهير كبيرة الى دار المجلس البلدي في نابلس مطالبة باتخاذ الاجراءات السريعة لمعالجة الامر.وبالرغم من أن الحكومة الاسرائيلية قد اتخذت قرارا بابعاد هذه الجماعة بالقوة عن المكان الذي استولت عليه، فقد ترك هذا الحادث ردود فعل عنيفة وقوية لدىمختلف القطاعاتفي الضفة الغربية. وقد كتبت صحيفة «القدس» تعليقا على الحادث افتتاحية تحت عنوان « أي استهتار هذا ؟ » جاء فيها : « ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان اعمال المتطرفين التي قاموا بها بالامس في منطقة نابلس ، مدعومة بطريقة او بأخرى من عدد من المسؤولين في اسرائيل ، وبتشجيع مباشر او غير مباشر منهم » وفي ختام تعليقها حملت الصحيفة مسؤولية مثل هذه التصرفات الى المسؤولين الاسرائيليين ودعتهم الى معالجة الموقف « بحزم وبسرعة وقبل فوات الاوان » (القدس ١٩٧٤/٦/٦) .

ونقلت « القدس » بعضا من ردود الفعل الشعبية على محاولة الاستيطان هذه فقالت : توافدت صباح يوم ١٩٧٤/٦/٦ على دار البلدية في نابلس جماهير غفيرة من سكان المدينة ومختلف مدن وقرى أقضية نابلس وجنين وطولكرم ، « مستنكرة المحاولة الهوجاء التي قام بها نفر من الاسرائيليين المتطرفين » . وكان في مقدمة الحضور حكمت المصري ، حمدي كنعان ، عبد الرؤوف الفارس ، سليمان الشنار ، فايزة عبد المجيد ، وعدد من اعضاء الغرفة التجارية بالمدينة . ورفع عدد من الشخصيات مذكرة الى الجهات المختصة والهيئات الدولية جاء فيها : « نحن الموقعين ادناه الممثلين لجميع قطاعات الشعب في المدينة نابلس وقضائها نعلن ما يلي : في الوقت الذي تلوح في الافق بوادر السلام بين الدول المعنية ، وفي الوقت الذي تتأهب فيه وفود الدول العربية واسرائيل لبدء محادثات

السلام في جنيف من اجل وضع حد للصراع الدامي بين الفلسطينيين والدول العربية من جهة ، واسرائيل من جهة ثانية . في هذا الوقت تقوم فئة متطرفة من الاسرائيليين بينهم عدد من اعضاء الكنيست بمحاولة الاستيطان واقامة مستوطنة على ارض بجوار مدينة نابلس . وهذا يدل على ان هناك فئة كبيرة من الاسرائيليين يعز عليها انهاء الحروب وسفك الدماء ، باقدامها على مثل هذه الاعمال . واننا لا نقر اصلا ما قامت به السلطات العسكرية من انشاء المستوطنات على جميع الاراضي العربية بأسرها ، سواء أكانت في الضفة الغربية او قطاع غزة او في الجولان او في سيناء ، لان هذه الارض تخص العرب دون سواهم ولا حق لغيرهم بالاستيطان فيها » . وبعد ان شكر موقعو البرقية السلطات الاسرائيلية على موقفها من منع المحاولة الاستيطانية ، أكدوا « بأن الشعب لن يسكت بعد الان عن مثل هذه المحاولات في المستقبل وسيقوم باحباطها بشتى الطرق والوسائل التي يملكها » . وبالاضافة الى الاسماء التي سبق ذكرها ، فقد وقع البرقية الى جانبهم كل من عادل الشكعة نائب رئيس بلدية نابلس ، راشد أغا النمر ، رئيس بلدية طوباس، رئيس بلدية سلفيت، ونقابات العمال والاطباء والمهندسين ومخاتير ووجهاء المنطقة (القدس ١٩٧٤/٦/٧) .

استشهاد باجس ابو عطوان

مع أن باجس موسى ابو عطوان ليس معروفا لدى الكثيرين ، الا انه كان معروفا جيدا لدى سلطات الاحتلال الاسرائيلية ، ومن قبل اهالي منطقة دورا في جبل الخليل . وكانت معرفة سلطات الاحتلال لباجس منذ العام ١٩٦٨ دون ان تتمكن منه ، تشكل تحديا كبيرا لها في منطقة الخليل بالضفة الغربية . اذ ان باجس قد اعلن عن نفسه وخرج الى الجبل دون ان يقطع صلاته بجماهير المنطقة ، فكان النموذج الذي يحتذى به لدى الجميع . وبالرغم من تعرض دورا الى الحصار ومنع سكانها من عبور الجسور والغاء التصاريح لمواطنيها ، فقد ظل أهل دورا والمنطقة عامة يحتفظون بالسر ، ونعني به المكان الذي كان يتحصن به باجس .

لذلك فان حادث استشهاد هذا المناضل الفذ يستحق ان نفرد له الصفحات ، لنعرف به قارىء « شؤون فلسطينية » ، بالقدر الذي يسمح به الوضع . لذلك فسوف نعتمد على ما نشر في صحف الضفة الغربية عن حادث الاستشهاد ، مشيرين الى ان « الاعلام الموحد » التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية سوف يقوم بنشر كتاب عن حياة الشهيد وعن نضالاته طوال السنوات الست الماضية .

فقد ذكرت جريدة «الشعب» نقلا عن مراسلها الخاص في مدينة الخليل انه مساء يوم ٧٤/٦/١٩، تلقت والدة الشاب باجس خبرا من أحد الاشخاص، بأن ولدها قد قتل داخل كهف ، ولم يحدد مكانه ، الامر الذي اضطر والدة الشهيد واهله الى ابلاغ رئيس بلدية دورا صباح يوم ٦/٢٠ الخبر. وذهب رئيس البلدية بصحبة أهله الى مكتب الحاكم العسكري في الخليل وابلغوه الخبر . فقام الحاكم العسكري بصحبة عدد من الضباط ترافقهم قوة كبيرة من الجيش بتطويق عدد من جبال دورا حيث قاموا بالتفتيش والبحث في داخل الكهوف والمغاور ، ولكنهم لم يهتدوا او يعثروا على شيء . فقاموا بالتحقيق مع أهل باجس ومع اشخاص كثيرين .

وذكرت « الشعب » انه أمكن بعد ذلك الاهتداء الى مكان الكهف الذي يقع في منطقة الجوف جنوبي شرق قرية الحدب من قرى دورا . فابلغ الحاكم العسكري بالخليل بمكان الكهف ، واستنفرت سلطات الاحتلال عددا كبيرا من افراد الجيش وحرس الحدود وذهبوا الى المكان وبدأوا بالبحث والتفتيش ، الا انهم لم يهتدوا الى الكهف الا بعد ساعات طويلة ، حين اهتدوا الى بقع من الدم وكومة من التراب ، لكنهم استغربوا وجود كهف في ذلك المكان لعدم وجود مدخل له مكشوف . ولدى التفتيش ظهر لهم مدخل منخفض جدا ولا يستطيع احد دخوله الا زحفا على بطنه . وبالفعل قام عدد من الجنود بالزحف على بطونهم ولمسافة عشرة امتار الى ان اهتدوا الى الكهف الذي لا يستطيع الوقوف بداخله أي شخص . وبدأوا بالتفتيش داخله ، لكنهم لم يعثروا على الجثة ، لان الكهف يتشعب من الداخل الى اربعة اتجاهات. وحاول الجنود للمرة الرابعة البحث داخل الكهف لكنهم لم يعثروا على الجثة . واخيرا كلفوا أهل الشهيد بالعبور داخل الكهف مستعينين بالمصابيح الى ان اهتدوا الى مكان الجثة بعد فترة طويلة من الزمن . فقاموا باخراجها والتعرف عليها .

وبعد ذلك تم نقل الجثة الى مستقط رأسه في قرية الطيبة ومن ثم الى بلدة دورا حيث صلت الجماهير عليه صلاة الجنازة ، ووري التراب دون غسله حسب الشريعة الاسلامية ، لان جسده مقطع الاوصال وبدون احشاء نتيجة ما وقع له .

ومن الجدير بالذكر ان والد الشهيد كان قد حوكم من قبل سلطات الاحتلال حيث حكمت عليه بالسجن ثماني سنوات ، ولم تسمح له السلطات الاحتلالية بالاشتراك في تشييع جثمان ولده .

ويذكر كذلك ، انه بمجرد ان تحققت سلطات الاحتلال من الجثة وعرفت صاحبها ، قام الحاكم العسكري لمدينة الخليل ، بابلاغ رئيس بلدية دورا انه قد رفع الحظر المفروض على دورا وعدد من قراها (الشعب ١٩٧٤/٦/٢٣) .

عيسى الشعيبي

صدر عن مركز الابحاث كتاب

جذور القضية الفلسطينية

بقلم

الدكتور اميل تومـــا

٣٠٧ صفحات باربع ليرات لبنانية : تضاف اليها اجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١ ل.ل. في اوروبا ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

اطلبه من : مركز الابحاث ــ قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت .

(٤) اسرائيليات

المؤتمر السنوي الثالث للوكالة اليهودية

انتخاب سابير رئيسا للادارة الصهيونية والوكالة اليهودية

في جلستين متتاليتين ، الاولى للجنة التنفيذية الصهيونية والثانية للمؤتمر السنوي الثالث للوكالة اليهودية ، عقدتا في الثامن عشر والتاسع عشر من شهر حزيران (يونيو) ١٩٧٤ في القدس ، تم انتخاب بنحاس سابير وزير المالية الاسرائيلي السابق ، رئيسا للادارة الصهيونية ، ورئيسا للوكالة اليهودية .

وكان هذان المنصبان قد شغرا ، بوفاة اريه بينكوس ، الذي تم انتخابه لاشغال هذين المنصبين في المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين . وعلى اثر وفاة بينكوس (قبل سنة) تم انتخاب امين صندوق الوكالة اليهودية : آرييه دولتسين (الاحرار ــ الصهيونيون العموميون) رئيسا بالوكالة لاشغال هذين المنصبين الى حين انعقاد المؤتمر السنوي للوكالة اليهودية لانتخاب رئيس اصيل .

وكان قد تردد (قبل اعلان سابير عن عزمه ترشيح نفسه) ان دولتسين قرر ترشيح نفسه . وقد اكد دولتسين هذه الانباء في مقابلة اجرتها معه صحيفة يديعوت احرونوت (٧٤/٦/١٨) حيث قال : « عندما انتخبت كرئيس بالوكالة للوكالة اليهودية بعد وفاة اريه بينكوس ، اعلنت انه يتحتم على الرئيس المقبل ان يكون شخصية مقبولة ــ ان لم يكن لدى الجميع ، فعلى الاقل لدى اغلبية كبيرة ! وان الرئيس المقبل يجب ان يكون شخصية باستطاعتها ان تزيد وتقوي الوكالة اليهودية والادارة الصهيونية ، ولقد سرت على هذا المبدأ ! ولكن عندما قرر حزب العمل ، بأنه يتحتم عليه ان يرشح مرشحا ، لان هذا المنصب من نصيبه ــ قررت خوض صراع ضد ذلك ! »

لكن دولتسين ، عاد وأعلن في تلك المقابلة انه قرر سحب ترشيحه لصالح بنحاس سابير بعد ان علم منه مباشرة انه عازم على ترشيح نفسه . وعزا دولتسين موقفه الجديد الى كونه يعتبر الهجرة والاستيعاب الموضوع الرئيسي والاكثر اهمية الى جانب شؤون الامن بالنسبة لوجود ومستقبل دولة اسرائيل . وان وجود سابير على رأس الوكالة اليهودية ، وبحكم هذا المنصب على رأس قسم الهجرة والاستيعاب فيها سيسهل كثيرا في حل المشاكل العالقة ، لكون حزب العمل هو الحزب الحاكم .

الجلسة الافتتاحية

اتسمت الجلسة الافتتاحية بطابع احتفالي بارز، وقد شارك فيها الى جانب رئيس الدولة ، افرايم كتسير ، العديد من الشخصيات الاسرائيلية والصهيونية . وكان ابرز الخطباء آرييه دولتسين ، رئيس الادارة الصهيونية والوكالة اليهودية بالوكالة . واشار دولتسين في كلمته الافتتاحية الى أن اسرائيل والشعب اليهودي يعيشان فترة كثيرة المخاطر والآمال . والى أن الشعب اليهودي موحد الآن كما لم يكن في أي وقت مضى . وبعد أن أعرب عن تضامنه مع يهود الاتحاد السوفياتي وسوريا ، أكد على ضرورة العمل من اجل زيادة الهجرة : « سيأتون بالالاف اذا شعروا بأننا نريدهم هنا » . وحمل الدولة مسؤولية عدم تحقيق ذلك فقال : « الحقيقة انه لم يعمل حتى الان ما فيه الكفاية من اجل خلق ظروف وشروط استيعاب تؤدي الى تيار متدفق من الهجرة من البلدان الغربية » (معاريف، ٧٤/٦/١٨) .

وقال دولتسين ان المشكلة الاكثر صعوبة ، التي تشكل عائقا امام الهجرة هي اجراءات الاستيعاب وكثرة الدوائر التي تعالج موضوع الهجرة . « ان هذه الاجراءات معقدة وغير فعالة وتمس كرامة الانسان الذي هو بحاجة لخدمات الاستيعاب وأحيانا يكون في تلك الاجراءات ما يخجل الانسان » (نفس المصدر) .

ثم توالى الخطباء ، منوهين ومشيدين بدور اليهود ودور الوكالة اليهودية في دعم اسرائيل . وفي هذا السياق اعلن باول تسوكرمان رئيس

الجباية الموحدة في الولايات المتحدة انه تقرر هذه السنة وضع هدف لجمع ٦٧٥ مليون دولار — وقد تم جمع الجزء الاكبر من هذا المبلغ حتى الان — ٤٥٠ مليون دولار .

انتخاب سابير

بعد سحب دولتسين لترشيحه ، بقي سابير المرشح الوحيد لمنصبي رئيس الادارة الصهيونية والوكالة اليهودية . وقد جرت عملية الانتخاب لكل منصب على حدة ، من قبل الهيئة المختصة بذلك . وبينما امتنع بعض اعضاء اللجنة التنفيذية عن التصويت ، لدى طرح اسم سابير كمرشح لرئاسة الادارة الصهيونية ، فان أحدا لم يمتنع عن التصويت في جلسة الوكالة اليهودية التي خصصت لانتخاب رئيس الوكالة .

وقد تم انتخاب سابير للمنصب الاول في جلسة خاصة عقدتها اللجنة التنفيذية الصهيونية ، جرى خلالها اولا قبول دخول سابير عضوا في الادارة الصهيونية ، تمهيدا لانتخابه رئيسا للادارة ، ومن ثم للوكالة اليهودية . ولدى عملية التصويت امتنع مندوبو الصهيونيين العموميين ومندوبو حركة حيروت — الصهيونيون الاصلاحيون عن التصويت . ويبلغ عدد مندوبي هاتين الكتلتين الذين امتنعوا عن التصويت ٢٨ مندوبا حسب معاريف (١٩/٦/٧٤) و٢٦ مندوبا حسب دافار (١٩/٦/٧٤) .

وقد عزا الصهيونيون العموميون اسباب امتناعهم الى كونهم كانوا يرغبون في انتخاب اريه دولتسين لمنصب رئيس الادارة ، لكن نظرا لانه لم يطرح اسمه فانهم يبغون بهذا الاسلوب التعبير عن ثقتهم به وتأييدهم له . أما الناطق باسم حركة حيروت — الصهيونيون الاصلاحيون ، بروفيسور هوارد اليسون فقد أعلن (دافار ، ١٩/٦/٧٤) ان الاسباب التي حدت بمندوبي حيروت للامتناع عن التصويت ، هي كون سابير من الاشخاص الذين عارضوا توسيع قاعدة الحكومة ، باقامة حكومة تكتل وطني . تلك المعارضة النابعة — على حد قوله — من اعتبارات حزبية ، الامر الذي لم يمكن كتلته من انتخاب هذا الرجل لمنصب رئيس الادارة الصهيونية ، ذلك المنصب الذي من احدى مهامه ، مهمة توحيد الحركة الصهيونية « والشعب اليهودي » .

وبعد انتخاب سابير في ١٨/٦/٧٤ رئيسا للادارة الصهيونية عقدت الوكالة اليهودية في اليوم التالي جلسة جرى خلالها انتخاب سابير رئيسا للوكالة اليهودية بالاجماع .

سابير والمرحلة الجديدة

وفي اليوم التالي لانتخابه ألقى سابير كلمة شكر فيها المندوبين على ثقتهم به ، واشار الى عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه خصوصا وانه يخلف في هذا المنصب رجالا كبارا أمثال دافيد بن جوريون وموشي شاريت وآرييه بينكوس .

وعندما تطرق الى الصهيونية ومهامها (معاريف ١٩/٦/٧٤) قال سابير بأن القضية المطروحة اليوم ليست اذا كان هناك مكان للحركة الصهيونية في هذه الايام — بل اذا كان بمقدورها ان تحمل العبء الثقيل — « عبء الخلاص » الذي ألقى به التاريخ على عاتقها ، وهل هي مؤهلة لمواجهة التحديات ؟

ويعتقد سابير ان التحديات التي تواجهها الحركة الصهيونية و« الشعب اليهودي » ودولة اسرائيل هي ما يلي :

١ — ضمان استمرار وجود الشعب اليهودي ، وذلك بشن حرب مستمرة ضد وباء الاندماج والانصهار .

٢ — تنمية وتعميق الثقافة اليهودية كمرتكز أساسي ووحيد مؤهل لضمان يهودية الاجيال القادمة .

٣ — تركيز الشعب بأسره حول دولة اسرائيل وتجنيد الشعب لمساعدة الدولة .

٤ — تشجيع وتنمية حركة هجرة كبيرة من جميع البلدان والانظمة .

٥ — تنفيذ اعمال استيطانية كبيرة وواسعة في جميع انحاء البلاد ، وخصوصا في مناطق الجليل والنقب ، تلك المناطق التي تنتظر الطلائعيين اليهود لجعل قفارها مزدهرة .

٦ — تنمية الوعي الصهيوني والادراك اليهودي داخل دولة اسرائيل .

٧ — خوض نضال لا ينقطع من اجل رفاهية وخلاص يهود الاتحاد السوفياتي وأولئك الذين بقوا منهم في الدول العربية .

الهدف — ١٠٠ الف يهودي سنويا

اما في نطاق مهامه كرئيس للوكالة اليهودية ، فقد حدد سابير أولوياتها حسب المجالات التالية : هجرة ، جباية ، وتثقيف يهودي في المهجر . وبالنسبة لموضوع الهجرة قال سابير : « سأغادر البلاد « لحراثة » العالم اليهودي لارى ما يمكن عمله من أجل دفع وحث المهاجرين الى البلاد . أنوي العمل على تهجير حوالي ٤٤٠ — ٥٠٠ الف يهودي خلال السنوات الاربع او الخمس القادمة من الاتحاد السوفياتي والبلدان الغربية . هذه مهمة صعبة وربما غير ممكنة. واذا لم انجح سأقول لنفسي : سابير ، اذا كنت لم تنجح في احضار المزيد من المهاجرين اليهود اكثر مما كان يأتي في السابق ، على الرغم من انك وظفت كل جهدك وكل قوتك وكل اعصابك وكل ما لديك — اذا لم تنجح ، فهذا دليل على ان اليهود في هذه الاوقات لا يريدون القدوم الى البلاد » . (معاريف ، ٢٠/ ٧٤/٦) .

وأكد سابير على ضرورة بذل جهود اكبر في سبيل الثقافة اليهودية في المهجر . « اذا لم نعمق الثقافة اليهودية في المهجر — فبعد ٢٥ سنة سنكون شعبا يهوديا صغيرا ، وبعد ٥٠ سنة لن نكون — لاسفي الشديد — شعبا » . (نفس المصدر) .

وتعتبر مشكلة الاستيعاب سواء على الصعيد الاجتماعي او الثقافي او على صعيد العمل من كبرى المشاكل التي تواجه الهجرة الى اسرائيل ، وأحد الاسباب الرئيسية في ظاهرة النزوح عن البلد . ولقد خصص العديد من الخطباء جزءا من كلماتهم للاشارة الى هذه القضية ، كما سبق وأشرنا . كما ونجد تأكيدا على اهمية هذا الموضوع في بنود الموازنة العامة للوكالة اليهودية . ولقد حاول دولتسين التقليل من خطورة ظاهرة النزوح ، حين اشار في المقابلة التي أجرتها معه صحيفة يديعوت احرونوت (٧٤/٦/١٨) الى ان نسبة النازحين من مهاجري الاتحاد السوفياتي لا تتعدى ١ر٥ ٪ ، بينما تصل هذه النسبة الى ١٠ ٪ بين مهاجري الدول الغربية . لكنه وان كان لم يبد قلقا بارزا لظاهرة النزوح من حيث حجمها ، فانه أشار الى خطورة الهبوط الواضح في معدلات الهجرة من الاتحاد السوفياتي في الاشهر الخمس الاولى من هذه السنة مقارنة بنفس الاشهر من السنة الماضية.

ففي هذه الفترة قدم الى اسرائيل ٨٥٠٧ مهاجرين جدد من الاتحاد السوفياتي مقابل ١٢٤٨١ مهاجرا جديدا في نفس الفترة من السنة الماضية ، اي هبوط بنسبة ٣٠ ٪ تقريبا .

ولكن نظرة اعمق الى الامور ، تحتم التحفظ وعدم التسليم بصحة هذه الارقام والنسب ، حيث يمكن اعتبار هذه النسب صحيحة بالنسبة لاولئك الذين أعلنوا رسميا عن نيتهم في النزوح ، وهي بالتالي لا تشمل ذلك العدد من الذين يغادرون اسرائيل دون الاعلان عن نيتهم بالنزوح ، سواء بقصد القيام بجولات سياحية طويلة الامد او بمغادرة البلاد من اجل التفتيش عن عمل مربح أكثر او حتى من أجل الدراسة . فمثل هؤلاء يمكن اعتبارهم نازحين محتملين .

الموازنة الجديدة

بلغت الموازنة الجديدة للوكالة اليهودية حوالي ٧٠١ مليون دولار توزعت على بنود اساسية ، منها : الاسكان ، التعليم العالي ، استيعاب الهجرة والشباب ، والاستيطان . وفي استعراضه لبنود الموازنة ، (هآرتس ، ٧٤/٦/١٩) أشار دولتسين الى ان الموازنة بشكل أساسي موجهة من اجل استقدام عشرات الالوف من اليهود الذين يعيشون في بلاد الضيق . كما وخصصت الموازنة لمساعدة ٥٥٠ الف نسمة في اسرائيل بينهم ١٥٠ الفا من المهاجرين الجدد الذين جاءوا في السنتين الاخيرتين وما زالوا بحاجة للمساعدة .

كما وتشمل الموازنة تخصيص مخصصات للمنح الدراسية لحوالي ١٠٠ الف تلميذ ثانوي ، ومساعدات لحوالي ١٠٠ الف مستوطن ومخصصات اجتماعية لحوالي ١٧٥ الف محتاج .

ونفى دولتسين في استعراضه للموازنة ، ان تكون الهجرة تشكل عبئا على الاقتصاد الاسرائيلي. وادعى ان الهجرة تساهم مساهمة كبيرة في عجلة الاقتصاد ، وان ٩٠ ٪ من المهاجرين الجدد يستوعبون في عمل دائم ومنتج في نهاية السنة الاولى من مكوثهم في البلاد ، الامر الذي أضاف الى قوة العمل الاسرائيلية في السنين الخمس الاخيرة حوالي ٤٠ الف مهاجر جديد .

وأضاف دولتسين ان مساهمة الهجرة على الصعيد المادي قد زادت ايضا : ففي السنين

الخمس الاخيرة احضر ٥٥ الف مهاجر من بلدان الرخاء اكثر من نصف مليار من الدولارات الى اسرائيل ، كما دخل الى البلاد مبلغ آخر يقدر بمليار دولار في تلك الفترة على شكل رواتب تقاعدية ، ارث ، وتوظيفات ومداخيل اخرى للمهاجرين .

صناديق الجباية

وجاء في التقرير الذي قدمه الى مؤتمر الوكالة اليهودية عزرا شابيرا رئيس كيرن هايسود (الصندوق التأسيسي) — الجباية الموحدة لاسرائيل ، انه قد تم التبرع بمبلغ لا مثيل له في السابق ، بلغ ٤١٠ ملايين دولار ، من قبل اليهود خارج الولايات المتحدة ، في اعقاب حرب يوم الغفران . وهذا المبلغ اكبر مرتين ونصف من المبلغ الذي تم التبرع به في اعقاب حرب الايام الستة حيث جمع مبلغ ١٥٠ مليون دولار ، وهو اكبر بأربع مرات عما كان متوقع جمعه في خطة الجباية سنة ١٩٧٣ قبل نشوب الحرب .

اما محاسب المؤتمر اليهودي العالمي ، دكتور تيبور روزنباوم فقد افاد اثناء المناقشة للموازنة في لجنة صناديق الجباية لمؤتمر الوكالة اليهودية ، التي بحثت مسألة زيادة حملات التبرع في اوساط اليهود في الخارج ، انه سيتم هذه السنة جمع ٣٩٠ مليون دولار بواسطة الجباية اليهودية الموحدة و٢٤٠ مليون دولار بواسطة كيرن هايسود .

هاني عبدالله

صدر حديثا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية (بيروت)

ووزارة التعليم العالي في سوريا

كتاب

الشخصية الصهيونية في الرواية الانجليزية

بقلم

هاني الراهب

والكتاب في الاصل عبارة عن رسالة دكتوراه في الادب الانكليزي ، عالج الكاتب فيها الصور الذهنية الاربع للصهيوني المرتسمة في مخيلة كاتب القصة الانجليزية ، وهي صورة الصهيوني القومي ، والرائد ، والمستوطن ، والاسرائيلي ، قبل الاغتصاب وبعده . والكتاب نافذة نطل منها على أكثر من موضوع من مواضيع العلاقات الصهيونية البريطانية والتغلغل الصهيوني في مجتمع غربي من خلال الانتاج الادبي .

١٧٠ صفحة من القطع الكبير بست ليرات لبنانية .

يضاف الى ثمن كل كتاب بدل أجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في اوروبا ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

اطلب نسخك من : قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

العدوان الاسرائيلي على لبنان
استمرار لاستراتيجية العمل والردع

يشكل الوضع العسكري على الحدود اللبنانية — الاسرائيلية منذ حرب ١٩٦٧ دليلا ماديا ملموسا على المقولة الوحدوية التي تؤكد العلاقة الجدلية المتبادلة بين الامن القومي والامن القطري . واذا راقبنا الخط البياني للاعتداءات الاسرائيلية على الاراضي اللبنانية بعد حرب حزيران ١٩٦٧، وظهور الثورة الفلسطينية كعامل عسكري فعال داخل الارض المحتلة وعلى حدودها، وجدنا ان الاعتداءات تتزايد مع هدوء الجبهات العربية ، وتتناقص في مراحل سخونة هذه الجبهات . وبالرغم من أن العمليات العسكرية الاسرائيلية ضد لبنان كانت تختفي دائما وراء مبرر محاربة قوات الثورة الفلسطينية العاملة عبر الحدود اللبنانية ، فان من المعروف ان السبب الحقيقي الكامن خلفها هو أطماع اسرائيل التوسعية ، ورغبتها الملحة في احتلال جزء من جنوب لبنان والافادة من مياهه ، ولا يتجاهل هذا السبب ويتعامى عنه ، سوى اصحاب سياسة النعامة الذين يمارسون العمل السياسي من منطلقات قطرية يومية محدودة ، لا ترى آفاق التخطيط الصهيوني البعيد بالنسبة الى المنطقة بأسرها .

لقد بدأ خط الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان بالتصاعد بعد حرب ١٩٦٧ عندما كانت الحدود العربية — الاسرائيلية هادئة ، وكانت الجيوش العربية تلملم جراحاتها . ولقد رافق هذه الاعتداءات اعتداءات على الاردن ، وكان من الطبيعي أن تكون الاعتداءات الاسرائيلية على الاردن اكبر من الاعتداءات المماثلة على لبنان وأكثر عددا ، نظرا لان نشاط الثورة الفلسطينية عبر الحدود الاردنية — الفلسطينية كان اوسع بكثير من نشاطها عبر الحدود اللبنانية — الفلسطينية . وفي فترة حرب الاستنزاف (١٩٦٩ — ١٩٧٠) كان من الطبيعي ان تتصاعد الاعتداءات على لبنان بعد أن صعدت الثورة الفلسطينية عملياتها الداخلية في الجليل ، ودعمت مواقعها العسكرية في جنوبي لبنان ، وزادت عدد دوريات القتال والامداد عبر الحدود اللبنانية ، ولكن التصعيد الاسرائيلي لم يسر بخط متواز مع التصعيد الفلسطيني . ويرجع السبب في ذلك الى ان اهتمام الدولة الصهيونية كان منصبا على جبهة قناة السويس ، وعلى الصراع ضد خلايا الثورة السرية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وعلى مجابهة العمليات المنطلقة من قواعد الثورة في غور نهر الاردن . وكان هذا اول دليل على صدق المقولة الوحدوية التي تحدثنا عنها . وجاء الدليل الثاني في النصف الثاني من العام ١٩٧٠ وطول العام ١٩٧١ ، عندما توقفت حرب الاستنزاف على جبهة القناة ، وأمنت القوات المسلحة الاردنية تهدئة الجبهة الشرقية بعد تصفية الثورة في الاردن (ايلول ١٩٧٠ وتموز ١٩٧١). فتصاعدت الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان . ولقد تزايدت خطورة هذا الوضع في العام ١٩٧٢ والاشهر التسعة الاولى من العام ١٩٧٣ عندما كان لبنان مسرح العمليات الوحيد للقوات الاسرائيلية البرية والجوية والبحرية ، وكانت الجبهات العربية هادئة تماما باستثناء بعض الاشتباكات المحدودة مع سورية . وسارت العمليات الاسرائيلية على الحدود اللبنانية وفق خط نازل خلال حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ، وحرب الاستنزاف المصرية التي تلتها ، رغم تصاعد عمليات الخلايا الثورية الداخلية في الجليل ، وارتفاع عدد دوريات القتال والامداد المنطلقة من قواعد الثورة في جنوب لبنان ، وكان التناقض بين التصعيد الفلسطيني والهبوط الاسرائيلي في هذه الفترة الدليل الثالث على صدق المقولة . لانه وقع في فترة اشتعال الجبهتين العربية والسورية، وانشغال القوات الاسرائيلية البرية والبحرية والجوية في صد الضربات العربية ، أو تسديد الضربات المعاكسة لقوات عربية قادرة على المجابهة الفعالة في ظروف الحرب الحديثة (حركة، مبادرة ، كثافة نارية عالية ، تكنولوجيا متطورة).

ومع مطلع العام ١٩٧٤ ، وفصل القوات على الجبهة المصرية ، وهدوء الموقف على الجبهة السورية ، عادت العسكرية الاسرائيلية الى

تهديد لبنان والاعتداء عليه (الدليل الرابع) .
واستمر هذا الوضع متصاعدا حتى بداية حرب الاستنزاف السورية في الجولان وجبل الشيخ (من ١٢ اذار حتى ٢٩ ايار) حيث انشغلت اسرائيل بالوضع العسكري الخطير على الجبهة السورية ، واحتمالات تأثيره على فصل القوات في سيناء ، واستمرار القوات المصرية الجوية والصاروخية والبحرية على الاقل الى القتال من جديد (الدليل الخامس) . وما أن تم فصل القوات على الجبهة السورية وهدأ هدير المدافع والطائرات ومحركات الدبابات ، وقام الرئيس نيكسون بزيارته الى الشرق الاوسط وسط مظاهر الحفاوة والترحيب ، وغرس الجنود العرب بنادقهم على سترات الخنادق ، حتى علا صوت التهديدات الاسرائيلية من جديد ضد لبنان ، وبدأت الاعتداءات العنيفة على الحدود وفي عمق الاراضي اللبنانية (الدليل السادس) .

ففي الثامن عشر من حزيران ، وبعد ثلاثة أسابيع من آخر غارة جوية على مخيمات اللاجئين في جنوبي لبنان ، وبعد ساعات من رحيل نيكسون عن المنطقة ، تودعه التمنيات الطيبة والدعاء بطول البقاء في الحكم ، رغم الهزة الارضية التي تنتظره في واشنطن ، وترافق طائرته حمامات سلام بيضاء ، شنت ٣٦ — ٣٨ طائرة (اميركية الصنع) غارتين كبيرتين على القرى اللبنانية والمخيمات في جنوب لبنان . ولقد بدأت الغارة الاولى في الساعة ١٦،١٥ ، وبدأت الغارة الثانية في الساعة ٢١،٠٠ واستخدمت الطائرات فيها القنابل زنة ٢٥٠ كغ و٥٠٠ كغ والقذائف الصاروخية ونيران الرشاشات ، والقت الطائرات بالاضافة الى ذلك القنابل الموقوتة ولعب الاطفال الملغومة . وفي الساعة ٧،٠٠ من صباح يوم ١٩ قامت ٦ طائرات اسرائيلية بتجديد القصف ضد الاهداف المدنية ، مستخدمة القنابل المتفجرة والقنابل المحرقة . وفي الساعة ١٩،٠٠ من مساء اليوم نفسه قصفت المدفعية قرى الجنوب الحدودية، ثم عاود القصف في الساعة ١١،٠٠ . وفي يوم ٢٠ شنت طائرات اسرائيلية غاراتها لمدة ساعة وربع الساعة على مخيمات الرشيدية وعين الحلوة والبرج الشمالي ومحلة رأس العين ، ومزرعة شارنية قرب صور . كما قامت المدفعية بالقصف المعتاد والمتكرر يوميا على قرى الحدود .

وكانت حجة اسرائيل المعهودة هي أن عملياتها لا تستهدف سوى ضرب قواعد الثورة التي ينطلق منها المقاتلون الفلسطينيون لتنفيذ عملياتهم داخل الارض المحتلة . ولكن رئيس الاركان الاسرائيلي مردخاي غور كان قد صرح في ١٤ حزيران بأن قواعد الثورة قد انتقلت الى مخيمات اللاجئين ، وغدت في عمق لبنان وفي مدن مثل بيروت ، واصبحت هذه القواعد ترسل المجموعات عبر الحدود « وهذا ما جعل الغارات المباشرة اكثر صعوبة بالنسبة الينا. ولكن لدينا وسائل اخرى ». وكانت احدى «وسائله الاخرى » قصف مخيمات اللاجئين حيث يتكدس عشرات آلاف المدنيين الفلسطينيين العزل من السلاح .

ويمكن ادراج قصف المخيمات تحت باب **العمل العنيف ضد المدنيين لردع قوى الثورة العاملة من الداخل او المنطلقة من الخارج ردعا معنويا غير مباشر** ، كما يمكن ادراج قصف المدن اللبنانية تحت باب **العمل العنيف ضد لبنان للقيام بدور ضاغط مادي او معنوي ، يمنع الثورة من متابعة نضالها التحرري** . وليست هذه الاساليب حديثة على العسكرية الاسرائيلية ، وهي جزء من استراتيجيتها في العمل والردع ضد الثورة الفلسطينية . ولقد طبقت هذه الاستراتيجية في الاردن وسورية ولبنان منذ اندلاع الثورة وتصاعد عملياتها ، ولكنها لم تصل الى « عتبة » قصف المخيمات المدنية والقرى اللبنانية على نطاق واسع الا بعد أن ضمنت مباركة الولايات المتحدة على اثر عملية كفار شامير الانتحارية . وكان الرأي السائد من قبل ان الولايات المتحدة لا تمانع قيام اسرائيل بهجمات برية مؤقتة في عمق الاراضي اللبنانية لتدمير قواعد الثورة الفلسطينية او مطاردة دورياتها ، ولكنها تعارض لجوء الطيران الاسرائيلي الى قصف مخيمات اللاجئين الفلسطينيين . الذي يذكر المواطن الاميركي بعمليات « القصف الاميركي للاهداف المدنية في فيتنام الشمالية » (دانفار ١٩٧٣/٦/٦). ولكن قيام الطيران الاسرائيلي بالقصف بعد زيارة نيكسون نفى هذا الاعتقاد ، وفسر حقيقة الموقف الاميركي من البند الاول لاتفاق فصل القوات على الجبهة السورية . ذلك الموقف الذي نقلته غولدا مائير الى الكنيست في ٥/٣٠ ، عندما أكدت بأن القادة الاميركيين يرون « أن قيام مجموعة معينة ، او افراد باعمال تسلل « تخريبية » ، هو عمل

مناقض لوقف اطلاق النار ، ولاسرائيل الحق في الدفاع عن نفسها لمنع عملياك كهذه ، **بجميع ما تملكه من وسائل** » (رصد اذاعة اسرائيل ر.ا.ف. عدد ٥٤٧) . والطيران هو احد الوسائل التي تملكها الدولة الصهيونية ، بل هو أهم وسائلها العسكرية للعمل والردع، وخاصة في اجواء محرومة من الدفاع الجوي كالاجواء اللبنانية . وما ينطبق على الحدود السورية ينطبق على الحدود اللبنانية . هكذا فهمت اسرائيل الموقف الاميركي الرسمي ، وهكذا فهمت نداء نيكسون الذي جاء في فقرة من البيان الاميركي ــ الاسرائيلي تقول « ان من واجب كل دولة الامتناع عن تنظيم او تشجيع قوات غير نظامية او عصابات مسلحة ، **بما في ذلك المرتزقة من أجل دخول** اراضي دولة اخرى » (معاريف ٧٤/٦/١٨) واستندت الى هذا الفهم عندما شنت اعتداءاتها ، وعندما اعلن مندوب اسرائيل في الامم المتحدة جاكوب دورون أمام اعضاء مجلس الامن في ١٨ حزيران « ان اسرائيل ستواصل في المستقبل أيضا اتخاذ كل الاجراءات المناسبة لتدافع عن نفسها ، وتحبط هجمات الارهاب التي تشن ضدها من الاراضي اللبنانية » (النهار ٦/٢٠) .

ولقد حاولت الولايات المتحدة التنصل من مسؤولية الغارات الجوية على المخيمات والقرى، فقامت وزارة الخارجية الاميركية في ١٨ و٢٠ حزيران بادانة هذه الغارات ، ونفت ان يكون للولايات المتحدة أية علاقة بها ، وقال روبرت اندرسون الناطق باسم وزارة الخارجية « ان الولايات المتحدة لم تعط الضوء الاخضر لاي كان » ثم أضاف « اننا نستنكر هذا العمل بشدة ، بشدة ... » (و. ص. ف ٦/٢٠) . ولكن هذا الانكار وذاك الاستنكار لا يقفان على أرض صلبة ، ولا يصمدان امام التحليل المنطقي . لان انكار اعطاء الضوء الاخضر يتناقض مع التفسير الاميركي المذكور سابقا حول البند الاول لاتفاق فصل القوات على الجبهة السورية ، كما يتناقض مع تصريح وكيل وزارة الخارجية جوزف سيسكو في ٦/١٣ امام لجنة الخارجية في الكونغرس ، والذي قال فيه ان الولايات المتحدة تعتبر العمل الفدائي المنطلق من سورية بمثابة خرق لاتفاق فصل القوات ، لكنه اكد انه تم ابلاغ اسرائيل انها لا تستطيع « الانتقام بدون تمييز » . وهذا يعني انها تستطيع « الانتقام بتمييز » . والتمييز هنا عمل بشري قابل للخطأ والصواب . والطائرات التي تقصف المخيمات من ارتفاعات عالية او منخفضة عاجزة عن « التمييز » بالرغم من قيام الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بقنابل ذكية لدوافع « انسانية » بحتة (!) ، وحتى لا يخطىء الطيار هدفه العسكري فيصيب هدفا مدنيا « بدون تمييز » . أما الاستنكار الاميركي ، فهو صورة مستحدثة لتصرفات يهوذا الاسخريوطي . وهو استنكار لفظي ديماغوجي ، ولو كان استنكارا حقيقيا لعرفت اسرائيل بذلك قبل غيرها ، ولما أقدمت على ازعاج « حليفتها الوحيدة في العالم » ولما جرؤت على تكرار الغارات في اليومين التاليين رغم استنكار يوم ١٨ الذي اعقب الغارة الاولى . ولو كان استنكارا حقيقيا لجسدته واشنطن بأكثر من وسيلة ضغط (مباشرة او غير مباشرة ، فردية او دولية) طالما أنها تملك جميع المفاتيح الاقتصادية والسياسية والعسكرية للوجود الاسرائيلي باسره.

ولقد كان الرد اللبناني على عمليات القصف ردا دبلوماسيا ، وقامت مصر في ٦/١٨ ، على لسان وزير خارجيتها ، بتحذير اسرائيل وتحميلها « مسؤولية كل ما يحدث نتيجة هذا العدوان بما في ذلك نسف فرص السلام في الشرق الاوسط » وأعلنت ان مصر « لن تقف مكتوفة اليدين حيال هذا الاعتداء على سيادة لبنان وعلى الامة العربية » . ووجهت سورية في ٦/٢٠ تحذيرا مماثلا . وقام ابو عمار رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية فور وصوله الى بيروت في مساء ٦/٢٠ بتوجيه برقية الى الملوك والرؤساء العرب طالبهم فيها بتقديم المساعدة للمخيمات التي يقصفها طيران العدو ، وهي عزلاء من اي وسائل للدفاع الجوي . ثم اجرى في يوم ٦/٢١ اتصالات مع السفراء العرب في بيروت ، وطلب منهم ان يبلغوا حكوماتهم « أن تحمل مسؤولياتها في حماية الشعب الفلسطيني وردع المعتدين الصهاينة » كما طالب الدول العربية « باستخدام كل الاسلحة المتوفرة لدى الامة العربية عسكريا وسياسيا واقتصاديا ودبلوماسيا » وتزويد المخيمات بنظام دفاع جوي وأسلحة اخرى لمقاومة الاعتداءات ، بالاضافة الى مساعدات مالية لتحصين المخيمات .

ولقد عزز الرئيس أنور السادات نشاطه الدبلوماسي بأن بعث في ٦/٢١ الى الرئيس نيكسون رسالة يطالبه فيها بالضغط على الحكومة الاسرائيلية للحد من نشاطها العسكري ضد لبنان ، وتأثير هذا النشاط على مسيرة السلام في الشرق الاوسط ، كما بعث الى الرئيس سليمان فرنجيه رسالة يشير فيها بوضوح الى أنه ينتظر من لبنان أن يحدد نوع الدعم والمساعدات التي تلائم ظروفه وتتناسب مع أوضاعه مؤكدا مرة أخرى ان مصر مستعدة لتزويد لبنان بالعتاد والرجال اذا لزم الامر . وفي يوم ٢٢ استقبل الرئيس حافظ الاسد الدكتور امين الحافظ رئيس الحكومة اللبنانية الاسبق وأبلغه ان سورية مستعدة لتلبية اي طلب يتقدم به لبنان لمواجهة الاعتداءات الاسرائيلية ، ثم أكد الرئيس السوري للدكتور الحافظ ان فصل القوات في الجولان « لن يمنع سورية من ممارسة مسؤولياتها العربية ، والوقوف في وجه الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان » وان سورية « تضع سلامة الاراضي اللبنانية ومخيمات الفلسطينيين وقضية الثورة الفلسطينية في طليعة اهتماماتها » . وكانت صحيفة « الثورة » السورية (١٩٧٣/٦/٢٢) واضحة في انذارها لاسرائيل عندما قالت « يمكننا الان ان نلاحظ بوادر استغلال اسرائيل لعنصر الزمن وهي تقوم بغاراتها الوحشية على لبنان وعلى مخيمات الفلسطينيين ظنا منها ان اتفاق فصل القوات الذي ينص على توقف العمليات القتالية تقيد القطر العربي السوري وتحرجه وتثنيه من النهوض بواجبه القومي تجاه ما يتعرض له لبنان الشقيق ، وما يتعرض له الاخوة الفلسطينيون . غير ان ما اعلنته سورية من دعم للثورة الفلسطينية وللقطر اللبناني الشقيق سواء على لسان المصدر الرسمي او ما جاء في بيان المؤتمر القطري الخاص الاستثنائي ، لا بد الا ان يكون قد خيب توقعات اسرائيل » .

وكان من الممكن ان تفيد لبنان من هذه العروض ، وان تدعم دفاعها الارضي والجوي بقوات عربية ، ريثما يتم تنفيذ الخطة الدفاعية اللبنانية ، ويستعد الجيش اللبناني للقيام بدوره في المعركة القومية . ولم يكن الدعم العسكري العربي للبنان يتطلب وقتا طويلا ، لان انتقال القطعات المدرعة والميكانيكية والصواريخ المضادة للطائرات ووحدات المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات من سورية الى لبنان عملية على غاية من السهولة ولا تتطلب سوى زمن قصير يحسب بالساعات ، كما ان تغطية الاجواء اللبنانية بالطائرات السورية والعراقية والمصرية (ميغ — ٢١ م ف) يمكن ان يتم مع بقاء الطائرات العربية في المطارات السورية نظرا لطول مدى عمل هذه الطائرات (١١٠٠ كيلومتر) . أما البحرية السورية التي يمكن ان تدعم ببعض القطع البحرية المصرية ، فقد كان بوسعها حماية الساحل اللبناني مع الانطلاق من قواعد البحرية على الشاطىء السوري . ولكن كل هذه التدابير العسكرية كانت تتطلب قرارا سياسيا أحجم لبنان عن اتخاذه . وكانت حجته في ذلك ان لبنان لا يريد ان يستفز اسرائيل ويدفعها الى شن حرب وقائية ضد لبنان ويعطيها المبرر لاحتلال الجنوب في الوقت الذي تم فيه فصل القوات على الجبهتين الاساسيتين . وكان الاتجاه العام في لبنان يسير نحو مطالبة الدول العربية بالضغط السياسي والدبلوماسي والنفطي على اميركا حتى تمنع اسرائيل من متابعة عدوانها ، والاستعداد لتجاهل اتفاقيتي فصل القوات في سيناء والجولان ، وشن الحرب على الجبهتين المصرية والسورية اذا ما تابعت اسرائيل اعتداءاتها على الاراضي اللبنانية (الحرب بالوكالة) .

ولقد عزز الجانب اللبناني موقفه مستندا الى تهديدات اسرائيل الصريحة . فلقد اعلن رئيس الاركان الاسرائيلي مردخاي عوز في مؤتمر صحفي عقده في ٦/٢٧ انه اذا ارسل المصريون طائراتهم وصواريخهم المضادة للطائرات الى لبنان ، فان ذلك سيحول لبنان الى « ساحة قتال » ، أي الى دولة مواجهة مع اسرائيل . ثم اعلن أن اسرائيل « لا يمكنها الاستهانة بمقترحات مصر وسورية المتعلقة بمساعدة لبنان ضد العمليات الاسرائيلية المحتملة . لكننا لا نعتقد ان حكومة بيروت نفسها توافق على وجود قوات أجنبية على أراضيها تؤدي الى تحويل لبنان في نهاية الامر الى ساحة قتال » ... « ان الحكومة الاسرائيلية لم تغير سياستها الاساسية وهي في ظروف معينة ، لا تنتظر هجوم العدو ، بل تكون بادئة بالضرب » (رويتر ٦/٢٧) .

وفي ٦/٢٣ أعلنت اسرائيل انها اوقفت « مؤقتا » غاراتها الجوية على لبنان . ولقد جاء ذلك في

تصريح شمعون بيريس وزير الدفاع الصهيوني عندما قال للصحفيين في تل ابيب قبيل توجهه الى واشنطن « ان العمليات الجوية ضد قواعد الفدائيين في لبنان علقت مؤقتا بعدما حققت أهدافها وبعدما نجحنا في قتل عدد كبير من الفدائيين » . وذكرت هآرتس (٦/٢٣) نقلا عن اوساط عسكرية اسرائيلية مأذونة ، ان اسرائيل ستوقف الغارات فترة لترى كيف سيتطور الوضع في لبنان و« اذا لم تتخذ الحكومة اللبنانية اجراءات فورية لمنع نشاط الفدائيين فان العمليات الاسرائيلية ستستأنف » .

ومن المعتقد ان رسالة الرئيس السادات الى الرئيس الاميركي نيكسون ، والضغوط العربية الاخرى ، واحتمالات انهيار تدابير السلام في المنطقة ، هي التي دفعت اميركا الى الضغط على اسرائيل لمنعها من متابعة اعمالها العدوانية الجوية ضد المخيمات والقرى . ولقد أعطى هذا الضغط نتائجه خاصة وانه جاء في وقت يسافر فيه وزير الدفاع الاسرائيلي الى اميركا لطلب مساعدات عسكرية طويلة الامد ، تعتقد واشنطن بوست (٦/٢٦) انها ستبلغ خلال السنوات الخمس القادمة ما قيمته ٧ر٥ مليارات من الدولارات .

وفي ٦/٢٤ دعت الكويت الى عقد اجتماع وزراء الخارجية والدفاع العرب في يوم ١ تموز للبحث في مسألة الاعتداءات الاسرائيلية ، ثم أجل الاجتماع الى الثالث من تموز واستمر حتى الرابع منه ، وخرج بمقررات سرية لدعم القوة الدفاعية اللبنانية. وتؤكد « التزام كل الدول العربية بالتضامن مع لبنان في دفاعه عن ارضه وسيادته الوطنية ، وبتأييد النضال المشروع للشعب الفلسطيني من أجل استعادة حقوقه القومية » (من بيان الجامعة العربية ١٩٧٤/٧/٤) .

ولقد بقي الوضع متوترا في لبنان منذ بدء الغارات الجوية ، وازدادت حدة التوتر في الساعة ٢٣ر٠٠ من يوم ٦/٢٤ عندما قامت مجموعة من قوات المقاومة بعملية انتحارية في نهاريا . وذكرت المصادر الاسرائيلية ان الفدائيين جاءوا من لبنان عن طريق البحر وحمل لبنان مسؤولية العملية . وأعلن رئيس الحكومة الاسرائيلية اسحاق رابين امام الكنيست في ٦/٢٥ « ان من واجب لبنان المطلق ان يزيل من ارضه كل المنظمات الارهابية التي تستخدم لبنان كقاعدة لعملياتها ضد اسرائيل .

واذا قصرت الحكومة اللبنانية في هذا الواجب ستتحمل المسؤولية الكاملة عن كل الجرائم وعمليات التخريب التي يقوم بها الارهابيون » . (النهار ٦/٢٦) . ولكن مسؤولا كبيرا في المقاومة أكد في يوم ٦/٢٥ ان هذه العمليات أعدت ونفذت داخل اسرائيل . وقال ان الرواية الاسرائيلية التي تقول ان الفدائيين تسللوا الى الاراضي المحتلة بحرا وتحميل لبنان المسؤولية يعكس في الواقع عجز اسرائيل الكامل عن مواجهة مثل هذه العمليات . ثم أكد ان لا علاقة للبنان اطلاقا بهذه العملية ، وان العمليات الفدائية « ستتصاعد عنفا وجرأة وقوة داخل فلسطين المحتلة في المستقبل » .

وكان من المنتظر قيام اسرائيل بردة فعل عنيفة ضد العملية . لذا وجه الرئيس سليمان فرنجية الى الرئيس ريتشارد نيكسون وسكرتير الحزب الشيوعي السوفياتي ليونيد بريجنيف المجتمعين في موسكو رسالة ناشدهم فيها العمل على عدم اتاحة الفرصة امام اسرائيل لكي تشعل النار في المنطقة بعد الجهود التي بذلتهما الدولتان لاحلال طلائع السلام ، وتأمين فصل القوات على أصعب جبهتين عربيتين . ويبدو ان الولايات المتحدة بذلت جهودا سياسية لتخفيف حدة رد الفعل الاسرائيلي الذي جاء على شكل عملية بحرية قامت بها قوات كوماندوس اسرائيلية في ليلة ٧/٨ تحت حماية زوارق حربية قامت بقصف البرغلية والصرفند وعدلون وصيدا وصور ، وأدت العملية الى نسف زوارق ومنشآت بحرية في صرفند وصور وصيدا وعدلون والبرغلية بواسطة قنابل موقوتة وضعتها مجموعات من الضفادع البشرية الاسرائيلية . بالاضافة الى ما ألحقه القصف البحري من أضرار.

والسؤال الان الى أين ؟ لقد أعلنت الثورة الفلسطينية أكثر من مرة عن تصميمها المشروع على متابعة النضال المسلح ضد العدو الاسرائيلي حتى تتحقق أهدافها التحريرية العادلة ، ولكنها أعلنت في الوقت نفسه « حرصها الشديد » على سلامة لبنان وأمنه ، وتفهمها لوضعه العسكري الحساس، وقرارها بتجميد عملياتها المنطلقة من لبنان . ولكن اعلان الثورة عن هذا التجميد مع الاستمرار في تصعيد عمليات الداخل لن يحمي لبنان من الضربات الانتقامية . لان اسرائيل ستختلق دائما المبررات لضرب لبنان — سواء توجه الضرب الى أهداف

لبنانية أم أهداف فلسطينية في لبنان — لأن هذه الجبهة ستبقى الحلقة الاضعف التي يمكن عن طريقها تنفيس الغضبة الاسرائيلية الجماهيرية التي تلي كل عملية داخل الارض المحتلة ما لم تتبدل السياسة الدفاعية اللبنانية وتأخذ موقفا أكثر راديكالية ازاء اسرائيل . وستبقى المجال الوحيد الذي يمكن ان تقوم اسرائيل فيه بضرب رهينة كبيرة (مخيمات الفلسطينيين) دون عقاب ، بغية ردع خلايا الداخل السريسة معنويا بشكل غير مباشر . كما انها المجال المحتمل لضرب اهداف مدنية لبنانية لخلق تناقض لبناني — اسرائيلي حاد يدفع القوات المسلحة اللبنانية الى القيام بالدور الذي قامت به القوات المسلحة الاردنية وفق الاسلوب الاردني أو وفق أسلوب آخر يتلاءم مع الاوضاع العسكرية والسياسية السائدة في لبنان .

ولقد رد رئيس الوزارة الاسرائيلية اسحاق رابين على قرار المقاومة بتجميد العمليات، فقال في لندن خلال مؤتمر صحفي عقده بعد حضور اجتماع الحركة الاشتراكية الدولية « ان اسرائيل ستنتظر لترى اذا كان قرار المقاومة الفلسطينية تجميد العمليات انطلاقا من الاراضي اللبنانية سيصبح حقيقة ، قبل أن تستخلص النتائج . واذا لم تحدث هجمات ضد سكان اسرائيل واملاكهم وضد اهداف اخرى ، فلن يكون أي عمل من جهتنا ضروريا ، وسيسود الهدوء المنطقة » (و.ص.ف — ٧٣/٧/١) .

*

ان التهديدات الاسرائيلية المتكررة الموجهة الى لبنان تتزايد منذ توقف القتال على الجبهات العربية ، وهي تعيد الى الاذهان تهديدات اسرائيل التي سبقت حرب ١٩٧٣ . ولقد أعلن شمعون بيرس على شاشة التلفزيون الاسرائيلي (٦/٢١) ان على لبنان ان يعمل ضد المنظمات الفدائية لمنعها من شن الغارات على اسرائيل ثم قال « ان هذا هو التحذير الاخير ، وان اسرائيل تطالب لبنان بأن يتخذ خطوات فعالة لاقفال حدوده مع اسرائيل في وجه «الارهابيين» المنطلقين لارتكاب اعمال قتل» ولا يخرج هذا التهديد عن تهديدات دايان وغيره من المسؤولين الاسرائيليين في الاعوام الثلاثة التي سبقت الحرب ، وهو يدل على ان مساعي الدكتور كيسنجر في فصل القوات توصلت الى ازالة جزء من آثار حرب ١٩٧٣ داخل المجتمع الاسرائيلي ، وان اسرائيل ماضية في استخدام الردع والعمل بشكل متناوب ضد الثورة الفلسطينية التي لم تعترف بوقف القتال ضد المحتلين .

المقدم الهيثم الايوبي

ملحـــق
القضية الفلسطينية عسكريا
توقيع اتفاقية تحديد الاسلحة الاستراتيجية (سولت)
The Salt Arrangement

في ٢٦ أيار (مايو) ١٩٧٢ ، وقع كل من رئيس الولايات المتحدة الاميركية (ريتشارد نيكسون) ، والسكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي (ليونيد بريجنيف) في موسكو أول اتفاقية للحد من الاسلحة الاستراتيجية . وبذلك تكون الدولتان الاعظم قد توصلتا الى اتفاقية تاريخية حول الحرب النووية ، مبنية بشكل صريح ومباشر على كون شعب كل منهما رهينة الاسلحة النووية التي بحوزة الطرف الاخر ، ومشترطة الحفاظ على ميزان الرعب النووي القائم وعدم السماح له بالميل بحدة لصالح احد الطرفين . وقد تم ذلك اثر محادثات مضنية بين الدولتين ، بدأت في هلسنكي في تشرين الثاني ١٩٦٩ سميت بمحادثات «سولت Salt »،والاسم هو اختصار للحروف الاولى من عبارة « محادثات تحديد الاسلحة الاستراتيجية Strategic Arms Limitation Talks ».

وقد وقعت في موسكو آنذاك ثلاث وثائق هي : «اتفاقية رسمية دائمة للحد من الاسلحة الصاروخية الدفاعية المضادة للقذائف Anti-Ballistic Missile Agreement » ، واتفاقية مؤقتة مرافقة للحد من الصواريخ الاستراتيجية الهجومية لمدة تصل الى خمس سنوات«Interim Agreement» وبروتوكولا يحدد اثر الاتفاقية الاخيرة على الصواريخ التي تطلق من الغواصات . ووقعت في الوقت ذاته في هلسنكي بالاحرف الاولى مذكرة بالتفسيرات والاجتهادات المختلفة . ويبدو من استعراض نصوص الاتفاقية انها توفر المادة التي يبنى عليها التوازن بين القوى الاستراتيجية النووية للقوتين الاعظم . وهي ، على كل حال ، تبين الحاجة الى الحذر الشديد في تقييم العلاقة الاستراتيجية الاميركية ــ السوفياتية في حدود المعايير الكمية وحدها .

● **اتفاقية الحد من الاسلحة الصاروخية المضادة للقذائف** : تتكون من ست عشرة مادة ، وهي كما فسرت بسيطة نسبيا في مضمونها وواضحة نسبيا في اثرها في برامج الطرفين الموقعين . فالاتحاد السوفياتي يملك شبكة صغيرة من الصواريخ المضادة للقذائف ، تتكون من ٦٤ قاعدة لصواريخ « غالوش Galosn » منتشرة حول منطقة موسكو . اما الولايات المتحدة فانها لم تكن قد وضعت بعد ــ عند توقيع الاتفاقية ــ اي جزء من سلاحها الصاروخي المضاد للقذائف : « سيف غارد Safe Guard » في الخدمة ، ولكنها كانت منهمكة في بناء موقعين حول صوامع صواريخ مينيوتمان العابرة للقارات في داكوتا الشمالية ومونتانا استعدادا لتزويدهما بصواريخ « سبارتن » بعيدة المدى، وصواريخ «سبرنت» قصيرة المدى، للدفاع عن هذه الصوامع . ويحق ، بموجب المادة الثالثة من هذه الاتفاقية ، لكل من الطرفين ان يكون له منطقتان للصواريخ المضادة للقذائف : واحدة حول عاصمته والاخرى حول حقل من حقول الصواريخ الهجومية العابرة للقارات ، يمكن ان تضم كل منهما ما لا يزيد عن (١٠٠) قاذفة وصاروخ مضاد للقذائف بشرط ان تكون القاذفة او منصة الاطلاق ثابتة ، قائمة على الارض ، صالحة لاطلاق صاروخ واحد فقط . وتحريم انشاء منصات اطلاق متحركة ، او بحرية ، اوتوماتيكية او شبه اوتوماتيكية قادرة على اطلاق اكثر من صاروخ بتتابع سريع . كما وضعت المادة الثالثة المذكورة قيودا على الرادارات المساندة للصواريخ الدفاعية المضادة للقذائف : فقيدت من انتشار الرادارات داخل منطقة العاصمة الدفاعية ولكنها لم تضع قيودا على حجم الرادارات او عددها اذ نصت على جواز استخدام ست شبكات رادار دائرية لا يتجاوز قطر كل منها ٣ كيلومترات ، اما داخل المنطقة الدفاعية للصواريخ عابرة القارات فان حجم الرادارات وعددها مقيد، ولكن انتشارها غير مقيد اذ نصت على جواز استخدام شبكتين ضخمتين مصفوفتين على مراحل، وثماني عشرة وحدة رادارية صغيرة لضبط اطلاق الصواريخ . ويقصد بالتقييدات

على الرادارات ضمن اطار الاتفاقية العامة ، بقاء التغطية الفعالة لشبكات الصواريخ المضادة للقذائف محدودة نسبيا في قطاعات صغيرة من الارض،ومنع استخدام الدفاعات على صعيد الدولة بأسرها . وبالاضافة الى ذلك فقد تعهد الطرفان بالتخلي عن اية مجهودات سرية تهدف الى تطوير الرادارات العادية لتصبح لها امكانات الرادارات الخاصة بالصواريخ المضادة للقذائف ، او استخدام انظمة رادارية جديدة معدة لمتابعة الاجرام الفضائية الصناعية او لاغراض الانذار المبكر تحت غطاء الزعم بأنها اجهزة رادار خاصة بالصواريخ المضادة لقذائف .

وقد تعرضت المادة (١١) لضمانات تنفيذ الاتفاقية والاجراءات السلبية والايجابية التي يحق لكل من الطرفين اتخاذها لمراقبة اي خرق لبنودها ، فنصت لا على وجوب استخدام الوسائل الفنية الوطنية المتوفرة لدى كل من الطرفين (مثل اقمار التجسس) للتحقق من صحة تنفيذها فحسب ، بل نصت ايضا على وجوب امتناع كل منهما عن التدخل في وسائل واساليب جمع المعلومات التي يستخدمها الطرف الاخر بهذا الشأن ، كما نصت على وجوب الامتناع عن استخدام وسائل التمويه — التي تحول دون قيام الاجهزة الفنية بالمراقبة — لاخفاء خرق بنودها . وتعرضت المادة (١٥) الى مدة الاتفاقية، فهي اتفاقية غير محدودة بأجل مع انها خاضعة لاعادة النظر كل خمس سنوات ، كما انها تجيز لاحد الفريقين الانسحاب اذا ما قرر ان احداثا غير عادية تتصل بموضوع هذه الاتفاقية قد عرضت مصالحه العليا للخطر . وعليه في هذه الحالة ان يخطر الطرف الاخر بقراره قبل ستة اشهر من انسحابه من الاتفاقية ، ويضمن اخطاره بيانا بالاحداث غير العادية التي يعتبرها ضارة بمصالحه.

● **اتفاقية تحديد الاسلحة الاستراتيجية الهجومية «The Interin Agreement» والبروتوكول المرافق لها** : ان هذه الاتفاقية ذات طبيعة مؤقتة ، ينتهي العمل بها وبالبروتوكول المرافق لها بعد خمس سنوات من تاريخ التوقيع عليهما الا اذا حل محلهما اتفاق لاحق اكثر شمولا لقضايا الاسلحة الاستراتيجية الهجومية . وتتضمن هذه الاتفاقية بنودا اكثر مرونة الا انها ، رغم التفسيرات الاضافية ، أقل وضوحا من اتفاقية الصواريخ المضادة للقذائف . ولا تحدد الاتفاقية عدد الاسلحة الاستراتيجية ، ولكنها تقضي بأن يكون مجموع عدد الصواريخ عابرة القارات والصواريخ التي تطلق من الغواصات الذي يستطيع كل طرف امتلاكه قائما على اساس الاعداد العاملة او التي هي قيد البناء في (١) تموز ١٩٧٢ بالنسبة الى الصواريخ عابرة القارات ، وفي (٢٦) ايار ١٩٧٢ بالنسبة الى الصواريخ التي تطلق من الغواصات ، وتحرم بناء اية صواريخ جديدة عابرة للقارات او صواريخ تطلق من الغواصات بعد هذين التاريخين ، كما تحرم تحويل قواعد الاطلاق الخفيفة والصواريخ التي بنيت قبل سنة ١٩٦٤ الى قواعد اطلاق ارضية او بحرية صالحة لاطلاق صواريخ ثقيلة عابرة للقارات (مثل الصاروخ السوفياتي س س — ٩). والهدف الظاهر من ذلك هو السماح للولايات المتحدة بمجموع موجوداتها البالغة (١٠٥٤) صاروخا عابرا للقارات و(٦٥٦) صاروخا هي مجموع الصواريخ التي يمكن ان تطلقها (٤١) غواصة تملكها الولايات المتحدة ، والسماح للاتحاد السوفياتي بمجموع موجوداته البالغة (١٦١٨) صاروخا عابرا للقارات و(٧٤٠) صاروخا هي مجموع الصواريخ التي يمكن ان تطلقها (٥٦) غواصة يملكها الاتحاد السوفياتي . ويتضمن البروتوكول المرافق لها معادلات معقدة تسمح بحرية تحديث واستبدال الغواصات ومنصات الاطلاق والصواريخ ضمن حدود معينة . ويفصل البروتوكول ذلك ، بأن الولايات المتحدة تستطيع ان تمتلك ما لا يزيد عن (٧١٠) صواريخ تطلق من عدد من الغواصات لا يزيد عن (٤٤) في مقابل الاستغناء عن صواريخ «تيتان — ٢» القديمة عابرة القارات، وبالطريقة نفسها يستطيع الاتحاد السوفياتي الاستغناء عن الصواريخ عابرة القارات من طرازي «س س — ٧» و«س س — ٨»التي صنعت قبل سنة ١٩٦٤ وعددها (٢١٠) صواريخ واستبدالها بعدد مماثل من الصواريخ التي تطلق من الغواصات للحصول على قوة مؤلفة من (٩٥٠) انبوبة لاطلاق الصواريخ من غواصات يبلغ عددها (٦٢) غواصة . « فالاستبدال » يعطي للطرفين — من حيث المبدأ — حق الحصول على صواريخ جديدة تطلق من الغواصات بدلا من الصواريخ الهجومية القديمة التي ما زالت في الخدمة ، ويستتبع ذلك اما شطب عدد مساو من صواريخها الحالية

المطلقة من الغواصات او الاحتفاظ بعدد مساو من الصواريخ عابرة القارات في الخدمة .

اما حرية « التحديث » فتعطي للطرفين حق استبدال المعدات القديمة بمعدات جديدة ضمن الحدود الكلية المذكورة اعلاه ، وعليه فبامكان الاتحاد السوفياتي احالة الغواصات القديمة (من طرازي G و H) التي تعمل بالديزل واستبدالها بغواصات نووية حديثة ، وبامكان الولايات المتحدة مواصلة تطوير اجهزة الصواريخ الجديدة المطلقة من غواصات « ترايدنت » النووية الحديثة. كذلك قد يستبدل الطرفان ، عموما ، منصات الاطلاق القديمة والرؤوس الحربية القديمة بمنصات ورؤوس جديدة مع الخضوع فقط للمنع على الصواريخ الثقيلة عابرة القارات مثل الصواريخ السوفياتية من طراز « س س ـ ٩ » ، وهكذا فللولايات المتحدة الحق في الاستمرار باستبدال صواريخ « مانيوتمان ـ ١ و ٢ » و« بولاريس » بصواريخ « مانيوتمان ـ ٣ » و« بوسيدون » ذات الرؤوس المتعددة (الوسائط العائدة ذات الاهداف المتعددة المستقلة « Mirv» كما ان الاتحاد السوفياتي يملك حقا موازيا في مواصلة تطوير اسلحة مثل صاروخه الجديد المطلق من الغواصات طراز « س س ـ ن ـ ٨ » .

ويلاحظ ان هذه الاتفاقية لم تتعرض لقاذفات القنابل الاستراتيجية ، وقد كانت الولايات المتحدة تتمتع بتفوق ملحوظ في هذا المجال في الوقت الذي تم فيه توقيع الاتفاقية.فقد كان لديها (٥٣٠) قاذفة استراتيجية معظمها من طراز « ب ـ ٥٢ » لديها طاقة حمولة تبلغ (٣٠ر٥) مليون رطل ، في مقابل (١٤٠) لدى الاتحاد السوفياتي قادرة على نقل حمولة تبلغ (٤ر٨) ملايين رطل ، ومن ناحية اخرى فان عدد القنابل الذرية التي تستطيع الطائرات الاميركية حملها سيزداد حين تنجز الولايات المتحدة تجهيز قوة قاذفاتها بالصاروخ الهجومي قصير المدى « Sram » .

ومن ناحية اخرى فان الاتفاقية المؤقتة لم تأخذ في الاعتبار اعداد الرؤوس النووية في مقابل اعداد الصواريخ الناقلة لها . وقد كانت الولايات المتحدة، لفترة خلت ، متقدمة تقدما كبيرا في برنامجها لانشاء الوسائط العائدة ذات الاهداف المتعددة المستقلة « «Mirv Program» الذي بدأته منذ خمس سنوات ، فقد نشرت حوالي (٢٠٠) من صواريخ « مانيوتمان ـ ٣ » عابرة القارات التي يصل ما يحمله كل منها ثلاثة رؤوس حوالي (١٦٠) صاروخا من صواريخ (بوسيدون) المطلقة من الغواصات التي يستطيع كل منها ان يحمل عشرة رؤوس ، وعندما يؤخذ صاروخ «بولاريس ـ أ ـ ٣» والوسائط العائدة المتعددة « MRV » بالاعتبار فان القوة الاميركية الاصغر في العدد تستطيع ، نظريا ، ان تنقل على وجه التقريب (٤٣٠٠) رأس الى (٣٥٥٠) نقطة مستهدفة ومنفصلة ، مقابل حد اقصى نظري من (٢٠٩٠) نقطة تهديف منفصلة للاتحاد السوفياتي الذي لم تكن هناك دلائل ايجابية على انه استخدم صواريخ متعددة الرؤوس عند توقيع الاتفاقية .

واذا ما تركنا المجاميع الكلية الاجمالية السابقة، يكون الاتحاد السوفياتي متفوقا بوضوح على الولايات المتحدة في الرؤوس المفردة لصواريخه . ان كلا من الصواريخ السوفياتية الـ (٣٠٩) عابرة القارات « س س ـ ٩ » المسموح بها بموجب الاتفاقية المؤقتة يستطيع ان يحمل رأسا مفردة تبلغ قوتها الانفجارية ٢٥ ميغاطن ، على حين يستطيع اكبر صاروخ اميركي ، وهو « تيتان ـ ٢ » وعددها (٥٤) صاروخا ، ان ينقل رأسا قوته (١٠) ميغاطن فقط . وفي الحقيقة ، فان القسم الاغلب من الصواريخ الاستراتيجية السوفياتية مصمم ليحمل رؤوسا اكبر من مثيلاتها الاميركية ، كما ان تزويد الصواريخ الاميركية برؤوس متعددة يستتبع تخفيضا في المجموع الكلي للحصيلة الانفجارية في الوقت ذاته الذي تقود فيه الزيادة في المجموع الكلي للاهداف التي توجه ضدها . ان الحد الاعلى لحصيلة الرؤوس التي تستطيع الصواريخ الاميركية الحالية نقلها تقدر بحوالي (٢٤٠٠) ميغاطن بينما تبلغ حصيلة القوة السوفياتية الموازية في الظاهر (١١٤٠٠) ميغاطن. وهذا يعني ان الاتحاد السوفياتي يتمتع بتفوق في اجمالي الحمولة تبلغ نسبته (٣ الى ١) . وينبغي الاشارة الى ان هذه الارقام هي ارقام نظرية تفترض ان جميع الوسائط الناقلة تحمل رؤوسا تبلغ قوتها الحد الاعلى من الميغاطن ، وان جميع هذه الاسلحة مستنفرة وجاهزة للانطلاق على الدوام ، وهذا أمر مستبعد .

● **اتفاقية سولت في سنة ١٩٧٤** : عندما افرزت

محادثات تحديد الاسلحة الاستراتيجية « اتفاقية سولت » في سنة ١٩٧٢، كان التوازن بين الدولتين الاعظم الموقعتين عليها يتلخص في ان الاتحاد السوفياتي يتمتع بتفوق في عدد صواريخه بعيدة المدى وفي اجمالي الحمولة والحصيلة الانفجارية التي يستطيع نقلها ، على حين كانت الولايات المتحدة تتمتع بتفوق في عدد الرؤوس الحربية التي تملكها نتيجة تطبيق برنامج الوسائط العائدة المتعددة المستقلة « MIRV Program » التي تتميز بدقة في الاصابة تفوق دقة الصواريخ السوفياتية. وبالتالي كانت الاتفاقية المذكورة بمثابة اعلان موافقة كلا الطرفين على ان تفوق الاتحاد السوفياتي في الحصيلة الانفجارية يعدل ، على وجه التقريب ، التفوق الاميركي في عدد الرؤوس الحربية . الا انه حدث شيئان اخلا بهذا التوازن منذ توقيع اتفاقية سولت في ١٩٧٢ : اولهما ان الاتحاد السوفياتي قام في سنة ١٩٧٣ باختبار اربعة انواع من الصواريخ ثلاثة منها «س س — ١٨» ذات رؤوس متعددة عائدة مستقلة « MIRVS » وحمولة تفوق حمولة الصواريخ السابقة ، وقد اقلق ظهور الرؤوس المتعددة السوفياتية الولايات المتحدة ذلك انه من السهل بعد ذلك تزويد معظم الصواريخ السوفياتية الاخرى برؤوس وبالتالي يزداد عدد الرؤوس الحربية التي يصبح بامكان الاتحاد السوفياتي امتلاكها . وثانيهما ، وهو يعتبر الى حد ما رد فعل اميركي ازاء التطور السوفياتي السابق ، هو التصريح الاميركي الذي ادلى به وزير الدفاع الاميركي شليسنجر ، في مطلع سنة ١٩٧٤ بان مزيدا من الانشاءات العسكرية السوفياتية اضيفت الى قائمة الاهداف التي ستضربها الرؤوس الاميركية في حالة نشوب حرب نووية بين الطرفين ، وقد رافق هذا التصريح اعلان بان الولايات المتحدة تقوم بتطوير وسائط عائدة قابلة للمناورة (MARV) تفوق الوسائط السابقة (MIRVS) من حيث دقة الاصابة مما قاد الاتحاد السوفياتي الى التفكير بان الولايات المتحدة في طريقها لتطوير وسائط تمكنها من ضرب الصواريخ السوفياتية على الارض . وهذا الخلل في التوازن السابق قاد الطرفين الى محاولة ايجاد معادلة جديدة مناسبة توجد العلاقة بين اعداد الرؤوس الحربية ومقدار الصواريخ العائدة لها ، وطريقة لمعرفة مدى دقة اصابة هذه الصواريخ لاهدافها ، ومن ثم التوصل الى صياغة كل ذلك في ميثاق جديد يحل محل الاتفاقية المؤقتة لعام ١٩٧٢ بشأن تحديد الاسلحة الاستراتيجية الهجومية . وقد كان هذا الامر مدرجا على جدول محادثات نيكسون — بريجنيف ابان زيارة نيكسون للاتحاد السوفياتي (٦/٢٧ — ١٩٧٤/٧/٣) . ولكن الجانبين فشلا في التوصل الى ميثاق جديد ، الا انهما توصلا الى بروتوكول سري تابع لاتفاقية تحديد الاسلحة الصاروخية الدفاعية المضادة للقذائف ، اعده فريق من الخبراء العسكريين والعلماء من الجانبين قبل اكثر من شهرين من تاريخ توقيع البروتوكول ، ووقعه وزراء خارجية الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، اندريه غروميكو وهنري كيسنجر ، بتاريخ ١٩٧٤/٧/٣ في حفل علني (وهذه اول مرة يتم فيها توقيع بروتوكول سري في حفل علني ، بطلب من الاتحاد السوفياتي) . ويتعرض البروتوكول للتفاصيل التقنية لاتفاقية تحديد الاسلحة الصاروخية الدفاعية المضادة للقذائف ، وينص على خفض عدد المناطق المحمية بهذه الصواريخ من منطقتين مصرح بهما بموجب الاتفاقية الى منطقة واحدة فقط ، اي بعبارة اخرى الاكتفاء بما انجزته كل من الدولتين بالفعل من انظمة دفاعية : فقد بنى الاتحاد السوفياتي نظاما دفاعيا حول موسكو ، وبنت الولايات المتحدة نظاما دفاعيا حول حقول الصواريخ العابرة الموجودة في ولاية داكوتا الشمالية . وينص البروتوكول ايضا على ان يقوم الاتحاد السوفياتي بتفكيك (١٥) صاروخا مضادا ، وتقوم الولايات المتحدة من جانبها بتفكيك عدد من الصواريخ المشابهة لم يعلن عنه بالضبط .

ويمكن القول ان توقيع هذه الاتفاقية مظهر من مظاهر « الوفاق الدولي » ، وخطوة على طريق تحديد الاسلحة في الدولتين الاعظم ، وهي، كغيرها من مظاهر « الوفاق الدولي » ، تؤثر على موازين القوى العالمية التي تنعكس آثارها بشكل غير مباشر على الصراع العربي — الاسرائيلي ، الذي تحول بعد حرب ١٩٥٦ الى نوع من المجابهة الساخنة المحدودة ضمن اطار الحرب الباردة بين العمالقة .

كمال السعدي

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٦/١٦ ــ ١٩٧٤/٧/١٥

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: استشهد	خسائر المقاومة: جرح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر: البلاغ العسكري	المصدر: تاريخه
١	٦/١٦	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة قبل تفجيرها بوقت قصير	—	—	—	رقم١٥٧/٧٤	٦/١٧
٢	٦/١٦	—	حي هتكف/تل ابيب	قتل	—	١	—	قتل عريف شرطة صهيوني	—	—	—	رقم١٥٨/٧٤	٦/١٧
٣	٦/١٦	٢٤٠٠	حي هتكف/تل ابيب(١)	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد		احراق وتدمير المستودعات الرئيسية للكرتون، تدمير الطوابق العليا في المبنى حيث الادارة الاقليمية المركزية للهاتف واحراق محتوياتها ، قطع التيار الكهربائي عن المنطقة لاحتراق الخطوط .	—	—	—	رقم١٥٩/٧٤	٦/١٧
٤	٥/ ١	١٩٠٠	معسكر جباليا/ غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد		تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها .	—	—	—	رقم١٦٠/٧٤	٦/١٨
٥	٥/ ٧	—	الشيخ زويد/غزة	تفجير	لغم	غيرمحدد		تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها .	—	—	—	رقم١٦٠/٧٤	٦/١٨
٦	٥/١٠	—	غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير باص لشركة ايجد	—	—	—	رقم١٦٠/٧٤	٦/١٨
٧	٥/١٢	—	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد		—	—	—	—	رقم١٦٠/٧٤	٦/١٨
٨	٥/١٢	—	غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اصابة مبنى سينما الجلاء باضرار .	—	—	—	رقم١٦٠/٧٤	٦/١٨
٩	٥/١٢	—	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد		اعطاب سيارة عسكرية في الشارع الثلاثيني وقتل وجرح من فيها .	—	—	—	رقم١٦٠/٧٤	٦/١٨

١٠ — ٥/١٢	—	منطقة الزيتون/ غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	— ٢	—	—	—	رقم٧٤/١٦٠ ٦/١٨
١١ — ٥/١٦	—	منطقة الزيتون/ غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من خط سكة الحديد وتعطيل حركته .	—	—	رقم٧٤/١٦٠ ٦/١٨
١٢ — ٥/٢١	—	معسكر الشاطىء/ غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير كشك للحراسة	—	—	رقم٧٤/١٦٠ ٦/١٨
١٣ — ٦/١١	—	غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير قسم كبير من مبنى الادارة المدنية .	—	—	رقم٧٤/١٦٠ ٦/١٨
١٤ — ٦/١٣	—	غزة	تفجير	عبوات ناسفة	— —	اكتشاف العبوة قبل انفجارها وقطع التيار الكهربائي عن المدينة .	—	—	رقم٧٤/١٦٠ ٦/١٨
١٥ — ٦/١٤	—	معسكر الشاطىء/ غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها .	—	—	رقم٧٤/١٦١ ٦/١٨
١٦ — ٦/١٧	—	جنيم/حيفا	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	تدمير باص لشركة ايجد وامتداد النيران الى باص آخر .	—	—	رقم٧٤/١٦٢ ٦/١٨
١٧ — ٦/١٨	—	نوعام وكريات جان/ المنطقة الوسطى(٢)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تعطيل سير القطارات على خط سكة الحديد .	—	—	رقم٧٤/١٦٣ ٦/١٨
١٨ — ٥ /٦	١٠٤٠٠	مستعمرة الرابية	تفجير	لغم	١ —	تدمير جرار زراعي	—	—	رقم٧٤/١٦٤ ٦/١٩
١٩ — ٦/١٢	—	القدس	تفجير	عبوات حارقة	— —	احراق واتلاف محتويات المكتبة العبرية في شارع الواد .	—	—	رقم٧٤/١٦٥ ٦/١٩

الرقم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة آليات	خسائر المقاومة أفراد	خسائر المقاومة شهداء	المصدر : البلاغ العسكري تاريخه
٢٠	٦/٢٠	—	كرم الزيتون قرب قرية ابو غوش(٣)	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في مستودعات الذخيرة التابعة لمعسكر المظليين كما أتت النيران على أجزاء كبيرة من كرم الزيتون .	—	—	—	رقم١٦٧/٧٤ ٦/٢٠
٢١	٦/١٩	—	غارة للعدو على لبنان				اثناء قصف مخيماتنا في جنوب لبنان تمكنت وسائل الدفاع من اسقاط طائرتين للعدو .	—	—	—	رقم١٦٨/٧٤ ٦/١٩
٢٢	٦/١٤	—	بين القدس وعناتا	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في مستودعات الاخشاب في مصنع للنجارة والمفروشات .	—	—	—	رقم١٦٩/٧٤ ٦/٢٢
٢٣	٦/٢١	—	بين كفار سابا وطولكرم	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	أسفر الهجوم عن قتل وجرح عدد من افراد العدو .	—	—	—	رقم١٧٠/٧٤ ٦/٢٢
٢٤	٦/٢١	—	دورا/الخليل	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آليتين عسكريتين	٢	—	—	رقم١٧١/٧٤ ٦/٢٢
٢٥	٦/١١	—	بيت عو/الخليل	تفجير	لغم	غيرمحدد	تدمير آلية عسكرية وقتل وجرح من فيها .	—	—	—	رقم١٧٢/٧٤ ٦/٢٣
٢٦	٦/ ١	—	قرية زانوتا/الخليل	قتل	—	١ —	قتل ضابط مخابرات صهيوني	—	—	—	رقم١٧٣/٧٤ ٦/٢٣
٢٧	٦/٢٤	—	بات يام/جنوب تل ابيب	قتل	—	١ —	قتل جندي والاستيلاء على سلاحه .	—	—	—	رقم١٧٤/٧٤ ٦/٢٥
٢٨	٦/٢٤	٢٣٤٠٠	نهاريا	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير عدة مرافق للعدو	٣	—	—	رقم١٧٥/٧٤ ٦/٢٥
٢٩	٦/٢٦	٢٠٤٢٠	القدس	قصف	صواريخ	غيرمحدد	اصابة عدة اهداف في حي أشكول .	—	—	—	رقم١٧٦/٧٤ ٦/٢٦

٣٠ — ٦/٢٧	٢١٤٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	الشعال النيران في انحاء مختلفة من مصنع للاخشاب والاثاث وامتدادها الى المستودعات .	—	—	—	رقم٧٤/١٧٧ ٦/٢٨
٣١ — ٦/٢٧	—	كريات اربع/الخليل	قتل	—	١	—	قتل جندي والاستيلاء على سلاحه .	—	—	—	رقم٧٤/١٧٨ ٦/٢٨
٣٢ — ٦/٢٦	—	دورا/الخليل	تفجير	عبوات حارقة	—	—	الشعال النيران في مكتب العمل واتلاف جميع محتوياته .	—	—	—	رقم٧٤/١٧٩ ٦/٣٠
٣٣ — ٦/٣٠	—	قرب مطار قلندية	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة قبل انفجارها بوقت قصير .	—	—	—	رقم٧٤/١٨٠ ٦/٣٠
٣٤ — ٦/٣٠	—	نتانيا	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير قسم كبير من كابلات الهاتف الرئيسية وانقطاع الاتصال الهاتفي في حيفا وبين شمال وجنوب فلسطين .	—	—	—	رقم٧٤/١٨١ ٧/١
٣٥ — ٧/ ١	٧٤٠٠	ديمونا	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة قبل انفجارها بوقت قصير .	—	—	—	رقم٧٤/١٨٢ ٧/٢
٣٦ — ٧/ ٤	—	تل ابيب(٤)	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد		اشعال النيران في مبنى هازار مسجاك واتلاف محتوياته .	—	—	—	رقم٧٤/١٨٣ ٧/٥
٣٧ — ٧/ ٧	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير سيارة احد ضباط المخابرات واعطاب عدة سيارات اخرى .	—	—	—	رقم٧٤/١٨٤ ٧/٨

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة	المصدر : البلاغ العسكري تاريخه
٣٨	٧/ ٨	١٨٤٠٠	غزة	هجوم	أسلحة مختلفة	غير محدد	هجوم على جنود العدو المتواجدين في مجمع الادارات في شارع عمر المختار .	— — —	رقم١٨٥/٧٤ ٧/٩
٣٩	٧/ ٩	٢٤٠٠	صفد	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	— —	تدمير مبنى محطة بنزين « سونول » والمضخات واشعال النيران .	— — —	رقم١٨٧/٧٤ ٧/١٠
٤٠	٧/ ٧	—	الخضيرة	تفجير	عبوات ناسفة	— —	نسف الكابلات الرئيسية للهاتف وانقطاع خطوط الهاتف .	— — —	رقم١٨٨/٧٤ ٧/١٢

١ — اعترف العدو بالعملية ، راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٥٥٧ ، ص ٢٢٣ بتاريخ ٦/١٧ .

٢ — اعترف العدو بان احدى عربات القطار خرجت عن الخط، راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٥٥٨ ، ص ٢٧٢ بتاريخ ٦/١٨ .

٣ — اعترف العدو باشتعال النيران . راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٥٦١ ، ص ٣٦١ بتاريخ ٦/٢١ .

٤ — اعترف العدو باشتعال النيران . راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٥٦٧ ، ص ٥٤٢ بتاريخ ٦/٢٨ .

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٦/١٦ — ١٩٧٤/٧/١٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	٦/١٧	—	جانيم/حيفا	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اشعال النيران في باص لشركة ايجد	—	—	—	ن٠عدد٥٥٨،ص٢٧٥	٦/١٨
٢	٦/٢١	—	كفاريونا/طولكرم	قتل	اطلاق رصاص	—	—	—	—	—	—	ن٠عدد٥٦٢،ص٣٨٨	٦/٢٢
٣	٦/٢٤	—	بات يام	قتل	اطلاق رصاص	١	—	—	—	—	—	ن٠عدد٥٦٤،ص٤٣٧	٦/٢٥
٤	٦/٢٥	٤،٣٠	كريات شمونة	قصف	قذائف هاون	—	—	—	—	—	—	ن٠عدد٥٦٤،ص٤٤٤	٦/٢٥
٥	٦/٢٥	٢٣،١٥	نهاريا	اشتباك	أسلحة مختلفة	٤	٨	—	٣	—	—	ن٠عدد٥٦٤،ص٤٤٥	٦/٢٥
٦	٦/٢٦	—	القدس	قصف	قذائف بازوكا	—	—	لم تنفجر القذائف في حي اشكول ٠	—	—	—	ن٠عدد٥٦٥،ص٤٨١	٦/٢٦
٧	٦/٢٧	—	جبل دوف	قصف	قذائف هاون	—	—	لم تقع أية اضرار	—	—	—	ن٠عدد٥٦٦،ص٥١٢	٦/٢٧
٨	٦/٢٧	—	كريات اربع/الخليل	قتل	—	—	١	—	—	—	—	ن٠عدد٥٦٧،ص٥٣٧	٦/٢٨
٩	٧/ ١	—	دايمونا/بئر السبع	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم ابطال مفعولها قبل انفجارها ٠	—	—	—	ن٠عدد٥٧٠،ص٤٥	٧/٢
١٠	٧/ ٤	—	بين نابلس وجنين	غيرمحدد	—	—	—	تعطيل كابل الهاتف المركزي	—	—	—	ن٠عدد٥٧٣،ص١٢٢	٧/٥
١١	٧/ ٥	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تم ابطال مفعول العبوة قبل انفجارها ٠	—	—	—	ن٠عدد٥٧٣،ص١٢٧	٧/٥
١٢	٧/ ٧	—	تل ابيب	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	—	—	اصابة سيارتين بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٥٧٦،ص١٦٥	٧/٩
١٣	٧/ ٩	—	صفد	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	اشعال النيران في محطة « سونول » للمحروقات ٠	—	—	—	ن٠عدد٥٧٧،ص٢٠٤	٧/١٠
١٤	٧/١٢	—	جنين	تفجير	عبوة ناسفة	—	١	اصابة سيارة بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٥٨٠،ص٢٧٠	٧/١٣

ن٠ — نشرة رصد اذاعة اسرائيل التي تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ٠

غازي خورشيد

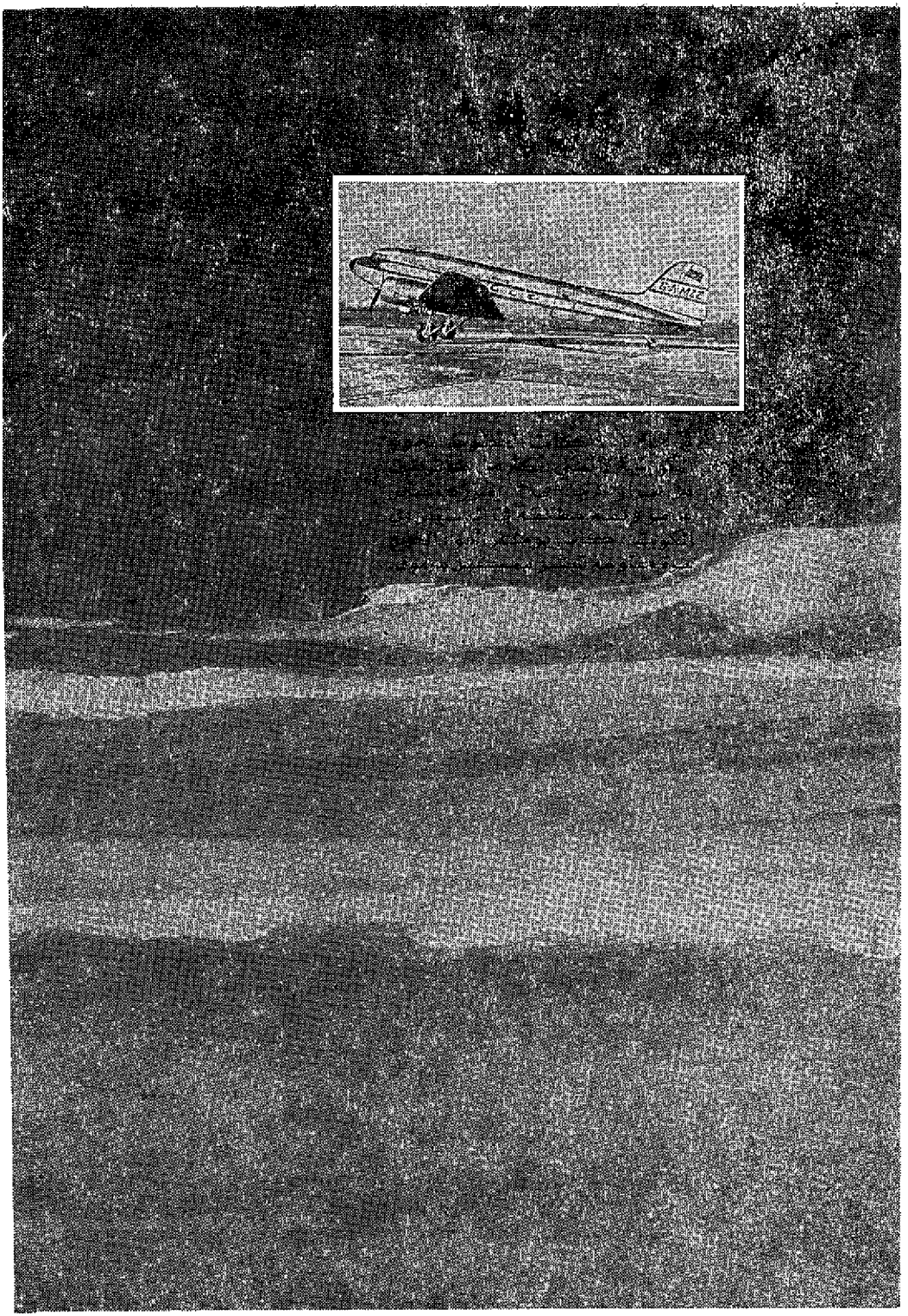

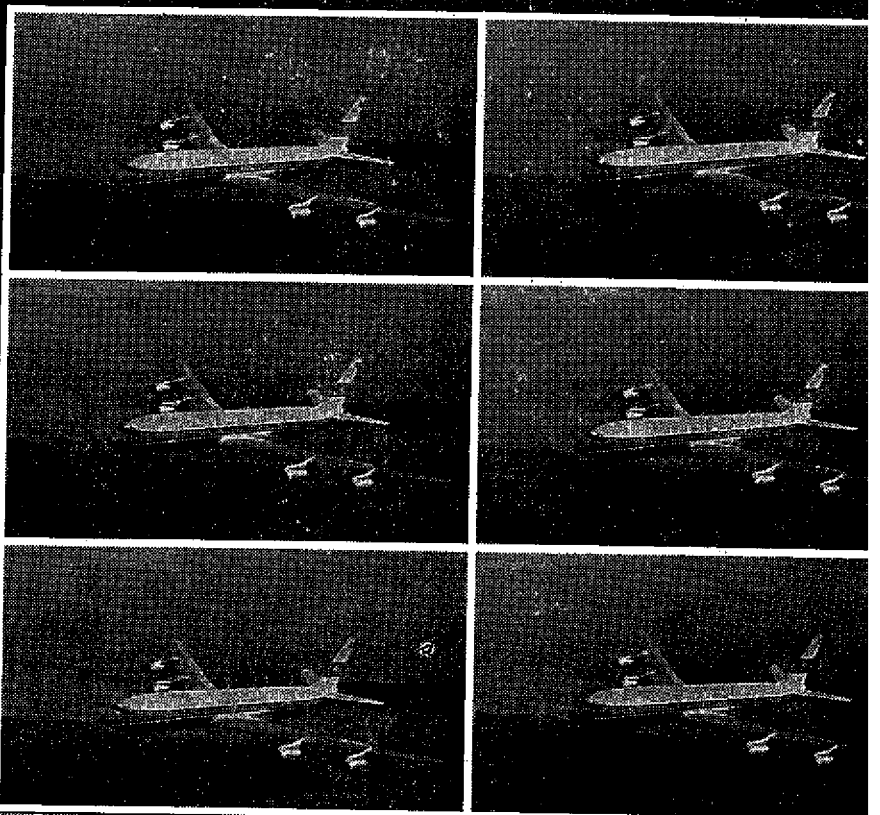

الكويتية
٢٠
عاماً

الخطوط الجوية الكويتية

المعرفة

مجلة ثقافية شهرية

جادة الروضة ، دمشق ، الجمهورية العربية السورية

رئيس التحرير : محيي الدين صبحي

سكرتير التحرير : صفوان قدسي

الاشتراك السنوي :

— في الجمهورية العربية السورية : ١٢ ليرة سورية .

— خارج الجمهورية العربية السورية : ما يعادل ١٢ ليرة سورية مضافا اليها أجر البريد (العادي أو الجوي) حسب رغبة المشترك .

الاشتراك يرسل حوالة بريدية أو شيكا او يدفع نقدا الى : محاسب مجلة المعرفة جادة الروضة ، دمشق .

يتلقى المشترك كل سنة كتابا هدية من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي .

ثمن العدد :

١٠٠ قرش سوري	١٥ قرشا مصريا
١٠٠ قرش لبناني	١٥ قرشا سودانيا
١٢٥ فلسا اردنيا	١٥ قرشا ليبيا
١٢٥ فلسا عراقيا	٣٫٥ دينار جزائري
٢٠٠ فلس كويتي	ريالان سعوديان
٢٫٥ روبية	درهمان مغربيان
٣٫٥ شلن	درهمان تونسيان